روايا للدراسات والبحوث

مِنهاجُ السالِكين

وعُمدةُ البُصراءِ السائرين

تأليف العلّامة

محمد بن محمد بن محمد المنبجيّ الحنبليّ

(ت ٧٨٥هـ)

دراسة وتحقيق

أحمد بن محمد بن غانم آل ثاني

المجلد الأول

علم لإحياء التراث
والخدمات الرقمية
لندن - مصر

دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت

دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت - حولي - شارع الحسن البصري
ص.ب ١٣٤٦ حولي
الرمز البريدي ٣٢٠١٤
تلفاكس ٠٠٩٦٥٢٢٦٥٨١٨٠
نقال ٠٠٩٦٥٥٠٤٠٩٩٢١

جميع الحقوق محفوظة للمحقق
الطبعة الأولى
١٤٤٨هـ - ٢٠٢٦م

بلد الطباعة: بيروت - لبنان
التجليد الفني: شركة فؤاد البعينو للتجليد ش.م.م
بيروت - لبنان

علم لإحياء التراث
والخدمات الرقمية
جمهورية مصر العربية - القاهرة
التجمع الخامس- الحي الثالث- فيلا 152
الهاتف: 00201127999511
internetional library of manuscripts(ILM)
1155726

Dar_aldheyaa2@yahoo.com
Abdou20203@hotmail.com
www.daraldeyaa.net

رقم الإيداع المحلي: 2017/23123
رقم الإيداع الدولي: 3-5-85365 -977-978
info@ilmarabia.com

الموزعون المعتمدون

دولة الكويت
دار الضياء للنشر والتوزيع - حولي تليفاكس: ٢٢٦٥٨١٨٠ نقال: ٥٠٤٠٩٩٢١

جمهورية مصر العربيّة
دار الأصالة للنشر والتوزيع - المنصورة
محمول: ٠٠٢٠١٠٠٠٣٧٣٩٤٨
محمول: ٠٠٢٠١٠٩٨٣٢٥٨٣٢

المملكة العربية السعودية
مكتبة الرشد - الرياض هاتف: ٤٣٢٩٣٣٢ - ٢٠٥١٥٠٠
دار التدمرية للنشر والتوزيع - الرياض هاتف: ٤٩٢٥١٩٢ فاكس: ٤٩٣٧١٣٠
مكتبة المتنبي - الدمام هاتف: ٨٣٤٤٩٤٦ فاكس: ٨٤٣٢٧٩٤

المملكة المغربية
دار الرشاد الحديثة - الدار البيضاء هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٢٧٤٨١٧

المملكة الأردنية الهاشميّة
دار محمد دنديس للنشر والتوزيع - عمان هاتف: ٠٦٤٦٥٣٣٩٠ - ٠٧٨٨٢٩١٣٣٢

جمهورية العراق
دار التفسير - أربيل هاتف: ٠٠٩٦٤٧٥٠٨١٨٠٨٦٥

برمنكهام - بريطانيا
مكتبة سفينة النجاة هاتف: ٠٠٤٤٧٤٧٢٠٤٢٨٢٤ هاتف: ٠٠٤٤٧٤٩٥٠٧٤٠٢٥

الجمهورية اليمنية
مكتبة نور السبيل - حضرموت - تريم هاتف: ٠٠٩٦٧٧٧٦٢٢٤٢٩٩ - ٠٠٩٦٧٧٣٦٨٣٧٩٣٥

الجمهورية التركية
مكتبة الإرشاد - إسطنبول هاتف: ٠٢١٢٦٣٨١٦٣٣/٢٤ فاكس: ٠٢١٢٦٣٨١٧٠٠

جمهورية داغستان
مكتبة ضياء الاسلام هاتف: ٠٠٧٩٨٨٣٠٣١١١١ - ٠٠٧٩٨٨٧٧٣٠٣٠٦
مكتبة الشام - خاسافيورت هاتف: ٠٠٧٩٢٨٨٧٢٩٥٠٥ - ٠٠٧٩٢٨٨٦٦١٤٧٤

الجمهورية العربية السوريّة
دار الفجر - دمشق - حلبوني هاتف: ٢٢٢٨٣١٦ فاكس: ٢٤٥٣١٩٣

الجمهورية السودانية
مكتبة الروضة الندية - الخرطوم - شارع المطار هاتف: ٠٠٢٤٩٩٠٠٤٣٥٧٩

دولة ليبيا
مكتبة الوحدة - طرابلس هاتف: ٠٩١٣٧٠٦٩٩٩ - ٠٢١٣٣٣٨٢٣٨
شارع عمرو ابن العاص

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخه أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه، وكذلك لا يسمح بالاقتباس منه أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

رَوَايَا للدراسات والبحوث

مِنْهَاجُ السَّالِكِينَ

وَعُمْدَةُ البُصَرَاءِ السَّائِرِينَ

تأليف العلامة

مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ المَنْبِجِيُّ الحَنْبَلِيُّ

(ت ٧٨٥هـ)

دِرَاسَة وَتَحْقِيق

أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ غَانِمٍ آلِ ثَانِي

المُجَلَّدُ الأَوَّلُ

عِلْم لإحياء التراث
والخدمات الرقمية
لندن - مصر

دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت

روايا للدراسات والبحوث

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه، الحمدُ للهِ الذي أنزلَ على عبدِهِ الكتابَ هُدىً ورحمةً للمؤمنين، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدِ الخلقِ، وإمامِ المتَّقين، وقدوةِ الغُرِّ الميامين، نبيِّنا وحبيبِنا محمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين، أمَّا بعدُ:

فإنَّ معرفةَ المسلم طريقَ الحقِّ واجبٌ شرعيٌّ، وضرورةٌ لنجاتِهِ يومَ الدين، لذا اهتمَّ علماءُ الإسلامِ قديمًا وحديثًا بالكتابةِ حولَ المنهجِ الصحيحِ للسَّالكِ إلى ربِّ العالمين، وبيانِ مزالقِ الشيطانِ لإيقاعِ السالكين، وتلبيسِ أهلِ الزيغِ والضَّلالِ للإيقاعِ بأهلِ الصِّراطِ المستقيم.

وجاءَ كتابُنا هذا ليُبيِّنَ ويَبنيَ على ما سبقه من أهل العلم، في بيانِ (**منهجِ أهلِ السنَّةِ والجماعةِ**) للسُّلوكِ إلى ربِّ العزَّةِ والجلال، وكيفَ يسيرُ السَّالكُ إلى ربِّهِ وَفقَ سنَّةِ نبيِّهِ ﷺ، ويُجلِّي له الأخطاءَ التي يُمكِنُ أن يقعَ فيها، ويكشفُ له ما يُمكِنُ أن يُلَبَّسَ عليه من شياطينِ الإنسِ والجنِّ.

وهذا تحقيقُ كتابِ: (منهاج السالكين وعمدة البصراء السائرين) للإمامِ العلَّامةِ محمَّدِ بنِ محمَّدٍ المنبجيِّ الحنبليِّ -غفرَ اللهُ لهُ ورحِمَهُ-. بذلتُ في تحقيقه ما استطعتُ من استفراغِ الوُسعِ والجُهدِ، سائلًا اللهَ تعالى أن ينفعَ به، ويُباركَ فيه، وأن يجعلَه خالصًا لوجهِهِ الكريم.

ورحمَ اللهُ الإمامَ المنبجيَّ، فقد كان ناصحًا للأمَّةِ، متمسِّكًا بالسنَّةِ، زاهدًا في الدنيا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا بيان منهجي في العمل والتحقيق يتلخص في الآتي:

◉ جعلتُ للكتابِ قسمين:

1- قسمُ الدراسةِ، ويتكون من مبحثين:

◉ المبحثُ الأوَّلُ :ترجمةُ المؤلِّفِ، وفيه أربعةُ مطالب:

◘ المطلبُ الأوَّلُ: اسمُه ونسبُه ومنزلتُه.

◘ المطلبُ الثاني: عصرُه.

◘ المطلبُ الثالث: مؤلَّفاتُه.

◘ المطلبُ الرابع: وفاتُه.

◉ المبحثُ الثاني: حولَ كتابِ (منهاج السالكين وعمدة البصراء السائرين)، وفيه أربعةُ مطالب:

◘ المطلبُ الأوَّلُ: إثباتُ نسبةِ الكتابِ إلى المؤلِّف.

◘ المطلبُ الثاني: سببُ تأليفِهِ وموضوعُه.

◘ المطلبُ الثالث: أهمُّ مصادرِ المؤلِّفِ.

◘ المطلبُ الرابع: وصفُ النسخةِ الخطيَّةِ.

2- قسمُ التحقيق، ومنهجي فيه كالآتي:

◘ ضبطتُ النَّصَّ بعدَ نَسخِهِ ومقابلتِهِ بالمخطوطِ، مع التنبيهِ في الحاشيةِ على ما ظهرَ لي أنَّهُ خلافُ الصَّوابِ.

◘ أظهرتُ التبويباتِ وميَّزتُها عن الأحاديثِ.

◘ وضعتُ بين معقوفين [/] ترقيمًا يُبيِّنُ بدايةَ كلِّ لوحٍ من المخطوطِ.

◘ عزوتُ الآياتِ القرآنيَّةَ إلى سُوَرِها مع الضبطِ بالرَّسمِ العثمانيِّ.

◘ خرَّجتُ الأحاديثَ والآثارَ وَفقَ المنهجِ التالي:

⊙ إن كان الحديثُ متَّفقًا عليه أو في أحدهما، اكتفيتُ بالعزو إليهما مع ذِكرِ الرقمِ والكتابِ والبابِ.

⊙ وإن لم يكن فيهما، خرَّجتُهُ من أُمَّهاتِ كتبِ السُّنَّةِ المعتمدةِ.

⊙ حكمتُ على الحديثِ في ضوءِ كلامِ الحفَّاظِ وعلماءِ الجَرحِ والتَّعديلِ، من المتقدِّمين كالإمامِ أحمدَ والبخاريِّ والتِّرمذيِّ وابنِ معين، ومن المتأخِّرين كالحافظِ ابنِ حجرٍ والذَّهبيِّ؛ ما استطعتُ إلى ذلك سبيلًا.

⊙ شرحتُ المفرداتِ من كُتُبِ اللُّغةِ وكُتب شُرُوحِ الحديثِ.

⊙ اقتصرتُ على تحريرِ النَّقلِ عن العلماءِ عَزوًا وتوثيقًا وتخريجًا.

⊙ عرَّفتُ بالأعلامِ والرِّجالِ الواردِ ذِكرُهم في الكتابِ، إلَّا مَن أغنَت شهرتُهُ عن التَّعريفِ، أو مَن لا حاجةَ إلى معرفتِهِ.

◘ صنعتُ للكتابِ كشافاتٍ متنوِّعةً:

⊙ كَشَّافًا للموضوعاتِ.

⊙ كشَّافًا للآياتِ والأحاديثِ والآثارِ.

⊙ كشَّافًا للرِّجالِ.

⊙ ثبتًا للمصادرِ والمراجعِ.

هذا، وأسألُ اللهَ تعالى أن يتقبَّلَ هذا العملَ، ويجعلَهُ خالصًا لوجهِهِ الكريمِ، ويُباركَ فيه، وينفعَ به الإسلامَ والمسلمين، وأن يغفرَ لي زللي وتقصيري، فقد بذلتُ جهدي، واستفرغتُ وُسعي، وما توفيقي إلَّا باللهِ، عليه توكَّلتُ وإليه أنيبُ.

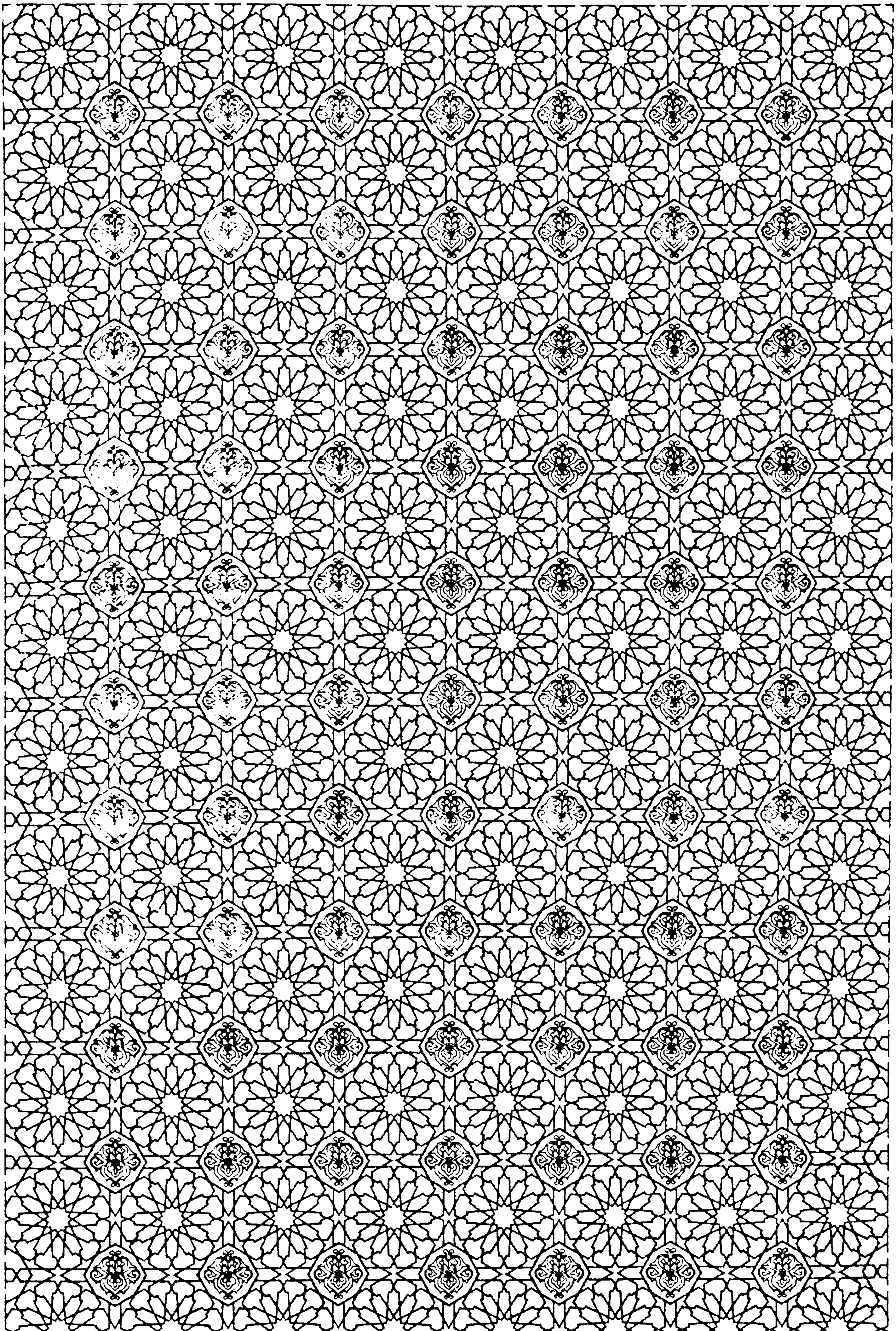

قسم الدراسة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ترجمة المؤلف

المبحث الثاني: حول كتاب (منهاج السالكين وعمدة البصراء السائرين)

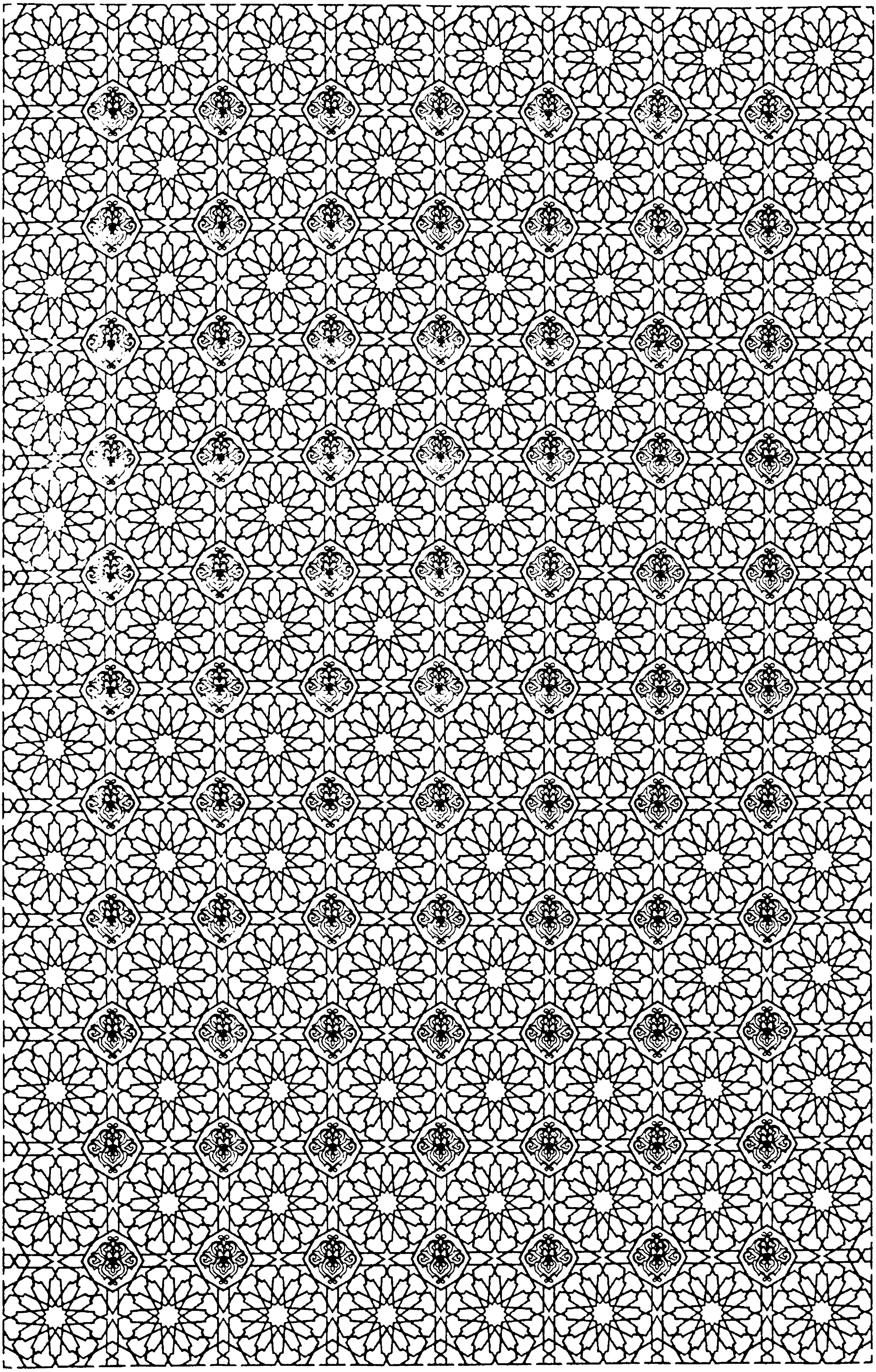

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

ترجمة المؤلف

المَطْلَبُ الأَوَّلُ

اسمه ونسبه ومنزلته[1]

◉ اسمه ونسبه:

◘ هو محمدُ بنُ محمدِ بنِ محمدٍ، شمسُ الدينِ المنبجيُّ أبو عبدِ اللهِ: متصوفٌ حنبليٌّ، أصلُه من منبج[2]، سكن الصالحيةَ بدمشق.

---

(1) مصادر الترجمة: راجع: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب أحمد لابن مفلح الحنبلي، ج2/ 524-525، والجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد، ليوسف بن عبد الهادي، المعروف بابن المبرد، ترجمة رقم (184)، (ص156)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لشهاب الدين، المعروف بابن العماد الحنبلي، (ج8/ 499)، والسحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، لمحمد بن عبدالله بن أحمد النجدي ثم المكي، (ج3/ 1081)، والأعلام لخير الدين الزركلي، (ج7/ 41-42)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، (ج3/ 689)، ترجمة رقم (15834).

(2) يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان، (ج5/ 205 - 207) عن منبج:

منبج: بالفتح ثم السكون وباء موحدة مكسورة وجيم؛ وهو بلد قديم وما أظنه إلا روميًّا إلا أنَّ اشتقاقه في العربية يجوز أن يكون من أشياء، يقال: نبج الرجل ينبج: إذا قعد في النبجة وهي الأكمة، والموضع منبج، ويجوز أن يكون قياسًا صحيحًا، ويقال: نبج الكلب ينبج بالجيم مثل: نبح ينبح معنًى ووزنًا، والموضع منبج، ويجوز أن يكون من النبيج: وهو طعام كانت العرب تتخذه في المجاعة يخاض الوبر في اللبن فيجدح ويؤكل، ويجوز أن يكون من النبج: وهو الضراط، فأمَّا الأول وهو الأكمة فلا يجوز أن يسمى به؛ لأنه على بسيط من الأرض لا أكمة فيه فلم يبق إلا الوجوه الثلاثة ...

وذكر بعضهم: أن أول من بناها كسرى لما غلب على الشام وسماها (مَن بِه) أي أنا أجود فَعُرِّبت، فقيل له: منبج، والرشيد أول من أفرد العواصم كما ذكرنا في العواصم وجعل مدينتها منبج.

⊙ **منزلته:**

▣ **قال ابنُ حجرٍ:** (كان من فضلاءِ الحنابلةِ، سمع الحديثَ، وحفظَ المقنعَ، وأفتى ودرَّسَ، وكان يكتسبُ من حانوتٍ له على طريقِ السلفِ، مع الدِّينِ والتقشُّفِ والتعبُّدِ)(1).

▣ **ووصفه ابنُ مفلحٍ بقوله:** (الشيخُ الإمامُ العالمُ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ أوحدُ الفضلاءِ)(2).

المطلب الثاني

عصره

وُلِدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في القرنِ الثامنِ الهجريِّ، في عصرِ الدولةِ المملوكيةِ الحاكمةِ في مصرَ والشامِ والحجازِ، والخلافةُ العباسيةِ في ضعفٍ ليس لها من الرسمِ إلَّا الاسمُ، والعالمُ الإسلاميُّ بدولِهِ ورجالاتِهِ يُلَمْلِمُونَ آثارَ التدميرِ التتريِّ للعالمِ الإسلاميِّ(3)، وما أحدثتْهُ الحروبُ الصليبيةُ(4)

---

(1) انظر: إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ج1/ 286). (2) انظر: المقصد الأرشد لابن مفلح الحنبلي، ترجمة رقم (1084).

(3) بداية الغزو المغولي التتري للعالم الإسلامي كان في بدايات القرن السابع الهجري، من جهة الدولة الخوارزمية في شرق العالم الإسلامي، وفي سنة (656هـ) سقطت بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية على يد المغول، وقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله، واستمر زحف المغول باتجاه الغرب، إلى أن سخر الله سلطان العلماء فحث المماليك بقيادة قطز على المواجهة، فجهزوا للمعركة الشهيرة عين جالوت، وانتصر المسلمون في رمضان سنة (658هـ)، على التتار المغول، بتوفيق الله ثم تعاون العلماء والأمراء وأخذهم بأسباب النصر، فانتهى الكابوس الذي حل في العالم بأسره على يد المسلمين.

(4) يعتبر (بطرس الناسك) أوّل مَن قاد حملةً صليبيَّةً نحو العالم الإسلامي، وكانت حملته جمعت الفقراء والمعدومين من الغرب النصراني سنة (489هـ)، وانهزموا على يد السلاجقة، فعند ذلك بدأ الصليبيون يجهزون الحملة الصليبية الثانية بجيش مدرب ففي سنة (491هـ) حاصروا أنطاكية وبعد سقوطها توجهوا إلى القدس وأخذوها سنة (492هـ)، قال ابن الأثير=

التي استمرَّت لسنواتٍ طوالٍ.

وعلى خلافِ الواقعِ السياسيِّ، كان الواقعُ العلميُّ في هذا القرنِ يشهدُ نهضةً علميةً، حيثُ برزَ علماءُ ومصلحون شهدَ لهم التاريخُ بالنبوغِ، وبقيت آثارُهُم حتى اليومِ. كان هناك من المحدثين ابنُ حجرِ العسقلانيُّ، ومن المفسرين ابنُ كثيرٍ، وكان هناك المؤرخُ والاجتماعيُّ ابنُ خلدون، وعالمُ اللغةِ والنحوِ ابنُ هشامٍ، وغيرُهم الكثيرُ. فقد شهدَ القرنُ حراكًا علميًّا في شتَّى المجالاتِ، بل يمكنُ أن نُسمِّيَ القرنَ الثامنَ الهجريَّ بعصرِ الأئمةِ المجددينَ.

حيث عاش المنبجي في هذا العصر، وترعرع في بيئة مليئة بالعلماء والأدباء والمصلحين، فتميزت كتاباته بفوائد نادرةٍ، وأدبٍ رفيعٍ، وعلم غزير، ولا عجب؛ فقد سمع الحديث، وحفظ المقنع[1]، وأفتى ودرَّس، وكان يكتسب من حانوت له على طريق السلف.

=عن مجزرة بيت المقدس: قتل الفرنجُ بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفًا، ومع الحملة الصليبية يقول ابن العماد: انتشرت دعوة الباطنية بأصبهان وأعمالها، وقويت شوكتهم، وكان العبيديون الفاطميون هم حكام مصر في تلك الأثناء، وتتابعت الحملات الثانية والثالثة إلى الثامنة التي تعتبر آخر الحملات الصليبية الرئيسية سنة (668هـ)، فانتهت بذلك الحملات الصليبية من نهاية القرن السابع الهجري.

راجع: الكامل في التاريخ، لأبي الحسن ابن الأثير، (ج9/ 19)، والبداية والنهاية لابن كثير، وشذرات الذهب لابن العماد، وأما عبارته، راجع: (ج5/ 401). ويراجع: كتاب الحرب المقدسة لكارين أرمسترونغ، طبعة دار الكتاب العربي.

(1) هو كتاب المقنع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل لموفق الدين ابن قدامة المقدسي، ذكر فيه الروايتين مع الترجيح، وتعتبر مؤلفات الإمام ابن قدامة من أهم كتب المذهب الحنبلي.

راجع: الجوهر المنضد لابن المبرد، ترجمة رقم (184)، (ص156)، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، (ج8/ 499)، والمقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لابن مفلح الحنبلي، ترجمة رقم (1084)، (ج2/ 524-525).

المطلب الثالث

مؤلفاته

قد حاولت ترتيبها من الأقدم للأحدث:

1- كتابُ الجهادِ. وهو مفقودٌ، وأشار إليه المنبجيُّ في عددٍ من كتبِهِ. ولعلَّه أقدمُ مؤلفاتِه، حيث أشارَ إليها في عددٍ من كتبِه.

2- مولدُ رسولِ اللهِ ﷺ، حقَّقهُ أيضًا صالحُ الأزهريُّ على نسخةٍ خطيةٍ واحدةٍ، وطُبِعَ ضمنَ إصداراتِ مجلةِ الوعيِ الإسلاميِّ بوزارةِ الأوقافِ والشؤونِ الإسلاميةِ بدولةِ الكويتِ الإصدارُ الرابعُ والثمانون 1435هـ-2014م.

وقد فرغَ من تأليفِهِ في 3/ ربيع الأول/ 760. وحققناهُ أيضًا مع (جزءٍ في ذكرِ غزواتِ النبيِّ ﷺ)، وطُبِعَ لدى مركزِ (روايا) للدراساتِ والبحوثِ.

3- المصباحُ في أذكارِ المساءِ والصباحِ، طُبِعَ بتحقيقِ أحمدَ فريد المزيديِّ، وطُبِع في دارِ الكتبِ العلميةِ. ولم يظهر لي تاريخُ النسخِ، ولعلَّهُ قبلَ طاعونِ سنةِ 764هـ.

4- جزءٌ في الطاعونِ وأحكامِهِ، طُبِعَ بتحقيقِنا لدى مركزِ (روايا) للدراساتِ والبحوثِ، وتوزيعِ دارِ ابنِ حزمٍ بيروتَ. وكتبَهُ في أيامِ طاعونِ سنةِ 764هـ.

5- تسليةُ أهلِ المصائبِ. طُبِعَ عدةَ طبعاتٍ، منها طبعةٌ قديمةٌ سنةَ 1347هـ- 1929م لدى مكتبةِ الخانجيِّ، وحققَهُ حديثًا بشيرُ محمد عيون، وطُبِعَ لدى دارِ البيانِ دمشقَ، وطُبِعَ لدى دارِ الكتبِ العلميةِ، وحققَهُ أيضًا محمد حسن الحمصيّ، وطُبِعَ لدى مؤسسةِ الإيمانِ بيروتَ ودارِ الرشيدِ دمشقَ. وكان قد فرغَ من تأليفِهِ يومَ الخميسِ (7/ شوال/ 777هـ).

6- رسالةٌ في السماعِ والرقصِ، طُبِعَت بتحقيقِ محمد صبحي حسن حلاق، لدى دارِ ابنِ حزمٍ بيروتَ. وهي في الحقيقةِ سؤالٌ موجَّهٌ لشيخِهِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ، يتعلقُ بصفةِ سماعِ الصالحينَ، وسماعِ القصائدِ المُلَحَّنةِ بالآلاتِ المُطربةِ، هل هو من القربِ والطاعاتِ، أم هو محرَّمٌ أو مباحٌ؟ فأجابَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ، والجوابُ مكتوبٌ بخطِّ الإمامِ المنبجيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

7- رسالةٌ في الكلامِ على الفطرةِ. وقد طُبِعَت ضمنَ مجموعةِ الرسائلِ الكبرى لشيخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ، طبعةَ دارِ إحياءِ التراثِ العربيِّ. وحققَهُ أيضًا صالحُ الأزهريُّ، وطُبِعَ ضمنَ إصداراتِ لقاءِ العشرِ الأواخرِ رقم (19) رسالةَ (313) لدى دارِ البشائرِ. ولم يظهر لي تاريخُ تأليفِهِ، ولعلَّهُ كتبَهُ بعدَ (تسليةِ أهلِ المصائبِ)، وقبلَ (منهاجِ السالكينَ)، حيثُ تكلَّمَ فيهِ حولَ مسألةِ معرفةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وأنَّها فطريةٌ.

8 - منهاجُ السالكينَ وعمدةُ البصراءِ السائرينَ. وهو الكتابُ الذي بينَ أيدينا. والذي يُعَدُّ من آخرِ مصنفاتِهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ. وفرغَ من تأليفِهِ يومَ الخميسِ (7/ شوال/ 780هـ). ولعلَّهُ آخرُ ما ألفَهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ قبلَ وفاتِهِ بقرابةِ خمسِ سنواتٍ.

المطلب الرابع

وفاته

◘ توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في رمضانَ سنةَ (785هـ)[1]، وقيلَ: (774هـ)، والراجحُ القولُ الأولُ، لسببينِ:

---

(1) راجع: الجوهر المنضد لابن المبرد، ترجمة رقم (184)، (ص156)، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، (ج8/ 499).

▣ الأولُ: أن هذا التاريخ عليهِ أكثرُ المترجمينَ لهُ بل نصُّوا على أنَّهُ توفي في شهرِ رمضانَ سنةَ (785هـ).

▣ والثاني: في نسخةِ شستربيتي بإيرلندا رقمَ (3321)، لكتابِ تسليةِ أهلِ المصائبِ وهو بخطِّ الإمامِ المنبجيِّ وفي آخرِهِ قولُهُ: «على يدِ مؤلفِهِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ محمدِ المنبجيِّ في يومِ الخميسِ سابعِ شوالِ سبعٍ وسبعينَ وسبعمائةٍ». وفي نسختِنا هذهِ لكتابِ (منهاجِ السالكينَ وعمدةِ البصراءِ السائرينَ)، وهو بخطِّ الإمامِ المنبجيِّ: (فرغَ من تعليقِهِ أحوجُ العبادِ وأفقرُهم إلى ربِّهِ عَزَّوَجَلَّ، مؤلِّفُهُ محمدُ بنُ محمدِ بنِ محمدِ المنبجيُّ في يومِ الخميسِ سابع شوال سنة ثمانينَ وسبعمائةٍ كان اللهُ لهُ).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وأسكنَهُ الجنةَ ورفعَ درجاته.

المَبْحَثُ الثَّانِي

حول كتاب منهاج السالكين وعمدة البصراء السائرين

المَطْلَبُ الأَوَّلُ

إثبات نسبة الكتاب للمؤلف

لا شكَّ في نسبةِ هذا الكتابِ للإمامِ محمدِ بنِ محمدِ المنبجيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، حيثُ يتجلَّى في الكتابِ أسلوبُهُ الفريدُ في تقريرِ المسائلِ، وتأثُّرُهُ بشيخِهِ شيخ الإسلامِ ابنِ تيميةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وزميلِهِ في الطلبِ الإمامِ ابنِ القيمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

وسنحاولُ في النقاطِ التاليةِ تبيينَ بعضِ الشواهدِ على ثبوتِ الكتابِ للمنبجيِّ، ومنها:

- النسخةُ الخطيةُ، وهي مكتوبةٌ بخطِّ الإمامِ محمدِ بنِ محمدِ المنبجيِّ، وفي حردِ المخطوطِ، كتبَ بخطِّهِ المميَّزِ: (فرَغَ من تعليقِهِ أحوجُ العبادِ وأفقرُهم إلى ربِّهِ عَزَّوَجَلَّ، مؤلِّفُهُ محمدُ بنُ محمدِ بنِ محمدِ المنبجيُّ في يومِ الخميسِ سابعِ شوالٍ سنة ثمانينَ وسبعمائةٍ).

- وقد أشارَ المؤلفُ في كتابِهِ هذا لعددٍ من مؤلفاتِهِ، ومنها: كتابُهُ (تسليةُ أهلِ المصائبِ)، وكتابُهُ (الجهادُ).

وقد ذكرَهُ الزركليُّ في كتابِ الأعلامِ (ج7/ 41)؛ فقالَ: (محمدُ بنُ محمدِ بنِ محمدٍ، شمسُ الدينِ المنبجيُّ... لهُ كتبٌ، منها: منهاجُ السالكينَ وعمدةُ البصراءِ السائرينَ).

المطلب الثاني

سبب التأليف والموضوع

تعددت أسبابُ العلماءِ في تأليفِهم للكتبِ، ومن هذهِ الأسبابِ سؤالُ الناسِ العالمَ أن يكتبَ لهم في موضوعٍ معينٍ، أو مسألةٍ معينةٍ، وكتابُنا هذا جاءَ استجابةً لطلبِ بعضِ الإخوانِ من الإمامِ المنبجيِّ أن يكتبَ لهم في الفقرِ والتصوفِ وحقيقتِهما، وبيانِ فضلِهما، وما يحتاجُ إليهِ السالكُ في سلوكِهِ من المقاماتِ، وما يجبُ عليهِ تركُهُ من الآفاتِ، وكما هي عادةُ أهلِ العلمِ والفضلِ، استخارةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ في كلِّ شؤونِ حياتِهم، فاستخارَ الإمامُ محمدٌ المنبجيّ، ثم استجابَ لهذا الطلبِ، مستعينًا باللهِ عَزَّوَجَلَّ، وقسَّمَ كتابَهُ لعشرينَ بابًا، فبدأَ بالكلامِ على حقيقةِ الفقرِ والتصوفِ، وانتهى بذكرِ الفرقِ بينَ الكراماتِ الرحمانيةِ والأحوالِ الشيطانيةِ.

وتحتَ كلِّ بابٍ تناولَ فصولًا مهمةً، ومباحثَ نفيسةً، بناها على كلامِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وسنةِ نبيِّهِ ﷺ، وعزَّزَها بأقوالِ أهلِ العلمِ والمعرفةِ، وخصَّصَ أبوابًا لآفاتِ النفوسِ وعيوبِها، وكيفيةِ التخلصِ منها، وآخرُها في الأدبِ معَ المشايخِ وإكرامِهم وتبجيلِهم وتوقيرِهم.

وغير ذلكَ من الأبوابِ التي سيأتي تفصيلُها في قسمِ التحقيقِ بإذنِ اللهِ تعالى.

وهو يُعدُّ من آخرِ ما صنَّفَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، حيثُ فرغَ من كتابتِهِ يومَ الخميسِ 7/ شوال/ 780هـ أي قبلَ وفاتِهِ بخمسِ سنواتٍ.

المطلب الثالث

أهم مصادر المؤلف

اعتمد المؤلفُ بعد كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ودواوينِ السنَّةِ النبويَّةِ، على جملةٍ من المصادرِ المتنوِّعةِ، ممَّا يعكسُ سعةَ اطِّلاعه على الكتبِ والمصنَّفاتِ، ويُعتَبَرُ كتابُ (مدارجِ السالكينَ)؛ لابنِ القيمِ رحمه الله تعالى من أهمِّ المصادرِ التي اعتمدَ عليها في كتابِه هذا، ويمكنُ القولُ بأنَّه بنى كتابَه عليها، وزادَه توضيحًا وبيانًا، بالإضافةِ لكتبِ ابنِ القيمِ رحمه الله تعالى الأخرى؛ كطريقِ الهجرتينَ، وعدَّةِ الصابرينَ.

وكما هي العادةُ في مؤلَّفاته الأخرى ينقلُ كثيرًا عن شيخِه شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ، ويستشهدُ بالآثارِ من رسائلِ ابنِ أبي الدنيا رحمه الله تعالى ويُصرِّحُ بذلك، و(صاحبُ العللِ التي تدخلُ على المقاماتِ) كذا ذكرَه باسمِ كتابِه؛ وهو محمدٌ التستري.

بالإضافةِ لجملةٍ من المراجعِ والمصادرِ المهمَّةِ، ومنها: (الكتابُ لسيبويه)، و(إيضاحُ الوقفِ والابتداءِ)؛ لابنِ الأنباري، و(أدبُ الكاتبِ)؛ لابنِ قتيبةَ، و(العجائبُ)؛ لمحمدِ بنِ المنذرِ الهروي، و(معاني القرآنِ)؛ للزجَّاجِ، و(الزاهرُ في معاني كلماتِ الناسِ)؛ لابنِ الأنباري، و(آدابُ المريدينَ)؛ لعمرو بنِ عثمانَ المكي، و(كتابُ الحمَّامِ)؛ لابنِ بطةَ، و(مجملُ اللغةِ)؛ لابنِ فارس، و(تفسيرُ ابنِ فَنجُويه)، و(شرحُ البخاري)؛ لابنِ بطَّال، و(الغريبينِ في القرآنِ والحديثِ)؛ للهروي، و(الثباتُ بعدَ المماتِ)، و(زادُ المسيرِ)، و(المنتخبُ في النَّولِ)؛ لابنِ الجوزي، و(فتوحُ الغيبِ)؛ للجيلاني، و(تفسيرُ القرطبي)، و(شرحُ صحيحِ مسلمٍ)؛ للنووي، وغيرها كثيرٌ.

ومن المصادرِ المهمَّةِ النقلُ مشافهةً عن شيوخِه؛ كشيخِ الإسلام ابنِ تيميةَ، حيث لم أقف على بعضِ النقولِ في المطبوعِ من كتبه، وابنِ قاضي الجبلِ، حيث صرَّحَ بالنقلِ عنه، فقال: (وقال شيخُنا ابنُ قاضي الجبلِ...)

وعن علماءَ وكتبٍ ورواياتٍ لم أقف عليها في المطبوعِ؛ كنقلِه عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظي، والحافظِ أبي نعيم، والذهبي، وابنِ شيخِ الحزامين، و(كتابِ الزهدِ)؛ للإمامِ أحمد، ورواياتٍ أسندَها لابنِ أبي شيبة، وابنِ أبي الدنيا، و(جزءٍ في السُّكوتِ ولزومِ البيوتِ) لابنِ البنَّاءِ الحنبلي.

وبعضُ المصادرِ التي صرَّحَ بها تُعتَبَرُ مفقودةً أو لم تُحقَّق إلى الآنَ؛ ككتابِ (الحبِّ للهِ تعالى ومراتبِ أهلِه)؛ للحارثِ المحاسبي، وكتابِ (الذِّكرِ)؛ للفِريابي، وكتابِ (آدابِ المريدينَ)؛ لأبي عبدِالله عمرَ بنِ عثمانَ المكي، وكتابِ (إثباتِ استواءِ اللهِ على عرشِه)؛ لأبي إسماعيلَ عبدِاللهِ الأنصاري، وكتابِ (منتهى الغايةِ في شرحِ الهدايةِ)؛ لمجدِ الدينِ ابنِ تيمية، و(تفسيرِ النقاشِ)، وكتابِ (الرَّدِّ على من أنكرَ الكراماتِ)؛ لابنِ شُقّ الليل، وكتابِ (التقاطِ المنافعِ)؛ لابنِ الجوزي.

وغيرها من المصادرِ والنقولِ العزيزةِ، والتي تُعدُّ مَكنَزًا علميًّا وتراثيًّا مهمًّا، ويُعطي دلالةً على سعةِ اطِّلاعِ هذا الإمامِ الجليلِ، وأسلوبِه الذي يتميَّزُ بالرِّقَّةِ، وسلامةِ المعتقدِ، والغيرةِ على الدينِ، والنصحِ للأمَّةِ، ويعكسُ الحراكَ العلميَّ والثقافيَّ الذي شهده القرنُ الثامنُ الهجريُّ.

المَطْلَبُ الرَّابِعُ

وصف النسخة الخطية

اعتُمِدَ في تحقيقِ هذا الكتابِ على نسخةٍ خطيةٍ فريدةٍ بخطِّ المؤلفِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، كُتبت سنةَ (780هـ)، كما هو مكتوبٌ في حردِ المتنِ. وهو بخط نسخيّ معتاد أسود.

وطالعَ هذهِ النسخةَ وقرأَها محمدُ بنُ عثمانَ بنِ سفيانَ بنِ مرادَ خانَ.

وبياناتها كالتالي: - مكتبة السليمانية / خزانة الشهيد علي باشا.

- الرقم التسلسلي: 1428. - رقم التصنيف: 3.297-927.

- عدد اللوحات: 274.

- بداية المخطوط: (الحمد لله ذي الإفضال، المسبح له السهل والوعر وذرات الرمال...).

- آخر المخطوط: (... ويجعل طريقنا موصلة إليه مقربة لديه، فإنه أهل التقوى وأهل المغفرة).

- حرد المتن: (فرغ من تعليقه أحوج العباد وأفقرهم إلى ربه عَزَّوَجَلَّ مؤلفه محمد بن محمد بن محمد المنبجي -كان الله له- في يوم الخميس سابع شوال سنة ثمانين وسبعمائة).

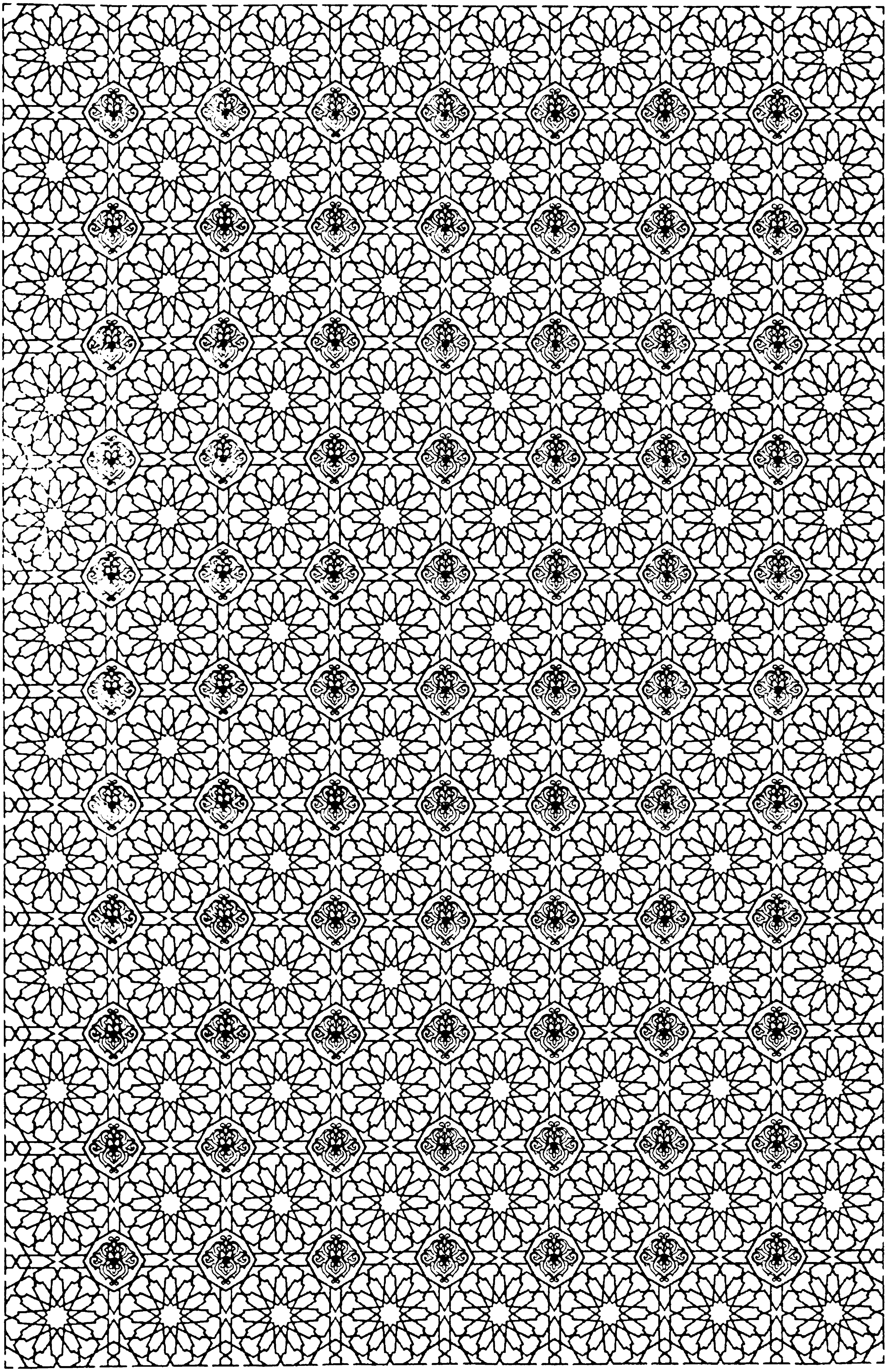

صور من لوحات المخطوط

غلاف الكتاب ويظهر فيه اسم الكتاب والمؤلف، وتعليقات بخطوط مختلفة

اللوحة الأولى ويظهر بوضوح ختم «وقف الشهيد علي باشا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بشرط أن لا يخرج من خزانته»

لوحة من المخطوط، ويظهر إضافات المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مما يدل على مراجعته للكتاب، وتعهده بالإضافة والتعديل

اللوحة الأخيرة، ويظهر في حردها توقيع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واسم محمد بن عثمان بن سفيان بن مراد خان، والذي طالع وقرأ الكتاب.

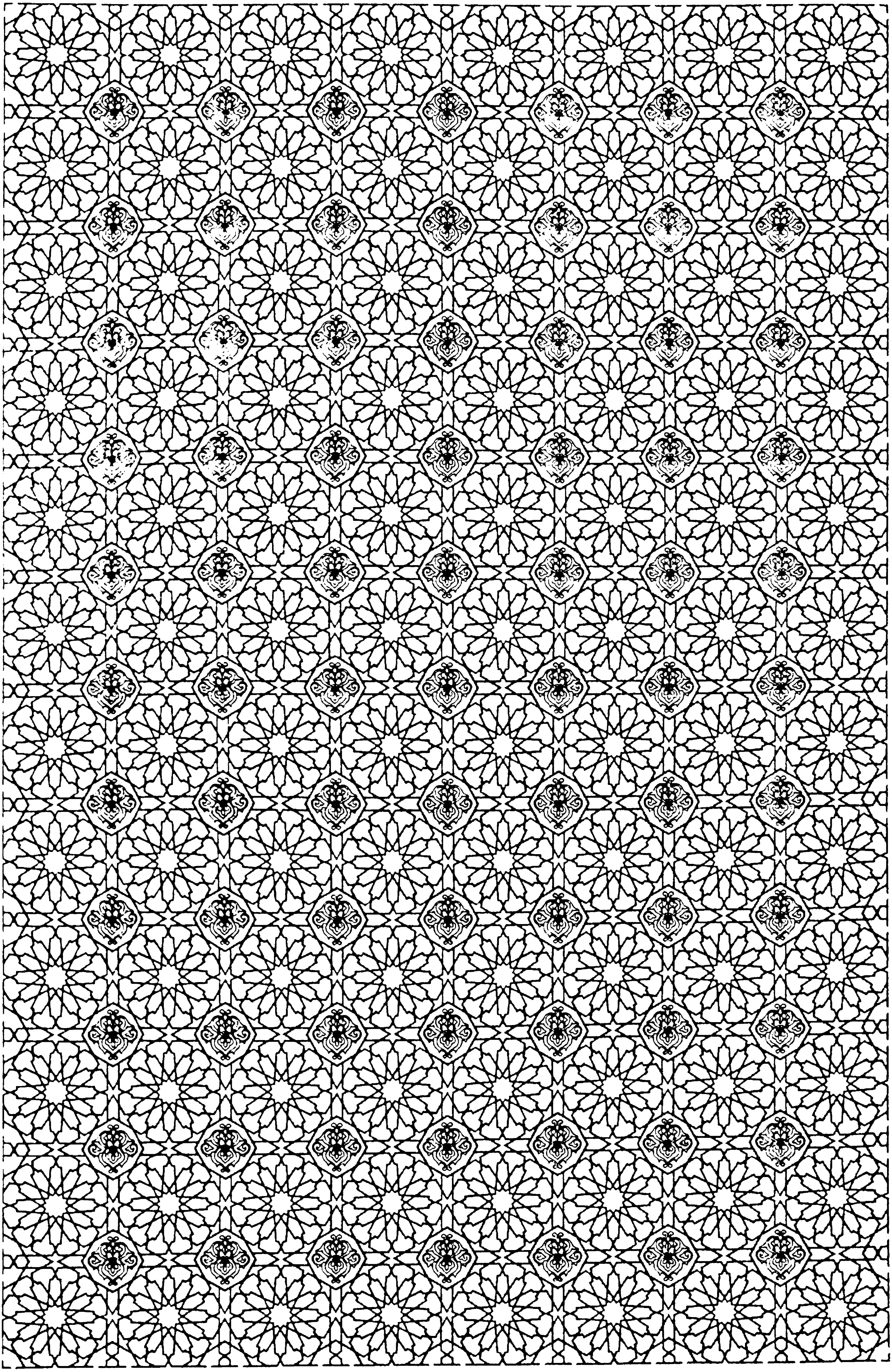

كتاب منهج السالكين

وعمدة البصراء الشاكرين

للعبد الفقير إلى الله تعالى

محمد بن محمد بن محمد المنبجي

كان الله له

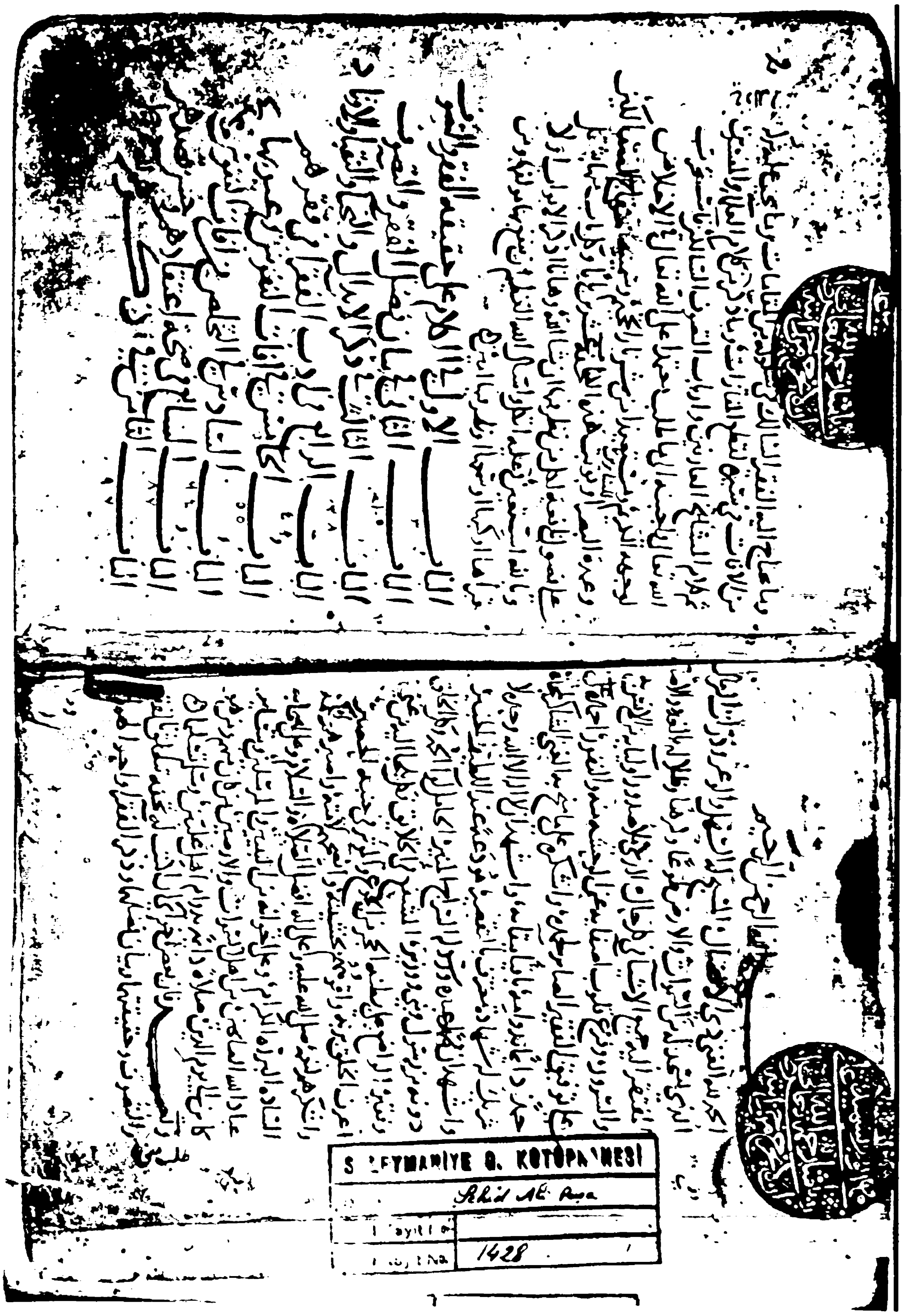
SÜLEYMANIYE Ü. KÜTÜPHANESİ
Reşid Ali Paşa
1428

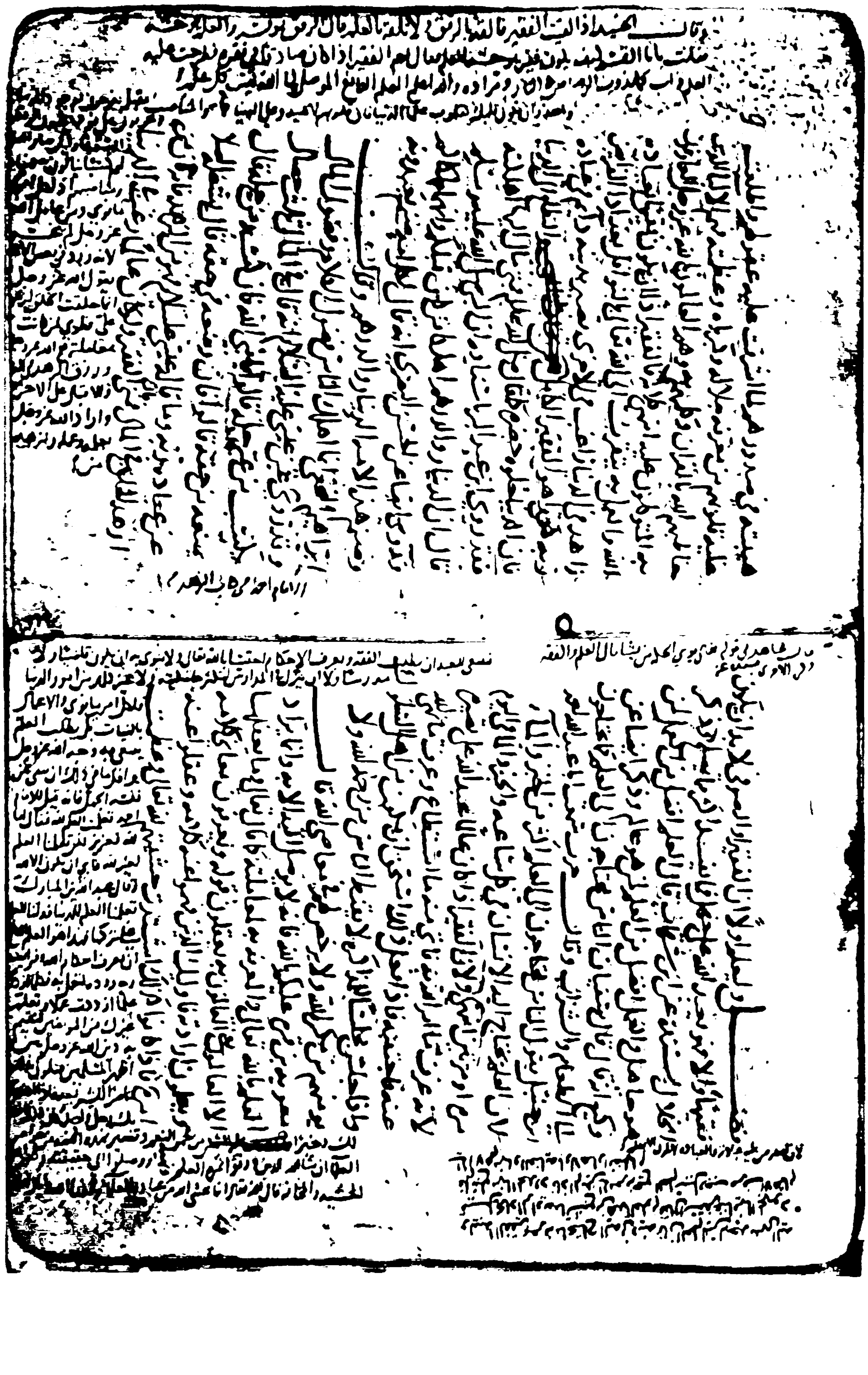

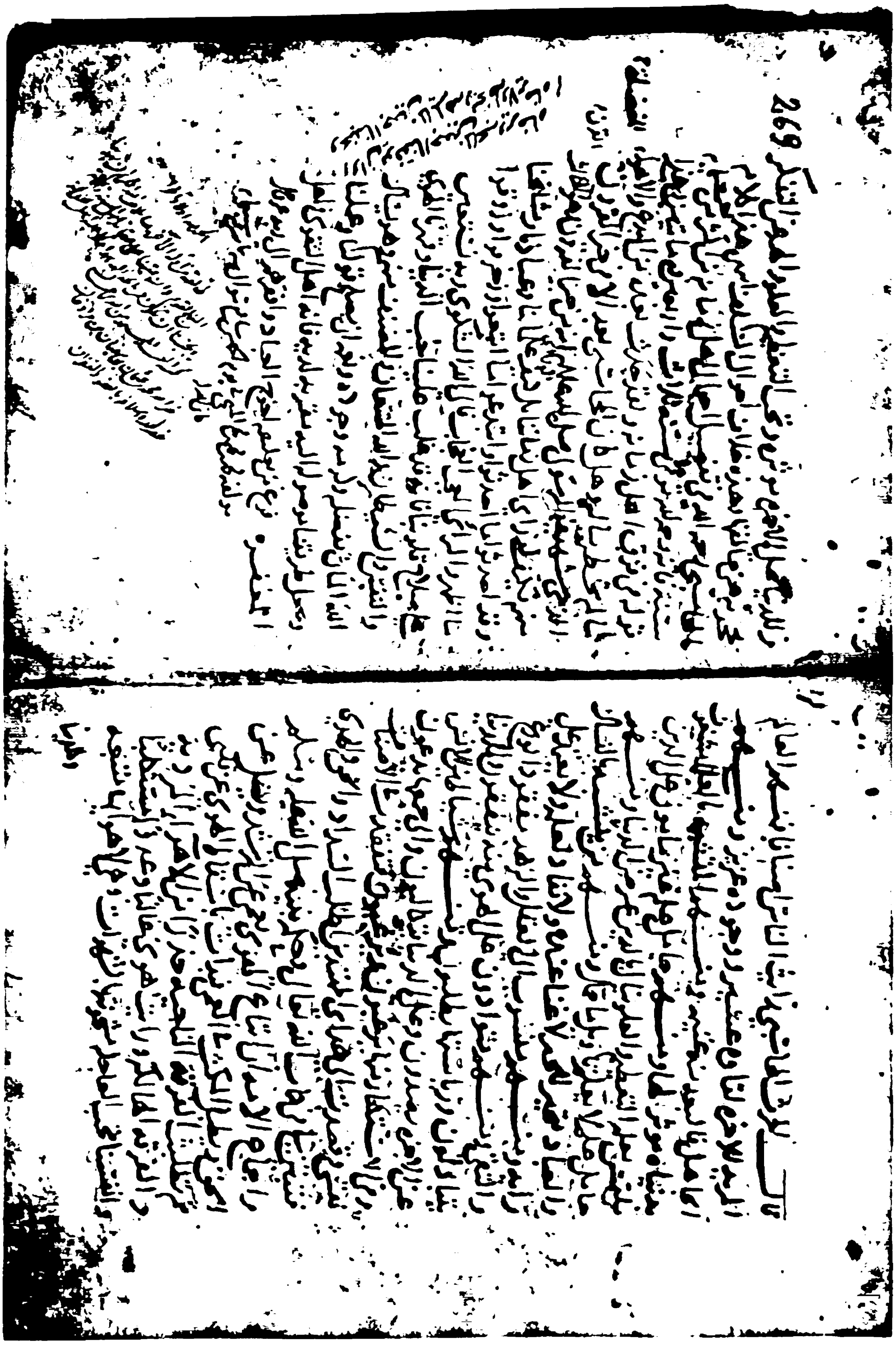

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ذي الإفضالِ، المسبِّح له السّهلُ والوعرُ وذرّاتُ الرِّمالِ، الّذي يَسجدُ له مَن في السّماواتِ والأرضِ طوعًا وكرهًا وظِلالُهم بالغُدوِّ والآصالِ[1]، الّذي مَلأَ صُدورَ أوليائِه مِنَ الأُنسِ به والسُّرورِ، وفرَّغَ قُلوبَ أصفيائِه عَنِ الوحشة منه والنُّفورِ.

أحمده على تَوفيقِ الفقيرِ الصّابرِ لِحَمدِه، وأشكُرُه على ما مَنَحَ به الغنيَّ الشّاكرَ لِمَجدِه، حَمدًا دائمًا بدَوامِه قائمًا ببَقائِه.

وَأشهَدُ أن لا إله إلّا الله وحدَه لا شَريكَ له شَهادة مُعترِفٍ بالتّقصيرِ، مودعة عندَ اللّطيفِ الخبيرِ.

وأشهَدُ أنّ محمّدا عبدُه ورسولُه السِّراجُ المُنيرُ[2]، الحامِلُ لِواءَ الحمدِ، وكُلُّ الخلقِ دونَه من رسولٍ ونَبيٍّ ووَزيرٍ، المشَفَّعُ في الخلائقِ فكُلٌّ يَلجأُ إليه من غَنيٍّ وفَقيرٍ، الواضِعُ بَطنِه الحجَرَ مِنَ الجوعِ والمُؤثِّرُ في جَنبه الحصيرُ، أعرَفُ الخَلقِ بربِّه وأقوَمُهم بخَشيَتِه وأنصَحُهم لِأُمَّتِه، وأصبَرُهم لِحُكمِه وأشكَرُهم لِنِعَمِه.

صلَّى الله عليه وعلى آلِه أفضَلَ الصّلاةِ والسّلام وعلى أصحابِه السّادة البرَرة الكِرام، وعلى إخوانِه مِنَ النّبيّينَ والمُرسَلينَ، وسائرِ عِبادِ الله الصّالِحينَ، من أهلِ السّماواتِ والأرضينَ، مَن كان منهم ومَن هو

---

(1) ما كان من النهار بعد العشي، انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (أصل)، (ج 1/ 109).

(2) قال سُبحانَهُ وَتَعالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب: 45-46].

كائنٌ إلى يوم الدّينِ صَلاةً دائِمةً بدَوامِ أهلِ عِلّيينَ، وسَلِّم تَسليمًا. وبعدُ؛

فإنّ بعضَ إخواني طَلَب مِنّي أن أكتُبَ له تُحفةً تَتَعلَّقُ بالفقرِ والتّصوُّفِ وحَقيقَتِهِما وبَيانِ فضلِهِما وذِكرِ الفُقَراءِ وأحوالِهِم [1/ ب] وما يَحتاجُ إليه الفقيرُ السّالكُ في سُلوكِه مِنَ المقاماتِ، وما يَجبُ عليه تَركُه مِنَ الآفاتِ في سَيرِه لِقَطعِ المفازاتِ(1)، وما ذُكِرَ في ذلك من كلامِ العُلَماءِ والمُفَسِّرينَ، ثُمّ كَلامِ المَشايخِ العارِفينَ، وأربابِ التّصوُّفِ السّالِكينَ.

فاستَخَرتُ اللهَ تعالَى وأجَبتُه إلى ما طَلَبَ مُعتَمِدًا على الله تعالى في الإخلاصِ لوَجهِه الكريمِ، ومُستَعيذًا من شَرِّ نارِ الجحيمِ، وسَمَّيتُه: «منهاجَ السّالِكينَ وعُمدةَ البُصَراءِ السّائِرينَ» وبَوَّبتُ هذه التُّحفَةَ عِشرينَ بابًا، وكُلُّ بابٍ منها يَشتَمِلُ على فُصولٍ نافِعةٍ لِكُلِّ مَن نَظَرَ فيها، وها أنا أذكرُ الأبوابَ أوّلًا.

وبالله أستَعينُ وعليه أتّكِلُ، وأسألُ اللهَ العظيمَ أن يَنفَعَ بها مُؤَلِّفَها، ومَن قَرَأها أو كَتَبَها أو سَمِعَها أو نَظَرَ فيها آمينَ.

البابُ الأوّلُ: في الكلامِ على حَقيقةِ الفقرِ والتّصوُّفِ.

البابُ الثّاني: في بيانِ فَضلِ الفقرِ والتّصوُّفِ.

البابُ الثّالِثُ: في ذِكرِ الأبدالِ والنُّجباءِ والنُّقَباءِ والأوتادِ.

البابُ الرّابِعُ: في أدَبِ الفُقَراءِ في فَقرِهم.

البابُ الخامِسُ: في آفاتِ النُّفوسِ وعُيوبِها.

البابُ السّادِسُ: في التّخَلُّصِ من آفاتِ النُّفوسِ وعُيوبِها.

---

(1) فوز: الفاء والواو والزاي كلمتان متضادتان: فالأولى النجاة، والأخرى الهلكة... ثم اختلف في المفازة، فقال قوم: سميت بذلك تفاؤلا لراكبها بالسلامة والنجاة... وقال آخرون: هي من الكلمة الثانية، فوز، إذا هلك. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (فوز)، (ج4/ 459).

البابُ السّابعُ: في صِحّة اعتِقادِهم وحُسنِ قَصدِهم.

البابُ الثّامِنُ: في ذِكرِهم لله عَزَّوَجَلَّ.

[2/ أ] البابُ التّاسِعُ: في المحَبّة والشّوقِ.

البابُ العاشِرُ: في التّوَكُّلِ على الله تعالَى في كُلِّ أمرٍ.

البابُ الحادي عَشَرَ: في الإرادة والزُّهدِ.

البابُ الثّاني عَشَرَ: في الصّبرِ والحُزنِ.

البابُ الثّالِثَ عشَرَ: في الرِّضا.

البابُ الرّابعَ عشَرَ: في الشُّكرِ.

البابُ الخامِسَ عَشَرَ: في الخوفِ والرّجاءِ.

البابُ السّادِسَ عَشَرَ: في الفناءِ على طَريقة القومِ.

البابُ السّابعَ عَشَرَ: في الأدَبِ لِلمَشايخِ وإكرامِهم وتَبجيلِهم وتَوقيرِهم.

البابُ الثّامِنَ عَشَرَ: في الإلهامِ والمُكاشَفاتِ.

البابُ التّاسِعَ عَشَرَ: في ذِكرِ كَراماتِ الأولياءِ.

البابُ العِشرونَ: في الفرقِ بين الكراماتِ الرّحمانيّة والأحوالِ الشّيطانيّة.

فهذه نَهايةُ الأبوابِ الآتي بعدَها حُسنُ الخِطابِ؛ فكَتَبتُ هذه لِبعضِ الطّالِبينَ من فَقيرٍ ذَليلٍ إلى إخوانِه السّالِكينَ مِنَ المُريدينَ الصّادِقينَ في آفاقِ[1] الأرضِ أجمَعينَ، جَمَعَ الله قُلوبَهم على صَفاءِ مَحبّتِه، وألف بينَها

---

(1) أفق: الهمزة والفاء والقاف أصل واحد، يدل على تباعد ما بين أطراف الشيء واتساعه، وعلى بلوغ النهاية. ومن ذلك الآفاق: النواحي والأطراف. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (أفق)، (ج1/ 114).

بـروحِ مَوَدَّتـه، وأنـارَ أسـرارَهم بمَصابيـحِ عِرفانِـه، وأيَّدَهـا بآياتِـه وبُرهانِـه، وجَعَلَهـم مِـنَ الّذيـنَ أرواحُهـم إلـى اللـه بالشّـوقِ طائِـرة، وأبدانُهـم بالطّاعاتِ عاطِـرة، ونُفوسُـهم علـى أقضيـة الـرّبِّ العزيـزِ صابِـرة، وابتَهَجَـت أسـرارُهم علـى قـدم هِبّة[1] السّـفَرِ إلـى أرضِ السّـاهِرة.

فَنسـأَلُ اللـهَ العظيـمَ المـانّ بفَضلِـه وكَرَمِـه وجـودِه ونِعَمِـه [2/ ب] أن يَجعَـلَ أرواحَنـا أبـدًا فـي مَحـلِّ القُربـة بيـنَ يدَيـه مُتَآلِفـة بروحِـه عاكِفـة علَيـه، وأن يرزقَنـا جَميعًـا القيـامَ بحُقـوقِ العُبوديّـة، والتِـزامِ المُتابَعـة للسُّـنّة النّبويّـة، وأن يعصِمَنـا مِـنَ الشّـيطانِ وحِزبِـه وأوليائِـه وجُنـودِه، وأن يُعينَنـا علـى هـذه النّفسِ الأمّـارة بالسّـوءِ والفحشـاءِ، إنّـه سَـميعُ الدُّعـاءِ، قـادرٌ علـى مـا يَشـاءُ، وهـو حَسـبُنا، ونِعـمَ الوكيـلُ.

(1) الهبـاب: النشـاط ... وكل سـائر يـهِبُّ -بالكسر- هبًـا وهبوبًـا وهبابًـا: نشـط. انظـر: لسـان العـرب لابـن منظـور، (ج1/ 778).

الْبَابُ الأَوَّلُ

في الكلامِ على حقيقةِ الفقرِ والتصوُّفِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر: 15] وهَذا هو الفقرُ المُطلَقُ. (فبيَّنَ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في هذه الآية أنّ فقرَ العِبادِ إليه أمرٌ ذاتيٌّ لا ينفكُّ عنهم، كما أنّه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ - غنيًّا حميدًا - أمرٌ ذاتيٌّ له، فَغِناه وحَمدُه ثابتٌ لِذاتِهِ[1] لا لِأمرٍ أوجَبَه، وفَقرُ الخلقِ إليه أمرٌ ثابتٌ أيضًا؛ فالفقيرُ بذاته مُحتاجٌ إلى الغنيِّ بذاته، فَكُلُّ الخلقِ مُحتاجونَ إلى الله في كُلِّ لَحظةٍ ولَمحةٍ، وهو غنيٌّ عما يَتقرَّبونَ به إليه وهو حَميدٌ على خَلقِه وإحسانُه إلى عِبادِهِ)[2].

وقال جماعة مِنَ المُفسِّرينَ: الخلقُ فُقَراءُ إلى الله إلى رِزقِه ومَغفِرَته، والله غَنيٌّ عن عِبادِهِ[3]، وحَميدٌ؛ أي: مَحمودٌ على كُلِّ حالٍ[4]. وقال تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ﴾ [البقرة: 273].

---

(1) استعار أصحاب المعاني الذات، فجعلوها عبارة عن عين الشيء، جوهرا كان أو عرضا، واستعملوها مفردة ومضافة إلى المضمر بالألف واللام، وأجروها مجرى النفس والخاصة، فقالوا: ذاته، ونفسه وخاصته، وليس ذلك من كلام العرب. انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب، (ص:274).

(2) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين؛ لابن القيم الجوزية، ط الأوقاف، (ج1/ 12-13).

(3) انظر: بحر العلوم؛ للسمرقندي، ط دار الكتب العليمة، (ج3/ 84).

(4) انظر: تفسير الطبري، ط التركي، (18/ 549).

(وَفي المُرادِ بهَؤلاءِ الّذين ﴿أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أربَعة أقوالٍ:

أحَدُها: أنّهم أهل [3/ أ] الصُّفّة حَبَسوا أنفُسَهم على طاعة الله، ولَم يَكُن لهم شَيءُ، قاله ابنُ عبّاسٍ(1).

الثّاني: أنّهم فُقَراءُ المُهاجِرينَ، قاله مُجاهِدٌ(2).

الثّالِثُ: أنّهم قَومٌ حَبَسوا أنفُسَهم على الغزوِ، فلا يَقدَرونَ على الاكتِسابِ، قاله قَتادة(3).

الرّابِعُ: أنّهم قَومٌ أصابَتهم جِراحاتٌ مع الرّسولِ ﷺ، فَصاروا زَمنَى، قاله سَعيدُ بنُ جُبَير(4)، واختارَه الكِسائيُّ(5).

---

(1) انظر: التفسير الوسيط؛ للواحدي (ج1/ 388). البحر المحيط؛ لأبي حيّان (ج2/ 696).

(2) الإمام، شيخ القراء والمفسرين مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي الأسود، روى عن: ابن عباس - فأكثر وأطاب - وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه. قال سفيان الثوري: خذوا التفسير من أربعة: مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والضحاك. قال أبو نعيم: مات مجاهد وهو ساجد، سنة (102هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (ج4/ 449). قال مجاهد: مُهاجرو قريش بالمدينة مع النبي ﷺ أمر بالصدقة عليهم. انظر: تفسير الطبري، ط هجر، (ج5/ 22).

(3) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي أبو الخطاب، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، ولد سنة (60هـ) وكان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ. وتوفي سنة (118هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (ج5/ 269). قال قتادة: حصروا أنفسهم في سبيل الله للغزو. انظر: تفسير الطبري، (ج5/ 24).

(4) سعيد بن جبير بن هشام الوالبي مولاهم، الإمام، الحافظ، المقرئ، المفسر، الشهيد، أحد الأعلام، روى عن: ابن عباس، وقرأ عليه القرآن، قال علي بن المديني: (ليس في أصحاب ابن عباس مثل سعيد بن جبير)، وكان قتله: في شعبان، سنة (95هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج4/ 321). قال سعيد: قوم أصابتهم الجراحات في سبيل الله فصاروا زمنى، فجعل لهم في أموال المسلمين حقا. انظر: تفسير ابن أبي حاتم، (ج2/ 540). قال ابن فارس في مقاييس اللغة (ج3/ 23): فأما الزمانة التي تصيب الإنسان فتقعده، فالأصل فيها الضاد، وهي الضمانة. قال ابن منظور في لسان العرب (ج13/ 260): والضمن والضمان والضمنة والضمانة: الداء في الجسد من بلاء أو كبر.

(5) الإمام، شيخ القراءة والعربية، أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي مولاهم، الكوفي، الملقب: بالكسائي؛ لكساء أحرم فيه، وحدث عن: جعفر الصادق،=

وقال أبو الفرَجِ ابنُ الجوزيُّ[1]: وقولُه: ﴿أُحْصِرُواْ﴾ دَلَّ على المرَضِ، ولَو كان مِنَ الحبسِ لَقال: حُصِروا، وإنّما الإحصارُ مِنَ الخوفِ، والمرَضِ. والحصرُ: الحبسُ في غيرِهِما[2]) انتَهى[3]. وفيما قاله ابنُ الجوزي نَظَرٌ؛ فإنّه حَصَرَ الإحصارَ مِنَ المرَضِ، والحصرُ مِنَ الحبسِ[4]، وقد حكَى غيرُ واحِدٍ من أهلِ اللّغةِ أنّ الإحصارَ: (مصدَرُ أحصَرَه إذا حَبَسَه؛ مَرَضًا كان الحاصِرُ أو عَدوًّا، وحَصَرَه كذلك.

قال ثَعلَبٌ في «الفصيح»: وحَصَرتُ الرّجُلَ؛ إذا حَبَستُه، وأحصَرَه المرَضُ: إذا مَنَعَه مِنَ المسيرِ[5])[6].

=والأعمش، وسليمان بن أرقم، وجماعة، وجالس في النحو الخليل، وله عدة تصانيف، منها: (معاني القرآن)، وكتاب في القراآت، وكتاب (النوادر الكبير)، ومختصر في النحو، وغير ذلك، توفي سنة (189هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (ج9/ 131).

(1) عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي التيمي البكري البغدادي، الحافظ المفسر، الفقيه الواعظ، الأديب جمال الدين أبو الفرج، المعروف بابن الجوزي، شيخ وقته، وإمام عصره، صاحب التصانيف في فنون العلم: من التفاسير، والفقه، والحديث، والوعظ، والرقائق، والتواريخ، وغير ذلك، وبورك له في عمره وعمله، فروى الكثير، وسمع الناس منه أكثر من أربعين سنة، وحدث بمصنفاته مرارا، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ مع هذه الفضائل والعلوم الواسعة ذا أوراد وتَألُّهٍ، وله نصيب من الأذواق الصحيحة، وحظ من شرب حلاوة المناجاة، توفي سنة (597هـ). انظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب، (ج2/ 458).

(2) قال الطبري: معنى الإحصار تصيير الرجل المحصر بمرضه أو فاقته أو جهاده عدوه، وغير ذلك من علله إلى حالة يحبس فيها نفسه عن التصرف في أسبابه... فدل ذلك على أن خوفهم من العدو الذي صيّر هؤلاء الفقراء إلى الحال التي حبسوا -وهم في سبيل الله- أنفسهم، لا أن العدو هم كانوا الحابسيهم، وإنما يقال لمن حبسه العدو: حصره العدو، وإذا كان الرجل المحبس من خوف العدو قيل: أحصره خوف العدو. انظر: تفسير الطبري (ج5/ 24-25).

(3) انظر: زاد المسير في علم التفسير؛ لأبي الفرج ابن الجوزي، (ج1/ 327-328).

(4) حصر: الحاء والصاد والراء أصل واحد، وهو الجمع والحبس والمنع. انظر: مقاييس اللغة؛ لابن فارس، (ج2/ 72).

(5) انظر: الفصيح؛ لثعلب، باب: فعلت وأفعلت باختلاف المعنى، (ص: 274).

(6) انظر: المطلع على ألفاظ المقنع؛ للبعلي، (ص 241).

(وقال الفرّاء[1]: يجوز أُحصِر وحُصِر في النّوعين)[2].

وقال الزّجّاج[3]: وفي حُصِر وأُحصِر لغتان[4].

وفي مَوضِع وافَقَ ابنَ الجوزي، والصّحيحُ أنّهما لُغتانِ؛ ويدُلُّ علَى ذلك قولُه تعالَى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ [البقرة: 196] ظاهِرٌ في العدوِّ لِوَجهانِ:

أحدُهما: أنّ الآيةَ نزَلَت في قصّة الحديبيةِ، وقد حصَرَهم العدوُّ.

الثّاني: أنّه تعالى قال: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾، والأمنُ هو مِنَ الخوفِ مِنَ العدوِّ، والله أعلَمُ.

(وقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فيها قولانِ:

أَحَدُهما: أنّه الجِهادُ لا يمكنهم لفقرهم، قاله ابن عباس.

الثاني: الكسبُ قاله قتادةُ[5].

---

(1) العلامة، صاحب التصانيف، الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي مولاهم، الكوفي، النحوي، صاحب الكسائي، كان ثقة، ورد عن ثعلب: أنه قال: (لولا الفراء، لما كانت عربية، ولسقطت؛ لأنه خلصها، ولأنها كانت تتنازع ويدعيها كل أحد)، ولما أملى كتاب (معاني القرآن)، اجتمع له الخلق، فكان من جملتهم ثمانون قاضيا، مات بطريق الحج، سنة (207هـ)، وله ثلاث وستون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج10/ 118-121).

(2) انظر: معاني القرآن؛ للفراء، (ج1/ 118).

(3) الإمام، نحوي زمانه، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج، البغدادي، مصنف كتاب (معاني القرآن)، وله تآليف جمة، لزم المبرد، فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهما، فنصحه وعلمه، ثم أدب القاسم بن عبيد الله الوزير، فكان سبب غناه، ثم كان من ندماء المعتضد، أخذ عنه العربية: أبو علي الفارسي، وجماعة، مات سنة (311هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج14/ 360).

(4) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج، (ج1/ 267).

(5) قال قتادة: حصروا أنفسهم في سبيل الله للغزو، فلا يستطيعون تجارة. انظر: تفسير الطبري، (ج5/ 26). -تقدمت ترجمته-.

وفي الّذي منَعَهم من ذلك ثلاثة أقوالٍ:

أحدُها: الفقرُ، قاله ابنُ عبّاسٍ.

الثّاني: أمراضُهم، قاله ابنُ جُبيرٍ[1].

الثالث: التِزامُهم بالجِهاد، قاله الزّجّاجُ[2]).

حكاهم القُرطِبيُّ[3] وابنُ الجوزيِّ[4].

فَصْلٌ

والفقر: مصدرٌ وهو بفتح الفاء وضمِّها[5] وهو مشتقٌّ من فَقارِ الظّهرِ، يُقال: أصابته نازلةٌ فقَرَت فقارَه، وهو خَرَزُ ظَهرِه[6].

---

(1) قال سعيد بن جبير: قوم أصابتهم جراحات مع رسول الله ﷺ في الجهاد في سبيل الله فصاروا زمنى، أحصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله للجهاد. انظر: تفسير البغوي، (ج3/ 337). -تقدمت ترجمته-.

(2) قال الزجاج: أي قد ألزموا أنفسهم أمر الجهادِ فمنعهم ذلك من التصرف وليس لأنهم لا يقدرون أن يتصرفوا. انظر: معاني القرآن؛ للزجاج، (ج1/ 357). -تقدمت ترجمته-.

(3) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الإمام، العلامة، أبو عبد الله الأنصاري، الخزرجي، القرطبي، إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه، ووفور فضله، توفي في أوائل سنة (671هـ) بمنية بني خصيب من الصعيد الأدنى. وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان؛ وهو كامل في معناه، وله كتاب «الأسنى في الأسماء الحسنى»، وكتاب «التذكرة»، وأشياء تدل على إمامته وذكائه وكثرة اطلاعه. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، (ج15/ 229-230).

(4) انظر: زاد المسير؛ لابن الجوزي، (ج1/ 328). تفسير القرطبي (ج3/ 341).

(5) راجع: تحرير لغات التنبيه للنووي، كتاب الزكاة، باب قسم الصدقات، (ص: 109).

(6) قال الأزهري: (والفقير معناه المفقور الذي نزعت فقرة من ظهره فانقطع صلبه من شدة الفقر ... ويقال: أصابته فاقرة، وهي التي فقرت فقاره؛ أي خرز ظهره). انظر: تهذيب اللغة للأزهري، باب القاف والراء، مادة: (فقر)، (ج9/ 114). الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي (ص: 194).

قال ابنُ فارس[1] في «المجمل»: ومنه [3/ ب] اشتُقَّ الفقيرُ من المال، وكان بعضُ أهل العلم يقول: الفقيرُ الّذي له بُلغةٌ من عَيشٍ، (قاله ابنُ قتيبة[2])[3]، ويحتَجُّ بقولِ القائِل:

أمّا الفقيرُ الّذي كانت حَلوبَتُهُ وَفقَ العيالِ فلم يُترَك له سَبَدُ[4]

فجَعَل للفقير حلوبةً وجعَلَها وفقًا لِعيالِه؛ أي: قدر سدِّ رمَقِهِم، لا أنّها تكفيهم.

وَأفقَرَكَ الصّيدُ إذا أمكَنَكَ من فَقارِه حتّى تَرميَه، وفَقَرتُ الخرَزَ؛ إذا ثَقَبتَه، وسَدَّ الله مَفاقِرَه؛ أي: أغناه وسَدَّ الله وجوهَ فقرِه.

وَإنّ الّذي ساقَ الغِنَى لابنِ عامِرٍ لَرَبّي الّذي أرجو لِسَدِّ مَفاقِري[5]

انتهى.

---

(1) الإمام، العلامة، اللغوي، المحدث، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، المالكي، اللغوي، نزيل همذان، وصاحب كتاب (المجمل)، مولده بقزوين، ومرباه بهمذان، وأكثر الإقامة بالري، وكان رأسا في الأدب، بصيرا بفقه مالك، مناظرا متكلما على طريقة أهل الحق، ومذهبه في النحو على طريقة الكوفيين، جمع إتقان العلم إلى ظُرف أهل الكتابة والشعر، وله مصنفات، ورسائل، وتخرج به أئمة، مات بالري في صفر سنة(395هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج17/ 103-106).

(2) العلامة، الكبير، ذو الفنون، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: المروزي، الكاتب، صاحب التصانيف، نزل بغداد، وصنف وجمع، وبعد صيته، قال أبو بكر الخطيب: (كان ثقة دينا فاضلا)، وقد ولي قضاء الدينور، وكان رأسا في علم اللسان العربي، والأخبار، وأيام الناس، مات في شهر رجب سنة (276هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (ج13/ 296-302).

(3) من حاشية الأصل، وليس في مجمل اللغة؛ لابن فارس. وانظر: غريب الحديث؛ لابن قتيبة (ج1/ 191).

(4) البيت منسوب إلى الراعي في ديوانه (ص: 55). وإصلاح المنطق لابن السكيت (ص: 232).وكتاب الألفاظ لابن السكيت (ص: 14). الحلوبة: الناقة التي تحلب. وفق العيال: لها لبن قدر كفايتهم لا فضل فيه عنهم. السبد: الشعر. وقيل: الوبر.

(5) انظر: مجمَلُ اللغة لابن فارس، (ج3/ 703).

والفقير لغةً: مَن لا يملِكُ شيئًا، وقيل: «مَن لا يَملِك ولا يُملَك»(1).

وحقيقة الفقر(2): عبارةٌ عن فقدِ ما أنت مُحتاجٌ إليه، أمّا فقدُ ما لا حاجةَ إليه لا يُسمَّى صاحبُه فقيرًا وإن كان المُحتاج إليه موجودًا مقدورًا عليه(3).

قال العلّامةُ ابنُ القيِّم(4): «ومُراد القوم بالفقر: أخَصُّ من هذا كُلِّه؛ وهو تَحقيقُ العبوديّة والافتقارِ إلى الله تعالى في كلِّ حالة، وهذا المعنى أجلُّ من أن يُسمَّى فقرًا، فإنّه حقيقةُ العبوديّة ولُبُّها، وعزلُ النّفسِ عن مُزاحمةِ الرُّبوبيّة، وهذه المنزِلةُ من أشرف منازلِ الطّريقِ وأعلاها وأرفعها»(5) انتهى.

وقال يَحيَى بنُ مُعاذ الرازيُّ(6)، وقد سُئل عن حقيقةِ الفقرِ قال: حَقيقتُه ألّا تَستَغني إلّا بالله(7).

---

(1) انظر: طريق الهجرتين؛ لابن القيم، (ج1/ 105).

(2) قال الجرجاني: فحقيقة الغنى انتفاء الاحتياج، وحقيقة الفقر الاحتياج، والله تعالى الغنيُّ على الحقيقة، لاستحالة الاحتياج عليه جلّ وتعالى. انظر: أسرار البلاغة للجرجاني، (ج1/ 85).

(3) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي، (ج4/ 190). وفيه زيادة: (لم يكن المحتاج فقيرًا).

(4) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جريز الزرعي، ثم الدمشقي الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، العارف، شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية ولد سنة (691هـ)، تفقه في المذهب، وبرع وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين وأخذ عنه. وتفنن في علوم الإسلام، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى، توفى سنة (751 هـ). انظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب، (ج5/ 170-179).

(5) انظر: مدارج السالكين لابن القيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، (ج2/ 439). في المطبوع تقديم وتأخير، فعبارة: «وهذه المنزلة من أشرف منازل الطريق وأعلاها وأرفعها»، جاءت متقدمة في أول الفصل (ج2/ 438).

(6) يحيى بن معاذ الرازي الواعظ من كبار المشايخ، له كلام جيد، ومواعظ مشهورة، وتوفي في نيسابور سنة (258هـ). انظر: تاريخ بغداد؛ للخطيب البغدادي (ج16/ 306-310). سير أعلام النبلاء للذهبي (ج13/ 15).

(7) وكذا قال الشبلي عن حقيقة الفقر: أن لا يستغني بشيء دون الله عَزَّوَجَلَّ. انظر: الرسالة القشيرية، تحقيق/ عبد الرحيم محمود، ومحمود بن الشريف، باب الفقر، (ص 458).

ورَسمُه: عدَمُ الأسباب كُلِّها[1]؛ أي: عَدَمُ الوقوف[2] بها والوقوف عندَها -يعني: لا يعتَمِدُ عليها بل تصيرُ عدَمًا بالنِّسبة إلى سبق مسبِّبها بالأوليّة، وتفرُّدِه بالأزليّة. ليس -كما فهِمَه عنه كثيرٌ منَ الجهلة- عدمُ تعاطي الأسباب، وتركُ الصّنائع، ويزعُمون أنّ هذا هو التوكُّلُ الخاصُّ، وما يعلمون أنّ هذا هو التوكُّلُ على أموالِ النّاس، ويقولون أيضًا: (نحنُ نتوكَّل على الله حقَّ توكُّلِه حتَّى يرزقَنا كما يرزُقُ الطّيرَ [4/ أ] تغدو خِماصًا، وتجيءُ بطانًا[3])، وما عَلِموا أنّهم أشرفُ وأكرمُ على الله مِنَ الطُّيور الّتي لا تَعقل ولا تفهَم، بل قد أتاها هُداها حتَّى سَعَت، وغَدت في طلَبِ رزقِها، وليست مُنتظرةً قاعدة في وُكورِها[4] حتَّى يأتيَها رزقُها، بل سعي كُلِّ حَيوانٍ بحسبه.

قال شيخ الإسلام ابنُ تيميةَ[5] -وقد سُئل عن السّبب وتركِه قال-:

---

(1) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ 439). الرسالة القشيرية، باب الفقر، (ص 453).

(2) كذا في الأصل، وفي المدارج: الوثوق، وهو الصواب.

(3) إشارة إلى الحديث الذي رواه: 1- أحمد في مسنده (حديث: 205، و370، و373).

2- الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الزهادة في الدنيا، (حديث: 2500). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

3- ابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، باب التوكل واليقين، (حديث: 4164). عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعًا: «لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، ألا ترون أنها تغدو خماصا وتروح بطانا».

(4) وكر: الوَكرُ: موضع الطائر يبيض فيه ويفرخ. في الحيطان والشجر، وجمعه: وُكورٌ وأوكار. انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد، (ج5/ 402).

(5) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد ابن تيمية الحراني، ثم الدمشقي، الإمام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد. تقي الدين أبو العباس، شيخ الإسلام وعلم الأعلام ولد سنة (661هـ) بحران، وقدم به والده وبإخوته إلى دمشق، عند استيلاء التتر على البلاد، سنة (667هـ)، كان إماما متبحرا في علوم الديانة، صحيح الذهن، سريع الإدراك، سيال الفهم، كثير المحاسن، موصوفا بفرط=

«مَن كان قادرًا على السّبب، ولا يُشغله عمّا هو أنفعُ له في دينِه فهو مأمورٌ به، معَ التّوكُّل على الله، وهذا خيرٌ له من أن يأخذَ مِنَ النّاس ولو جاءَه بغير سؤالٍ وسببٍ؛ مثلُ هذا عبادةٌ لله، وهو مأمورٌ أن يعبدَ اللهَ ويتوكَّلَ عليه، فإن تَسبَّبَ بغير نيّة صالحةٍ، أو لم يتوكَّل على الله لم يكن مُطيعًا لله في ذلك، وأمّا إذا اكتَسب بنيّة صالحةٍ مع توكُّله على الله، فهو مطيعٌ في هذا وهذا، وهذه طَريقُ الأنبياءِ والصّحابةِ، وأمّا مَن كان مِنَ الفُقراءِ الّذين ﴿أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾... الآية، فهذا إمّا أن يكونَ عاجزًا عنِ الكسبِ، أو قادرًا عليه بتفويتِ ما هو فيه أطوعُ لله مِنَ الكسبِ، ففعل ما هو فيه أطوعُ هو المشروع في حقّه»(1) انتَهى كلامُه.

وفي «الصّحيحينِ» لَمّا سُئِل رسولُ الله ﷺ عن ضالّة الإبلِ فقال: **«ما لَكَ ولَها؟ دَعها فإنّ مَعَها حِذاءَها وسِقاءَها؛ تَردُ الماءَ، وتَأكُلُ الشّجَرَ، حتّى يَجِدَها رَبُّها»**(2)، ولَم يقُل في الغنَم كذلك لضَعفِه **«إنّما هي لَكَ أو لِأخيكَ**

=الشجاعة والكرم، فارغا عن شهوات المأكل والملبس والجماع، لا لذة له في غير نشر العلم وتدوينه والعمل بمقتضاه، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظا، إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته. وإن أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه، ذو روايته، أو حاضر بالنحل والملل لم ير أوسع من نحلته، ولا أرفع من درايته. برز في كل فن على أبناء جنسه، توفي سنة (728). انظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب، (ج4/ 491-529).

(1) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، (ج10/ 426-427)، وفيه زيادة لعلها ساقطة في طبعة مجموع الفتاوى.

(2) متفق عليه: 1- صحيح البخاري: كتاب المساقاة، باب شرب الناس والدواب من الأنهار، حديث (2372)، بلفظ: «ما لك ولها، معها سقاؤها وحذاؤها ترد الماء، وتأكل الشجر؛ حتى يلقاها ربها». وفي كتاب في اللقطة: باب ضالة الإبل، حديث (2427)، بلفظ: «ما لك ولها، معها حذاؤها وسقاؤها ترد الماء، وتأكل الشجر». وباب ضالة الغنم، حديث (2428)، بلفظ: «دعها فإن معها حذاءها وسقاءها، ترد الماء، وتأكل الشجر حتى يجدها ربها». وباب إذا لم يوجد صاحب اللقطة بعد سنة فهي لمن وجدها، حديث (2429)، بلفظ: «ما لك ولها، معها سقاؤها وحذاؤها، ترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها». وباب من عرف اللقطة ولم=

أو للذئب»(1)، أما سمعوا قولـه ﷺ: «اليدُ العُليا خيرٌ من اليدِ السُّفلَى»(2)، وقولـه: «لأن يأتيَ أحدُكُم الجبلَ فيأتيَ بحُزمة من حَطَبٍ على ظَهرِه فيَكُفَّ الله

=يدفعها إلى السلطان، - حديث (2438)، بلفظ: «مالك ولها معها سقاؤها وحذاؤها، ترد الماء، وتأكل الشجر دعها حتى يجدها ربُّها». 2- صحيح مسلم، حديث (1722) بألفاظ متعددة.

(1) راجع التخريج السابق.

(2) متفق عليه: 1- صحيح البخاري: كتاب الزكاة: باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، حديث (1427)، وفيه زيادة: «وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله». وحديث (1429)، بلفظ: عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر، وذكر الصدقة، والتعفف، والمسألة: «اليد العليا خير من اليد السفلى، فاليد العليا: هي المنفقة، والسفلى: هي السائلة». وفي باب الاستعفاف عن المسألة، حديث (1472)، بلفظ: أن حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سألت رسول الله ﷺ، فأعطاني، ثم سألته، فأعطاني، ثم سألته، فأعطاني ثم قال: «يا حكيم، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع، اليد العليا خير من اليد السفلى»، قال حكيم: فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا، فكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يدعو حكيمًا إلى العطاء، فيأبى أن يقبله منه، ثم إن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئًا، فقال عمر: إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم، أني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيم أحدًا من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفي.

وفي كتاب الوصايا، باب تأويل قول الله تعالى: «من بعد وصية يوصي بها أو دين»، حديث (2750)، بنحو الحديث السابق. وكتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، حديث (3143)، بنحو الحديث السابق. كتاب النفقات، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال، حديث (5355)، بلفظ: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «أفضل الصدقة ما ترك غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، تقول المرأة: إما أن تطعمني، وإما أن تطلقني، ويقول العبد: أطعمني واستعملني، ويقول الابن: أطعمني، إلى من تدعني»، فقالوا: يا أبا هريرة، سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: «لا، هذا من كيس أبي هريرة». وكتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «هذا المال خضرة حلوة»، حديث (6441)، بنحو حديث (1472) مختصرًا.

2- صحيح مسلم، كتاب الزكاة، حديث (1033، و1034، و1035، و1036)، بعدة ألفاظ.

بهـا وجهَـه...»[1]... الحديثَ، ولأنّ السّببَ إذا تـوكّل علَـى الله فيـه كان مـن أقـوَى الأسـبابِ فـي حُصولِـه، كمـا أنّ الدُّعـاءَ الّـذي جعَلَـه الله سَـببًا فـي حُصـول المدعـوِ بـه.

«والله تعالـى خالـقُ السّبَبِ والمُسبِّبِ، والدُّعـاءُ مـن جُملـةِ الأسـباب الّتـي قدَّرهـا سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وإذا كان كذلـك: فالالتِفـاتُ إلـى الأسـبابِ شـركٌ فـي التّوحيـدِ، ومحـوُ الأسـبابِ أن تكـونَ أسـبابًا نقصٌ في العقـلِ، والإعراضُ عـنِ الأسـبابِ بالكُليّـة قـدحٌ فـي الشّـرعِ، بـلِ العبـد يَجِـبُ أن يكـونَ توكُّلُـه ودُعـاؤُه وسُـؤالُه ورغبتُـه إلـى الله تعالـى، والله يُقـدِّرُ لـه مِنَ الأسـبابِ مـا يَشـاءُ»[2] انتهـى.

وسُئِل روَيمٌ[3] عنِ الفقرِ؛ فقال: إرسالُ النّفسِ عن[4] أحكام اللهِ[5].

---

(1) أخرجه: 1- البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، بلفظ: «لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره، فيبيعها، فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه». 2- مسلم في صحيحه، حديث (1042)، بلفظ: «لأن يغدو أحدكم، فيحطب على ظهره، فيتصدق به ويستغني به من الناس، خير له من أن يسأل رجلا، أعطاه أو منعه ذلك، فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول». 3- أحمد في مسنده، حديث (1429)، بلفظ: «لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتي الجبل، فيجيء بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها، فيستغني بثمنها، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه». 4- النسائي في سننه، كتاب الزكاة، باب المسألة، حديث (2584)، بلفظ: «لأن يحتزم أحدكم حزمة حطب على ظهره فيبيعها خير من أن يسأل رجلا فيعطيه، أو يمنعه». 5- ابن ماجه في سننه، كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة، حديث (1836)، بلفظ مسند الإمام أحمد.

(2) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، (ج1/ 131).

(3) الإمام الفقيه، المقرئ، الزاهد، العابد، أبو الحسن رويم بن أحمد؛ شيخ الصوفية، ومن الفقهاء الظاهرية، تفقه بداود، توفي ببغداد سنة (303هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج14/ 234-235).

(4) كذا في الأصل، والذي في طريق الهجرتين (ج1/ 98)، ومدارج السالكين (ج2/ 439): في. وهو الصواب.

(5) انظر: طريق الهجرتين؛ لابن القيم، (ج1/ 98).

قال العلامة ابن القيم[1]: «وهذا إنّما يُحمَدُ في إرسالها في أحكامِه[2] الدّينيّة والقدَريّة ولم يُؤثر[3] بمُدافَعتِها والتّجريدِ[4] منها.

وسُئِل بعضُ السّالكين[5]: متَى يَستحِقُّ الفقيرُ اسمَ الفقرِ؟ فقال: إذا لم يبقَ علَيه[6] بَقية منه[7]. فقيلَ له: وكيفَ ذاكَ؟ فقال: إذا كان له[8] فليس لهُ[9]، وإذا لم يَكُن لهُ[10] فَهو لهُ[11]»[12].

قال بعضُ أربابِ السُّلوك: «وهذا من أحسَنِ العِبارات عن معنى الفقرِ، معناه: أن يَصيرَ كُلُّه لله لا يبقَى عليه بقيّة من نفسِه وحظِّه وهَواه، فمَن كان لِنفسِه وحظِّه وهَواه منه شَيءٌ فلَيس لله، وإذا لم يكن لنَفسِه فهو لله؛ لأنّه إذا كان لله كان الله له، وإذا لم يكُن لله لم يَكُنِ الله له»[13] انتهى.

فحقيقَتُه حينئذٍ أن لا تكونَ لِنفسِكَ، ولا يَكونَ لها منكَ شَيءٌ، ومَتَى

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) كذا في الأصل، والذي في مدارج السالكين (ج2/ 439): الأحكام.

(3) كذا في الأصل، والذي في مدارج السالكين (ج2/ 411): التي لا يُؤمَرُ.

(4) كذا في الأصل، والذي في مدارج السالكين (ج2/ 411): والتّحَرُّز.

(5) هو القدوة، العارف، شيخ الشام، أبو عبد الله ابن الجلاء، أحمد بن يحيى يقال: أصله بغدادي، صحب والده، وأبا تراب النخشبي، وذا النون المصري وحكى عنه، أقام بالرملة وبدمشق، توفي سنة (136هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج14/ 251-252). كما في طريق الهجرتين؛ لابن القيم.

(6) في حاشية الأصل: نفسه. إشارة إلى ضمير «عليه».

(7) في حاشية الأصل: نفسه. إشارة إلى ضمير «منه».

(8) في حاشية الأصل: نفسه. إشارة إلى ضمير «له».

(9) في حاشية الأصل: لله. إشارة إلى ضمير «له».

(10) في حاشية الأصل: نفسه. إشارة إلى ضمير «له».

(11) في حاشية الأصل: ربه. إشارة إلى ضمير «له».

(12) انظر: طريق الهجرتين؛ لابن القيم، (ج1/ 100). مدارج السالكين (ج2/ 440).

(13) انظر بنحوه: مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ 440).

وُجِدَ المِلكُ والاستِغناءُ كان مُنافيًا للفقرِ، وأمّا الفقرُ الّذي ذكَرناه فلا تُنافيه الجِدة(1) والأملاكُ [4/ ب] فقد كان رسولُ الله ﷺ وبعضُ أنبياءِ الله -صلوات الله وسلامه عليهم- في ذُروتِه مع جِدَتِهم ومُلكِهم؛ كإبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت له الأموالُ والمواشي، وكذلك كان لِسُليمانَ وداودَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وكذلك كان نَبيُّنا ﷺ كما قال تعالى في حقّه: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى: 8]، فكانوا أغنياءَ في فقرِهم، فُقَراءَ في غِناهم.

فالافتِقارُ الحقيقيُّ: هو دَوامُ الافتقارِ إلى الله تعالى في كُلِّ حالٍ، وأن يشهَدَ العبدُ في كُلِّ ذرّة من ذَرّاتِه الظّاهِرةِ والباطِنة فاقة تامّة إلى الله تعالى من كُلِّ وجهٍ، وفي كُلِّ لَحظة»(2).

والفقرُ ذاتيٌّ: للعبدِ؛ كما تقدَّم في أوّلِ الباب. ومن شعرِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميّة يصِفُ حالَ نفسِه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والفقرُ لي وصفُ ذاتٍ لازِمٌ أبدا ... كما الغِنَى أبدًا وصفٌ له ذاتي(3)

(والمقصود أنّ قولَه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر: 15] أنّه تعالى أخبَر عن حقيقة العِبادِ وذَواتِهم بأنّها فقيرةٌ إليه، كما أخبَرَ عن نفسِه المُقدسة أنّه غَنيٌّ حميدٌ، فالفقرُ المُطلَقُ من كُلِّ وجهٍ ثابتٌ للعِبادِ، والغِنَى المُطلَقُ من كُلِّ وجهٍ ثابتٌ لله، فيَستَحيل أن يكونَ العبدُ إلّا فقيرًا، ويَستحيلُ أن يكونَ الرّبُ سبحانه إلّا غنيًّا)(4).

---

(1) أي: الغنى والحظ. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (جد)، (ج1/ 407).

(2) انظر: مدارج السالكين (ج2/ 440)، دون زيادة: «وفي كل لحظة».

(3) انظر: المستدرك على مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، (ج1/ 144)، وهي من جملة أبيات كتبها على ظهر «قاعدة» في التفسير بعث بها لتلميذه ابن القيم ومطلعها:

أنا الفقير إلى رب البريات ... أنا المسكين في مجموع حالاتي

(4) انظر نحوه في: طريق الهجرتين؛ لابن القيم، (ج1/ 12).

وقال الشِّبليُّ[1]: حقيقةُ الفقرِ ألّا تَستغنيَ بشَيءٍ دونَ اللهِ تعالى. وقيلَ: حقيقةُ الفقرِ ألّا يَستغنيَ الفقيرُ في فقرِه بشيءٍ إلّا بمَن إليه فقره. وقال بعضُهم[2]: الفقيرُ الّذي لا يرَى لِنفسِه حاجة إلى شَيءٍ مِنَ الأشياء سِوى ربِّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ[3]. قيل لِعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: كيفَ أصبَحتَ؟ قال: أصبَحتُ لا أملِكُ ما أرجو، ولا أستَطيعُ دفعَ ما أُحاذِرُ، والأمرُ بيَدِ غيري، وأنا مُرتَهَنٌ بعَمَلي، فلا فَقيرَ أفقَرُ مِنّي[4]. وقال أبو حفص[5]: أحسَنُ ما يُتَوسَّلُ به إلى الله تعالى؛ دَوامُ الافتِقارِ إليه في جميع الأَحوال، ومُلازَمة السُّنّة في جميع الأفعالِ، وطَلَبُ القوتِ من وجهٍ حَلالٍ[6].

---

(1) شيخ الطائفة، أبو بكر الشبلي، البغدادي، مولده بسامراء، وكان أبوه من كبار حجاب الخلافة، وولي هو حجابة أبي أحمد الموفق، ثم لما عزل أبو أحمد من ولاية، حضر الشبلي مجلس بعض الصالحين، فتاب ثم صحب الجنيد وغيره، وصار من شأنه ما صار، وكان فقيها عارفا بمذهب مالك، وكتب الحديث عن طائفة، وقال الشعر، وله ألفاظ وحكم وحال وتمكن، توفي ببغداد سنة (334هـ)، عن نيف وثمانين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء؛ للذهبي، (ج15/ 367-369). انظر: مدارج السالكين؛ لابن القيم، (ج2/ 441).

(2) في الرسالة القشيرية، باب الفقر، (ص:460): قال محمد الموحى: الفقير الذي لا يرى لنفسه حاجة إلى شيء من الأسباب.

(3) راجع: طريق الهجرتين؛ لابن القيم، (ج1/ 96-105).

(4) أخرجه: أبو عبيد القاسم بن سلام في الخطب والمواعظ، (ص161)، برقم (85)، قال: حدثنا عفان عن معاوية بن عبد الكريم قال: حدثنا بكر بن عبد الله المزني، «أن عيسى بن مريم كان يقول إذا أصبح: إلهي أصبحت لا أملك ما أرجو، ولا أستطيع دفع ما أخاف، أصبحت والأمر بيد غيري، بيدك يا إلهي، فلا فقير هو أفقر مني». والإمام أحمد في الزهد، (ص:79) برقم (491)، قال: حدثنا عتاب بن زياد، أنبأنا عبد الله، وهو ابن المبارك أنبأنا معمر، عن جعفر بن برقان قال: كان عيسى ابن مريم (يقول: «اللهم إني أصبحت لا أملك ما أرجو، ولا أستطيع دفع ما أحاذر، وأصبح الأمر بيد غيري، وأصبحت مرتهنًا بعملي، ولا فقير أفقر مني».

(5) هو الإمام، القدوة، الرباني، شيخ خراسان، أبو حفص، عمرو بن سلم، وقيل: عمر، وقيل: عمرو بن سلمة، النيسابوري، الزاهد. وهو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور، توفي سنة (264، وقيل: 265هـ). انظر: سير أعلام النبلاء؛ للذهبي، (ج12/ 510-513).

(6) انظر: مدارج السالكين؛ لابن القيم، (ج2/ 441).

فَصْلٌ

كُلُّ عبدٍ من عبادِ الله، بل كُلُّ حَيٍّ سِوى الله، بَل وكُلُّ مَخلوقٍ فهو فَقيرٌ مُحتاجٌ إلى جلبِ ما ينفَعُه ودَفعِ ما يضُرُّه، والمنفَعةُ للحَيِّ هي من جنسِ النّعيم، واللّذّة والمضرّة هي من جنسِ الألم والعذابِ، فلا بُدَّ له من أَمرينِ:

أحدهما: هو المطلوبُ المقصودُ المحبوبُ الّذي يُنتفع به ويُلتذُّ به.

والثّاني: هو المُعين الموصِّلُ المُحصِّلُ لذلك.

[5/أ] هذا معنَى كلامِ شيخِ الإسلام ابنِ تيميةَ.

وإذا تقَرَّر هذا، فإذا كان وجودُه مُستفادًا له من غيره؛ فهو الغنيُّ المطلقُ، ولا يُتصوَّر أن يكونَ مثلُ هذا الموجودِ إلّا واحِدًا، فليس له في الوُجود إلّا غنيٌّ واحِدٌ، وكُلُّ مَن عداه فإنّهم مُحتاجون إليه في غايةِ الفقر إليه في كُلِّ لحظة وكلِّ ذَرّة، وإلى هذا الحصرِ الإشارةُ بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: 38]، هذا هو معنى الفقرِ المُطلقِ الّذي صدَّرتُ به في أوّل البابِ.

فَصْلٌ

أمّا فقرُ العبدِ بالإضافة إلى أصنافِ حاجاته لا ينحَصِرُ، وأمّا فقرُ العبدِ مِنَ المالِ علَى الخُصوصِ، أو ما لا يُتوصَّل إليه إلّا بالمالِ، وهو الّذي نُريد بيانَه. فإنّ كُلَّ فاقِدٍ للمالِ نُسميه فقيرًا بالإضافة إلى المالِ الّذي فقده إذا كان ذلك المفقود مُحتاجًا إليه في حقّه، والنّاسُ في ذلك مُتفاوتون علَى مَراتِب[1]:

(1) ذكر هذه المراتب مختصَرا الإمام ابن قدامة المقدسي في مختصر منهاج القاصدين، كتاب=

المرتبة الأولى: مَن يكرَه المالَ لو أتاه، ويتأذّى به، ويهرَبُ من أخذِه، ويعدُّه نِقمة؛ لأنّه يُشغِلُه عمّا هو فيه، فهذا أعبَدُ العُلماءِ، وأهل السُّلوك والتّصوُّفِ هو الزّاهِدُ الّذي يزهَدُ في الدّنيا ويرغَبُ في الأُخرَى.

والدّنيا عند خواصِّ الزُّهادِ: اسمٌ لِما سِوى الله تعالى مِنَ المال والجاه والصّورِ.

(واختلَفَ المُتكلِّمون فيها علَى قولَينِ حَكاهما أبو الحسَنِ الأشعَري في «مقالاتِه»[1]:

=الزهد والفقر، (ص: 316)، فقال: (اعلم: أن الفقير إلى الشيء هو المحتاج إليه، وكل موجود سوى الله تعالى فهو فقير؛ لأنّه محتاج إلى دوام الموجود، وذلك مستفاد من فضل الله تعالى.

وأما فقر العبد بالإضافة إلى أصناف حاجاته فلا يحصر، ومن جملة حاجاته ما يتوصل إليه بالمال، ثم يتصور أن يكون له خمسة أحوال عند فقره:

الأولى: أن يكون بحيث لو أتاه المال لكرهه وتأذى به، وهرب من أخذه بغضًا له، واحترازًا من شره وشغله، وصاحب هذه الحالة يسمى زاهدًا.

الحالة الثانية: أن يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله، ولا يكرهه كراهة يتأذى بها، وصاحب هذه الحالة يسمى راضيًا.

الثالثة: أن يكون وجود المال أحب إليه من عدمه لرغبة له فيه، ولكن لم يبلغ من رغبته أن ينهض لطلبه، بل إن أتاه عفوًا أو صفوًا أخذه وفرح به، وإن افتقر إلى تعب في طلبه لم يشتغل به. وصاحب هذه الحالة يسمى قانعًا.

الرابعة: أن يكون تركه للطلب لعجزه، وإلا فهو راغب فيه، لو وجد سبيلاً إلى طلبه بالتعب لطلبه، وصاحب هذه الحالة يسمى الحريص.

الخامسة: أن يكون مضطرًا إلى ما قصده من المال، كالجائع، والعاري الفاقد للمأكول والملبوس. ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرًا، كيفما كانت رغبته في الطلب ضعيفة أو قوية...).

(1) هو العلامة إمام المتكلمين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أمير البصرة بلال بن أبي بردة بن صاحب رسول الله ﷺ أبي موسى عبد الله بن قيس بن حضار، الأشعري اليماني البصري، مولده سنة (260هـ، وقيل: 270هـ)، وكان عجبًا في الذكاء، وقوة الفهم، ولما برع في معرفة الاعتزال، كرهه وتبرأ منه،=

أحدهما: أنّها اسمٌ لِمُدّة بقاءِ هذا العالَم.

الثّاني: أنّها اسمٌ لِما بينَ السّماءِ والأرض، فما فوقَ السّماءِ، وما تحتَ الأرضِ لا يُسَمّى دُنيا، فعلَى الأوّلِ يكون زمانًا، وعلى الثّاني يكون مكانًا)[1].

ولَمّا كان لها تعَلُّقٌ بالجوارحِ والقلبِ واللِّسان كان حَقيقةُ الفقرِ تعطيلَ هذه الثّلاثةِ عن تعلّقِها بها وسلبِها منها.

وقال أبو حفصٍ[2]: لا يَصِحُّ لأحَدٍ الفقرُ حتّى يكونَ العطاءُ أحبَّ إليه مِنَ الأخذِ[3]. وإلى هذا المعنى أشار [5/ ب] شيخُ الإسلامِ الأنصاري[4] إمامُ أهلِ هذه الطّريقة[5]؛ فقال: (الفقرُ ثَلاثُ دَرَجاتٍ:

=ثم أخذ يرد على المعتزلة، ويهتك عوارهم، قال ابن الباقلاني: (أفضل أحوالي أن أفهم كلام الأشعري)، توفي ببغداد سنة (324هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج15/ 85-90).

قال الإمام أبو الحسن الأشعري في مقالاته (ج2/ 132): واختلفوا في الدنيا: ما هي؟ فقال قائلون: هي الهواء والجو، وهذا قول زهير الأثري. وقال قائلون: قول القائل «دنيا» واقع على كل ما خلقه الله - سبحانه - من الجواهر والأعراض، وجميع ما خلقه الله - سبحانه - قبل مجيء الآخرة وورودها.

(1) انظر: مدارج السالكين؛ لابن القيم، (ج2/ 444).

(2) تقدمت ترجمته.

(3) انظر: الرسالة القشيرية، باب الفقر، (ص: 459). طريق الهجرتين؛ لابن القيم، (ج1/ 104). وتتمة كلامه: «... وليس السخاء أن يعطي الواجد المعدِمَ، وإنما السخاء أن يعطي المعدمُ الواجد».

(4) الإمام، القدوة، الحافظ الكبير، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور الأنصاري الهروي، مصنف كتاب (ذم الكلام)، وشيخ خراسان من ذرية صاحب النبي ﷺ أبي أيوب الأنصاري. مولده: في سنة (396هـ)، قال المؤتمن الساجي: (كان آية في لسان التذكير والتصوف، من سلاطين العلماء، وكان بارعا في اللغة، حافظا للحديث). توفي شيخ الإسلام في ذي الحجة، سنة (481هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج18/ 503-518)

(5) قال شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي في كتاب منازل السائرين، باب الفقر، (ص: 71-72): وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: فقر الزهاد: وهو نفض اليدين من الدنيا ضبطًا أو طلبًا، وإسكات اللسان عنها ذمًا أو مدحًا، والسلامة منها طلبًا أو تركًا، وهذا هو الفقر=

الأولَى: فقرُ الزّهّادِ؛ وهو قبضُ اليدِ عنِ الدّنيا ضَبطًا أو طَلبًا، وسُكوتُ اللِّسانِ عنها مدحًا أو ذمًّا، والسّلامةُ منها طَلبًا أو تركًا، وهذا هو الفقرُ الّذي تكلّموا في شرَفِه.

وهذا الّذي ذَكَره رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو معنى ما تقدم، فنهايتُه فيها أنّه إذا حصَلت له يجودُ بها؛ أي: لا يضبِطُها، وإن كانت غيرَ حاصِلة عنده كفَّ يدَه عن طَلَبِها، فلا يطلُب معدومَها، ولا يبخلُ بموجودِها، ولا يشتَغِلُ بمَدحِها ولا ذمِّها، فإنّ مدحَها دَليلُ رغبَتِه فيها، فإنّ مَن أحبَّ شَيئًا أكثَرَ من ذكرِه، وإنّ ذمَّها دليلٌ علَى أنّها فاتَته، كمَن طلَب العُنقودَ فلَم يصِل، يقول: هو حامِضٌ وما استوَى، وقد يدُلُّ علَى هذا المعنَى قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾[1] [الأحقاف: 11].

فالواصِلُ مادحٌ والمُفارِقُ ذامٌّ فإنّ لِطَلبِها آفاتٍ، ولِترِكِها آفاتٍ، والفقرُ: سلامةُ القلبِ من آفاتِ الطَّلَبِ والتّركِ، بحيثُ لا يحجُبُه عن عِبادة ربّه شيءٌ بوجهٍ مِنَ الوجوه. فإنّ آفاتِ طلبِها معروفة لا يحتاجُ أن نتكلّم علَيها، وآفاتِ تركِها كثيرة أيضًا معروفةٌ، فأقلُّ درجاتِها تطلّعُه إلى ما في أيدي النّاسِ إذا مسّتهُ الحاجة إلى ما ترَكَ.

وقال أبو بكر بنُ طاهر[2]: من حكم الفقير ألّا يكونَ له رغبةٌ، فإن

= الذي تكلموا في شرفه، والدرجة الثانية: الرجوع إلى السبق بمطالعة الفضل، وهو يورث الخلاص من رؤية الأعمال، ويقطع شهود الأحوال، ويمحص من أدناس مطالعة المقامات، والدرجة الثالثة: صحة الاضطرار، والوقوع في يد التقطع الوحداني، والاحتباس في قيد التجريد، وهذا فقر الصوفية.

(1) وتقديره: وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم، فسيقولون هذا إفك قديم. انظر: الكشاف للزمخشري، ط العبيكان، (ج5/ 498).

(2) أبو بكر بن طاهر الأبهري، هو محمد، وقيل: عبد الله بن طاهر الطّائيّ، أوحد مشايخ أبهر، كان في أيام الشّبليّ، ويتكلّم على علم الظّاهر وعلم الحقيقة، وكان مقبولًا على جميع الألسنة، كتب الحديث الكثير ورواه. توفّي سنة (330هـ). انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، (ج7/ 620).

كان ولا بدَّ، فلا يجاوز رغبتُه كفايتَهُ[1].

ومن آفات التّركِ: ما يدخُله مِنَ العُجبِ والكِبرِ؛ لِكونه تَرَكَها، وإذا سَلِم مِنَ العُجبِ والكِبرِ في تَركِها تعَلَّق قلبُه بما يُقيمُه ويعيشُ به، وما هو مُحتاجُ إليه هو وعائلتُه، فيبقَى في مُجاهدة شديدةٍ مع نفسه لِتَركِ معلومِها وحَظِّها مِنَ الدّنيا، وهذا ما يتأتّى للسّالِك إلّا من قِلّة علمه كما سَنُبيِّنُه، فالعارِفُ يَرُدُّها عنه بلُقمة كما يَرُدُّ الكلبَ إذا نَبَحَ عليه بكِسرة، ولا يقطَعُ زمانَه بمُجاهدَتِه ومُدافَعَتِه، بل أعطاها قدرَ حاجَتِها، وهذه الطّريقُ الكامِلة الّتي أرشَدَنا إليها الرّسول ﷺ كما قال: «إنّ لِنَفسِكَ عليكَ حَقًّا، ولِزَوجِكَ عليكَ حَقًّا، ولِضَيفِكَ عليكَ حَقًّا، فَأعطِ كُلَّ ذي حَقٍّ حَقَّه»[2].

---

(1) انظر: الجامع لشعب الإيمان؛ للبيهقي، (ج5/ 171).

(2) متفق عليه: 1- صحيح البخاري: كتاب الصوم: - باب حق الضيف في الصوم، حديث رقم (1974)، بلفظ: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: دخل علي رسول الله ﷺ -فذكر الحديث يعني- «إنّ لزورك عليك حقًّا، وإن لزوجك عليك حقًّا»، فقلت: وما صوم داود؟ قال: «نصف الدهر». وفي باب حق الجسم في الصوم، حديث رقم (1975)، بلفظ: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبد الله، ألم أخبر أنك تصوم النهار، وتقوم الليل؟»، فقلت: بلى يا رسول الله قال: «فلا تفعل صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقًّا، وإن لعينك عليك حقًّا، وإن لزوجك عليك حقًّا، وإن لزورك عليك حقًّا، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر كله»، فشددتُ، فَشُدّد عليّ... الحديث بتمامه. وفي كتاب الأدب، باب حق الضيف، حديث رقم (6134)، بلفظ: عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عبد الله، ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقًّا، وإن لعينك عليك حقًّا، وإن لزوجك عليك حقًّا». وحديث رقم (6139)، بلفظ: عن عبد الله بن عمرو، قال: دخل علي رسول الله ﷺ فقال: «ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟» قلت: بلى، قال: «فلا تفعل، قم ونم، وصم وأفطر، فإن لجسدك عليك حقًّا، وإن لعينك عليك حقًّا، وإن لزورك عليك حقًّا، وإن لزوجك عليك حقًّا، وإنك عسى أن يطول بك عمر، وإن من حسبِكَ أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام، فإن بكل حسنة عشر أمثالها، فذلك الدهر كله» قال: فشددت فشدد علي... الحديث بتمامه. =

وهـذه طَريـقُ العارِفيـن مـن أربابِ السُّلوكِ يجعَلـون عِـوَضَ مجاهَدَتِهـم لأنفُسِهم فـي تـركِ شـهوة مُباحـة؛ مُجاهدَتَهم لأعداءِ الله من شياطينِ الإنسِ والجِـنِّ وكُلِّ مَـن قطَـعَ عليهـم طَريقَهـم إلـى اللـه تعالـى[1]، وسيأتي الـكلامُ علَـى مُجاهـدة النَّفسِ بأَتَـمَّ مـن هـذا إن شـاءَ اللـه.

قـال بعـضُ العُلمـاء من أربابِ التَّصَوفِ: «الفقرُ الصّحيحُ [6/ أ]: السّلامة مـن آفـاتِ الأخـذِ والتّركِ، وهذا لا يحصُـلُ إلّا بفِقهٍ فـي الفقر»[2]، فلا يشـتَغِلُ عـن ربِّـه عَزَّوَجَلَّ بمَدحِ شيءٍ، ولا ذمِّه، ولا طلَبـه، ولا تَركِه.

وقـد روّينـا فـي جُـزء العلّامـة أبـي علـيٍّ الحسَـنِ بـنِ البنا[3] رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإسـنادِه إلـى الفُضَيـلِ بـنِ عيـاضٍ[4] رَحْمَةُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ أنّـه قـال: «لِيَكُـن شُـغلُكَ فـي نفسِـكَ، ولا يكُـن شُـغلُكَ فـي غيـرِكَ، فمَـن كان شُـغلُه فـي غيـرِه فقـد مُكِـرَ بـه»[5] انتهى.

=2- صحيح مسلم، حديث رقم (182-1159)، و(186-1159)، و(188-1159)، و(193-1159). (1) انظر بنحوه: مدارج السالكين؛ لابن القيم، (ج2/ 444-445).

(2) انظر: مدارج السالكين؛ لابن القيم، (ج2/ 445).

(3) هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الله المعروف بابن البنا، صنف كتبا في الفقه والحديث والفرائض وأصول الدين وفي علوم مختلفات وكان متقنا في العلوم. ولد سنة (396هـ)، ومات يوم السبت الخامس من رجب سنة (471هـ). انظر: طبقات الحنابلة للقاضي محمد بن أبي يعلى الفراء، ط العثيمين (ج3/ 449-451).

(4) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي، الإمام، القدوة، الثبت، شيخ الإسلام، أبو علي، التميمي، اليربوعي، الخراساني، المجاور بحرم الله، ولد: بسمرقند، ونشأ بأبيورد، وارتحل في طلب العلم، فكتب بالكوفة عن: منصور، والأعمش، وبيان بن بشر، وليث، وعطاء بن السائب، وجعفر الصادق، وحميد الطويل، وخلق سواهم من الكوفيين والحجازيين، حدث عنه: ابن المبارك، ويحيى القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وابن عيينة، وخلق كثير، آخرهم موتا: الحسين بن داود البلخي، قال إبراهيم بن محمد الشافعي: سمعت سفيان بن عيينة يقول: (فضيل ثقة)، وقال العجلي: (كوفي، ثقة، متعبد، رجل صالح، سكن مكة)، توفي سنة (187هـ)، في خلافة هارون. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج8/ 421-442).

(5) انظر: الرسالة المغنية في السكوت ولزوم البيوت؛ لأبي علي الحسن بن أحمد، المعروف بابن البنا، (ص:38).

وإلى مثلِ هذا الدُّعاء المشهورِ: «اللهم فرغنا لِما خلَقتَنا له، ولا تُشغِلنا بما تَكفَّلتَ لَنا به، ولا تَحرِمنا ونحن نسألك، ولا تُعذِّبنا ونحن نَستَغفِرُكَ»(1).

وقد رَوَى ابنُ عبدِ البرِّ(2) بإسنادِه أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «ارضَ بما قَسَم الله لَكَ تكُن أغنَى النّاس، واعمَل بما افتَرضَ عليكَ تكُن أعبَدَ النّاس، واجتَنِب ما حَرَّمَ الله عليكَ تكُن أورَعَ النّاسِ»(3)، وهَذا الحديث فيه دِلالةٌ علَى هذه المرتَبة الثّانية، والله أعلَمُ.

المرتَبةُ الثّانيةُ: مَن لا يرغبُ ولا يفرَحُ بحصولِه، ولا يكرهُه ولا يتَأذَّى به، ولكِن يزهَدُ فيه لو أتاه، فهَذا يُسَمَّى راضيًا؛ قال تعالى: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾ [الحديد: 23](4).

---

(1) انظر: مشيخة قاضي القضاة شيخ الإسلام ابن جماعة، ترجمة: إبراهيم بن هبة الله بن المسلم البارزي الجهني الحموي أبو الطاهر، (ج1/ 133-134)، قال: «ومما حفظته منه هذا الدعاء: اللهم فرغنا لما خلقتنا... اللهم علمنا حتى نعلم، وفهمنا حتى نفهم، فإنا لا نفهم عنك إلا بك».

(2) هو الإمام العلامة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام، أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، الأندلسي، القرطبي، المالكي، صاحب التصانيف الفائقة، مولده في سنة (368هـ)، وطلب العلم، وأدرك الكبار، وطال عمره، وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع وصنف، ووثق وضعف، وسارت بتصانيفه الركبان، وخضع لعلمه علماء الزمان، قال الحميدي: (أبو عمر فقيه حافظ مكثر، عالم بالقراءات وبالخلاف، وبعلوم الحديث والرجال، قديم السماع، يميل في الفقه إلى أقوال الشافعي)، توفي سنة (463هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج18/ 153-163).

(3) انظر: بهجة المجالس وأنس المجالس؛ لابن عبد البر، القسم الأول، باب جامع القول في الغنى والفقر، (ج1/ 205).

(4) قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾: من الدنيا ﴿وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾: منها. انظر: تفسير الطبري، (ج22/ 421).

المرتَبةُ الثّالثةُ: مَن وجودُ المالِ أحبُّ إليه من عدمِه، وله رغبةٌ فيه، ولكن لم تبلُغ به الرغبة فيه السّعي في طلَبه، بل إن أتاه أخذَه وفرِحَ به، فإنِ احتاجَ وافتقَر إلى سَعيٍ لم يسعَ، وهذا يُسمَّى عند أربابِ السُّلوك قانعًا.

قال أوسُ بنُ حارِثةَ[1]: «خيرُ الغِنى القناعة، وشَرُّ الفقرِ الخُضوعُ»[2] ذكرَه ابنُ عبدِ البرِّ.

المرتَبةُ الرّابعةُ: مَن ترَكه لِطلَبِ المالِ لِعجزِه، [وإلّا][3] فهو راغِبٌ، ولو وجَدَ سَبيلًا إلى طلَبه، ولو بتعبٍ[4] كثيرٍ لجَدَّ في الطّلب [6/ ب] وسارَعَ في المُكتَسَب، ولكنِ العجزُ يُقعِدُه، والكسَلُ يُؤخِّرُه، فعندَ ذلك إنّ من العِصمة أن لا تَجِدَ، فهذا عند القوم يُسمَّى الحريص.

المرتَبةُ الخامِسةُ: وهي -والله أعلَمُ- أعلَى المراتب علَى ما فهمتُ، ويليها الأولى؛ وهي أن يستَويَ عندَه وجودُ المالِ وفقدُه، فإن وجَدَه لم يفرَح به، ولَم يتأذَّ بحصولِه، وإن فقده لم يحزَن عليه، وينبَغي أن يُسمَّى هذا مُستغنيًا؛ لأنّه غنيٌّ عند فقدِه ووجودِه، فلا يُسمَّى فقيرًا، إلّا من جهة أُخرَى، وهو معرفَتُه بأنّه مُحتاجٌ إلى الله تعالى في جَميعِ أُمورِه، فليسَ الغِنَى عن كثرة العرَضِ، إنّما الغِنَى غِنَى النّفسِ.

قال عُمرُ بنُ الخطّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما من مالٍ ولا أهل ولا ولَدٍ إلّا وأنا أُحِبُّ أن أقولَ عليه: إنّا لله وإنّا إليه راجِعون، إلّا عبدَ الله بنَ عُمرَ،

---

(1) هو الصحابي الجليل أوس بن حارثة الطائي انظر ترجمته في: - أسد الغابة لابن الأثير، ط دار الفكر، (ج1/ 167). - الإصابة لابن حجر، (ج1/ 294-296).

(2) انظر: بهجة المجالس لابن عبدالبر، القسم الثاني، باب الزهد والقناعة، (ج1/ 302)، وفيه: (قال أوس بن حارثه لابنه...).

(3) ليست في الأصل، والمثبت من مختصر منهاج القاصدين (ص:316).

(4) في الأصل: تبعت. مصحفة، والصواب المثبت.

فإنّـي أُحِـبُّ أن يبقَـى فـي النّـاسِ»[1]، فهـذا عُمـرُ رَضِيَاللَّهُعَنهُ فقـدُ المـالِ أحَـبُّ إليـه مـن وجـودِه.

فهـذا أبلَـغُ مـن قولِنـا: أن يسـتَويَ عنـدَه الأمـرانِ، فقـدُ المـالِ ووجـودُه، فدَرجَتُـه رَضِيَاللَّهُعَنهُ درجـة المخلِصيـنَ، وإنّمـا قلنـا: إنّ هـذه أعلَـى المراتـبِ بالنِّسـبة إلـى أهـل زمانِنـا.

كما أنشَد ابنُ عبدِ البرِّ:

استَغنِ عَن كُلِّ ذي قُربى وذي رَحِـمٍ   إنَّ الغنيَّ مَن استَغنى عَـنِ النّـاسِ[2]

فإنّ تسميةَ الفقرِ لِصاحِبِ هذه المرتَبة كتَسميةِ العبدِ له، والله أعلَم[3].

فَصْلٌ [7/ أ]

والفقيرُ إذا لـم يكُـن لـه تطَلُّـعٌ إلـى الدّنيـا فهـو مُشـتغِلٌ بعبـادة ربِّـه، ومتَـى مـا نظَـر إلـى زهـرة الدّنيـا تعلَّـق قلبُـه بهـا فأشـغلَته عـن عِبـادة ربِّـه.

وقـد روّينـا فـي «جامِـع التِّرمـذيِّ» عـن كعـبِ بـنِ مالِـكٍ أنّ النّبـيَّ ﷺ قـال: «**ما ذِئبانِ جائِعانِ أرسِلا في غَنَمٍ بأفسَدَ لها من حِرصِ المرءِ على المالِ، والشّرَفِ لِدينِه**»[4].

---

(1) انظر: النفقة على العيال؛ لابن أبي الدنيا، رقم (146)، (ج1/ 302).

(2) انظر: بهجة النفوس؛ لابن عبدالبر، القسم الثاني، (ص:302) ونسبه إلى الحطيئة، ونسبه أسامة بن منقذ في لباب الآداب (ص:356) إلى أحيحة بن الجلاح.

(3) راجع: إحياء علوم الدين للغزالي (ج4/ 190-191). مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة (ص:316-317).

(4) رواه: 1- الترمذي في سننه، ط الأوقاف، حديث (2535)؛ من طريق: سويد بن نصر، قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن زكريا بن أبي زائدة، عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة، عن ابن كعب بن مالك الأنصاري، عن أبيه، مرفوعًا. قال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح. ويروى في هذا الباب: عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، ولا يصح إسناده).

2- الإمام أحمد في مسنده: حديث (15784)، (ج25/ 61-62)؛ من طريق: علي بن=

وقال الحارثُ المُحاسِبيُّ[1] في «النّصائِح»: «وقد بلَغنا أنّ مَن طلَبَ الدُّنيا ليُكاثِرَ بها ويتفاخَرَ بها لقيَ الله وهو غضبانُ»[2] انتهى.

قال الغزاليُّ[3] في «الإحياء»: «مَن راقَبَ أحوالَ الأنبياءِ والأولياءِ

=بحر، قال: حدثنا عيسى بن يونس، عن زكريا، عن محمد بن عبد الرحمن بن زرارة، به. وحديث (15794)، (ج25/ 85)؛ من طريق: علي بن إسحاق، قال: أخبرنا عبد الله، قال: أخبرنا زكريا بن أبي زائدة، عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة، به.

3- ابن حبان في صحيحه، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من مجانبة الحرص على المال والشرف إذ هما مفسدان لدينه، حديث (4569)؛ من طريق: أبو يعلى، قال: حدثنا مجاهد بن موسى المخرمي، قال: حدثنا إسحاق الأزرق، قال: حدثنا زكريا بن أبي زائدة، به.

۞ شرح هذا الحديث الإمام ابن رجب الحنبلي في جزء لطيف.

(1) الزاهد، العارف، شيخ الصوفية، أبو عبد الله الحارث بن أسد البغدادي، المحاسبي، صاحب التصانيف الزهدية، قال الخطيب: (له كتب كثيرة في الزهد، وأصول الديانة، والرد على المعتزلة والرافضة)، مات سنة (243هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج12/ 110-112).

(2) انظر: الوصايا للحارث المحاسبي، (ص249)، بلفظ: «من طلب الدنيا حلالاً مكاثرًا مفاخرًا لقي الله وهو عليه غضبان، ومن طلبها استعفافًا عن المسألة، وصيانة لنفسه، جاء يوم القيامة كالقمر ليلة البدر». وأخرجه: 1- ابن أبي شيبة في مصنفه، ط دار التاج (حديث 22186) بسنده عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسألة، وسعيا على أهله، وتعطفا على جاره، لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلب الدنيا مكاثرا بها حلالا مرائيا، لقي الله وهو عليه غضبان». 2- الطبراني في مسند الشاميين (حديث 3465) بسنده عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بحو مصنف ابن أبي شيبة.

3- البيهقي في شعب الإيمان: (حديث 9889) بسنده قال: عن مكحول، عن أبي هريرة قال في رواية قبيصة، وأراه رفعه، وقال في رواية وكيع، قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب الدنيا حلالًا مفاخرًا مكاثرًا مرائيًا لقي الله وهو عليه غضبان، ومن طلب الدنيا حلالًا استعفافًا عن المسألة، وسعيًا على عياله، وتعطفًا على جاره لقي الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر» ورواه مهران بن أبي عمر الرازي، عن الثوري كما رويناه في رواية وكيع. و(حديث 9890) بسنده قال: عن أبي هريرة قال: أظنه مرفوعا قال: قال رسول الله ﷺ ... الحديث.

(3) الشيخ، الإمام، البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان، زين الدين، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط،=

وأقوالَهم لم يشُكَّ أنّ فقدَ المالِ أفضلُ من وجودِه، فينبَغي للمرءِ أن يَخرُجَ من مالِه حتّى لا يبقَى له إلّا قدرَ ضَرورَتِه، فكُلُّ مَن بقي له دِرهمٌ يلتَفِتُ إليه فهو مَحجوبٌ عنِ الله تعالى»[1] انتَهى كلامُه. قال أبو الفرجِ ابنُ الجوزيُّ[2]: «وفيما قاله أبو حامدٍ نَظَرٌ بَل هو خِلافُ الشّرعِ في ذمِّه المالَ، وقد جعَلَه الله قِوامًا للآدميِّ وما جعَلَه الله قِوامًا للآدمي الشّريفِ فهو شَريفٌ فقال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾[3] [النساء: 5]. وقد نَهى رسولُ الله ﷺ عن إضاعة المالِ، وقال لِسعدِ بنِ أبي وقّاص: «إنّكَ أن تَذَرَ ورثَتَكَ أغنياءَ خيرٌ من أن تَذَرهم عالة يَتكَفّفونَ النّاسَ»[4].

=تفقه ببلده أولا، ثم تحول إلى نيسابور في مرافقة جماعة من الطلبة، فلازم إمام الحرمين، فبرع في الفقه في مدة قريبة، ومهر في الكلام والجدل، حتى صار عين المناظرين... وصحب الفقيه نصر بن إبراهيم بدمشق، وأقام مدة، وألف كتاب (الإحياء)... وراض نفسه وجاهدها، وطرد شيطان الرعونة، ولبس زي الأتقياء، ثم بعد سنوات سار إلى وطنه، لازما لسننه، حافظا لوقته، مكبا على العلم، توفي سنة (505هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج19/ 322-346)

(1) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي، ط دار المعرفة، (ج3/ 273)، بلفظ: «ومن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات إذ أقل ما فيه من أداء الحقوق والتوقي من الشبهات والصرف إلى الخيرات اشتغال لهم بإصلاحه وانصرافه عن ذكر الله إذ لا ذكر إلا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال».

(2) تقدمت ترجمته.

(3) القيام والقِوام: اسم لما يقوم به الشيء، أي: يثبت، كالعماد والسِّناد لما يعمد ويسند به، كقوله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾ أي: جعلها مما يمسككم. انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب، مادة (قوم)، (ص:549).

(4) متفق عليه: 1- صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب رثى النبي ﷺ سعد بن خولة، حديث (1295)؛ بلفظ: (عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رسول الله ﷺ يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي، فقلت: إني قد بلغ بي من الوجع وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «لا» فقلت: بالشطر؟ فقال: «لا» ثم قال: «الثلث، والثلث كبير - أو كثير - إنك أن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى ما تجعل في في امرأتك» فقلت: يا رسول الله، أُخلَّفُ بعد أصحابي؟ قال: «إنك لن تخلف فتعمل عملا =

= صالحا إلا ازددت به درجة ورفعة، ثم لعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام، ويضر بك آخرون، اللهم أمض لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم، لكن البائس سعد بن خولة» يرثي له رسول الله ﷺ أن مات بمكة). وفي كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ «اللهم أمض لأصحابي هجرتهم» ومرثيته لمن مات بمكة، حديث (3936)، بلفظ: (عن عامر بن سعد بن مالك، عن أبيه، قال: عادني النبي ﷺ عام حجة الوداع من مرض أشفيت منه على الموت، فقلت: يا رسول الله، بلغ بي من الوجع ما ترى، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «لا»، قال: فأتصدق بشطره؟ قال: «الثلث يا سعد، والثلث كثير، إنك أن تذر ذريتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس» -قال أحمد بن يونس، عن إبراهيم: «أن تذر ذريتك»- «ولست بنافق نفقة تبتغي بها وجه الله، إلا آجرك الله بها حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك» الحديث. وكتاب المغازي، باب حجة الوداع، حديث (4409)، بلفظ: (عن عامر بن سعد، عن أبيه، قال: عادني النبي ﷺ في حجة الوداع، من وجع أشفيت منه على الموت، فقلت: يا رسول الله، بلغ بي من الوجع ما ترى، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «لا» قلت: أفأتصدق بشطره؟ قال: «لا». قلت: فالثلث؟، قال: «والثلث كثير، إنك أن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك» الحديث.

وكتاب المرضى، باب قول المريض: إني وجع، حديث (5668)، بلفظ: (عن عامر بن سعد، عن أبيه، قال: جاءنا رسول الله ﷺ يعودني من وجع اشتد بي، زمن حجة الوداع، فقلت: بلغ بي ما ترى، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «لا» قلت: بالشطر؟ قال: «لا» قلت: الثلث؟ قال: «الثلث كثير، أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، ولن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في في امرأتك»). وكتاب الدعوات، باب الدعاء برفع الوباء والوجع، حديث (6373)، بلفظ: (عن عامر بن سعد، أن أباه، قال: عادني رسول الله ﷺ في حجة الوداع، من شكوى أشفيت منه على الموت، فقلت: يا رسول الله، بلغ بي ما ترى من الوجع، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «لا» قلت: فبشطره؟ قال: «الثلث كثير، إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت، حتى ما تجعل في في امرأتك» الحديث). وكتاب الفرائض، باب ميراث البنات، حديث (6733)، بلفظ: (عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: مرضت بمكة مرضا، فأشفيت منه على الموت، فأتاني النبي ﷺ يعودني، فقلت: يا رسول الله، إن لي مالا كثيرا، وليس يرثني إلا ابنتي، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «لا» قال: قلت: فالشطر؟ قال:=

والعالـة: الفقـراء[1]. ويتَكفّفـون: يسـألون النـاس بأكُفِّهـم[2]. وقـال ﷺ: «مـا نَفَعَنـي مـالٌ مـا نَفَعَنـي مـالُ أبـي بَكـرٍ»[3].

= «لا» قلت: الثلث؟ قال: «الثلث كبير، إنك إن تركت ولدك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة إلا أجرت عليها، حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك» فقلت: يا رسول الله، آأخلف عن هجرتي؟ فقال: «لن تخلف بعدي، فتعمل عملا تريد به وجه الله، إلا ازددت به رفعة ودرجة، ولعل أن تخلف بعدي حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون، لكن البائس سعد ابن خولة» يرثي له رسول الله ﷺ أن مات بمكة، قال سفيان: «وسعد ابن خولة رجل من بني عامر بن لؤي»). 2- مسلم حديث (1628) بعدة ألفاظ.

(1) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر، ط الأوقاف (ج7/ 2939): العالة: جمع عائل، وهو الفقير. وراجع النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ج7/ 2955).

(2) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر، (ج8/ 3657): أي: يمدون أكفهم إليهم يسألونهم.

(3) رواه: 1- الترمذي في سننه، ط الأوقاف، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، حديث (3962)؛ من طريق: علي بن الحسن الكوفي، قال: حدثنا محبوب بن محرز القواريري، عن داود بن يزيد الأودي، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر؛ فإن له عندنا يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإنَّ صاحبكم خليل الله». قال الترمذي: هذا حديث حسن، غريب من هذا الوجه. 2- ابن ماجه في سننه، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، فضل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حديث (94)؛ من طريق: أبو بكر بن أبي شيبة، وعلي بن محمد، قالا: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: («ما نفعني مال قط، ما نفعني مال أبي بكر» قال: فبكى أبو بكر، وقال: يا رسول الله، هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله). 3- الإمام أحمد في المسند: حديث (7446)؛ من طريق: أبو معاوية، عن الأعمش، به. وحديث (8790)؛ من طريق: معاوية، قال: حدثنا أبو إسحاق -يعني: الفزاري-، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: («من أنفق زوجا - أو قال: زوجين - من ماله - أراه قال: في سبيل الله -، دعته خزنة الجنة: يا مسلم، هذا خير هلم إليه»، فقال أبو بكر: هذا رجل لا توى عليه، فقال رسول الله ﷺ: «ما نفعني مال قط إلا مال أبي بكر»، قال: فبكى أبو بكر، وقال: وهل نفعني الله إلا بك؟ وهل نفعني الله إلا بك؟ وهل نفعني الله إلا بك؟). 4- ابن حبان في صحيحه، ط الأوقاف، ذكر البيان بأن المصطفى ﷺ ما انتفع بمال أحد ما انتفع بمال أبي بكر رضوان الله عليه، حديث (3193)؛ من طريق: أبو خليفة، قال: حدثنا مسدد بن مسرهد، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، به بنحو حديث ابن ماجة.

وقال لعمرو بن العاص: «نِعمَ المالُ الصّالحُ مع الرّجُلِ الصّالحِ[1]»[2].

ودعا رسولُ الله ﷺ لِأنَسٍ بكثرة المالِ والولَدِ[3].

---

(1) التقدير: نعم شيئًا من المال الصالح... فالرجل الصالح من علم الخير وعمل به، والمال الصالح ما يكسب من الحلال وينفق في وجوه الخيرات. انظر: شرح المشكاة للطيبي، (ج8/ 2607)، رقم (3756).

(2) أخرجه: 1- الإمام أحمد في مسنده: - حديث (17763) و(17764)؛ من طريق: موسى بن علي، عن أبيه، قال: سمعت عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: (بعث إليّ رسول الله ﷺ، فقال: «خذ عليك ثيابك وسلاحك، ثم ائتني»، فأتيته وهو يتوضأ، فصعد فيّ النظر ثم طأطأه، فقال: «إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك، وأزعب لك من المال زعبة صالحة»، قال: فقلت: يا رسول الله، ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله، فقال: «يا عمرو، نعِمّا بالمال الصالح للرجل الصالح».

2- البخاري في الأدب المفرد (299)؛ من طريق: موسى بن علي، عن أبيه، بلفظ: «يا عمرو، نعم المال الصالح للمرء الصالح».

3- الحاكم في المستدرك: كتاب البيوع، حديث (2130/ 1)، بلفظ أحمد، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)، قال الذهبي في التلخيص: (على شرط مسلم). كتاب التفسير، حديث (55/ 2926)، بلفظ أحمد أيضًا، وقال في ضبط كلمة «نَعِمّا»: (يعني: بفتح النون وكسر العين)، وقال: (حديث صحيح على شرط مسلم) ووافقه الذهبي.

4- ابن حبان في صحيحه، ط الأوقاف: ذكر الإخبار عن إباحة جمع المال من حله إذا أدى حق الله منه، حديث (3686) بلفظ أحمد. ذكر الإباحة للرجل الذي يجمع المال من حله إذا قام بحقوقه فيه، حديث (5700) بلفظ: «يا عمرو، نعم المال الصالح مع الرجل الصالح»، قال أبو حاتم: (سمع هذا الخبر علي بن رباح، عن عمرو بن العاص، وسمعه من أبي القيس بدل عمرو، عن عمرو، فالطريقان جميعًا محفوظان).

(3) في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «اللهم أكثر ماله، وولده، وبارك له فيما أعطيته».

۞ رواه: 1- البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات: - باب قول الله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ حديث (6334)، بلفظ: (عن قتادة، قال: سمعت أنسا، قال: قالت أم سليم للنبي ﷺ: أنس خادمك، قال: الحديث).

۞ باب دعوة النبي ﷺ لخادمه بطول العمر وكثرة المال، حديث (6344)، بلفظ: (عن قتادة، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قالت أمي: يا رسول الله، خادمك أنس، ادع الله له، قال: الحديث). =

وقال لِكَعب: «أمسِك عليكَ بعض مالك»(1). وغير ذلك مِنَ الأحاديث والآثارِ كلُّها تَردُّ علَى أبي حامِدٍ»(2) انتهى كلامُه.

= ۞ باب الدعاء بكثرة المال مع البركة، حديث (6378)، بلفظ: (عن قتادة، عن أنس، عن أم سليم، أنها قالت: يا رسول الله، أنس خادمك، ادع الله له، قال: الحديث. وعن هشام بن زيد، سمعت أنس بن مالك، مثله)، وحديث (6380)، بنحو لفظ حديث (6334).

2- مسلم في صحيحه: - حديث («660»-268)، بلفظ: (عن ثابت، عن أنس، قال: دخل النبي ﷺ علينا وما هو إلا أنا، وأمي، وأم حرام خالتي، فقال: «قوموا فلأصلي بكم في غير وقت صلاة»، فصلى بنا، فقال رجل لثابت: أين جعل أنسا منه؟ قال: «جعله على يمينه، ثم دعا لنا أهل البيت بكل خير من خير الدنيا والآخرة»، فقالت أمي: يا رسول الله خويدمك ادع الله له، قال: «فدعا لي بكل خير، وكان في آخر ما دعا لي به» أن قال: «اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيه»). - حديث (2480) بعدة ألفاظ.

(1) متفق عليه؛ أخرجه: 1- البخاري في صحيحه: - كتاب الوصايا، باب إذا تصدق، أو أوقف بعض ماله، أو بعض رقيقه، أو دوابه، فهو جائز، حديث رقم (2757)، بلفظ: (عن كعب بن مالك قال: قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله، وإلى رسوله ﷺ قال: «أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك»، قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر).

۞ كتاب المغازي، باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة، حديث (4418)، وهو حديث طويل، وفيه: (... وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك». قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر...).

۞ كتاب الأيمان والنذور، باب إذا أهدى ماله على وجه النذر والتوبة، حديث (6690)، بلفظ: (عن عبد الله بن كعب، وكان قائد كعب من بنيه حين عمي، قال: سمعت كعب بن مالك، في حديثه: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة: 118] فقال في آخر حديثه: إن من توبتي أني أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله، فقال النبي ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك»).

2- مسلم في صحيحه، حديث رقم (2769)، بعدة روايات.

(2) انظر بتمامه: تلبيس إبليس؛ لابن الجوزي، (ج3/ 1058-1068).

[مُحاكَمة بين الغزالي وابنِ الجوزيِّ][1]

قُلتُ: وفصلُ الخِطابِ في هذه المسألة لا القولُ [7/ ب] بما يقولُه غالِبُ الفُقراءِ الصّوفيّة -كأبي حامِدٍ وغيرِه-: إنّ كثرة المالِ حِجابٌ وعُقوبةٌ، وإنّ حبسَه وحِفظَه يُنافي التّوكُّلَ، ولا ما أطلَقَه أبو الفرَجِ ابنُ الجوزي مِنَ القولِ بأنّه خِلافُ الشّرعِ.

بل يُقال: إذا اقتصر علَى كسبِ البُلغة[2] من حلِّها فذلك لا بُدَّ منه، وأمّا مَن قصَدَ جمعَه والاستِكثارَ منه ولو كان من وجهٍ حَلالٍ- فإنّ الحرامَ حَرامٌ لا كلامَ فيه- بَقي كثرَتُه من حِلٍّ يُنظر في قصدِه، فإن قصَد المُفاخَرة والمُباهاةَ؛ فهو مذمومٌ في الشّرع، ولا يأمَنُ أن يخافَ علَى صاحبِه الفِتنةَ، وأنّ خلقًا كثيرًا اجتَنبوه لِخوفِ الافتِتانِ به لا سيّما وقد حكَمَ الله عليه بأنّه فِتنة فقال: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾[3] [التغابن: 15].

وأمّا إن قصَدَ إعفافَ نفسِه وعائِلَته والادِّخارَ لِحَوادِثِ الزّمانِ والتّوسِعةِ علَى الإخوانِ وإغناءِ الفُقراءِ وجبرِ اليتامَى والأرامِلِ وغيرِ ذلك مِنَ المصالِحِ والطّاعاتِ؛ فهذا يُثاب علَى قصدِه وإنفاقِه، بل قد يُقال: إنّ جمعَه علَى هذه الصِّفة أفضلُ من كثيرٍ مِنَ الطّاعاتِ.

---

(1) عنوانٌ في هامش النسخة الخطيّة.

(2) بلغ: الباء واللام والغين أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء... والبلغة ما يتبلغ به من عيش، كأنه يراد أنه يبلغ رتبة المكثر إذا رضي وقنع. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج1/ 301-302).

(3) أصل الفتن: إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته...وقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ فقد سماهم فتنة اعتبارًا بما ينال الإنسان من الاختبار بهم. انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، مادة (فتن)، (ص:497-498).

قـال بعـضُ السّـلفِ: المُـروةُ إصـلاحُ المـالِ، وحُسـنُ التّدبيـرِ، وتعَهُّـدُ الضّيـفِ، والإفضـالُ علَـى الإخـوانِ[1].

وقـال ابـنُ المُعتزِّ: أن تكسَبَ ببعضِ مالـك المحمدة، وتَصونَ به وجهَكَ عَنِ المسـألة.

وكان يُقـال: المُـروءة الجمـعُ بيـنَ الدُّنيـا والدّيـن، والتوقّـي مـن سـخَطِ الخالـقِ، وذَمِّ المخلوقيـنَ[2]. ذكـرَه ابـنُ عبـدِ البرِّ[3].

وقـد كانـت نيّاتُ جماعـة مِـنَ الصّحابـة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ مـن جمـعِ المالِ سَـليمة لِحُسـنِ مقاصِدِهِـم، فهـذا وجـه التّفرقـة بيـنَ مـا ذكَـرَه أبـو حامـدٍ وأبـو الفرَجِ.

فمـا بقـيَ يقـال إلّا: أيّمـا أفضـلُ فقـدُ المـالِ أو وجـودُه للعبـدِ إذا صحّـت نيّتُـه؟ وهـذا يَرجِـعُ إلـى مسـألة: أيُّهما أفضَلُ، الفقيـرُ الصّابرُ أوِ الغنيُّ الشّـاكِرُ؟ وسـيأتي الكلامُ عليهـا بعـدُ إن شـاءَ اللـه.

[8/أ] فَصْلٌ

وليُعلَـم أوّلًا أنّ الفقيـرَ أوِ الصّوفـيَّ لا بُـدَّ أن يكـونَ فَقيهًـا؛ لأنّ اللـه فـرضَ عليـه عبادَتَـه، والعِبـادة لا تكـونُ إلّا بعِلـمٍ، وإلّا فهـو يعبـد اللـهَ علَـى جهـلٍ، فمـا يُفسِـدُ أكثَـرَ مِمّـا يُصلِـحُ.

قـال مُجاهِـدٌ[4] فـي قولِـه تعالـى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: 269] قـال: العِلـمُ والفِقـهُ[5].

---

(1) انظر: المروءة؛ لأبي بكر محمد بن خلف بن المرزبان، (ص: 135).

(2) نسبه أبو بكر المرزبان في كتابه المروءة، (ص: 134) للفضل البلعمي.

(3) انظر بنحوه: بهجة المجالس؛ لابن عبدالبر، باب المروءة والفتوة، (ج2/ 642-649).

(4) تقدمت ترجمته.

(5) انظر: تفسير الطبري، (ج5/ 9)، قال: «ليست بالنبوة، ولكنه القرآن والعلم والفقه».

وذكرَ الخلّالُ[1] بسندِه عن ابنِ شِهابٍ[2] قال: العِلمُ أفضلُ مِنَ العمَلِ؛ لِمَن هو جاهِلٌ، والعمَلُ أفضلُ مِنَ العِلمِ؛ لِمَن هو عالِمٌ[3].

وذُكِر أيضًا عن وكيعٍ[4] أنّه قال: قال سُفيانُ[5]: النّاسُ يَحتاجونَ إلى العِلم كما يحتاجونَ إلى الطّعام والشّرابِ[6].

(1) هو أحمد بن محمد بن هارون أبو بكر المعروف بالخلال، له التصانيف الدائرة والكتب السائرة من ذلك: الجامع والعلل والسنة والطبقات والعلم وتفسير الغريب والأدب وأخلاق أحمد وغير ذلك، توفي يوم الجمعة ليومين خليا من شهر ربيع الآخر سنة (311هـ). انظر: طبقات الحنابلة للقاضي محمد بن أبي يعلى، (ج2/ 12-15).

(2) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، الإمام، العلم، حافظ زمانه، أبو بكر القرشي، الزهري، المدني، نزيل الشام، ولد سنة (50هـ، وقيل: 51هـ)، قال علي بن المديني: (له نحو من ألفي حديث)، وقال أبو داود: (حديثه ألفان ومائتا حديث، النصف منها مسند)، وقال مالك: (بقي ابن شهاب، وماله في الناس نظير)، توفي سنة (123هـ، وقيل: 124هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج5/ 326-350).

(3) راجع: الآداب الشرعية لابن مفلح، ط الأوقاف، (ج2/ 133).

(4) هو وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي الرؤاسي، الإمام، الحافظ، محدث العراق، ولد: سنة (129هـ)، وكان من بحور العلم، وأئمة الحفظ، قال أحمد بن حنبل: (ما رأيت أحدا أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع)، وقال محمد بن سعد: (كان وكيع ثقة، مأمونا، عاليا، رفيعا، كثير الحديث، حجة)، توفي سنة (197هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج9/ 140-168).

(5) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، أبو عبد الله الثوري، الكوفي، المجتهد، مصنف كتاب (الجامع)، ولد: سنة (97هـ) اتفاقا، وطلب العلم وهو حَدَثٌ باعتناء والده المحدث الصادق سعيد بن مسروق الثوري، وكان والده من أصحاب الشعبي، وخيثمة بن عبد الرحمن، ومن ثقات الكوفيين، وعداده في صغار التابعين، ويقال: إن عدد شيوخه ست مائة شيخ، وكبارهم الذين حدثوه عن: أبي هريرة، وجرير بن عبد الله، وابن عباس، وأمثالهم، وقد قرأ الختمة عرضا على: حمزة الزيات أربع مرات، وأما الرواة عنه فخلق، قال شعبة، وابن عيينة، وأبو عاصم، ويحيى بن معين، وغيرهم: (سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث)، توفي سنة (161هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج7/ 229-279).

(6) ذُكِرَ هذا من قول الحسن بن صالح، وليس من قول سفيان؛ كما في: شرح السنة للبغوي (ج1/ 280). سنن الدارمي (ج1/ 352) رقم (336). =

وقال حربٌ[1]: سمعتُ أبا عبدِ الله أحمَدَ بنَ حَنبلٍ يقولُ: النّاسُ يَحتاجونَ إلى العِلم أكثَرَ مِنَ الخُبزِ والماءِ؛ لأنّ العِلمَ يحتاجُ إليه الإنسانُ في كُلِّ ساعة، والخبزَ والماءَ في اليوم مرّة أو مرّتين[2]، انتهى.

وليبدَأ الفقيرُ بمعرفة ما يحتاجُ إليه في دينِه، فإنّ العِلمَ ليس له حَدٌّ ينتَهي إليه.

قيلَ لحمادِ الرّاويةِ[3]: ما تَشبَعُ من هذه العُلومِ؟ فقال: استَفرغنا فيها المجهودَ، فلَم نبلُغ مِنها المحدودَ[4].

فإذا لم يكُن إلى معرفة جميع العِلم سَبيلٌ، وجَبَ صرفُ الاهتِمام إلى الأهَمِّ منها، والعِنايةُ بأولاها وأفضَلِها، فينبَغي للعبدِ أن يطلُبَ الفِقهَ، ويعرِفَ الأحكامَ احتِسابًا لله تعالى، ولا ينويَ به أن يكونَ قاضيًا ولا مدرِّسًا، ولا أن ينزِلَ في المدارِس لتكثر حامليته، ولا غيرَ ذلك من أُمورِ الدُّنيا، فلِكُلِّ امرئٍ ما نوَى، والأعمالُ بالنّيّاتِ، بل يطلُبُ العِلمَ يبتَغي به

= ۞ وأما الذي ورد من قول سفيان: «ما أعلَمُ عَمَلًا أفضَلَ مِن طَلَبِ العِلمِ وحِفظِه لِمَن أرادَ الله تعالى به خيرًا»؛ أخرجه أيضًا الدارمي في سننه (ج1/ 351)، رقم (335).

(1) هو الإمام العلامة الفقيه تلميذ الإمام أحمد؛ حرب بن إسماعيل بن خلف الحنظلي الكرماني، رحل وطلب العلم، قال الذهبي: (مسائل) حرب من أنفس كتب الحنابلة، وهو كبير في مجلدين، توفي سنة (280هـ). انظر: طبقات الحنابلة للقاضي محمد بن أبي يعلى، (ج1/ 145-146). سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج13/ 244-245).

(2) انظر: الآداب الشرعية؛ لابن مفلح، (ج2/ 133).

(3) هو ابن أبي ليلى ميسرة -ويقال: سابور- بن المبارك بن عبيد الديلمي الكوفي، مولى بكير بن زيد الخيل الطائي، كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها ولغاتها، وهو الذي جمع السبع المعلقات الطوال، وإنما سمي الراوية؛ لكثرة روايته الشعر عن العرب. توفي سنة (155هـ)، وقيل إنه أدرك أوّل خلافة المهدي في سنة (158هـ) فالله أعلم. انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ط الأوقاف (ج10/ 357).

(4) انظر: أدب الدنيا والدين؛ للماوردي، (ص: 37)، وتمامه: «...فنحنُ كما قال الشّاعِرُ: إذا قطَعنا عِلمًا بدا عِلمٌ».

وجهَ الله عَزَّوَجَلَّ، وأقَلُّ ما في ذلك أن ينفيَ عن نفسِه الجهلَ، فإنّه قيل للإمام أحمَدَ: تعَلَّمتَ العِلمَ لله؟ فقال: أما لله فعزيزٌ، لكِن تعَلّمنا العِلمَ لغيرِ الله فأبَى أن يكونَ إلّا لله(1).

وقال عبدُ الله بنُ المُبارك(2): تعَلَّمنا العِلمَ للدُّنيا، فدلَّنا العِلمُ علَى تركِها(3).

فهذا هو العِلمُ النّافِعُ أن تعرِفَ أحكامَ الله وفرائِضَه وحُدودَه لِتعمَلَ به، فكلَّما ازدَدتَ عِلمًا؛ ازدَدتَ عَملًا، وتُعلّمَ غيرَك مِنَ المُؤمنين، فتُقيمَ به دينَ الله عَزَّوَجَلَّ بينَ أظهُرِ المُسلمينَ، فتكونَ بذلك ناصرًا للشَّريعةِ، فإذا اهتدَى بكَ رجُلٌ واحِدٌ كان ذلك أفضَلَ لَك وخيرًا من حُمرِ النّعَم(4)،

---

(1) راجع: روضة المحبين؛ لابن القيم، (ص: 69)، بلفظ: «وقيل للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: تعلمت هذا العلم لله؟ فقال: أما لله فعزيز، ولكن شيء حُبِّب إلي ففعلته».

۞ الآداب الشرعية لابن مفلح، (ج2/ 126)، وفيه: «وقال يزيد بن هارون: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يردنا إلا إلى الله، وقال عبدالرزاق: أنبأنا معمر قال: كان يقال: إن الرجل ليطلب العلم لغير الله فيأبى عليه العلم حتى يكون لله».

(2) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، الإمام، شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، أبو عبد الرحمن الحافظ، الغازي، أحد الأعلام، وكانت أمه خوارزمية. مولده في سنة (118هـ)، طلب العلم وهو ابن عشرين سنة، وصنف التصانيف النافعة الكثيرة، وحديثه حجة بالإجماع، وهو في المسانيد والأصول، وارتحل إلى: الحرمين، والشام، ومصر، والعراق، والجزيرة، وخراسان، توفي سنة (181هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج8/ 378-421).

(3) انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي، شرح وتعليق/ محمد كريم راجح، ط دار اقرأ، (ص: 92).

(4) وقوله: «حمر النَّعَم» بفتح النون والعين؛ وهي الإبل، وحمرها أفضلها. انظر: مشارق الأنوار للقاضي عياض، ط المكتبة العتيقة ودار التراث، فصل الاختلاف والوهم، النون مع العين، مادة (ن ع م)، (ج2/ 17).

۞ وهو إشارة لحديث سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المتفق عليه قال: قال رسول الله ﷺ يوم خيبر:=

وتَصيرُ بهذه النّيّة من خواصِّ العُلماء إن شاء الله الّذين ورثوا ثَمرةَ العِلم، ووَصَلوا إلى حقيقَته، وهم أهل الخشية والمخافة قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ (1) [فاطر: 28] وفَّقنا الله وإيّاك لِذلك.

ولأنّ الفقيرَ إذا كان عالِمًا عبَدَ اللهَ علَى بصيرةٍ؛ لأنّه عرَفَ ما أمَرَ الله به فأتَى منه ما استطاعَ، وعرَفَ ما نَهى الله عنه فاجتَنَبه، فإذا فعَل ذلك استحَقَّ أن يكونَ من أهل السُّلوكِ، وإذا جلَسَ مَجلسًا للمُذاكرة لا يُقنِّطُ(2) النّاسَ من رحمة الله، ولا يُؤمِّنهم من مكرِ الله، ولا يُرَخِّصُ لهم في معاصي الله.

قال مُعاويةُ بنُ قُرّة(3): علَيكُم بالله فإنّه لا يوصَلُ إليه إلّا به.

وإنّما يُراد العِلمُ بالله والمعرِفة به لِمعاملَته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا

=«لأعطين الراية رجلا يفتح الله على يديه...» وفيه: «...ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من أن يكون لك حمر النعم».

۞ رواه: 1- البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد: - باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله، حديث (2942). وفي باب فضل من أسلم على يديه رجل، حديث (3009). وكتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث (3701). وكتاب المغازي، باب غزوة خيبر، حديث (4210). 2- مسلم في صحيحه، حديث (34-«2406»).

(1) قال الطبري في تفسيره، (ج19/ 364): يقول تعالى ذكر: إنما يخاف الله فيتقي عقابه بطاعته؛ العلماء بقدرته على ما يشاء من شيء، وأنه يفعل ما يريد؛ لأن من علم ذلك، أيقن بعقابه على معصيته، فخافه ورهبه؛ خشية منه أن يعاقبه.

(2) القُنوط: اليأس من الخير، يقال: قنَطَ يقنِطُ قُنوطًا، وقَنِطَ يَقنَطُ. انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، ط الأوقاف، مادة (قنط)، (ص: 544).

(3) هو معاوية بن قرة بن إياس بن هلال المزني، الإمام، العالم، الثبت، أبو إياس المزني، البصري، والد القاضي إياس. وثقه: ابن معين، والعجلي، وأبو حاتم، وابن سعد، والنسائي. وقال معاوية بن قرة: (لقيت كثيرًا من أصحاب النبي ﷺ منهم من مزينة: خمسة وعشرون رجلا)، توفي 7 سنة (113هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج5/ 153-155).

﴿يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (1) [العنكبوت: 43] يعني: العالِمون به؛ يعقِلون قولَه، ويعرِفونَ معانيَ كلامِه، ويعلَمون إرادَتَه، فأولئك الّذين فهِموا عنه كلامَه، وعَقلوا عنه أمرَه ونهيَه، فإذا كانوا كذلك اشتَدَّت خَشيتُهم لله تعالى، وعظُمَت [8/ ب] هيبتُه في صُدورِهم لَمّا أشرَفت علَيه عقولُهم، واطَّلَعت عليه قُلوبُهم من معرفة جلالِه وكِبريائِه وعظَمَتِه، فهمُ الألباءُ(2) الّذين خاطَبهم الله بالقُرآن، وكلَّمَهم به، وهمُ العالِمونَ بالله عَزَّوَجَلَّ، العارِفونَ به، المُتوكِّلونَ علَيه، انتَهى كلامُه.

وقال الجُنيدُ(3): إذا لَقيتَ الفقيرَ فالقه بالرِّفقِ، ولا تلقه بالعِلم، فإنّ الرِّفقَ يُؤنِسُه، والعِلمَ يوحِشُه، فقُلتُ: يا أبا القاسِم! كيفَ يكونُ فقيرٌ يوحِشُه العِلمُ؟ فقال: نعَم! الفقيرُ إذا كان صادِقًا في فقرِه فطَرَحتَ عليه العِلمَ ذابَ كما يذوبُ الرّصاصُ في النّارِ(4).

ومُرادُه -والله أعلَمُ-: العِلمُ النّافعُ الموصِلُ إلى الله ليسَ كُلُّ علمٍ.

---

(1) روى الثعلبي في تفسيره، ط دار التفسير، (ج21/ 53) بسنده عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ تلا هذه الآية: «وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون» فقال: «العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه».

(2) لب: اللام والباء. أصل صحيح يدل على لزوم وثبات، وعلى خلوص وجودة... اللب معروف، من كل شيء، وهو خالصه وما ينتقى منه، ولذلك سمي العقل لبا. ورجل لبيب، أي عاقل. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج5/ 199-200).

(3) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي، القواريري، وهو شيخ الصوفية، ولد: سنة نيف وعشرين ومائتين، وتفقه على أبي ثور، وسمع من: السري السقطي، وصحبه، ومن الحسن بن عرفة، وصحب أيضا: الحارث المحاسبي، وأبا حمزة البغدادي، وأتقن العلم، ثم أقبل على شأنه، وتأله، وتعبد، ونطق بالحكمة، وقل ما روى، ولم ير في زمانه مثله في عفة وعزوف عن الدنيا. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج14/ 66-70).

(4) انظر: طريق الهجرتين؛ لابن القيم (ج1/ 101-102). الرسالة القشيرية، الباب الثاني والأربعون: الفقر، (ص: 459).

فالفقيرُ إذًا يكونُ فقيهًا بعبادة الله والعمَلِ به، يتقَرَّبُ إلى الله تعالى بالنّوافِلِ بعدَ أداءِ الفرائضِ، زاهِدٌ في الدّنيا، راغِبٌ في الآخِرة، بَصيرٌ بدينِه، دائِمٌ في عِبادة ربِّه؛ هذا هو الفقيرُ الكامِلُ. واحذَر أن يكونَ قلبُك كقُلوبِ عُلماءِ الدُّنيا، وعلَى الدُّنيا والمناصِبِ مُقبلةٌ، يفرحونَ بوجودِ الدُّنيا، ويَحزَنونَ على فَوتِها، يُحِبّونَ الرِّفعة والسُّمعةَ؛ فأولئك صارَ العِلمُ لهم كسبًا ينالونَ به دُنياهم ومَناصِبَهم؛ إذ لِكُلِّ امرئٍ ما نَوى، ومَن عامَلَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لم يَخسَر؛ لأنّه ورَدَ في بعضِ الآثارِ يقولُ الله عَزَّوَجَلَّ: «إنّما خَلَقتُ الخلقَ ليَربَحوا عَلَيَّ»[1]، فطوبَى لِمَن كانت مُعاملتُه معَ الله عَزَّوَجَلَّ، ورُزِق الزُّهدَ في الدّنيا، والإقبالَ علَى الآخرةِ، وأرادَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ بعلمِه وعمَلِه، ونزَّهَه مِنَ التّطلُّع إلى الدُّنيا، فإنّ **«الدُّنيا حُلوة خَضِرة»**[2]، كما قال ﷺ، فمَتى مالَ إليها أهلَكَته، فقد رَوى ابنُ عبدِ البرِّ بإسنادِه أنّ النّبيَّ ﷺ قال: **«إنّ الدّينارَ والدِّرهَمَ أهلكا مَن كان قَبلَكُم، وإنّهما مُهلِكاكُم»**[3].

---

(1) انظر: - قوت القلوب لأبي الطيب المكي، (ج2/ 602). - إحياء علوم الدين للغزالي، وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار للعراقي، (ج4/ 150)، وتمامه: «... ولم أخلقهم لأربح عليهم». قال العراقي: (لم أقف له على أصل).

(2) رواه الإمام مسلم في صحيحه، حديث رقم (99-«2742»)، بلفظ: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء».

(3) أخرجه: 1- ابن أبي شيبه في المصنف، تحقيق الحوت: -كتاب الزهد، حديث (34813)؛ من طريق: أبو معاوية، عن الأعمش، عن شقيق، عن أبي وائل، عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إنما أهلك من كان قبلكم هذا الدينار والدرهم وهما مهلكاكم». - كتاب الفتن، حديث (37594)؛ من طريق: وكيع، عن الأعمش، عن شقيق، عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، به. 2- البزار في مسنده، ط مكتبة العلوم والحكم: - حديث (1612)؛ من طريق: أحمد بن يحيى بن المنذر، قال: حدثني أبي، قال: نا عبد الله بن الأجلح، عن الأعمش، عن يحيى بن وثاب، عن علقمة، عن ابن مسعود، أنه كان يعطي الناس عطاياهم، فجاء رجل فأعطاه ألف درهم ثم قال: خذها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما هلك من كان قبلكم الدينار والدرهم وهما=

وروى أيضًا عن الحسن البصري[1] أنه قال: لِكُلِّ أُمَّة صَنَمٌ يَعبُدونَه، وصَنَمُ هذه الأُمَّة الدِّينارُ والدِّرهَمُ[2].

=مهلكاكم». وحديث (1613)؛ من طريق: أحمد بن يحيى الصوفي، قال: نا يحيى بن المنذر، قال: نا عبد الله بن الأجلح، عن الأعمش، عن يحيى بن وثاب، عن علقمة، عن عبد الله، عن النبي ﷺ، بنحوه. قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن عبد الله عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه. 3- ابن حبان في صحيحه، ط الأوقاف، ذكر الإخبار عما يجب على المؤمن من حفظ نفسه عما لا يقربه إلى بارئه جَلَّ وَعَلَا دون نواله شيئًا من حطام هذه الدنيا الفانية، حديث (4651)، (ج5/ 411)؛ من طريق: محمد بن أحمد بن أبي عون الرياني، قال: حدثنا الحسين بن حريث، قال: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إن الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم، وهما مهلكاكم». 4- الطبراني في المعجم الكبير، (ج10/ 117)، حديث (10069)؛ من نفس طريق البزار عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إنّ هذا الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم ولا أراهما إلا مهلكاكم».

5- الطبراني في المعجم الأوسط، ط دار الحرمين، (ج2/ 294)، حديث (2022)؛ من طريق: أحمد بن الحسن بن عبد الملك الأصبهاني، قال: نا مؤمل بن إهاب، قال: نا أبو داود الطيالسي، قال: نا شعبة، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا بلفظ المعجم الكبير.

6- انظر: بهجة المجالس لابن عبدالبر، القسم الأول، باب المال حمدا وذما، (ج1/ 195).

۞ الحكم على الحديث: قال المنذري: (رواه البزار بإسناد جيد). انظر: الترغيب والترهيب للمنذري، (ج3/ 1179). قال الإمام الهيثمي: (رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وإسناده حسن). انظر: مجمع الزوائد للهيثمي، (ج10/ 245). قال البوصيري: (رواه مسدد موقوفًا ورواته ثقات، وله شاهد من حديث عبد الله بن مسعود... رواه البزار بسند جيد). انظر: إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري، كتاب الزهد، (ج7/ 471).

(1) هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، وكانت أم الحسن مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية، ويسار أبوه: من سبي ميسان، سكن المدينة، وأعتق، وتزوج بها في خلافة عمر، فولد له بها الحسن رحمة الله عليه لسنتين بقيتا من خلافة عمر، ثم نشأ الحسن بوادي القرى، وحضر الجمعة مع عثمان، وسمعه يخطب، وشهد يوم الدار، وله يومئذ أربع عشرة سنة، وروى عن: عمران بن حصين، والمغيرة بن شعبة...وخلق من الصحابة، وقرأ القرآن على: حطان بن عبد الله الرقاشي، وروى عن: خلق من التابعين، وكان سيد أهل زمانه علما وعملا، قال أنس بن مالك: (سلوا الحسن، فإنه حفظ ونسينا)، توفي سنة (110هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج4/ 563-588).

(2) انظر: الآداب الشرعية؛ لابن مفلح، (ج3/ 464).

وقال إبراهيمُ النَّخَعيُّ[1]: إنّما أهلكَ النّاسَ؛ فُضولُ الكلامِ، وفُضولُ المالِ[2]. وقد رَوَى الإمامُ أحمد في كتاب «الزُّهد»[3] عن عيسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنّه قال: في المالِ ثَلاثُ خِصالٍ: يُكسَبُ من غير حِلِّه، قالوا: يا نَبيَّ الله! فَإن كَسَبَه من حِلِّه، قال: يَمنَعُه من حَقِّه، قالوا: فَإن وضَعَه في حَقِّه، قال: يُشغِلُه أصلًا عن عِبادة رَبِّه[4]. وما قاله عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فهو مِنَ الزُّهدِ، فإنّه كان من أزهَدِ الخلقِ في المالِ، فمَتى كان الفقيرُ -ولَو كان عالِمًا- رغِبَ في الدُّنيا [9/ أ] وأحبَّها وحَرَصَ علَيها وكالب[5] علَيها أهلَها وطُلّابَها كما تُكالِبُ الكِلابُ علَى الجيفِ؛ فهو إذًا أحَدُّهم سيفًا، وأنفَذُهم سهمًا؛ لأنّه يَطلُبُها بالدِّينِ والفقرِ كما يُقال: يأكُلُ الدُّنيا بالدِّينِ، فإذا جلَسَ إليه الخائِفُ من أهلِ الدُّنيا فيَقوم من عندِه آمِنًا، ويَجلِس إليه الزّاهِدُ فيَقومُ من عندِه راغِبًا، فهذا إن لم يَتداركه الله تعالى بلُطفِه، وإلّا هلَكَ، نسألُ اللهَ العِصمة

---

(1) هو الإمام، الحافظ، فقيه العراق، أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي، اليماني، ثم الكوفي، أحد الأعلام، وكان بصيرا بعلم ابن مسعود، واسع الرواية، فقيه النفس، كبير الشأن، كثير المحاسن، قال أحمد بن عبد الله العجلي: (لم يحدث عن أحد من أصحاب النبي ﷺ وقد أدرك منهم جماعة، ورأى عائشة)، وكان مفتي أهل الكوفة هو والشعبي في زمانهما، وكان رجلا صالحا، فقيها، متوقيا، قليل التكلف، قال أحمد بن حنبل: (كان إبراهيم ذكيا، حافظا، صاحب سنة)، توفي سنة (96هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج4/ 520-529).

(2) انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح، (ج3/ 429). بهجة المجالس؛ لابن عبد البر، القسم الأول، باب المال حمدًا وذمًا، (ص:200). (3) لم أقف عليه في كتاب الزهد للإمام أحمد.

(4) راجع: كتاب البيان والتبيين؛ للجاحظ، (ج3/ 191) بلفظه. أدب الدنيا والدين؛ للماوردي، (ص: 129) بلفظه. بهجة المجالس؛ لابن عبدالبر، القسم الأول، باب المال حمدًا وذمًا، (ج1/ 196)، بلفظ: (قالول للمسيح: يا روح الله أخبرنا عن المال، فقال: المال لا يخلو صاحبه من ثلاث خلال: إما يكسبه من غير حله، وإما أن يمنعه من حقه، وإما أن يشغله إصلاحه عن عبادة ربه).

(5) كلب: الكاف واللام والباء أصل واحد صحيح يدل على تعلق الشيء بالشيء في شدة وشدة جذب. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج5/ 133).

من هذه القبائِحِ، وقد قيل: إنّ التّوراةَ خُتِمت بخمسِ كلِماتٍ: خَليفة لا يعدِلُ في رَعيّتِه هو وفِرعَونُ سواءٌ، وغَنيٌّ لا يُربِحُ نفسَه هو والأجيرُ سواءٌ، وفَقيرٌ يتَذَلّلُ للأغنياءِ هو والكلبُ سواءٌ، وعالِمٌ لا يعمَلُ بعِلمِه هو وإبليسُ سَواءٌ، وامرَأةٌ لا تَلزَمُ بيتَها هي والأمة سَواءٌ[1].

فصل

(وقد وقَعَ لفظُ الفقرِ في القُرآنِ علَى ثلاثِ معانٍ: أحدُها: قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ...﴾ الآية[2] [التوبة: 60].

والثّاني: قولُه تعالَى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾ الآية[3] [البقرة: 273].

والثّالث: قولُه تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: 15].

فالصِّنفُ الأوَّلُ: فُقراءُ المُسلمين عامَّتُهم وخاصَّتُهم.

والثّاني: خواصُّ الفُقراءِ، وهم أهلُ الصُّفّة وبلغوا نحو الأربعِمائةِ، ولم يكن لهم مَساكنُ بالمدينةِ ولا عَشائرُ، وكانوا قد حبسوا أنفسَهم على الجهاد، فكانوا وقفًا على كل سريّة بعثَها رسولُ الله ﷺ، وإليه الإشارة

---

(1) راجع: الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء؛ لمحمود بن إسماعيل الخيربيتي، (ص: 190)، بلفظ: قال النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مكتوب في عصا موسى أربع كلمات: أولها: إذا لم يكن للسلطان عدل فهو مع فرعون سواء، وإذا لم يكن للعالم عمل فهو والإبليس سواء، وإذا لم يكن للغني رحمة للفقير فهو مع قارون سواء، وإذا لم يكن للفقير صبر فهو مع الكلب سواء». ولم أقف عليها في الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(2) تمام الآية قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾.

(3) تمام الآية قوله تعالى: ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾.

بقولِه: ﴿أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وقيل: معنَى ﴿أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: حَبَسوا أنفُسَهم في طاعةِ اللهِ[1]، وقيلَ: حُبِسوا في سبيلِ اللهِ[2] لِفقرِهم، وهذا هو الصّحيحُ كما تقدَّم بيانه[3]، ولِكمالِ عِفَّتِهم يَحسبهمُ الجاهِلُ أغنياءَ مِنَ التّعفُّفِ.

---

(1) انظر: تفسير السمرقندي، ط دار الكتب العلمية، سورة البقرة، (ج1/ 233).

(2) راجع: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله محمود شحاته، (ج2/ 523).

(3) في حاشية الأصل تعليق طويل بلا علامة تصحيح: (وذكر شيخ الإسلام ابنُ تيميةَ أنّ المساجدَ لم تُبنَ إلّا لِذكرِ الله والصّلاة، وأنّها لم تُبنَ للسَّكنِ، لكِن مَن كان فقيرًا أو غريبًا جاز له أن يَنزِلَ في المسجِدِ بمقدارِ الحاجة حتّى يُحصِّل له مسكنًا، كما كانتِ الصُّفّة في مسجدِ رسولِ الله ﷺ ينزِلُ بها مَن قدِمَ مِنَ الغُرباءِ الفُقراءِ حتّى يجِدَ أحدُهم مسكنًا، ولم يكُن أحَدٌ مِنَ الصّحابةِ يُقيم بصُفّةِ المسجد دائمًا، ولا كان أهل الصفة ناسًا معينين يُقيمونَ دائمًا بالمسجد، ولا كانوا تاركين للأسبابِ؛ بل كان ينزِلُها ناسٌ بعدَ ناسٍ بحسَبِ الحاجة، وكان منهم مَن يحتَطِبُ، ومنهم مَن يستقي الماءَ، ومنهم العاجِزَ عن هذا وهذا، وأمّا استيطانُ الرجل دائمًا بماله وتقاعده من غير ضرورة فلا، ونصبُ سعدِ بن معاذ الخيمة في المسجد (......) عارضة للحاجة، والفقراء المقيمن في هذه الأوقات بالمساجد يلزمه السكنى بغيرها، فإن أحدهم يحصل (...) السكن).

ولم أقف على هذا النص في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية أو مجموع فتاويه المطبوعة، ووقفت له على كلام قريب من هذا متعلق بأهل الصفة في مجموع الفتاوي (ج11/ 40-45)، وفيه: (فكان من لم يتيسر له مكان يأوي إليه يأوي إلى تلك الصفة التي في المسجد ولم يكن جميع أهل الصفة يجتمعون في وقت واحد بل منهم من يتأهل أو ينتقل إلى مكان آخر يتيسر له. ويجيء ناس بعد ناس فكانوا تارة يقلون وتارة يكثرون فتارة يكونون عشرة أو أقل وتارة يكونون عشرين وثلاثين وأكثر وتارة يكونون ستين وسبعين. وأما جملة من أوى إلى الصفة مع تفرقهم فقد قيل: كانوا نحو أربعمائة من الصحابة وقد قيل: كانوا أكثر من ذلك ولم يعرف كل واحد منهم... وأما حال «أهل الصفة» هم وغيرهم من فقراء المسلمين الذين لم يكونوا في الصفة أو كانوا يكونون بها بعض الأوقات فكما وصفهم الله تعالى في كتابه حيث بين مستحقي الصدقة منهم ومستحقي الفيء منهم... وكان فقراء المسلمين من أهل الصفة وغيرهم يكتسبون عند إمكان الاكتساب الذي لا يصدهم عما هو أوجب أو أحب إلى الله ورسوله من الكسب وأما إذا أحصروا في سبيل الله عن الكسب فكانوا يقدمون ما هو أقرب إلى الله ورسوله وكان أهل الصفة ضيوف الإسلام يبعث إليهم النبي ﷺ بما يكون عنده فإن الغالب كان عليهم الحاجة لا يقوم ما يقدرون عليه من الكسب بما يحتاجون إليه من الرزق...)

والصِّنفُ الثَّالِثُ: الفقرُ العامُّ لأهلِ الأرضِ كُلِّهم؛ غنيِّهم وفقيرِهم، مُؤمِنِهم وكافِرِهم، [9/ ب] فقراء إلى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا هو الفقرُ المُطلقُ، والله هو الغنيُّ المُطلقُ وحدَه لا شَريكَ له، وكلُّ ما سِواه فهو مُحتاجٌ إليه؛ لأنّ اللهَ تعالى خلَقَ الخلقَ لِعبادَتِه الجامعةِ لِمَعرفَتِه، والإنابة إليه، ومَحبَّتِه، والإخلاصِ له، فبِذكرِه تطمَئِنُّ قلوبُهم، وبِرؤيَتِه في الآخِرة تَقرُّ أعيُنُهم، فلا شيءَ يُعطيهم في الآخِرة أحَبُّ إليهم مِنَ النَّظَرِ إليه، ولا الذّ لهم منه، ولا شيءَ يُعطيهم في الدُّنيا أعظَمُ من معرفَتِه والإيمانِ به، فهم فُقراءُ إليه في عبادَتِهم ومعاشِهم ومأكَلِهم ومَشرِبهم وفي جميعِ أحوالِهم، فلا صلاحَ للعبدِ ولا فلاحَ ولا نَعيمَ ولا لَذّة بغيرِ توحيدِ الله، ومَن أعرَضَ عن ذِكرِ ربِّه فإنّ له معيشةً ضنكًا ويَحشُرُه يومَ القيامة أعمَى[1])[2]، انتهى.

فَصْلٌ

(ولفظُ الفقرِ في الشّرعِ يُرادُ به الفقرُ من المالِ، ويُراد به فقرُ المخلوقِ إلى خالقِه، وقد تقدَّم نحوُ هذا، وقد مدَحَ الله تعالى في القُرآن صِنفين مِنَ الفُقراء: أهلَ الصّدقاتِ، وأهلَ الفيءِ، فقال في الصِّنفِ الأوّلِ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[3] [البقرة: 273]، وقد تقدم الكلامُ على هذه

---

(1) إشارة لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: 124].

(2) راجع بنحوه: مدارج السالكين لابن القيم، فصل ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة الفقر، (ج2/ 438-441).

(3) أي: إلحاحًا. انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، مادة: (لحف)، (ص: 584).

الآيـة فـي أوّلِ البـاب. وقـال تعالـى فـي الصنف الثانـي وهـم أفضَلُ [10/أ] الصِّنفَيـن: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر:8]. وهـذه صِفـة المُهاجريـنَ الّذيـن هجَـروا السّيِّئاتِ، وجاهـدوا أعـداءَ اللـه ظاهِـرًا وباطِنًـا، كمـا قـال النّبـيُّ ﷺ: «**المُؤمِـنُ مَـن أمِنَـه النّـاسُ علـى دِمائِهـم وأموالِهـم، والمسلِـمُ مَـن سَلِمَ المسلِمونَ مـن لِسانِه ويَـدِه، والمُهاجِـرُ مَـن هَجَـرَ مـا نَهَـى اللـه عنـه، والمُجاهِـدُ مَـن جاهَـدَ نفسَـه فـي ذاتِ اللـه**»(1)... الحديـث).

---

(1) أخرجه: 1- الترمذي في سننه، أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، حديث (2814)؛ من طريق: قتيبة، قال: حدثنا الليث، عن ابن عجلان، عن القعقاع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»، قال الترمذي: حديث حسن صحيح. 2- النسائي في سننه الصغرى، كتاب الإيمان وشرائعه، باب صفة المؤمن، حديث (4995)، بنفس طريق ولفظ الترمذي. 3- ابن ماجه في سننه، أبواب الفتن، باب حرمة دم المؤمن وماله، حديث (3934)؛ من طريق: أحمد بن عمرو بن السرح المصري، قال: حدثنا عبد الله بن وهب، عن أبي هانئ، عن عمرو بن مالك الجنبي، أن فضالة بن عبيد حدثه، أن النبي ﷺ قال: «المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب». 4- أحمد في مسنده: - حديث (23958)، (ج39/ 381)؛ من طريق: علي بن إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، قال: أنبأنا ليث، قال: أخبرني أبو هانئ الخولاني، عن عمرو بن مالك الجنبي، قال: حدثني فضالة بن عبيد ، قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب». حديث (23967)، (ج39/ 387)؛ من طريق: قتيبة بن سعيد، قال: حدثني رشدين بن سعد، عن حميد أبي هانئ الخولاني، عن عمرو بن مالك، عن فضالة بن عبيد ، أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع: « ألا أخبركم من المسلم؟ من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله». وانظر بنحوه: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، (ص:54-55).

والمقصودُ: أنّ اللهَ تعالى هو الّذي يَجبُ أن يكونَ المقصودَ المدعوَّ المُفتقرَ إليه في جميع ما يطلبُه العبدُ، فإنّه سُبحانَه هو المُعينُ علَى ما يطلُبُه العبدُ من أمرِ الدُّنيا والآخِرة في طلَبِ ما ينفعُه، ودفعِ ما يضُرُّه، فإنّ المخلوقَ ليس عنده للعبدِ نفعٌ ولا ضرٌّ، ولا عطاءٌ ولَا منعٌ، ولا هُدًى ولا ضَلالٌ، ولا نصرٌ ولا خِذلانٌ، ولا خفضٌ ولا رَفعٌ، ولا عِزٌّ ولا ذُلٌّ؛ بلِ الله هو الخالِقُ الرازِقُ الضّارُّ النّافِعُ، وإذا مسَّ العبدَ الضُّرُّ لم يكشفه سِواه، وإذا أصابَه بنعمة لم يرفعها عنه إلّا هو، فالمخلوقُ لا ينفَعُ العبدَ ولا يضُرُّه إلّا بإذنِ الله، وإذا فهمتَ هذا سَهُل عليكَ كثيرٌ من أبوابِ السُّلوكِ، والله تعالى هو الموفِّقُ لِذلك .

فَصْلٌ

(والفقرُ فَقرانِ[1]:

أحدُهما: فقرُ اضطِرارٍ وهو فقرٌ عامٌّ، لا خُروجَ لِأحَدٍ من خلقِ الله عنه، وهذا الفقرُ لا يقتَضي مدحًا ولا ذمًّا ولا ثَوابًا ولا عِقابًا؛ بل هو بمنزلة كونِ المخلوقِ مَخلوقًا ومصنوعًا.

والفقرُ الثّاني: فقرُ اختياريٌّ هو نَتيجةُ عِلمَينِ شَريفَينِ: أحدُهما: معرِفة العبدِ [10/ ب] بربِّه عَزَّوَجَلَّ، والثّاني: معرِفتُه بنفسِه.

فمتَى حصُلَت له هاتانِ المعرِفتانِ أنتَجتا له فقرًا هو عينُ غِناه، وعِنوانُ فِلاحِه وسَعادَتِه.

ثُمّ تفاوُتُ العِبادِ في هذا الفقرِ بحسَبِ تَفاوُتِهم في هاتَينِ المعرِفتَينِ،

(1) قال الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فقر العلماء فقر اختيار، وفقر الجهال فقر اضطرار. راجع: مناقب الشافعي؛ للإمام البيهقي، ط دار التراث (ج2/ 149). تهذيب الأسماء واللغات؛ للإمام النووي، ط دار الكتب العلمية، (ج1/ 54).

فمَن عرَفَ ربَّه بالغِنَى المُطلَقِ عرَفَ نفسَه بالفقرِ المُطلَقِ، ومَن عرَفَ ربَّه بالقُدرةِ التّامّةِ عرَفَ نفسَه بالعجزِ التّامِّ، ومَن عرَفَ ربَّه بالعِزِّ التّامِّ عرَفَ نفسَه بالمسكنةِ التّامّةِ، ومَن عرَفَ ربَّه بالعِلمِ التّامِّ والحِكمةِ البالِغةِ عرَفَ نفسَه بالجهلِ التامّ؛ وعلَى هذا فَقِس.

فاجعَل للرَّبِّ تعالى أبلَغَ ما يكونُ من صِفاتِ الكمالِ، ولِلعبدِ أبلَغَ ما يكونُ من صِفاتِ النّقصِ، فإنّ اللهَ تعالى أخرَجَ العبدَ من بطنِ أُمِّه لا يعلَمُ شيئًا، ولا يقدِرُ علَى شيءٍ، ولا يَملِكُ شيئًا، ولا يَقدِرُ علَى عطاءٍ ولا منعٍ، ولا ضُرٍّ ولا نفعٍ ولا شيءَ بالكُلّيّةِ، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ(1) لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 78](2).

ففَقرُ العبدِ في تلكَ الأحوالِ إلى ما به كمالُه أمرٌ مشهودٌ مَحسوسٌ لِكُلِّ أحَدٍ(3)، وفَّقَنا الله وإيّاكم.

(1) ولعل الفؤاد إنما جمع على جمع القلة؛ تنبيها على أن السمع والبصر كثيران، وأن الفؤاد قليل؛ لأن الفؤاد إنما خلق للمعارف الحقيقية، والعلوم اليقينية، وأكثر الخلق ليسوا كذلك. انظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي، ط دار الكتب العلمية، (ج12/ 129).

(2) يقول تعالى ذكره: والله تعالى أعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من بعد ما أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعقلون شيئا ولا تعلمون، فرزقكم عقولا تفقهون بها وتميزون بها الخير من الشر، وبصركم بها ما لم تكونوا تبصرون، وجعل لكم السمع الذي تسمعون به الأصوات، فيفقه بعضكم عن بعض ما تتحاورون به بينكم، والأبصار التي تبصرون بها الأشخاص فتتعارفون بها وتميزون بها بعضا من بعض «والأفئدة» يقول: والقلوب التي تعرفون بها الأشياء فتحفظونها وتفكرون فتفقهون بها «لعلكم تشكرون» يقول: فعلنا ذلك بكم، فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من ذلك، دون الآلهة والأنداد، فجعلتم له شركاء في الشكر، ولم يكن له فيما أنعم به عليكم من نعمه شريك. انظر: تفسير الطبري، (ج14/ 315).

(3) انظر بنحوه: طريق الهجرتين؛ لابن القيم، (ج1/ 13-14).

فصل

وقد ذكَرَ بعضُ السّالِكينَ في مَجالِسِه: أنّ للفَقر آثارًا وعلاماتٍ وموجباتٍ وأسبابًا أكثَرَ، وإشاراتُ القوم إليها؛ كقولِ بعضِهم: الفقيرُ لا تسبِقُ هِمَّتُه خُطوتَهُ[1]؛ يُريد أنّ حالَه ووَقتَه، فهِمَّتُه مقصورة علَى وقتِه لا يتعَدّاهُ)[2]، انتهى.

ولم يذكُر غيرَ ذلك ولا بيّنَ ما ذكَره ويُشبه هذا ما تقدم لنا لَمّا [11/أ] سُئِلَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ[3]: مَتى يَستَريحُ الفقيرُ؟ فقال: إذا لم يَرَ لِنفسِه غيرَ الوقتِ الّذي هو فيه[4].

وقال بُندارُ بنُ الحُسَينِ[5]: لا تُخاصِم لِنَفسِكَ، فإنّها ليست لَكَ، دَعها لِمالِكِها يفعَلُ بها ما يُريدُ[6].

وقال بعضُ السّالِكينَ: إنّ الفقيرَ الصّادِقَ ليَخشَى مِنَ الغِنَى حِذارًا أن يدخلَه فيُفسِدَ عليه فقرَه، كما يَخشَى الغنيُّ الحريصُ مِنَ الفقرِ أن يدخلَه

---

(1) هذا قول المرتعش كما في الرسالة القشيرية، الباب الأربعون (الفقر)، (ص:457).

(2) انظر بنحوه: مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ 441).

(3) هو سهل بن عبد الله بن يونس أبو محمد التستري، شيخ العارفين، أبو محمد التستري، الصوفي الزاهد، صحب خاله؛ محمد بن سوار، ولقي في الحج ذا النون المصري وصحبه، له كلمات نافعة، ومواعظ حسنة، توفي في المحرم، سنة (283هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج13/ 330-333).

(4) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ 441).

(5) هو بندار بن الحسين بن محمد بن المهلب، كنيته أبو الحسين، من أهل شيراز، وكان عالمًا بالأصول، له اللسان المشهور في علم الحقائق، مات سنة (353هـ). انظر: طبقات الصوفية؛ للسلمي، (ص:349).

(6) انظر: طبقات الصوفية ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات للسلمي، (ص:350). حلية الأولياء؛ لأبي نعيم، (ج10/ 385).

فيُفسِدَ عليه غِناهُ[1]. وقال ذو النّونِ المِصريُّ[2]: الفقرُ إلى الله معَ التّخليط أحَبُّ إلَيَّ من دَوامِ الصّفاءِ معَ العُجبِ[3].

قلتُ: يبعُدُ أن يكونَ العبدُ قد صَفا ما بينَه وبينَ ربِّه في سِرِّه وعَلانيَتِه ويَحدُثُ منه عُجبٌ؛ لأنّه لا صفاء معَ إعجابِ المرءِ بنَفسِه، والله أعلَمُ.

وقد ذكَرَ بعضُ أصحابِ الطّريقِ أنّ أركان الفقرِ أربعةٌ: عِلمٌ يَسوسُه، ووَرَعٌ يحجِزُه، ويَقينٌ يحملُه، وذِكرٌ يُؤنسُهُ[4].

فالاعتِبارُ للفَقيرِ بعُقودِ الدّينِ وأعمالِه، والثّباتِ علَى الاستِقامة في

(1) انظر: طريق الهجرتين؛ لابن القيم، (ج1/ 99). وفي الرسالة القشيرية، الباب الثاني والأربعون الفقر، (ص: 455)، قال: (سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الجريري يقول: سمعت ابن الكريني يقول: إن الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذرًا أن يدخله الغنى فيفسد عليه فقره، كما أن الغنيّ يحترز من الفقر حذرًا أن يدخل عليه فيفسد عليه غناه).

(2) هو ذو النون المصري ثوبان بن إبراهيم، الزاهد، شيخ الديار المصرية، ولد: في أواخر أيام المنصور، وروى عن: مالك، والليث، وابن لهيعة...وطائفة، قال الدارقطني: (روى عن مالك أحاديث فيها نظر، وكان واعظا)، وقال ابن يونس: (كان عالما، فصيحا، حكيما)، توفي: في ذي القعدة، سنة (245هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج11/ 532-536).

(3) انظر: طريق الهجرتين؛ لابن القيم، (ج1/ 105). الرسالة القشيرية، الباب الثاني والأربعون الفقر، (ص:461).

(4) ذكره: 1- أبو سعيد المالبني في كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية، ت: عامر حسن صبري، (ص:108)، بسنده إلى محمد بن منصور الطوسي قال: «يحتاج المسافر في سفره إلى أربعة أشياء -فذكرها ثم قال- فإن كان هكذا لم يُبالِ من الأحياء أو من الأموات».

2- الإمام البيهقي في كتابه الزهد الكبير، ت عامر أحمد حيدر، (ص:311)، بسنده إلى الكتاني قال: من يدخل في هذه المفازة يحتاج إلى أربعة أشياء: حالًا يحميه، وعلمًا يسوسه، وورعًا يحجزه، وذكرًا يؤنسه.

3- القشيري في الرسالة (ص:458) قال: وقيل: أقل ما يلزم الفقير في فقره أربعة أشياء: علم يسوسه، وورع يحجزه، ويقين يحمله، وذكر يؤنسه.

الأمرِ والنّهيِ وأحكامِه، فمَن حقَّقَ الإيمانَ والإسلامَ، واستمسَكَ بالعُروةِ الوثقَى، وكانَ خائفًا مِنَ اللهِ، وجِلًا من مُحاسبَتِه، مُتفرِّغًا لِعبادتِه؛ فهو الفقيرُ الصّادقُ في قولِه وفعلِه.

قال بشرٌ: مَكتوبٌ في التّوراةِ تَفرَّغ لِعبادَتي؛ أملأ قلبَكَ عِلمًا، وأسُدَّ فقرَكَ، وإلّا تَفعَل؛ أملأُ قلبَكَ شُغلًا، ولا أسُدُّ فقرَكَ[1].

فَصْلٌ

الفقرُ له بدايةٌ ونِهايةٌ، وظاهِرٌ وباطِنٌ، فبِدايتُه الذُّلُّ، ونِهايتُه العِزُّ، وظاهِرُه العدَمُ، وباطِنُه الغِنَى، كما قال أبو سَهلٍ الخشّابُ[2] لِمنصورٍ المغربي[3]: إنّما هو فقرٌ وذُلٌّ. فقال: لا بَل فقرٌ وعِزٌّ. فقال له أبو سَهلٍ: فقرٌ وثَرًى. فقال منصورٌ [11/ ب]: لا بَل فقرٌ وعرشٌ[4]. فإشارة أبي

---

(1) ذكره: 1- أبو عبيد القاسم بن سلام في الخطب والمواعظ، رقم (46)، بسنده إلى خيثمة بن عبدالرحمن قال: «إن في التوراة مكتوبًا: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنًى، وأسد فقرك، وإلا تفعل»... الأثر.

2- هناد بن السري في كتاب الزهد، رقم (666)، (ج2/ 354)، بسنده إلى خيثمة قال: «في التوراة مكتوب: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى، وأسد فقرك، وإلا تفعل»... الأثر.

3- أبونعيم في حلية الأولياء، (ترجمة:253) خيثمة بن عبدالرحمن، (ج4/ 116-117)، بسنده إلى خيثمة قال: «مكتوب في التوراة ابن آدم تفرغ لعبادي أملأ قلبك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل»... الأثر. راجع: كتاب الديباج لأبي القاسم إسحاق بن إبراهيم الختّليّ، (ص:38)، عن إبراهيم النخعي بلفظ حلية الأولياء.

(2) لعله: سهل بن محمد بن الحسن، أبو الحسن القايني الصوفي، عُرف بالخشاب. سكن دمشق، وتوفي سنة (447هـ). انظر: تاريخ الإسلام؛ للذهبي، (ج9/ 695).

(3) لعله: الشيخ الجليل، الأمين، أبو بكر أحمد بن منصور بن خلف بن حمود المغربي الأصل، النيسابوري. توفي سنة (462هـ). انظر: سير أعلام النبلاء؛ للذهبي، (ج18/ 94).

(4) انظر: مدارج السالكين؛ لابن القيم، (ج2/ 441)، بلفظ: «والفقر له بداية ونهاية... كما قال رجل لآخر...، وكلاهما مصيب» دون تسمية القائل.

سهلٍ إلى البداياتِ وإشارةُ منصورٍ إلى النِّهاياتِ[1]، والله أعلَمُ.

وقال بعضُ السّالِكينَ: مَن أرادَ الفقرَ لِشرَفِ الفقرِ ماتَ فَقيرًا، ومَن أرادَه لِئلّا يَشتَغِلُ عنِ الله بغيره ماتَ غَنيًّا[2]، يُريد -والله أعلَمُ- أن لا يَشتَغِلَ بفقرِه عنِ الله.

وقال إبراهيمُ بنُ أدهَمَ[3]: طلبنا الفقرَ فاستقبَلَنا الغِنَى، وطلَبَ النّاسُ الغِنَى فاستَقبَلَهم الفقرُ[4].

وسُئِلَ أبو حفصٍ[5]: بماذا يقدمُ الفقيرُ على ربِّه؟ فقال: ما ينبَغي للفَقيرِ أن يقدمَ علَى ربِّه بشيءٍ سِوى فقرِه[6].

واتَّفقَت كلِمة القومِ علَى دَوامِ الافتِقارِ إلى الله تَعالى ظاهِرًا وباطنًا في السِّرِّ والعلانيةِ، فإنّ العبدَ إذا عرَفَ معنَى الفقرِ عرَفَ أنّه عينُ الغِنَى بالله، فلا معنَى لِسُؤالِ مَن سألَ مِنَ المُريدينَ: أي الحالينِ أكمَلُ؛ الافتِقارُ إلى الله عَزَّوَجَلَّ أمِ الاستِغناءُ به؟ فإنّ الاستغناءَ به عينُ الافتِقارِ إليه، والافتِقارُ

---

(1) قال ابن القيم في طريق الهجرتين (ج1/ 101) بعد أن ذكر حوار أبو سهل ومنصور المغربي: «قلت: أشار أبو سهل إلى البداية، ومنصور إلى الغاية».

(2) انظر: مدارج السالكين؛ لابن القيم (ج2/ 441).

(3) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر العجلي، القدوة، الإمام، العارف، سيد الزهاد، أبو إسحاق، ولد في حدود المائة، قال النسائي: (هو ثقة، مأمون، أحد الزهاد)، توفي سنة (162هـ). انظر: سير أعلام النبلاء؛ للذهبي، (ج7/ 387-396).

(4) انظر: الرسالة القشيرية، (ص:455). طريق الهجرتين؛ لابن القيم، (ج1/ 98).

(5) هو أبو حفص النيسابوري عمرو بن سلمة، صحب عبيد الله بن مهدي الأبيوردي، وكان أحد الأئمة والسادة، وتوفي سنة (270هـ) -وقيل بعده-.

انظر: طبقات الصوفية للسلمي، ترجمة (15)، (ص 103-109).

(6) انظر: الرسالة القشيرية، الباب الثاني والأربعون الفقر، (ص 455-456). طريق الهجرتين لابن القيم، (ج1/ 99).

بـه هـو الاسـتغناءُ بـه، فهمـا مُتلازِمـانِ؛ فهـو سُـؤالٌ فاسِـدٌ في نفسِـه[1].

وسُئِلَ عـن ذلـك محمـدُ بـنُ عبدِ الله فقـال: إذا صَـحَّ الافتقـارُ إلـى اللـه تعالـى فقـد صـحَّ الاستِغناء باللـه، وإذا صـحَّ الاسـتِغناءُ بالله؛ فقد كمُـلَ الغِنَى بـه، فـلا يُقـال: أيُّهمـا[2] أتـمُّ؟ لأنّهما حالَتـانِ لا تَتِـمُّ إحداهمـا إلّا بالأُخـرَى[3].

وقـال العلّامـة ابـنُ القيِّـم[4]: واتَّفَقـت كلِمـة الطّائفـةِ أنّ رُؤيـة الأعمـالِ حِجـابٌ بيـنَ اللـه وبيـنَ عبـدِه[5].

فرُؤيـة الأعمـالِ وتعلُّقُ العبدِ بمـا سِـوَى الله مَضرّة عليـه إذا أخَـذَ منـه القـدرَ الزّائِـدَ علَـى حاجَتِـه، فإنّـه إذا نـالَ مِـنَ الطّعـام والشّرابِ فـوقَ حاجَتِـه ضَـرَّه أو أهلكَـه، وكذلـك مِـنَ النِّـكاحِ واللِّبـاسِ، [12/ أ] ومَـن أحَـبَّ شـيئًا

---

(1) انظر بنحوه: مدارج السالكين؛ لابن القيم، (ج2/ 441-442).

(2) في صلب الأصل: (أيهم) والمثبت من حاشية النسخة الخطية، وقال معلقها: لعله أيهما، وهو الموافق أيضًا للمطبوع.

(3) انظر بنحوه: طريق الهجرتين لابن القيم، (ج1/ 97). مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ 442). وفي التعريف لمذهب أهل التصوف لمحمد بن أبي إسحاق الكلاباذي (ت: 380هـ)، الباب الثامن والثلاثون، (ص:67): «قال الكتانى إذا صح الافتقار إلى الله صح الغنى بالله لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بالآخر». وكذا في طبقات الطوفية للسلمي، (ص:285)، قال: «سمعت أبا الحسن القزويني يقول سمعت أبا بكر الكتاني يقول: -الأثر-». وحلية الأولياء لأبي نعيم (ج10/ 358) بسنده إلى أبي بكر الكناني قال: -الأثر-. والكتاني المذكور هنا هو: الزاهد أبوبكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني شيخ الصوفية المجاور بمكة، أخذ عن أبي سعيد الخراز... وصحب الجنيد، توفي سنة (322هـ). انظر: شذرات الذهب؛ لابن العماد الحنبلي، ط دار ابن كثير، (ج4/ 117). وفي الرسالة القشيرية (ص:454) بسنده قال: «سمعت محمد بن عبد الله الفراغاني يقول: سمعت الجنيد وقد سئل عن الافتقار إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أهو أتم أم الاستغناء بالله تعالى فقال: إذا صح الافتقار إلى الله عَزَّوَجَلَّ فقد صح الاستغناء بالله تعالى وإذا صح الاستغناء بالله تعالى كمل الغنى به فلا يقال أيهما أتم الافتقار أم الغنى لأنهما حالتان لا تتم إحداهما إلا بالأخرى».

(4) تقدمت ترجمته.

(5) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ 446).

حبًّا تامًّا فلا بدَّ أن يسأمَه أو يُفارقَه؛ كَما ورَد في الأثر: «أحبب مَن شِئتَ فإنّك مُفارِقُه، واعمَل ما شِئتَ فإنّه مُلاقيه، وكُن كما شِئتَ فَكما تَدينُ تُدانُ»[1].

فَصْلٌ

والفقرُ والمسكَنة هل هما صِفَتانِ مُترادِفَتانِ أم لا؟ فذَكَر العُلماءُ أنّه إذا وصَّى للفُقراءِ دخلَتِ المساكينُ، وكذلك إذا عكَسَ، وقالوا: وكذلك إذا وقَفَ علَى الفُقراءِ دخلَتِ المساكينُ[2].

---

(1) أخرجه: 1- أبو داود الطيالسي في مسنده، ط هجر، حديث (1862)، (ج3/ 313)؛ من طريق: الحسن بن أبي جعفر، عن أبي الزبير، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال جبريل ﷺ: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحب من أحببت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك لاقيه». 2- الطبراني في المعجم الأوسط: حديث (4278)، (ج4/ 306)؛ من طريق: عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني محمد بن حميد الرازي، قال: نا زافر بن سليمان، عن محمد بن عيينة، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ، فقال: «يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس». قال الطبراني: لم يَروِ هذا الحديث عن محمد بن عيينه إلا زفر، ومحمد بن عيينة أخو سفيان. وحديث (4845)، (ج5/ 119)؛ من طريق: عبد الوهاب بن رواحة، قال: نا أبو كريب، قال: نا حفص بن بشر الأسدي، قال: نا حسن بن حسين العلوي، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن محمد بن علي، عن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي، عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « قال لي جبريل: يا محمد، أحبَّ من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه، وعش ما شئت فإنك ميت»، وقال رسول الله ﷺ: «أوجز لي جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في الخطبة». 3- الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ط دار الكتب العلمية، كتاب الرقاق، حديث (7921/ 78)، (ج4/ 360-361)؛ من طريق: محمد بن سعيد المذكر الرازي، قال: ثنا أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم، ثنا عيسى بن صبيح، حدثنا زافر بن سليمان، عن محمد بن عيينة، عن أبي حازم -قال مرة: عن ابن عمر، وقال مرة عن سهل بن سعد- قال: «جاء جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى النبي ﷺ، فقال: «يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من أحببت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به» ثم قال: «يا محمد شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس». قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). ووافقه الذهبي.

(2) قال في الإنصاف: لو وقف على الفقراء، أو على المساكين فقط: جاز إعطاء الصنف الآخر =

وإنّما اختلَفوا في حال دفع الزّكاةِ إليهما أيُّهما أشَدُّ حاجة؟ فأحمد ومَن وافقَه علَى تقديم الفقيرِ علَى المِسكينِ[1]، وأبو حَنيفةَ علَى تقديم المِسكينِ علَى الفقيرِ[2]، وقد وقَعَ لفظُ الفُقراءِ والمساكينِ في مَواضِعَ مِنَ القُرآنِ.

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ[3]: الفرقُ بينَهما شِدّة الحاجة بَلهَ سؤاله فهو المِسكينُ، ومَن لم يُظهِر ذلك بَل تعَفَّفَ عنِ السُّؤالِ فهو الفقيرُ، وهذا الفرقُ هو قولُ أكثَرِ السّلَفِ[4].

وقال في موضِعٍ آخَرَ: وإذا أُفرِدَ بالذِّكر الفقيرُ وحدَه أوِ المِسكينُ وحدَه؛ كقولِه تعالى: ﴿إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ [المائدة: 89] فهما شيءٌ واحد، وإذا ذُكِرا جميعًا فهما صِنفانِ[5]، انتَهَى.

=على الصحيح من المذهب... وفيه وجه آخر: لا يجوز. ذكره القاضي... والوصية كالوقف في هذا. انظر: الإنصاف؛ للمرداوي، ط الشيخ علي، (ج7/ 99).

(1) قال في الإنصاف: الصحيح من المذهب أن الفقير أسوأ حالاً من المسكين، وعليه جماهير الأصحاب، وقطع به كثير منهم. وعنه عكسه، اختاره ثعلب اللغوي، وهو من الأصحاب، وصاحب الفائق. وقال الشيخ تقي الدين: الفقر والمسكنة صفتان لموصوف واحد. انظر: الإنصاف؛ للمرداوي، (ج3/ 217).

(2) قال في بدائع الصنائع: واختلف أهل التأويل واللغة في معنى الفقير والمسكين وفي أن أيهما أشد حاجة وأسوأ حالا، قال الحسن: الفقير الذي لا يسأل، والمسكين الذي يسأل، وهكذا ذكره الزهري. وكذا روى أبو يوسف عن أبي حنيفة وهو المروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهذا يدل على أن المسكين أحوج، وقال قتادة: الفقير الذي به زمانة وله حاجة، والمسكين المحتاج الذي لا زمانة به، وهذا يدل على أن الفقير أحوج، وقيل: الفقير الذي يملك شيئا يقوته، والمسكين الذي لا شيء له؛ سمي مسكينا لما أسكنته حاجته عن التحرك فلا يقدر يبرح عن مكانه، وهذا أشبه الأقاويل. انظر: بدائع الصنائع؛ لعلاء الدين الكاساني، ط دار الكتب العلمة، (ج2/ 43).

(3) تقدمت ترجمته. (4) لم أقف على موضع النقل من كلام شيخ الإسلام.

(5) قال شيخ الإسلام في رسالة العبودية، (ص:73-74): «وتارة تتنوع دلالة الاسم بحال الانفراد والاقتران، فإذا أفرد عم، وإذا قرن بغيره خص؛ كاسم الفقير والمسكين لما أفرد أحدهما في مثل: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وقوله: ﴿إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ دخل فيه الآخر، ولما قرن بينهما في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ صارا نوعين».

والمقصودُ: الكلامُ علَى ما وقَعَ في السُّنّة من قولِه ﷺ: «اللهم أحيِني مِسكينًا وأمِتني مِسكينًا واحشُرني في زُمرة[1] المساكينِ»[2]، وفي حديثٍ آخرَ: [«اللهم إنّي أعوذُ بكَ من الفقرِ والفاقة»[3]][4].

(1) الزمرة: الجماعة من الناس، والجمع زمر. انظر: جمهرة اللغة؛ لابن دريد، ط دار العلم للملايين، (ج2/ 710).

(2) أخرجه: 1- الترمذي في جامعه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون قبل أغنيائهم الجنة، حديث (2511)؛ من طريق: عبد الأعلى بن واصل الكوفي، قال: حدثنا ثابت بن محمد العابد الكوفي، قال: حدثنا الحارث بن النعمان الليثي، عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال -الحديث- وتمامه: («في زمرة المساكين يوم القيامة» فقالت عائشة: لم يا رسول الله؟ قال: «إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا، يا عائشة، لا تردي المسكين ولو بشق تمرة، يا عائشة، حبي المساكين وقربيهم؛ فإن الله يقربك يوم القيامة»)، قال الترمذي: هذا حديث غريب. 2- ابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، باب مجالسة الفقراء، حديث (4126)؛ من طريق: أبو بكر بن أبي شيبة، وعبد الله بن سعيد، قالا: حدثنا أبو خالد الأحمر، عن يزيد بن سنان، عن أبي المبارك، عن عطاء، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (أحبوا المساكين، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في دعائه -الحديث-).

(3) أخرجه: 1- أبو داود في سننه، كتاب الوتر، باب في الاستعاذة، حديث (1544)؛ من طريق: حماد بن سلمة، قال: أخبرنا إسحاق بن عبد الله، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة، وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم». 2- النسائي في سننه، كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من الذلة: حديث (5460)؛ من نفس طريق أبي داود بلفظ: «اللهم إني أعوذ بك من الفقر، وأعوذ بك من القلة والذلة، وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم». حديث (5462)؛ من نفس طريق أبي داود بلفظ: «اللهم إني أعوذ بك من القلة والفقر والذلة، وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم». 3- أحمد في مسنده، حديث (8053) و(8311) و(8643) بنفس طريق ولفظ أبي داود. 4- ابن حبان في صحيحه، ط الأوقاف، ذكر ما يستحب للمرء أن يتعوذ بالله جَلَّ وَعَلَا من أن يظلم أو يظلمه أحد، حديث (6762)؛ من نفس طريق أبي داود بلفظ: «اللهم إني أعوذ بك من الفقر والفاقة، وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم». 5- الحاكم في مستدركه، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، حديث (1983/ 183)؛ بنفس طريق ولفظ أبي داود. قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه). ووافقه الذهبي.

(4) طمس في المخطوط، والمثبت من المصادر الحديثية.

فَفي الأوَّلِ: طلَبَ المسكنة[1]، وفي الثّاني: استعاذَ مِنَ الفقرِ[2].

والجوابُ عنِ الحديثِ الأوَّلِ[3]: أنّ المسكنة في هذا الحديثِ ليسَ المُرادُ بها فقرَ المالِ بَل مسكَنة القلبِ؛ وهيَ انكسارُه وذُلُّه وخُشوعُه وتَواضعُه لله، وهذه المسكنة لا تُنافي الغِنَى ولا يُشترَطُ لها الفقرُ، فإنّ انكِسارَ القلبِ لله ومسكَنَته لِعظَمته وجَلالِه وكِبريائِه أفضَلُ وأعلى من مسكنة المالِ.

ويُحتمَلُ أيضًا -والله أعلَمُ- أنّ المُرادَ فقرُ المالِ معَ انضِمام مسكنة القلبِ وانكِسارِه، ولِهذا رَوى الإمامُ أحمد في «الزُّهد» قال: كان داودُ النّبيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يدخُلُ المسجِدَ، فينظُرُ أغمَصَ[4] خَلقِه من بَني إسرائيلَ، فيَجلِسُ إليهم، ثُمّ يَقولُ: مِسكينٌ بَين ظَهرانيِّ مَساكين[5].

---

(1) قال الزمخشري في الفائق في غريب الحديث، ط البابى الحلبي (ج2/ 189): أراد التواضع والإخبات، وألا يكون من الجبارين.

(2) قال الإمام البيهقي في السنن الكبرى، (ج7/ 19): قد روي في حديث شيبان، عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ أنه استعاذ من المسكنة والفقر، فلا يجوز أن يكون استعاذته من الحال التي شرفها في أخبار كثيرة، ولا من الحال التي سأل أن يحيى ويمات عليها، ولا يجوز أن يكون مسألته مخالفة لما مات ﷺ عليه، فقد مات مكفيا بما أفاء الله تعالى عليه، ووجه هذه الأحاديث عندي، والله أعلم؛ أنه استعاذ من فتنته الفقر والمسكنة اللذين يرجع معناهما إلى القلة كما استعاذ من فتنة الغنى.

(3) قال ابن عبدالبر في الإستذكار، (ج2/ 540): والمسكين ها هنا المتواضع كله الذي لا جبروت فيه ولا كبر، الهين اللين السهل القريب، وليس بالسائل؛ لأن رسول الله ﷺ قد كره السؤال ونهى عنه وحرمه على من يجد ما يغديه ويعشيه.

(4) يعني: أحقرهم شأنًا، يقال: غمِصَ النّاسَ؛ أي: احتقرهم، ولم يرهم شيئًا. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر؛ لابن الأثير (ج3/ 386). الصحاح؛ للجوهري (3/ 1047) (غمص).

(5) رواه: الإمام أحمد بسنده في كتاب الزهد، (ص:62) إلى أبي السليل -الحديث-. أبو عبيد القاسم بن سلام في الخطب والمواعظ (ص:147).

وسُئِل شيخُ الإسلام[1] عن هذا الحديثِ فقال: قد ذكَرَه ابنُ الجوزيِّ[2] في «الموضوعاتِ»[3] وقد رواه الترمذيُّ[4]، والمُرادُ: المِسكينُ المحمودُ المُتواضِعُ الخاشِعُ لله؛ ليسَ المُرادُ بالمسكَنة عدمَ المالِ، بَل قد يكونُ فقيرًا وهو جبّارٌ؛ كما قال النّبيُّ ﷺ في الحديثِ الصّحيح: «ثَلاثة لا يُكَلِّمُهمُ الله ولا يَنظُرُ إليهم يومَ القيامة ولا يُزَكّيهم ولَهم عَذابٌ أليمٌ: مَلِكٌ كَذّابٌ، وفَقيرٌ مُختالٌ، وشَيخٌ زانٍ»[5]، وكان ﷺ يقولُ: «إنّما أنا عبد آكُلُ كما يَأكُلُ العبدَ، وأجلِسُ كما يَجلِسُ العبدُ»[6]، فالمسكَنة خُلُقٌ في

---

(1) تقدمت ترجمته. (2) تقدمت ترجمته.

(3) راجع: الموضوعات لابن الجوزي، ت عبدالرحمن محمد عثمان، (ج3/ 141-142).

(4) هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الحافظ، العلم، الإمام، البارع، ابن عيسى السلمي الترمذي الضرير، مصنف «الجامع»، وكتاب «العلل»، وغير ذلك، ولد في حدود سنة (210هـ)، وارتحل، فسمع بخراسان والعراق والحرمين، ولم يرحل إلى مصر والشام، قال الحاكم: (سمعت عمر بن علك يقول: مات البخاري، فلم يخلف بخراسان مثل أبي عيسى، في العلم والحفظ، والورع والزهد)، توفي سنة (279هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج13/ 270-277)

(5) رواه مسلم في صحيحه، حديث (172-«107»)، بلفظ: «وعائل مستكبر» بدل: «وفقير مختال». قال الوزير ابن هبيرة في الإفصاح عن معاني الصحاح، ط دار الوطن للنشر (ج8/ 127-128): في هذا الحديث من الفقه: أن الفواحش قد تغلظ في صورة معينة؛ كما أن الزنا من كل أحد قبيح، ولكنه من الشيخ الذي قد ضعفت قوته وعدمت أو كادت شهوته، أقبح. والكذب من كل أحد قبيح، إلا أنه من الملك الذي لا يخاف إذا صدق ولا يبالي بأحد إذا هو صدع بالحق، أقبح، وكذلك الكبر من كل أحد قبيح، إلا أنه من العائل، أي: الفقير الذي ليس من أحواله ما يناسب الكبر، أقبح، فكانت هذه المعاصي في حق هؤلاء أغلظ منها في حق غيرهم، لهذه المعاني التي بيناها.

(6) أخرجه: 1- أبويعلى الموصلي في مسنده، (ج8/ 318)؛ من طريق: محمد بن بكار، قال: حدثنا أبو معشر، عن سعيد، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة لو شئت لسارت معي جبال الذهب. جاءني ملك إن حجزته لتساوي الكعبة فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام، ويقول لك: إن شئت نبيا عبدا، وإن شئت نبيا ملكا. قال: فنظرت إلى جبريل قال: فأشار إلي أن ضع نفسك قال: فقلت: نبيا عبدا». قال: فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك لا يأكل=

النّفسِ وهو التّواضُعُ، والخُشوعُ واللّينُ ضِدُّ التّجبُّرِ والتّكبُّرِ، مأخوذٌ مِنَ السُّكونِ؛ كما قال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم: 32][1]، انتهى كَلامُه.

وأمّا الحديثُ الثّاني: فإنّه ﷺ استعاذَ من تكبُّرِ الفقيرِ؛ وهو أن يكونَ جبّارًا في فقره عائِلًا مُستكبرًا، مُلِحًّا في سُؤالِه، يَتكلَّمُ بالكلام السّيءِ، ويأكُلُ أموالَ النّاسِ بالباطِلِ، وقد حكَى بعضُ العُلماءِ أنّ الفقرَ المُستعاذَ منه فقرُ القلبِ؛ كما قال ﷺ: «**ليس الغِنَى عن كَثرة العرَضِ[2] إنّما الغِنَى غِنَى النّفسِ**»[3]، والله أعلَمُ.

وَقيلَ: إنّما استعاذَ مِنَ الفقرِ خَشيَ من قِلّة [الصّبرِ] علَى الإقلالِ [والتسخط] علَى مَقاديرِ [الله][4].

=متكئا يقول: «آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد». 2- البيهقي في شعب الإيمان، (ج8/ 116)، حديث (5572)؛ من طريق: أبو الحسين بن بشران، قال: أنا إسماعيل الصفار، ثنا الرمادي، ثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن يحيى بن أبي كثير، أن رسول الله ﷺ قال: «آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد فإنما أنا عبد». قال البيهقي: قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: « وقد عد القاضي أبو العباس رَحِمَهُ اللَّهُ: ترك النبي ﷺ الأكل متكئا من خصائصه ويحتمل أن يكون المختار لغيره أيضا أن يترك لأنه من فعل المتعظمين وأصله مأخوذ عن الأعاجم فإن كانت برجل علة في شيء من بدنه وكان لا يتمكن مما بين يديه إلا متكئا لم يكن في ذلك كراهية.

(1) انظر: مجموع الفتاوى؛ لشيخ الإسلام، جمع وترتيب/ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد، (ج18/ 326).

(2) العرَض بالتحريك: متاع الدنيا، وحطامها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة: (عرض)، (ج6/ 2719).

(3) متفق عليه: صحيح البخاري، باب ما جاء في الرقائق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب الغنى غنى النفس، حديث (6446)، بلفظ: «...ولكن الغنى غنى النفس». صحيح مسلم، حديث (120-«1051») بلفظ البخاري.

(4) قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري، (ج10/ 119): كذلك فتنة الفقر يخشى منها قلة الصبر على الإقلال والتسخط له. ما بين المعقوفات غير واضح في المخطوط، وما وضعته اجتهاد مِنّي لإتمام الجملة من خلال عبارة ابن بطال.

فَصْلٌ

وأمّا التّصوفُ فهو اسمٌ محدثٌ، ولم يُعرف له ذِكرٌ لا في الكتابِ ولا في السُّنّة، وإنّما كان الصّدرُ الأوّلُ مِنَ السّلفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُسمّونَ أهل العلمِ والدّينِ والصّلاحِ القُرّاءَ، فيدخلُ فيهمُ العُلماءُ والنُّساكُ، ثُمّ حدَثَ بعدَ ذلك اسمُ الصّوفيّة[1]، وهو نِسبةٌ إلى لِباسِ الصّوفِ هذا هو الصّحيحُ مِنَ الأقوالِ[2]، وقيل: نِسبة إلى صوفةِ القفا[3]، وقيل: إلى قبيلةٍ من العرَبِ يُقال لهم: بَني صوفة[4]، كانوا يُعرفون بالنُّسك، وقيل: هو نِسبةٌ إلى أهلِ الصُّفّة، وقيل: إلى أهلِ الصّفا، وقيل: إلى الصّفوةِ، وقيل: إلى الصّفّ المُقدَّم بين يدي اللهِ[5].

---

(1) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى، (ج11/ 5): (لفظ «الصوفية»، فإنه لم يكن مشهورًا في القرون الثلاثة، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك...).

(2) قال ابن العربي المالكي في أحكام القرآن (ج3/ 117-118) عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾: في هذا دليل على لباس الصوف، فهو أولى ذلك وأولاه، فإنه شعار المتقين، ولباس الصالحين، وشارة الصحابة والتابعين، واختيار الزهاد والعارفين... وإليه نسب جماعة من الناس الصوفية، لأنه لباسهم في الغالب، فالياء للنسب، والهاء للتأنيث. وهو أيضًا ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ت عبدالقادر الأرناؤوط، (ص:52).

(3) وهي الشعرات النابتة في مؤخره كأن الصوفي عطف به إلى الحق وصرفه عَن الخلق، انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي، ط دار القلم، في ذكر تلبيسه على الصوفية في جملة العباد، (ص: 157).

(4) بنو صوفة: بطن من طابخة من العدنانية، وهم بنو الغوث بن مر بن أد بن طابخة... قال الجوهري: كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويفيضون بالحجاج يعني من مزدلفة إلى منى فلا يجوز أحد حتى يجوزوا. انظر: نهاية الأرب للقلقشندي، (ص:317).

(5) اختلف العلماء قديماً في أصل هذه النسبة، راجع: 1- حلية الأولياء لأبي نعيم، (ج1/ 17). 2- الرسالة القشيرية، باب التصوف، (ص: 464)، ثم ختم النقل بقول: «ثم إن هذه الطائفة أشهر من يحتاج في تعيينهم إلى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق». 3- الأنساب للسمعاني، ت محمد عوامة، باب الصاد والواو، (ج8/ 108).

وهذه أقوالٌ ضَعيفةٌ، فإنّه لو كان كذلك لَقيل: صِفّيٌ[1] أو صِفائيٌّ أو صِفَويٌّ[2]، ولم يقُل: صوفيٌّ، فصحَّ بذلك أنّه نسبةٌ إلى لِباسِ الصّوفِ[3] كما سنذكُره، وما ثبَت في «التِّرمذيِّ» من حديث عبدِ الله بنِ الحارثِ، عنِ ابنِ مسعودٍ عنِ النّبي ﷺ قال: «كان علَى موسَى يومَ كلَّمَه ربُّه كِساءُ صوفٌ، وجُبّة صوفٌ، وكُمّة[4] صوفٌ، وسَراويلُ صوفٌ، وكانت نَعلاه من جِلدِ حِمارٍ مَيّتٍ»[5].

ورَوى أيضًا التِّرمذيُّ عن أبي بُردة قال: أخرَجَت إلَينا عائشةُ كِساءً مُلبَّدًا[6]، وإزارًا غَليظًا فقالت: قُبِضَ رَسولُ الله ﷺ في هَذَينِ[7].

---

(1) قال ابن مالك في شرح الكافية الشافية، ت عبدالمنعم أحمد، (ج4/ 1957): وإذا نسب إلى المحذوف الفاء الصحيح اللام كـ«صِفة» لم يُرَدَّ إليه المحذوف، فيقال في النسب إلى «صِفة» و«عِدة»: «صِفيّ» و«عِدي».

(2) قالوا: «صفاة»، و«صفي»، فـ«صفي» «فعول»، وأصله «صفوي». وإنما قلبوا الواو ياء لوقوعها ساكنة مع الياء. انظر: شرح المفصل؛ لابن يعيش، ط المنيرية، (ج5/ 22)

(3) راجع كلام شيخ الإسلام في مجموع الفتاوي، (ج11/ 7-8).

(4) فسرَّها الترمذي في جامعه بقوله: «والكُمّة: القلنسوة الصغيرة». وفي حاشية الأصل بنفس خط المصنف: الكمة: بالكسر: القلنسوة.

(5) رواه الترمذي في سننه، أبواب اللباس عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في لبس الصّوف، حديث (1832)؛ من طريق: علي بن حجر قال: حدثنا خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «كان على موسى يوم كلمه ربه كساء صوف، وجبة صوف، وكمة صوف، وسراويل صوف، وكان نعلاه من جلد حمار ميت». قال أبوعيسى الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حُمَيدِ الأعرَجِ، هو: ابنُ علي الأعرَجِ منكر الحديث.

(6) أي: مرقّعًا، يقال: لبدت القميص ألبده ولبّدته. انظر: النهاية في غير الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (لبد)، (ج8/ 3723).

(7) رواه الترمذي في سننه، أبواب اللباس عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في لبس الصّوف، حديث (1831). قال الترمذي: وحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حديث حسن صحيح.

وعن أبي أُمامة قال: قال رَسولُ الله ﷺ: «عَلَيكم بلِباسِ الصّوفِ تَجِدوا حَلاوة الإيمانِ في قُلوبِكُم» رَواه الحاكِمُ[1].

وعن هَرِمِ بنِ حَيّانَ العبديِّ[2]، قال: قدمتُ الكوفة[3]، فلم يَكُن لي هَمٌّ إلا أُوَيسٌ القرنيُّ[4] أطلُبُه وأسألُ عنه، حتّى سَقطتُ عليه جالِسًا؛ فإذا رَجُلٌ لَحِمٌ، أدَمُ، شَديدُ الأدَمة[5]، عليه إزارٌ من صوفٍ، ورِداءٌ من صوفٍ... وذكرَ الحديثَ. رواه الحاكِمُ[6]، وقال: علَى شرطِ البُخاريِّ.

(1) رواه: 1- الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، حديث (77/ 77)، (ج1/ 81)؛ من طريق: محمد بن يونس، قال: ثنا عبد الله بن داود التمار، عن إسماعيل بن عياش، عن ثور، عن خالد، عن أبي أمامة الباهلي، قال: قال رسول الله ﷺ ... الحديث. 2- البيهقي في شعب الإيمان، ط مكتبة الرشد، الأربعون من شعب الإيمان، (ج8/ 232)؛ من نفس طريق الحاكم.

الحكم على الحديث: قال الذهبي تعليقًا على رواية الحاكم: ساقه من طريق ضعيف، وسقط نصف السند من النسخة. انظر: المستدرك للحاكم، (ج1/ 81). قال الأمير الصنعاني: قال الزين العراقي: فيه محمد بن يونس وقد ضعفوه، وقال غيره: فيه عبد الله بن داود التمار ضعفوه، وإسماعيل بن عياش فيه مقال، وثور بن يزيد قدري. انظر: التنوير شرح الجامع الصغير للأمير الصنعاني، ت: محمد إسحاق إبراهيم، حديث (5556)، (ج7/ 321).

(2) هو هرم بن حيان العبدي ويقال: الأزدي، البصري، أحد العابدين، حدث عن: عمر. روى عنه: الحسن البصري، وغيره، ولي بعض الحروب في أيام عمر، وعثمان ببلاد فارس، قال ابن سعد: (كان عاملا لعمر، وكان ثقة، له فضل وعبادة). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج4/ 48-50). وقال ابن حبان في الثقات، (ج5/ 513): مات في غزوة له لم يعلم وقته.

(3) الكوفة: بالضم: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق...وأما تمصيرها وأوليته فكانت في أيام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في السنة التي مصرت فيها البصرة؛ وهي سنة 17هـ. انظر: معجم البلدان للحموي، (ج4/ 490-494).

(4) هو أويس القرني أبو عمرو بن عامر بن جزء بن مالك المرادي، هو القدوة، الزاهد، سيد التابعين في زمانه، وفد على عمر، وروى قليلا عنه، وعن علي، وقد كان من أولياء الله المتقين، ومن عباده المخلصين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج4/ 19-20).

(5) قال الأزهري في تهذيب اللغة، مادة (أدم)، (ج14/ 214): الأدمة في الناس شربة من سواد.

(6) أخرجه: 1- الحاكم في مستدركه ذكر مناقب أويس (ج3/ 459) حديث (5726). =

وقال بعضُ أربابِ السُّلوكِ: التّصوُّفُ: علوُّ الهِمَمِ عمّا تنافسَت فيه الأُمَمُ؛ مخافة أن تزِلَّ القدَمُ، والزُّهدُ فيما أحَلَّ اللهُ لا فيما حرَّمَ.

وقال معروفٌ الكرخيُّ(1): التّصوُّفُ الأخذُ بالحقائِقِ، والكلامُ في الدّقائِقِ، والإياسُ فيما في أيدي الخلائِقِ(2). وقال الجُنَيدُ(3): التّصوُّفُ: تركُ الاختيارِ(4).

وقال الإمامُ أحمد -وقد سألَه شخصٌ عَنِ الصّوفيّة- فقال: يا أبا عبدِ الله! إنّ هؤلاءِ الصّوفيّة جلَسوا في المساجِدِ علَى التّوكُّلِ بغيرِ علمٍ؟! [13/أ] فقال أحمدُ: العِلمُ أقعدَهم في المساجِدِ(5).

= 2- العزلة والانفراد؛ لابن أبي الدنيا (ص: 108)، حديث (109). 3- أبو نعيم في الحلية (ج2/ 84- 85) من طريق سليمان التيمي، عن أسلم العجلي، عن الضحاك الجرمي، به. وقال: «رواه يوسف بن عطية الصفار التيمي مثله، وقال الضحاك الجرمي، قال: سمعت هرم بن حيان يقول: خرجت من البصرة في طلب أويس القرني، فقدمت الكوفة... -فذكر نحوه-، وروه أبو عصمة عن هرم بن حيان نحوه». 4- عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد (345) عمن سمع سيف بن هارون البرجمي، به. 5- ابن سعد في الطبقات الكبرى (ج7/ 131- 132) مختصرًا، عن الفضل بن دكين، ثنا سيف بن هارون به. وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (ج4/ 29) بعد أن أورد هذه القصة مختصرة: «لم تصحَّ، وفيها ما ينكر».

(1) هو معروف الكرخي أبو محفوظ البغدادي علم الزهاد، بركة العصر، ذكر معروف عند الإمام أحمد، فقيل: قصير العلم، فقال: (أمسك، وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف)، مات سنة (200هـ)، وقيل (204هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج9/ 339-345).

(2) انظر: الرسالة القشيرية، باب التصوف، (ص: 466)، بلفظ: «التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق». - التعريفات؛ للإمام الجرجاني، (ص: 64)، مادة (485)، بلفظه دون الإشارة لقائله.

(3) تقدمت ترجمته.

(4) انظر: التعريف لمذهب أهل التوصف؛ لمحمد بن إسحاق الكلاباذي، (ص: 72)، بلفظ: «قال الجنيد: الرضا ترك الاختيار». والفتوة؛ للسُّلمي، (ص: 40)، بلفظ: «... سمعت الجنيد رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: العبودية ترك الاختيار وملازمة الذلة والافتقار». والتعريفات؛ للجرجاني، (ص: 64)، مادة (485)، بلفظه دون الإشارة لقائله.

(5) انظر: كتاب تهذيب الأسرار؛ لعبد الملك بن محمد الخركوشي، (ص:26).

وقـال بعـضُ السّـلفِ: الصّوفـيُّ الصّـادِقُ لـه علامـة، والـكاذِبُ لـه علامـة، فعلامـةُ الصّـادِق: أن يَـذِلَّ بعـدِ العزِّ، وأن يفتقِـرَ بعـدَ الغِنَـى، وأن يسـتخفيَ بعـدَ الظُّهـور، وعلامـةُ الـكاذِبِ بخـلافِ ذلـك[1].

ونُقـل عـنِ الجنَيـدِ[2] أنّـه قـال: إذا رأيـتَ الصّوفيَّ -يعني بظاهِـرِه- فاعلَم أنّ باطِنَـه خـرابٌ[3]. وقـال أبـو عُثمـانَ: التّصـوُّفُ: طـرحُ النّفـسِ فـي العُبوديّة، وتعلُّـقُ القلـبِ بالرُّبوبيّـة، واسـتعمالُ الأخـلاقِ السّـنيّة، والنّظَـرُ إلـى اللـه بالكُليّـة[4]. وقـال سَـهلُ بـنُ عبـدِ اللـه التُّستريُّ[5]: التّصـوُّفُ: قِلّـة الغِـذاء، والسُّـكونُ مـعَ الحـقِّ، والهـرَبُ مِـنَ الخلـقِ. وقـال أبـو الحُسـينِ النّـوريُّ[6]: التّصـوُّفُ: هـو تـركُ كُلِّ حـظٍّ للنّفسِ[7]. وقيـل: التّصـوُّفُ: خُلـوُّ الأيـدي مِـنَ الأمـوالِ، وصفـاءُ النُّفـوسِ مِـنَ الآمـالِ، ومُراعـاةُ الحـقِّ علَـى كُلِّ حـالٍ. فهـذه صفـةُ القـوم، وفّقنـا اللـه وإيّاكُـم لِسُلوكِ هـذه الطّرائـق. فـإن قيـلَ: مـا الفـرقُ بيـنَ الفقـرِ والتّصـوُّفِ؟ يُقـالُ: بينَهمـا فـرقٌ مـن وجهَيـنِ:

أحدِهمـا: أنّ التّصـوُّفَ هـو فـي الظّاهـرِ رُسـومٌ وإراداتٌ وهيئـاتٌ، فهـو عالـم ترتيـبِ الظّاهـرِ وتهذيـبِ النُّفـوسِ.

---

(1) المصـدر السـابق؛ «عـن ابـن حمـزة أنـه سُئِلَ عـن التصـوف فقـال: الصـوفي الصـادق لـه علامـة...». (2) تقدمت ترجمته.

(3) انظر: الرسالة القشيرية، باب التصوف، (ص:466)، بلفظه.

(4) انظر: طبقات الشافعية الكبرى؛ للسبكي (ج5/ 307). (5) تقدمت ترجمته.

(6) هـو أبـو الحسين النوري؛ أحمد بن محمد الخراساني البغوي، الزاهد، شيخ الطائفة بالعراق، وأحذقهم بلطائف الحقائق، ولـه عبارات دقيقة يتعلق بها مـن انحرف مـن الصوفيـة - نسأل الله العفـو -، صحـب السـري السـقطي، وغيره، وكان الجنيـد يعظمـه، لكنـه في الآخـر رق لـه وعـذره، لمـا فسـد دماغـه، ولمـا مـات النـوري قـال الجنيد: ذهـب نصف العلـم بموتـه، تـوفي سنة (295هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج14/ 70-77).

(7) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف؛ للكلاباذي، (ص: 9). الرسالة القشيرية، (ص:83).

الثّاني: أنّ الفقرَ واقِفٌ علَى قدم فقره، عاكِفٌ علَى التّمييز بين شُكره وصَبره، فالفقرُ مندَرِجٌ في التّصوُّفِ؛ لأنّ التّصوُّفَ في الباطِنِ مُشارِكٌ للفقيرِ في أكثر المعاني، إلّا أنّ التّصوُّفَ إذا وصَلَ إلى مقامِ الفقرِ ترقّى عنه، وأخَذَ في السّيرِ إلى منازِلِ المقاماتِ.

قال الشّافِعيُّ: صحِبتُ الصّوفيّة فما انتفعتُ من كلامِهم إلّا ثلاثَ كلِماتٍ، سمِعتُهم يقولونَ: الوقتُ سيفٌ فإن قطَعتَه وإلّا قطعَكَ، ونفسُكَ إن لَم تُشغلها بالحقِّ شغَلتكَ بالباطِلِ، والعدَمُ عِصمة[1].

وهذا -واللهِ- كلامٌ حسَنٌ صحيحٌ فإنّ مَن لم يُشغل نفسَه في أوقاتِه بما ينفعُه، وإلّا شغَلته بما يضُرُّه لا سيّما إذا كان الفراغُ مَع جِدةِ الشّبابِ[2]، وتلكَ الجِدةُ؛ كما قيلَ [من الرجز]:

إنّ الشّبابَ والفراغَ والجِده   مَفسَدة لِلمَرءِ أيُّ مَفسَده[3]

وقد تنازَعَ النّاسُ أيُّما أفضَلُ: مُسمَّى الفقير، أو مُسمَّى الصّوفي؟[4] على

(1) انظر: مناقب الشافعي؛ للبيهقي، (ج2/ 208). بلفظ: «صحبت الصوفية عشر سنين ما استفدت منهم إلا هذين الحرفين: الوقت سيف، ومن العصمة أن لا تقدر». تلبيس إبليس؛ لابن الجوزي، ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في كلامهم في العلم، (ص: 330). مدراج السالكين؛ لابن القيم، (ج3/ 129) بدون: «...والعدم عصمة».

(2) أي عظمة الشباب، قال ابن فارس في مقاييس اللغة (ج1/ 406): (جد) الجيم والدال أصول ثلاثة: الأول العظمة... ويقال جد الرجل في عيني أي عظم. قال أنس بن مالك: «كان الرجل إذا قرأ سورة البقرة وآل عمران جد فينا»، أي عظم في صدورنا.

(3) البيت لأبي العتاهية في: ديوانه (ص:495)، وفيه: «مفسدة للعقل أي مفسدة». والتمثيل والمحاضرة؛ لأبي منصور الثعالبي، (ص: 76)، بلفظه. نهاية الأرب في فنون الأدب؛ لشهاب الدين النويري، (ج3/ 76)، بلفظ: «مفسدة للدين أي مفسدة».

(4) قال الهيتمي في الفتاوى الحديثية، (ص:329): والحق أن بينهما فرقا لأن الفقير متمسك بفقره مؤثر له على الغنى لعلمه بفضائله... والصوفي يترك الأشياء لا للأعواض الموعودة بل للأحوال الموجودة فإنه ابن وقته، وأيضا الفقير ترك الحظ العاجل اختيار أمنه، وإرادة الاختيار والإرادة علة في حال الصوفي، لأن الصوفي صار قائما في الأشياء بإرادة الله تعالى لا بإرادة نفسه... =

قولَينِ؛ وصارَ أيضًا اسمُ الفُقراءِ يُعنَى به أهلَ السُّلوكِ، وأهلُ التَّصوُّف يُسمّون العارفين[1]، لكن طريقة التَّصوُّفِ والفقرِ مبنيَّة علَى هذه الَّتي قدَّمتها لكَ قواعِدُ شرعيّة فلَم يُحرِّرها غالِبُ أهلِ زمانِنا، ولا اعتنَوا بها، بل قد يُقال: ولا سَمِعوها، بل تلقَّوا بعضَ رُسوم اصطلاحيّة ظنّوا أنّها المقصودُ الأكبَرُ فتاهوا وضاعوا ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ﴾ ... الآية [التوبة: 109][2]. والأساسُ ما جاءَ عن الله وعن رسولِه أوِ استنباطٍ صحيح يُؤخذ ممَّن خافَ اللهَ ورسولَه؛ لأنَّ طريقَ الآخِرةِ منوطٌ بالكتابِ والسُّنّة وفَّقنا الله لِذلك.

[قال شَيخُ الإسلام: الفقيرُ في عُرفهِم: عِبارةٌ عنِ السّالك إلى الله تعالى، كما هو الصّوفيّ في عُرفهم أيضًا، ثُمّ منهم مَن يُرَجِّحُ مُسمَّى الصّوفي علَى مُسمَّى الفقيرِ][3]؛ لأنَّه عنده الّذي قامَ بالباطِنِ والظّاهرِ، ومنهم [مَن][4] يُرجِّحُ مُسمَّى الفقيرِ؛ لأنّه عندَهم هو الّذي قطَعَ العلائِقَ ولَم يتقيَّد[5] في الظّاهرِ بغيرِ الأُمورِ الواجبة، وهذه مُنازعاتٌ لفظيّة اصطلاحيّة.

والتّحقيقُ: أنّ المرادَ المحمودَ بهذينِ الاسمينِ داخِلٌ في مُسمَّى الصِّدّيقِ والوليِّ[6] والصّالحِ ونحوِ ذلك مِنَ الأسماءِ الّتي جاءَ بها الكِتابُ

= والحاصل: أن محاسن الزاهد بعض محاسن الفقير، ومحاسن الفقير بعض محاسن الصوفي.

(1) راجع: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (ج11/ 70) و(ج11/ 195).

(2) وتتمتها قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

(3) ما بين المعكوفين مطموس بالأصل، والمثبت من (مجموع الفتاوى)، والسياق يقتضيها.

(4) الزيادة من (مجموع الفتاوى)، والسياق يقتضيها.

(5) في نسخة مجموع الفتاوى المطبوعة: يشتغل.

(6) الولي: هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن المواظب على الطاعات، المجتنب عن المعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات. انظر: التعريفات للجرجاني، (ص: 249).=

والسُّنّة، فمَن حيثُ دخَلَ في الأسماءِ النّبويّة يترتّبُ عليه مِنَ الحكم ما جاءت به الرِّسالة، [...][1] وأمّا ما يقترنُ بذلك مِنَ الأُمورِ المكروهةِ في دينِ الله من أنواعِ البِدعِ والفجورِ فيَجبُ النّهيُ عنه كما جاءت به الشّريعة[2]. وذكَر كلامًا طويلًا فيما يتعلّقُ بالفقير والصّوفيِّ مِنَ الأُمورِ المُباحة والمُستحبّة من أمرِ الدّينِ أوِ الدّنيا فيه طولٌ، والله أعلَمُ.

فَصْلٌ

[13/ ب] قال الجُنيدُ[3]: إذا أرادَ الله بالمُريدِ خيرًا؛ أوقَعه إلى الصّوفيّة، ومَنَعه صُحبةَ القُرّاءِ[4]، نقلَه عنه جماعة من تُبّاعِه[5].

وهذا كلامٌ مُجمَلٌ يحتاجُ إلى بيانٍ، وقد ذكرنا أنّ القُرّاءَ في لِسانِ السّلفِ هم أهلُ التّنسُّكِ والتّعبُّدِ سواءٌ كانوا يقرؤون القرآنَ أو لا، فالقارئُ عندَهم: هو كثيرُ التّعبُّدِ والتّنسُّكِ الّذي قصَر همَّتَه علَى ظاهرِ العِبادة دونَ أرواحِ المعارفِ، ودونَ حقائقِ الإيمانِ، وروحِ المحبّة، وأعمالِ القلوبِ، فهِمَّتُهم كلُّها إلى العِبادة، ولا خبرة لهم بما عندَ أهل التصوُّفِ وأربابِ القلوبِ وأهل المعارفِ، فسَيرُ هؤلاءِ بالقُلوبِ والأرواحِ، وسيرُ أولئِكَ بمُجرَّدِ الأشباحِ[6]

=الصديق: هو الذي لم يدع شيئًا أظهره باللسان إلا حققه بقلبه وعمله. انظر: التعريفات للجرجاني، (ص:135).

(1) في مجموع الفتاوى زيادة: (وأما ما تميز به مما يعده صاحبه فضلا وليس بفضل أو مما يوالي عليه صاحبه غيره ونحو ذلك من الأمور التي يترتب عليها زيادة الدرجة في الدين والدنيا فهي أمور مهدرة في الشريعة إلا إذا جعلت من المباحات كالصناعات فهذا لا بأس به بشرط ألا يعتقد أن تلك المباحات من الأمور المستحبات).

(2) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، (ج11/ 70).

(3) تقدمت ترجمته.

(4) انظر: مدارج السالكين؛ لابن القيم، (ج2/ 366).

(5) في لسان العرب (1/ 416) (تبع): التابع: التالي، والجمع: تُبَّع وتُبّاع وتبعة.

(6) شبح: الشين والباء والحاء أصل صحيح يدل على امتداد الشيء في عرض. من ذلك=

والقوالبِ، وبينَ أرواحِ هؤلاءِ وقلوبِهِم، وأرواحِ هؤلاءِ وقُلوبهم نوعُ تناكُرٍ وتنافُرٍ؛ وهو من جنسِ ما بينَهم وبينَ ظاهريّة الفُقهاءِ مِنَ التّنافُرِ، ويُسمّونَهم أصحابَ الرُّسومِ، ويُسمّونَ أولئِكَ: القُرّاءَ، والطّائفتانِ: أصحابُ ظَواهِرٍ، لا أربابُ حقائِقَ، هؤلاءِ معَ رُسومِ العِلمِ، وهؤلاءِ معَ رُسومِ العِبادةِ. ثُمّ إنّهم -في أنفُسِهم- فريقانِ: صوفيّة، وفُقراءُ[1].

قالَ العلّامة ابنُ القيّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد تنازَعَ النّاسُ في ترجيحِ الصّوفيِّ علَى الفقيرِ أوِ الفقيرِ علَى الصّوفيِّ، أو هما سَواءٌ، علَى ثلاثةِ أقوالٍ:

⊙ فطائِفةٌ رجّحَتِ [14/أ] الصّوفيَّ، منهم كثيرٌ من أهلِ العِراقِ، وهو قولُ صاحِبِ العوارِفِ[2]، وجعَلوا نِهايةَ الفقيرِ: بدايةَ الصّوفيِّ[3].

⊙ وطائِفةٌ رجّحَتِ الفقيرَ، وجعَلوا الفقرَ لُبَّ التّصوُّفِ وثمرَتَه، وهم كثيرٌ من أهلِ خُراسانَ[4].

=الشبح، وهو الشخص، سمي بذلك لأن فيه امتدادا وعرضا. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج3/ 240).

(1) انظر: مدارج السالكين؛ لابن القيم، (ج2/ 368).

(2) هو الشيخ، الإمام، العالم، القدوة، الزاهد، العارف، المحدث، شيخ الإسلام، أوحد الصوفية، شهاب الدين، أبو حفص، وأبو عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله - وهو عمويه - القرشي، التيمي، البكري، السهروردي، الصوفي، ثم البغدادي، ولد في رجب سنة (539هـ)، قال ابن النجار: وكان شهاب الدين شيخ وقته في علم الحقيقة، وانتهت إليه الرياسة في تربية المريدين، ودعاء الخلق إلى الله، والتسليك... صنف في التصوف كتابا، شرح فيه أحوال القوم، وحدث به مرارا -يعني (عوارف المعارف) -. توفي ببغداد سنة (632هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج22/ 373-378).

(3) قال محمد بن داود الدقي وسئل عن الفرق بين الفقر والتصوف، فقال: الفقر حال من أحوال التصوف. انظر: طبقات الصوفية للسلمي، (ص: 335).

(4) خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو، وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر=

⊙ وطائفةٌ ثالثة قالوا: الفقرُ والتّصوُّفُ شيءٌ واحدٌ، وهؤُلاءِ هم أهلُ الشّام[1]، انتهى كلامُه.

وقد تقدَّمَ حقيقةُ الفقرِ والتّصوُّفِ، وكلامُ المشايخِ العارفينَ في ذلك، وذكرنا مدلولَه لُغةً وشرعًا، فلا حاجة إلى تكرار ذلك، وسيأتي ما هو أتمّ من ذلك.

والمقصودُ إلى إشارة أبي القاسمِ الجُنيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ: أنّ المُريدَ الصّادقَ إذا أرادَ الله به خيرًا أوقعَه على طائفةِ الصّوفيّة يُهذّبونَ أخلاقَه، ويُرشِدونَه على تزكية نفسه، وتنقيتِها وتصفيتِها، وإزالةِ أخلاقِه الذّميمةِ، وتركِ آفاتِ النّفسِ، واستِعمالِ الأخلاقِ الحميدةِ، ويُعرّفونه منازلَ الطّريقِ، وما يجبُ عليه فيها، وما يجِبُ عليه أن يجتَنِبَ منها.

وأمّا إذا وقعَ معَ طائفةِ القُرّاءِ؛ فإنّهم يَدُقّونَه بالعِبادة مِنَ الصّلاةِ والصّوم دَقًّا، ولا يُذيقونَه شيئًا من أعمال القُلوبِ، وتهذيبِ النُّفوسِ؛ إذ ليس ذلك طريقتُهم، ولا راضوا أنفسَهم عليه، ولا شَغلوا أنفسَهم به، بَل دأبُهم القيامُ والصّيامُ وأعمالُ البرِّ الظّاهِرةِ مع [أنـ...][2]، ولهذا بينَهم وبينَ أربابِ التّصوُّفِ نوعُ تنافرٍ، كما قدّمتُه لكَ[3]. وفقّنا الله وإ[يّاكَ][4].

=جيحون، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحا. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (ج2/ 350-354).

(1) انظر: مدارج السالكين؛ لابن القيم، (ج2/ 368-369).

(2) طمس بمقدار حرف أو حرفين.

(3) انظر بنحوه: مدارج السالكين؛ لابن القيم، (ج2/ 369).

(4) طمس ولعلها ما أثبتناه فهو المناسب لسياق الكلام.

ٱلبَابُ ٱلثَّانِي

في فَضلِ الفَقرِ والتَّصَوُّفِ

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [الحشر: 8].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ...﴾ الآية[1] [البقرة: 273].

فهذا السّياقُ هو في معرِضِ المدحِ لهم فقد مدَحهُمُ الله تعالى بما ذكَرَه عنهم من صِفاتِهم، لكنّ الرّبَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قدَّمَ وصفَهم بالفقرِ علَى وصفِهم بالهِجرة والإحصارِ، وقد تقدَّم ذلك.

وقولُ بعضِ العُلماءِ من أربابِ السُّلوكِ: مَن أرادَ الفقرَ لِشرفِ الفقرِ ماتَ فقيرًا، ومَن أرادَه لِئلّا يشتغِلَ عنِ الله تعالى بغيره ماتَ غنيًّا[2]، انتهى.

وقال العلّامة ابنُ القيِّم: وقد أجمعَت هذه الطّائفة علَى أنّه لا وُصولَ إلى الله تعالى إلّا من بابِ الفقرِ، ولا دُخولَ عليه إلّا من بابِه[3].

قلتُ: وهذا ممّا لا خلافَ فيه بينَ العُلماءِ والمُفسِّرينَ والمُحدِّثينَ والمشايخِ العارفينَ؛ أنّ جميعَ الخلقِ فُقراء إلى الله تعالى في كُلِّ وقتٍ، وكلِّ لحظَةٍ، وطرفة عينٍ، وإذا كان كذلك فلا وُصولَ إلى الله إلّا من بابِ

---

(1) وتمام الآية: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾.

(2) انظر: مدارج السالكين؛ لابن القيم، منزلة الفقر، (ج2/ 441).

(3) المرجع السابق، (ج2/ 444).

الفقرِ إليه، والله أعلَم(1). وقد ورَدَ في شرَفِهم وفضلِهم مِنَ الأحاديثِ والآثارِ ما نذكُرُ منه ما يسَّرَه الله تعالى؛ منها: ما رَوى أبو سعيدٍ الخُدريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «احتَجَّتِ الجنّة والنّارُ، فقالتِ النّارُ: فيَّ الجبّارونَ والمُتكَبِّرونَ. وقالتِ الجنّة: فيَّ ضُعفاءُ النّاسِ ومَساكينُهم. فقَضى الله بينهما أنَّكِ الجنّة رَحمَتي أرحَمُ بكِ مَن أشاءُ من عِبادي، وأنَّكِ النّارُ عَذابي أُعَذِّبُ بكِ مَن أشاءُ، ولِكلَيكُما عَلَيَّ مِلؤُها» رواه مُسلمٌ(2).

وفي «صَحيح مُسلم» [15/أ] أيضًا من حديثِ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النّبيَّ ﷺ قال: «رُبَّ أشعَثَ مَدفوعٍ بالأبوابِ لو أقسَمَ على الله لأبَرَّه»(3).

وعن أُسامةَ بن زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنِ النّبيِّ ﷺ قال: «قُمتُ على بابِ الجنّة؛ فكان عامّة مَن دَخَلها المساكين، وأصحابُ الجَدِّ مَحبوسونَ، غير أنّ أصحابَ النّارِ قد أُمِرَ بهم إلى النّارِ، وقُمتُ على بابِ النّارِ؛ فإذا عامّة

---

(1) قال ابن القطان في الإقناع في مسائل الإجماع، ط الأوقاف، ذكر القدر والإيمان به وباللوح المحفوظ، (ج1/ 86)، (مسألة:154): وأجمعوا على أن الإنسان غير غني عن ربه تعالى في سائر أوقاته على ما أمر به.

(2) صحيح مسلم، حديث أبي سعيد الخدري رقم (36-2847)، وفي الباب عن أبي هريرة. قال ابن الجوزي في كشف المشكل من حديث الصحيحين (ج3/ 165): وظاهر هذه المحاجة المخاصمة في الفضيلة: والمعنى: أظهرتا حجج التفضيل، فكل واحدة تدعي الفضل على الأخرى. ويحتمل مراد النار بقولها: «في الجبارون والمتكبرون»، وجهين:

أحدهما: أن الجبارين أعلى من الضعفاء. والثاني: أني أنتقم لله عَزَّوَجَلَّ من الجبارين الذين خالفوه، فحالتي عالية. ويحتمل قول الجنة: «في الضعفاء والمساكين»، وجهين:

أحدهما: أن الضعفاء كانوا يتقون الله، فهم أفضل من المتجبرين. والثاني: أن الضعفاء موضع الرحمة واللطف، وثواب المنعم عليه بعد الفقر والمسكنة أحسن من عقاب المتجبر.

(3) صحيح مسلم، حديث (138-2622)، وحديث (48-2854). قال الوزير ابن هبيرة في الإفصاح عن معاني الصحاح، (ج8/ 185): وهو يشير إلى أن في الأولياء: الأخفياء الذين لا يعرفون.

مَن دَخَلهـا النِّسـاءُ»، رواه البخـاري ومسـلم[1]. قولُـه: «الجـد» بفتـح الجيـم: الحـظُّ والغِنَـى[2]. وعـن أبـي سـعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: جلَسَ رسـول الله ﷺ على المنبرِ وجلَسـنا حولَـه فقـال: «إنّمـا أخـافُ عليكـم بعـدي مـا يُفتَحُ عليكـم مـن زَهـرةِ الدُّنيـا وزينَتِهـا»، رواه البُخـاريُّ ومُسـلِمٌ[3].

---

(1) متفـق عليـه: 1- صحيـح البخـاري: كتـاب النـكاح، حديـث (5196). كتـاب الرقـاق، بـاب صفـة الجنـة والنـار، حديـث (6547). 2- صحيـح مسـلم، حديـث (93-2736). قـال المهلـب: فيـه مـن الفقـه أن أقـرب مـا يدخـل بـه الجنـة التواضـع لله تعـالى، وأن أبعـد الأشـياء مـن الجنـة التكـبر بالمـال وغـيره، وإنـما صـار أصحـاب الجـد محبوسـون لمنعهـم حقـوق الله الواجبـة للفقـراء فى أموالهـم، فحبسـوا للحسـاب عـما منعـوه، فأمـا مـن أدى حقـوق الله فى أموالـه، فإنـه لا يحبس عـن الجنـة، إلا أنهـم قليـل، إذا كثـر شـأن المـال تضيـع حقـوق الله فيـه؛ لأنـه محنـة وفتنـة، ألا تـرى قولـه: «فـكان عامـة مـن دخلهـا المسـاكين»، وهـذا يـدل أن الذيـن يـؤدون حقـوق المـال ويسـلمون مـن فتنتـه هـم الأقـل، وقـد احتـج بهـذا الحديـث فى فضـل الفقـر عـلى الغنـى. انظـر: شرح صحيـح البخـاري لابـن بطـال، (ج7/ 318).

(2) راجع: مقاييس اللغة؛ لابن فارس، مادة «جد»، (ج1/ 407).

(3) متفـق عليـه: 1- صحيـح البخـاري، كتـاب الـزكاة، بـاب الصدقـة عـلى اليتامـى، حديـث (1465)، ولفظـه: (عـن أبي سـعيد الخـدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قـال: أن النبـي ﷺ جلـس ذات يـوم عـلى المنـبر وجلسـنا حولـه، فقـال: «إني ممـا أخـاف عليكـم مـن بعـدي، مـا يفتـح عليكـم مـن زهـرة الدنيـا وزينتهـا» فقـال رجـل: يـا رسـول الله، أويـأتي الخـير بالـشر؟ فسـكت النبـي ﷺ، فقيـل لـه: مـا شـأنك؟ تكلـم النبـي ﷺ ولا يكلمـك؟ فرأينـا أنـه ينـزل عليـه. قـال: فمسـح عنـه الرحضـاء، فقـال: «أيـن السـائل؟» وكأنـه حمـده، فقـال: «إنـه لا يـأتي الخـير بالـشر، وإن ممـا ينبـت الربيـع يقتـل أو يلـم، إلا آكلـة الخـضراء، أكلـت حتـى إذا امتـدت خاصرتاهـا اسـتقبلت عـين الشـمس، فثلطـت وبالـت، ورتعـت، وإن هـذا المـال خـضرة حلـوة، فنعـم صاحـب المسـلم مـا أعطـى منـه المسـكين واليتيـم وابـن السـبيل - أو كـما قـال النبـي ﷺ - وإنـه مـن يأخـذه بغـير حقـه، كالـذي يـأكل ولا يشـبع، ويكـون شـهيدا عليـه يـوم القيامـة»). 2- صحيـح مسـلم، حديـث (1052) بنحـوه بعـدة ألفـاظ. قـال ابـن رجـب في جامـع العلـوم والحكـم، ت الأرنـاؤوط، (ج2/ 188): وأكثرهـم وقـف مـع زهـرة الدنيـا وزينتهـا، فأخذهـا مـن غـير وجههـا، واسـتعملها في غـير وجههـا، وصـارت الدنيـا أكـبر همـه، لهـا يغضـب، وبهـا يـرضى، ولهـا يـوالي، وعليهـا يعـادي، وهـؤلاء هـم أهـل اللهـو واللعـب والزينـة والتفاخـر والتكاثـر، وكلهـم لم يعـرف المقصـود مـن الدنيـا، ولا أنهـا منـزل سـفر يتـزود منهـا لمـا بعدهـا مـن دار الإقامـة، وإن كان أحدهـم يؤمـن بذلـك إيمانـا مجمـلا، فهـو لا يعرفـه مفصـلا، ولا ذاق مـا ذاقـه أهـل المعرفـة بـالله في الدنيـا ممـا هـو أنمـوذج مـا ادخـر لهـم في الآخـرة.

وعنِ ابنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيُّ النّاسِ خيرٌ؟» قالوا: موسِرٌ مِنَ المالِ يُعطي حقَّ الله في نفسِه ومالِه، فقال: «نِعمَ الرّجُلُ هَذا أوَ ليس به» قالوا: فَمَن خَيرُ النّاسِ يا رسول الله؟ قال: «فَقيرٌ يُعطي جَهدَه»(1).

وفي «سُننِ أبي داودَ» من حديثِ اللّيثِ بن سعدٍ(2) عن أبي الزُّبيرِ(3)

---

(1) أخرجه: 1- أبوداود الطيالسي في مسنده، حديث (1963)؛ من طريق: أبو عتبة، عن عبد الله بن دينار، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «أي الناس خير؟» قالوا: يا رسول الله، رجل يعطي ماله ونفسه، فقال رسول الله ﷺ: «نعم الرجل هذا، وليس به، ولكن أفضل الناس رجل يعطي جهده».

2- عبدالرزاق بن الشيخ عبدالقادر الكيلاني في كتاب الأربعين الكيلانية، الحديث السادس عشر خير الناس؛ من طريق: بكر بن سهل، قال: حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثني عبد الله بن دينار، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «أي الناس خير؟» فقال بعضهم: مؤمن غني يعطي الحق من نفسه وماله، فقال النبي ﷺ: «نعم الرجل هذا، وليس به، ولكن خير الناس مؤمن فقير يعطي جهده».

3- ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين، (ج4/ 193)، بلفظه. قال الإمام العراقي معلقًا عليه: رواه الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف مقتصرًا على المرفوع منه دون سؤاله لأصحابه وسؤالهم له. قال المناوي في فيض القدير، (ج3/ 481): أي مقدوره، يعني: يتصدق بما أمكنه، تمسك به من فضل الفقر على الغنى، ولا دليل فيه، لأنه تضمن تفضيل فقير يتصدق من جهده، فمعه فقر الصابرين، وغنى الشاكرين؛ فجمع بين موجبي التفضيل.

(2) هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية، أبو الحارث، مولده: بقرقشندة - قرية من أسفل أعمال مصر - في سنة (94هـ)، وكان الليث رَحِمَهُ اللَّهُ فقيه مصر، ومحدثها، ومحتشمها، ورئيسها، ومن يفتخر بوجوده الإقليم، بحيث إن متولي مصر، وقاضيها، وناظرها من تحت أوامره، ويرجعون إلى رأيه، ومشورته، ولقد أراده المنصور على أن ينوب له على الإقليم، فاستعفى من ذلك. قال أحمد بن حنبل: (الليث ثقة ثبت)، توفي للنصف من شعبان سنة (175هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج8/ 136-163).

(3) هو أبو الزبير محمد بن مسلم بن تدرس، الإمام، الحافظ، الصدوق، القرشي، الأسدي، المكي، مولى حكيم بن حزام، قال يحيى بن معين، والنسائي، وجماعة: (ثقة)، وأما أبو زرعة،=

عن يَحيَى بن جعدةَ[1]، عن أبي هُريرةَ أنّه، قال: يا رسول الله! أيُّ الصّدَقة أفضَلُ؟ قال: «جُهدُ المُقِلِّ[2]، وابدَأ بمَن تَعولُ»[3]. ورَوَى أحمد وابنُ حِبّانَ من حديثِ أبي ذَرٍّ، قال: قُلتُ: يا رسول الله! أيُّ الصّدَقة أفضَلُ؟ قال: «جُهدٌ من مُقِلٍّ»[4]، ورَوى النّسائيُ نَحوهُ[5].

=وأبو حاتم، والبخاري، فقالوا: (لا يحتج به)، وقد أخرج البخاري في (صحيحه) لأبي الزبير مقرونا بغيره، توفي سنة (128هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج5/ 380-386).

(1) هو يحيى بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ المخزومي. سمع: جدته أم هانئ بنت أبي طالب، وأبا هريرة، وزيد بن أرقم. روى عنه: مجاهد، وأبو الزبير، وعمرو بن دينار، وحبيب بن أبي ثابت. وثقه أبو حاتم الرازي. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، (ج5/ 1017).

(2) أي: قدر ما يحتمله حال القليل المال. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، (ج2/ 765). قال العيني في شرح أبي داود (ج5/ 364): قوله: «جهد المقل» الجهد- بالضم- الوسع والطاقة، وبالفتح: المشقة، وقيل: المبالغة والغاية، وقيل: هما لغتان في الوسع والطاقة، فأما في المشقة والغاية: فالفتح لا غير. والمقل- بضم الميم، وكسر القاف، وتشديد اللام- الفقير الذي معه شيء قليل.

(3) أخرجه: 1- أبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب في الرخصة في ذلك، حديث (1677).

2- الإمام أحمد في مسنده، (ج14/ 324)، حديث (8702).

3- ابن خزيمة في صحيحه، باب ذكر الدليل على أن النبي ﷺ إنما فضل صدقة المقل إذا كان فضلًا عمن يعول لا إذا تصدق على الأباعد وترك من يعول جياعًا عراة إذ النبي ﷺ أمر ببدء من يعول، (ج4/ 99)، حديث (2444)، و(ج4/ 102)، حديث (2451).

4- وابن حبان في صحيحه، ط الأوقاف، ذكر البيان بأن من أفضل الصدقة إخراج المقل بعض ما عنده، (ج1/ 248)، حديث (232).

5- الحاكم في المستدرك، كتاب الزكاة، حديث (1509/ 83)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. قال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم.

(4) راجع التخريج السابق.

(5) روى النسائي في سننه، كتاب الزكاة، جهد المقل، حديث (2526) بسنده عن عبد الله بن حبشي الخثعمي، أن النبي ﷺ سئل أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان لا شك فيه، وجهاد لا غلول فيه، وحجة مبرورة» قيل: فأي الصلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت» قيل: فأي الصدقة أفضل؟ قال: «جهد المقل» قيل: فأي الهجرة أفضل؟ قال: «من هجر ما حرم الله عَزَّ وَجَلَّ» قيل:=

وفي هذه الأحاديثِ دَليلٌ علَى أنّ صدَقةَ جُهدِ المُقلِّ أفضَلُ من صدقة كثيرِ المالِ ببعضِ مالِه، ثُمّ يبقَى التّفاضُلُ بعد ذلك بما في القُلوبِ مِنَ الإخلاصِ ليس بالكثرة ولا بالقِلّة بل بقوّة الدّاعي وصدقِ الفاعِلِ.

وقد روَى ابنُ عديٍّ من حديثِ سلمانَ بن عبد الرّحمَن[1]، ثَنا خالدُ بن يَزيدَ[2]، عن أبيهِ[3]، عن عطاءٍ[4] أنّه سَمعَ أبا سعيدٍ الخُدريِّ، يقولُ: سَمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «**اللهم توَفّني فَقيرًا ولا توَفّني غَنيًّا**»[5].

=فأي الجهاد أفضل؟ قال: «من جاهد المشركين بماله، ونفسه» قيل: فأي القتل أشرف؟ قال: «من أهريق دمه، وعقر جواده».

(1) هو سليمان ابن بنت شرحبيل بن مسلم الخولاني هو: الإمام، العالم، الحافظ، محدث دمشق، أبو أيوب بن عبد الرحمن بن عيسى بن ميمون بن عبد الله التميمي، الدمشقي، وجده: هو شرحبيل بن مسلم الخولاني، المحدث، التابعي، الحمصي، شيخ إسماعيل بن عياش، وسفيان بن عيينة، كان من فرسان الحديث. قال أبو حاتم: (سليمان صدوق، مستقيم الحديث، ولكنه أروى الناس عن الضعفاء والمجهولين...)، وقال ابن حبان: (يعتبر حديثه إذا روى عن الثقات، فإذا روى عن المجاهيل، ففيها مناكير). توفي سنة (233هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج11/ 136-139).

(2) هو خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك الهمداني، روى عن: أبيه، والصلت بن بهرام، وأبي حمزة الثمالي، ضعفه: ابن معين، والدارقطني، مات سنة (185هـ)، وله ثمانون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج9/ 413).

(3) هو العلامة، قاضي دمشق، يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك هانئ الهمداني، الدمشقي، ولد سنة (60هـ)، وثقه أبو حاتم، قال الذهبي: (كان أحد الفقهاء مع مكحول، وقد ندبه عمر بن عبد العزيز ليفقه بني نمير، ويقرئهم)، توفي سنة (130هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج5/ 437-438).

(4) هو عطاء بن أبي رباح أسلم القرشي مولاهم، الإمام، شيخ الإسلام، مفتي الحرم، أبو محمد، ولد: في أثناء خلافة عثمان، وكان من أوعية العلم، توفي سنة (114 أو 115 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج5/ 78-88).

(5) رواه البيهقي في شعب الإيمان، حديث (5111)، (ج7/ 351)، وتمامه: «... واحشرني في زمرة المساكين، فإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة». قال الملا علي قاري في مرقاة المفاتيح، حديث (5245)، (ج9/ 99): إن لم يكن دليل آخر غير هذا الحديث الشريف لكفى حجة واضحة وبينة لائحة على أن الفقير الصابر خير من الغني الشاكر.

لكـن هـذا الحديـثُ لا يصِـحُّ فـإنّ خالدَ بـن يزيـدَ هـذا هـو خالِدُ بـن يَزيدَ بنِ عبد الرّحمَنِ بن أبي مالِكِ الدِّمَشقيُّ، اتَّفقَ الحُفّاظُ علَى ضعفِه، وعدَمِ الاحتِجاجِ بحَديثِه، ونسبَه يَحيى بن معينٍ إلى الكذِبِ، وتكلّم فيه غيرُ واحِدٍ مِنَ الأَئمّة[1].

وعن عبدِ الله بن مُغفَّلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاءَ رجُلٌ إلى النّبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله! والله إنّي لَأُحِبُّكَ فقال: «انظر ماذا تَقولُ؟» قال: والله إني لَأُحِبُّك -ثلاثَ مرّاتٍ- قال: «إن كُنتَ تُحِبُّني فَأعِدَّ لِلفَقرِ تِجفافًا؛ فإنّ الفقرَ أسرَعُ إلى مَحبّتي مِنَ السّيلِ إلى مُنتَهاه»، رواه التِّرمِذيُّ [16/ ب]، وقال: حديثٌ حسَنٌ[2]. قولُه: «التِّجفافُ»[3] -بكسرِ التّاءِ المُثنّاةِ من فوقُ، وإسكانِ الجيم، وبالفاءِ المُكرَّرةِ-: وهي شيءٌ يَلبَسُه الفرَسُ لِتتّقي به الأذَى، وقد يَلبَسُه الإنسانُ[4].

---

(1) قال الإمام أحمد: (ليس بشيء)، وقال النسائي: (ليس بثقة). راجع: الكامل في ضعفاء الرجال؛ للحافظ ابن عدي الجرجاني، ترجمة (7/ 577)، (ج3/ 423).

(2) رواه الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الفقر، حديث (2520)؛ من طريق: محمد بن عمرو بن نبهان بن صفوان الثقفي البصري، قال: حدثنا روح بن أسلم، قال: حدثنا شداد أبو طلحة الراسبي، عن أبي الوازع، عن عبد الله بن مغفل -الحديث-. قال الترمذي: (هذا حديث حسن غريب. وأبو الوازع الراسبي، اسمه: جابر بن عمرو، وهو بصري).

(3) في حاشية الأصل بنفس خط المصنف: وما يعد أنّه بلاس الشعر الأسود، والله أعلم.

(4) قال القاسم بن سلام: أراد فقر يوم القيامة يقول: ليعد ليوم فقره وفاقته عملا صالحا ينتفع به في يوم القيامة، وإنما هذا منه على وجه الوعظ والنصيحة له، كقولك: من أحب أن يصحبني ويكون معي؛ فعليه بتقوى الله واجتناب معاصيه، فإنه لا يكون لي صاحبا إلا من كانت هذه حاله، ليس للحديث وجه غير هذا. انظر: غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام، (ج3/ 466). قال الطيبي: فاستعير للصبر وتحمل المشاق التجفاف على الاستعارة التخييلية. انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، (ج10/ 3316)، وراجع: النهاية في غريب الحديث؛ لابن الأثير، مادة تجف، (ج2/ 435)، ولسان العرب لابن منظور، مادة جفف، (ج9/ 30).

وعن كعبِ بن عياضٍ قال: سمِعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «**إنّ لِكُلِّ أمّة فِتنة، وفِتنة أُمّتي المالِ**»[1]، رواه التِّرمِذيُّ، وقال: حديثٌ حسَنٌ صَحيحٌ[2].

فَصْلٌ

ومن فضلِ الفُقراءِ أنّهم يدخُلونَ الجنّة قبلَ الأغنياءِ بِنصفِ يوم -وهو خَمسُمائةِ عام- كما ثبَتَ ذلك في «جامِعِ التِّرمذي» وحسَّنَه وصَحَّحه من حديثِ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَدخُلُ الفُقَراءُ الجنّة قَبلَ الأغنياءِ بخَمسِمائة عامٍ**»[3].

(1) قوله: «إن لكل أمة فتنة» أي: ضلالا ومعصية، «وفتنة أمتي المال» أي: اللهو به لأنه يشغل البال عن القيام بالطاعة وينسي الآخرة. انظر: تحفة الأحوذي للمباركفوري، (ج6/ 518).

(2) رواه: - الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال، حديث (2504)؛ من طريق: الحسن بن سوار، قال: حدثنا الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، حدثه عن أبيه، عن كعب بن عياض -الحديث-. قال أبو عيسى الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح غريب، إنما نعرفه من حديث معاوية بن صالح). الإمام أحمد في مسنده، حديث كعب بن عياض، حديث (17471)، (ج29/ 15)؛ من نفس طريق الترمذي.

(3) رواه: 1- الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم: - حديث (2524)؛ من طريق: محمود بن غيلان، قال: حدثنا قبيصة، قال: حدثنا سفيان، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -الحديث-؛ وفيه زيادة: «... نصف يوم». قال أبوعيسى الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح). حديث (2526)؛ من طريق: أبو كريب، قال: حدثنا المحاربي، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وهو خمسمائة عام». قال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح).

2- الإمام أحمد في مسنده، حديث (10654)، (ج16/ 383)؛ من طريق: أسود، قال: حدثنا أبو بكر، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وهو خمس مئة عام». قال المهلب: وليس في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام» تفضيل للفقر؛=

وقال أبو الحُسينِ: ورَوى أبو برزةَ الأسلميُّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ فُقَراءَ المسلِمينَ لَيدخُلونَ الجنّة قَبلَ أغنيائِهم بمِقدارِ أربَعينَ خَريفًا[1] حتّى يَتَمَنّى أغنياءُ المسلِمينَ يَومَ القيامة أنّهم كانوا فُقَراءَ في الدُّنيا»[2].

= لأن تقديم دخول الجنة لا تستحق به الفضيلة، ألا ترى أن النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ أفضل البشر ولا يتقدم بالدخول في الجنة حتى يشفع في أمته، وكذلك صالح المؤمنين يشفعون في قوم دونهم في الدرجة، وإنما ينظر يوم القيامة بين الناس فيقدم الأقل حسابًا فالأقل، فلذلك قدم الفقراء، لأنهم لا علقة عليهم في حساب الأموال، فيدخلون الجنة قبل الأغنياء. انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال، (ج10/ 172-173).

(1) الخريف: الزمان المعروف بين الصيف والشتاء، وأراد به: كناية عن السنة جميعًا، لأنه متى أتى عليه عشرون خريفًا مثلًا، فقد أتى عليه عشرون سنة. انظر: جامع الأصول لابن الأثير، (ج4/ 672).

(2) رواه: 1- مسلم في صحيحه، وفيه: جاء ثلاثة نفر إلى عبد الله بن عمرو بن العاص، وأنا عنده، فقالوا: يا أبا محمد إنا، والله ما نقدر على شيء، لا نفقة، ولا دابة، ولا متاع، فقال لهم: ما شئتم، إن شئتم رجعتم إلينا فأعطيناكم ما يسر الله لكم، وإن شئتم ذكرنا أمركم للسلطان، وإن شئتم صبرتم، فإني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة، بأربعين خريفا» قالوا: فإنا نصبر، لا نسأل شيئًا. 2- الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، حديث (2525)؛ من طريق: العباس بن محمد الدوري، قال: حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ، قال: حدثنا سعيد بن أبي أيوب، عن عمرو بن جابر الحضرمي، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا». قال الترمذي: (هذا حديث حسن). 3- الإمام أحمد في مسنده: - حديث (6578)، (ج11/ 143)؛ من طريق: أبو عبد الرحمن، حدثنا حيوة، أخبرني أبو هانئ، أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي، يقول: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفا» قال عبد الله بن عمرو: فإن شئتم أعطيناكم مما عندنا، وإن شئتم ذكرنا أمركم للسلطان قالوا: فإنا نصبر فلا نسأل شيئا. حديث (14476)، (ج22/ 363-364)؛ من طريق: أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد، من حفظه، قال: حدثنا سعيد بن أبي أيوب، قال: حدثني عمرو بن جابر أبو زرعة الحضرمي، قال: سمعت جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا بلفظ الترمذي. 4- ابن حبان في صحيحه، ط الأوقاف، ذكر البيان بأن هذا العدد المذكور في هذا الخبر لم يرد به النبي ﷺ نفيًا عما وراءه،=

قال بعضُ الحُفّاظِ: هذا الحديثُ ثابتٌ عنِ النّبيِّ ﷺ من روايةِ جماعةٍ مِنَ الصّحابة منهم: أبو هُريرةَ، وعبدُ الله بن عمرٍو، وجابرُ بن عبد الله، ويُروى أيضًا عن أبي سعيدٍ، وأنسِ بن مالكٍ.

وفي صَحيحِ البُخاريِّ ومُسلِم من حديث ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعِمرانَ بن حُصَينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «**اطّلعتُ على الجنّة فرأيتُ أكثَرَ أهلها الفُقَراءَ، واطّلعتُ على النّارِ فرأيتُ أكثَرَ أهلها النِّساءَ**»(1).

=حديث (3628)، (ج4/ 384)؛ من طريق: أحمد بن علي بن المثنى، قال: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا حيوة، حدثنا أبو هانئ، أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بسبعين أو أربعين خريفا».

فإن قلت: كيف الجمع بين «خمسمائة عام» و«أربعين خريفًا»؟ فأجاب الطيبي فقال: (يمكن أن يكون المراد من الأغنياء في -الحديث الأول- [أي: حديث الأربعين خريفًا]؛ أغنياء المهاجرين، أي يسبق فقراء المهاجرين إلى الجنة بأربعين خريفًا. ومن الأغنياء في -الحديث الثاني- [أي: حديث الخمسمائة عام] الأغنياء الذين ليسوا من المهاجرين. فلا تناقض بين الحديثين. وقال في جامع الأصول: وجه الجمع بينهما: أن الأربعين أراد بها تقدم الفقير الحريص على الغنى. وأراد بـ«خمسمائة» تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب. وكان الفقير الحريص على درجتين من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد. وهذا نسبة الأربعين إلى الخمسمائة). انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، (ج10/ 3313). هذا الحديث اختلفت ألفاظ الرواة فيه عن النبي ﷺ... فاختلفت هذه الأحاديث في أي الفقراء هم السابقون، وفي مقدار المدة التي بها يسبقون، فهذان موضعان، ويرتفع الخلاف عن الموضع الأول بأن يرد... فقراء المسلمين، وحينئذ يكون حديث عبد الله بن عمرو وحديث أبي سعيد، مخصوصا بفقراء المهاجرين، وحديث أبي هريرة وجابر يعم جميع فقراء قرون المسلمين، فيدخل الجنة فقراء كل قرن قبل أغنيائهم بالمقدار المذكور، وهذه طريقة حسنة... وأما الموضع الثاني... يمكن الجمع بين الأربعين وحديث الخمسمائة عام؛ بأن سُبّاق الفقراء يدخلون قبل سباق الأغنياء بأربعين عاما، وغير سباق الأغنياء بخمسمائة عام؛ إذ في كل صنف من الفريقين سباق، والله أعلم. انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للإمام القرطبي، ط دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، (ج7/ 134).

(1) **متفق عليه**: 1- رواه البخاري في صحيحه: - كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة=

وناهيك بهذَين الحديثَين، فلو لم يكُن في فضلِ الفُقراءِ سِوى هذَين الحديثَين لكان كافيًا.

ورَوى الإمامُ أحمدُ والتِّرمذيُّ من حديثِ أبي هُريرةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عُرِضَ عَلَيَّ أوَّلُ ثُلّة يَدخُلونَ الجنّة؛ الشّهيدُ، وعبد مَملوكٌ لم يُشغِله رِقُّ الدُّنيا عن طاعة رَبِّه، وفَقيرٌ مُتَعَفِّفٌ ذو عيالٍ**»(1).

=الجنة وأنها مخلوقة، حديث (3241)، بلفظ: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء». كتاب النكاح، باب كفران العشير، حديث (5198)، باللفظ السابق. باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب فضل الفقر، وحديث (6449)، باللفظ السابق، وباب صفة الجنة والنار، حديث (6546)، باللفظ السابق.

2- مسلم في صحيحه، حديث (94-2737)، باللفظ السابق. قال المهلب: معناه أن الفقراء في الدنيا أكثر من الأغنياء، فأخبر عن ذلك كما نقول: أكثر أهل الدنيا الفقراء، لا من جهة التفضيل، وإنما هو إخبار عن الحال، وليس الفقر أدخلهم الجنة، إنما أدخلهم الله الجنة بصلاحهم مع الفقر؛ أرأيت الفقير إذا لم يكن صالحًا فلا فضل له في الفقر. انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال، (ج10/ 173).

(1) رواه: 1- الترمذي في سننه، أبواب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في ثواب الشهيد، حديث (1748)؛ بلفظ: «عرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة: شهيد، وعفيف متعفف، وعبد أحسن عبادة الله ونصح لمواليه». قال الترمذي: (هذا حديث حسن).

2- أحمد في مسنده: حديث (9492)، (ج15/ 297)؛ بلفظ: «عرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة، وأول ثلاثة يدخلون النار، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة: فالشهيد، وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده، وعفيف متعفف ذو عيال، وأما أول ثلاثة يدخلون النار: فأمير مسلط، وذو ثروة من مال لا يعطي حق ماله، وفقير فخور». حديث (10205)، (ج16/ 156-157)؛ بلفظ: «إني لأعلم أول ثلاثة يدخلون الجنة: الشهيد، وعبد أدى حق الله وحق مواليه، وفقير عفيف متعفف. وإني لأعلم أول ثلاثة يدخلون النار: سلطان متسلط، وذو ثروة من مال لا يؤدي حقه، وفقير فخور».

3- ابن خزيمة في صحيحه، باب ذكر إدخال مانع الزكاة النار مع أوائل من يدخلها بالله نتعوذ من النار، حديث (2249)، (ج4/ 8)؛ بلفظ: «عرض علي أول ثلة يدخلون الجنة، وأول=

قـال مالِكُ بـن دينـارٍ[1]: إنّ اللـهَ إذا أحَـبَّ عبـدًا انتقَصَـه مِـنَ الدُّنيـا، وكـفَّ عليـه ضيعتَـه، ويقـولُ: لا تَبـرَح مـن بيـنَ يـدَيَّ، فهـو مُفـرَّغٌ[2] لِخدمـةِ [16 / أ] ربِّـه عَزَّوَجَلَّ، وإذا أبغَـضَ عبـدًا دفَـعَ فـي نَحـرِه شيئًا مِـنَ الدّنيـا، ويقـولُ: اغـرُب مـن بيـنَ يَـدَيَّ، فـلا أراكَ بيـنَ يـدَيَّ، فتَـراه مُتعلِّـقَ[3] القلـبِ بـأرضِ كـذا، وتِجـارةِ كـذا[4].

وقـولُ مالِـكِ بـن دينـارٍ رَحِمَهُٱللَّهُعَلَيْهِ يـدُلُّ علـى أنّ اللـهَ تعالـى يُحِـبُّ الفقيـرَ المتفـرّغَ لعبـادة ربِّـه عَزَّوَجَلَّ، وإن كـان اللـه تعالـى يُحـبُّ المؤمِنيـنَ ويرضـى عنهـم، ولكـن محبّـة المؤمِـنِ الفقيـرِ أخَـصُّ؛ لأنّ أحسـنَ مـا يُتوسَّـل الفقيـرُ

=ثلة يدخلون النار، فأما أول ثلة يدخلون الجنة: فالشهيد، وعبد مملوك أحسن عبادة ربه، ونصح لسيده، وعفيف متعفف ذو عيال، وأما أول ثلة يدخلون النار: فأمير مسلط، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله في ماله، وفقير فخور».

4- ابن حبان في صحيحه، ط الأوقاف، ذكر الإخبار عن أول من يدخل الجنة من هذه الأمة بعد الزمرة التي ذكرناها قبل، حديث (5175)، (ج6/ 243)؛ بلفظ: «عرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة: الشهيد، وعبد مملوك أحسن عبادة ربه، ونصح لسيده، وعفيف متعفف ذو عيال».

۞ جميعًا من طريق: يحيى بن أبي كثير، عن عامر العقيلي، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا. أي: عفيف عما لا يحل، ومتعفف عن السؤال. انظر: مطالع الأنوار لابن قرقول، ط الأوقاف، (ج5/ 25).

(1) هو مالك بن دينار؛ علم العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف، كان من ذلك بُلغَتُه، سمع من: أنس بن مالك فمن بعده، وحدث عنه، وثقه النسائي، وغيره، واستشهد به البخاري، وحديثه في درجة الحسن، توفي سنة (127، وقيل: 130 هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج5/ 362-364).

(2) الذي في الحلية، وصفة الصفوة: متفرغ.

(3) كذا في الأصل، وفي المصدرين السابقين: مُعلّق.

(4) انظر: - حلية الأولياء؛ لأبي نعيم (ج2/ 370). - صفة الصفوة، ط دار المعرفة، (3/ 281) بنحوه.

بـه إلـى اللـه عَزَّوَجَلَّ دوامُ الافتِقـارِ إليـه فـي جميـعِ الأحـوالِ، وملازمـةُ السُّـنّة فـي جميـعِ الأفعـالِ، وطلـبُ القـوتِ مـن وجـهٍ حـلالٍ، ووقفُـه عنـدَ مـا ذكـرَ اللـه ورسـولُه مِـنَ المقـالِ.

فَصْلٌ

قـال الحافِـظُ الذّهبي[1]: الخـواصُّ هـمُ الصّوفيّـة، والفُقـراءُ المنتَمـون إلـى الحقِّ.

فإن قيلَ: هؤلاء خاصةٌ عالِمون بالله فكيف يكونُ فيهم مغرورٌ؟.

قلتُ: قـد يعـرِضُ لهـم ويطرأ، فيزول بالإقلاعِ عنه، والتّيقُّـظِ والتّوبةِ فهو كالمرضِ يـردُ علَـى الصّحيـحِ ثُـمّ يُعافـى، فهاتـانِ الطّائفتـانِ صفـوةُ اللـه مـن عِبـادِه فـي الأرضِ، لكـن قـد كثُـرَ فـي وقتِنـا فسـادُ الطّائفتيـنِ باتّباعِهـا لهـوى النُّفـوس، وتـركِ اقتدائِهـا بالبُصراءِ.

قـال الجنيـدُ[2]: عِلمـانِ قـد طويـا بسـاطُهُما؛ لِفُقـدانِ أهلِهمـا وفُقـدانِ الحقائـقِ فيهمـا: عِلـمُ الحقائـقِ، وعلـمُ السّـماعِ، قـد مضَـى أهـلُ التّصـوُّفِ، وصـارَ التّصـوُّف مخرَقـة وتَواجـدًا، مضَـت العُلـومُ والقلـوبُ، فغُرورهـم أعظـمُ مـن غُـرور غيرِهـم؛ لأنّ منهـم مَـن صحِـبَ الرِّجـالَ وعاشَـرَ الأمثـالَ، وفهِـمَ مُصطلـحَ القـوم وتـزيَّ بزيِّهـم؛ فأشـبَهَ الصّادِقيـنَ صـورةً، ودخـلَ فـي جُملـة الكاذِبيـنَ، أتـوا بالـزّيِّ والهيئة والجُلوسِ علَى السّجادةِ، والإطـراقِ

---

(1) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله التركماني الذهبي محدث العصر، ولد سنة (673هـ)، طلب الحديث وله ثماني عشرة سنة، وسمع منه الجمع الكثير، وقرأ القرآن بالروايات وأقرأه، توفي في ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سنة (748هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، (ج9/ 100-123).

(2) تقدمت ترجمته.

والسُّكون، والتّحرُّكِ عند السّماعِ والصّياحِ وملازمة الطّهارةِ والصّلاةِ، واعتقدوا أنّ هذا هو المقصودُ، وهم من أحرصِ النّاسِ على الدُّنيا ومنافسة أهلها في الحظوظِ، ومنهم مَن نشأ في علم الفلسفة، ولم يتمكّن من إظهارِها؛ خوفًا من عُلماءِ الظّاهرِ، وعُلماءِ الطّريقِ، فثبّته قواعِدُ الحقِّ في كلامه، فراجت مقالتُه على العوام، وظنّوا أنّ ذلك مِنَ العلمِ النّافعِ، وتزيَّ بزيِّهم في الظّاهر؛ وهو معَ ذلك مرتكِبٌ للمعاصي الظّاهرة، فما ظنُّكَ بالباطنة، وهم معَ هذا يعتقدون أنّهم رءوس العارفينَ، ومنهم مَن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورضوا عنه؛ وهمُ المفلحونَ.

فَصْلٌ

والفقرُ شعارُ الأنبياءِ والأتقياءِ والأولياءِ والصّالحينَ وأكثرِ الخلقِ، والفُقراء الضُّعفاءُ هم تُبّاعُ الأنبياءِ، وأفضلُ الأنبياء والرُّسلِ والأولياءِ والفُقراءِ محمّدٌ ﷺ الّذي هو خاتم النّبيّينَ[1]، وإمامُ المتّقين، وسيِّدُ ولَدِ آدمَ[2]، وإمامُ الأنبياءِ إذا اجتمَعوا، وخطيبُهم إذا وفدوا، صاحِبُ المقامِ المحمودِ الّذي يغبطُه به الأوّلون والآخِرون[3]، وصاحِبُ لِواءِ الحمدِ والحوضِ الموردِ وشفيعُ الخلائقِ يومَ القيامةِ[4]، وصاحبُ الوسيلة

(1) قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 40]. قال ابن القطان في الإقناع، (ج1/ 44)، (مسألة: 89): واتفقوا أنه لا نبي بعده عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(2) ففي صحيح مسلم (3-2278) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع».

(3) قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: 79].

(4) وأجمعوا على: أن للنبي ﷺ حوضًا ترده أمته يوم القيامة لا يظمأ من شرب منه، ويذاد عنه من بدل وغير بعده. انظر: الإقناع في مسائل الإجماع لابن القطان، (ج1/ 60)، (مسألة: 113). وأجمعوا على: أن الإيمان مع القول بشفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته، انظر:=

والفضيلةِ[1] الّذي بعثَه الله بأفضَلِ [16/ ب] كتُبِه، وشرعَ له أفضَلَ شرائعِ دينِه، وجعَلَ أُمَّتَه خيرَ أُمّةٍ أُخرجت للنّاسِ[2]، وجمَعَ له ولِأُمّتِه مِنَ الفضائلِ والمحاسِنِ ما فرّقَه في جميعِ الأُمَمِ، وأُمّتُه آخِرُ الأُمَمِ خلقًا، وأوّلُ الأمم بعثًا[3].

= الإقناع في مسائل الإجماع لابن القطان، (ج1/ 63)، (مسألة: 114). وروى الترمذي في سننه: أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: سورة بني إسرائيل، حديث (3435)، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر»، قال: «فيفزع الناس ثلاث فزعات، فيأتون آدم... فيأتون عيسى، فيقول: إني عُبدت من دون الله، ولكن ائتوا محمدًا ﷺ»، قال: «فيأتوني فأنطلق معهم»... قال: «فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها، فيقال: من هذا؟ فيقال: محمد فيفتحون لي، ويرحبون، فيقولون: مرحبا، فأخر ساجدا، فيلهمني الله من الثناء والحمد، فيقال لي: ارفع رأسك وسل تعط، واشفع تشفع، وقل يسمع لقولك، وهو المقام المحمود الذي قال الله ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: 79]». قال الترمذي: هذا حديث حسن، وقد روى بعضهم هذا الحديث عن أبي نضرة، عن ابن عباس... الحديث بطوله. وأبواب المناقب عن رسول الله ﷺ: حديث (3956)، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر». قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. حديث (3961)، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر». قال الترمذي: (وفي الحديث قصة، وهذا حديث حسن). والأحاديث في هذه الأبواب كثيرة.

(1) روى مسلم في صحيحه، (11-483)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة».

(2) قال تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾...الآية [آل عمران: 110].

(3) روى مسلم في صحيحه (20-855) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا يومهم الذي=

وقد عرَضَ الله تعالى عليه مفاتيحَ كنوزِ الأرضِ فأبى، ولم يُرِدها ولم يختَرها، ولو أرادَها واختارَها لكان أشكرَ الخلقِ عليها، بلِ اختارَ القليلَ منها رغبةً فيما عندَ الله والدارِ الآخِرة، وصبَرَ على شِدّة العيشِ فيها وهو أحَبُّ الخلقِ[1].

قال أبو هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خرَجَ رسول الله ﷺ مِنَ الدّنيا ولم يشبَع من خُبزِ الشّعيرِ. رواه البُخاريُّ[2].

وقالت عائِشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما شبِعَ رسول الله ﷺ ثلاثة أيّامٍ من خُبزِ بُرٍّ تِباعًا حتّى مضَى لِسبيلِهِ[3].

=اختلفوا فيه، هدانا الله له - قال: يوم الجمعة - فاليوم لنا، وغدا لليهود، وبعد غد للنصارى»، وحديث (22-856) بنحوه.

(1) روى الإمام أحمد في مسنده، (7160)، بسنده عن أبي زرعة، قال: ولا أعلمه إلا عن أبي هريرة، قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ، فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل، فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق، قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد، أرسلني إليك ربك، أفملكا نبيا يجعلك، أو عبدا رسولا؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد. قال: «بل عبدا رسولا».

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون، حديث (5414)، وأول الحديث: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه مرَّ بقومٍ بين أيديهم شاة مصلية، فدعوه، فأبى أن يأكل... فذكر الحديث. قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري (ج9/ 482): وما روي عنه أنه خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير، فإن ذلك لم يكن منه في كل أحواله لعوز ولا لضيق، وكيف يكون ذلك وقد كان الله أفاء عليه قبل وفاته بلاد العرب كلها، ونقل إليه الخراج من بعض بلاد العجم كأيلة والبحرين وهجر؛ ولكم كان بعضه لما وصفت من إيثار نوائب حقوق الله، وبعضه كراهية منه الشبع وكثرة الأكل، فإنه كان يكرهه ويؤدب أصحابه به.

(3) متفق عليه: 1- البخاري: كتاب الأطعمة، باب ما كان السلف يدخرون في بيوتهم وأسفارهم من الطعام واللحم وغيره، (5423) وكتاب الأيمان والنذور، باب إذا حلف أن لا يأتدم فأكل تمرًا بخبز وما يكون من الأدم، (6687)، بلفظ: «...ما شبع آل محمد ﷺ من خبز بر مأدوم ثلاثة أيام حتى لحق بالله». وكتاب الأطعمة، باب القديد، (5438)، بلفظ: «...وما شبع آل محمد ﷺ من خبز بر مأدوم ثلاثا».

2- مسلم، كتاب الزهد والرقائق: (20-2970) بلفظ: «ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم=

وقالت عائِشةُ أيضًا: كان يأتي علَى آلِ محمدٍ الشّهرُ والشّهرانِ لا يوقد في بيتٍ من بيوته نارٌ، وكان قوتُهم التّمرَ والماءَ. رواه أحمد(1).

وفي «صحيح البخاري» عن أنَسٍ: ما رأى رسول الله ﷺ رغيفًا

=المدينة، من طعام بر ثلاث ليال تباعا، حتى قبض». و(21-2970) بلفظه. و(22-2970)، بلفظ: «ما شبع آل محمد ﷺ، من خبز شعير يومين متتابعين، حتى قبض رسول الله ﷺ». و(23-2970)، بلفظ: «ما شبع آل محمد ﷺ، من خبز بر فوق ثلاث». و(24-2970)، بلفظ: «ما شبع آل محمد ﷺ، من خبز البر ثلاثا حتى مضى لسبيله».

۞ قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري، (ج9/ 482): فإن البر كان بالمدينة قليلًا، وكان الغالب عليهم الشعير والتمر، فغير نكير أن يؤثر قوت أهل بلده، ويكره أن يخص نفسه بما لا سبيل للمسلمين إليه من الغذاء، وهذا هو الأشبه بأخلاقه عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده: (ج40/ 280)، حديث (24232)، بلفظ: «كان يأتي على آل محمد ﷺ الشهر، ما يوقدون فيه نارا، ليس إلا التمر والماء، إلا أن نؤتى باللحم». و(ج40/ 481) حديث (24420)، بلفظ: (عن عروة بن الزبير، أنه سمع عائشة تقول: كان يمر بنا هلال، وهلال ما يوقد في بيت من بيوت رسول الله ﷺ نار، قال: قلت: يا خالة، فعلى أي شيء كنتم تعيشون؟ قالت: « على الأسودين التمر والماء). و(ج41/ 110) حديث (24561)، بنحو اللفظ السابق. و(ج41/ 285) حديث (24768) بلفظ: (عن عائشة، أنها قالت: «يا ابن أختي، كان شعر رسول الله ﷺ فوق الوفرة، ودون الجمة، وايم الله يا ابن أختي، إن كان ليمر على آل محمد ﷺ الشهر، ما يوقد في بيت رسول الله ﷺ من نار، إلا أن يكون اللحيم، وما هو إلا الأسودان: الماء والتمر، إلا أن حولنا أهل دور من الأنصار جزاهم الله خيرا في الحديث والقديم، فكل يوم يبعثون إلى رسول الله ﷺ بغزيرة شاتهم، يعني: فينال رسول الله ﷺ من ذلك اللبن، ولقد توفي رسول الله ﷺ وما في رفي من طعام يأكله ذو كبد إلا قريب من شطر شعير، فأكلت منه حتى طال علي لا يفنى، فَكِلتُه ففني، فليتني لم أكن كلته، وايم الله لأن كان ضجاعه من أدم حشوه ليف).

۞ (ج42/ 314)، حديث (25491)، بلفظ: (عن أبي سلمة، عن عائشة، قالت: «لقد كان يأتي على آل محمد الشهر، ما يرى في بيت من بيوته الدخان» قلت: يا أمه، وما كان طعامهم؟ قالت: «الأسودان، التمر والماء، غير أنه كان له جيران صدق من الأنصار، وكان لهم ربائب، فكانوا يبعثون إليه من ألبانها»). و(ج42/ 140)، حديث (26004)، بنحو اللفظ السابق.

مُرَقَّقًا[1] حتَّى لَحِقَ بالله، ولا رأى شاةً سَميطًا[2] بعينِه قطُّ[3].

وقال عمرُ بن الخطّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لقد رأيتُ رسول الله ﷺ يتَلَوَّى يومَه من الجوعِ، ما يجِدُ مِنَ الدّقَلِ[4] ما يملأُ بطنَه. رواه مُسلمٌ[5].

---

(1) أي: مليئًا محسنًا. انظر: مطالع الأنوار لابن قرقول (ج3/ 182).

(2) أي مشوية، فعيل بمعنى مفعول. انظر: النهاية لابن الأثير (ج2/ 400).

(3) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الأطعمة، باب شاة مسموطة والكتف والجنب، حديث (5421)، بلفظ: (عن قتادة، قال: كنا نأتي أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وخبازه قائم، قال: كلوا، «فما أعلم النبي ﷺ رأى رغيفًا مرققًا حتى لحق بالله، ولا رأى شاة سميطًا بعينه قطّ». باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا، حديث (6457)، باللفظ السابق.

۞ قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري، (ج9/ 487-488): إن قال قائل: كيف يتفق قول أنس بن مالك: (ما أعلم أن الرسول رأى سميطا بعينه قط) مع قول عمرو بن أمية: (أنه رأى النبى عَلَيْهِ السَّلَامُ يحتز من كتف شاة)؟ فالجواب: أن قول أنس يحتمل تأويلين: أحدهما: أن يكون النبى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يتفق له قط أن تسمط له شاة بكمالها، لأنه قد احتز من الكتف مرة ومن الجنب أخرى، وذلك لحم مسموط لا محالة. والثانى: أن أنسًا قال: لا أعلم ولم يقطع على أن النبي ﷺ لم يأكل لحمًا مشويًا، فأخبر بما علم وأخبر عمرو بن أمية وأم سلمة وغيرهما أنه رأى النبى يحتز من الكتف والجنب المشوي، وكل واحد أخبر بما علم، وليس قول أنس برافع قول مَن عَلِم؛ لأن من علم حجة على من لم يعلم؛ لأنه زاد عليه فوجب قبول الزيادة.

(4) الدقل: أردأ التمر. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (ج2/ 289).

(5) رواه مسلم في صحيحه: (36-2978) عن سماك بن حرب، قال: سمعت النعمان، يخطب قال: ذكر عمر ما أصاب الناس من الدنيا، فقال: «لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي، ما يجد دقلا يملأ به بطنه». و(34-2977) عن عن سماك، قال: سمعت النعمان بن بشير، يقول: ألستم في طعام وشراب ما شئتم؟ «لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدقل، ما يملأ به بطنه».

۞ قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري، (ج9/ 481): فإن ذلك كان يكون فى الحين بعد الحين من أجل أن من كان منهم ذا مال كانت تستغرق نوائب الحقوق وماله وموساة الضيفان، ومن قدم عليهم من وفود العرب حتى يقل كثيره أو يذهب جميعه.

ورَوَى الإمامُ أحمَدُ عن عائِشةَ أنّها قالت: والّذي بعَثَ محمَّدًا بالحقِّ ما رَأى مُنخلًا، ولا أكَل خبزًا منخولًا[1] مُنذ بعثَه الله عَزَّوَجَلَّ إلى أن قُبِض. قال عُروة فقلتُ لها: كيفَ كنتُم تأكُلون الشّعيرَ؟! قالت: كُنّا نقولُ أُفٍّ[2]. أي: ننفخُه فيطيرُ ما طارَ ونعجِنُ الباقيَ.

ورَوى أحمَدُ قالت عائِشةُ: ما شبِعَ رسول الله ﷺ من خبزِ شعيرٍ يومَينِ مُتتابِعينِ حتَّى قُبِض[3].

---

(1) وقوله: يأكلون الشعير غير منخول، أي: مغربل، ومنه «ما رأى منخلا حتى قبضه الله»، والمنخل: الغربال -بضم الميم والخاء-، ومثله: أكنتم تنخلون الشعير...والنخالة: ما بقي من قشور الطعام بعد غربلته. انظر: مشارق الأنوار للقاضي عياض، مادة (ن خ ل)، (ج2/ 6).

(2) رواه الإمام أحمد في مسنده، حديث (24421)، (ج40/ 483). قال ابن حجر في فتح الباري، (ج9/ 548): وأظنه احترز عما قبل البعثة لكونه ﷺ كان سافر في تلك المدة إلى الشام تاجرًا، وكانت الشام إذا ذاك مع الروم، والخبز النقي عندهم كثير، وكذا المناخل وغيرها من آلات الترفه، فلا ريب أنه رأى ذلك عندهم، فأما بعد البعثة لم يكن إلا بمكة والطائف والمدينة، ووصل إلى تبوك وهي من أطراف الشام لكن لم يفتحها ولا طالت إقامته بها.

(3) الحديث ورد بعدة ألفاظ، ففي الصحيحين: 1- البخاري: كتاب الأطعمة، باب ما كان السلف يدخرون في بيوتهم وأسفارهم من الطعام واللحم وغيره، حديث (5423). وكتاب الأيمان والنذور، باب إذا حلف أن لا يأتدم فأكل تمرًا بخبز وما يكون من الأدم، حديث (6687)، بلفظ: «... ما شبع آل محمد ﷺ من خبز بر مأدوم ثلاثة أيام حتى لحق بالله». وكتاب الأطعمة، باب القديد، حديث (5438)، بلفظ: «... وما شبع آل محمد ﷺ من خبز بر مأدوم ثلاثا».

2- مسلم، كتاب الزهد والرقائق: (20-2970) بلفظ: «ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة، من طعام بر ثلاث ليال تباعا، حتى قبض». و(21-2970) بلفظه.

۞ (22-2970)، بلفظ: «ما شبع آل محمد ﷺ، من خبز شعير يومين متتابعين، حتى قبض رسول الله ﷺ».

۞ (23-2970)، بلفظ: «ما شبع آل محمد ﷺ، من خبز بر فوق ثلاث».

۞ (24-2970)، بلفظ: «ما شبع آل محمد ﷺ، من خبز البر ثلاثا حتى مضى لسبيله».

3- رواه الإمام أحمد في مسنده، حديث (24665)، (ج41/ 204)، بلفظ: «ما شبع آل محمد ﷺ... حتى قبض رسول الله ﷺ».

=

وقالت أيضًا: فارَقَ الدّنيا وما شبِعَ في يوم مرَّتين.

وقد رَوى الإمامُ أحمدُ بإسنادِه عن مسروقٍ(1)، عن عائِشةَ قالت: دخلَت عليَّ امرأةٌ مِنَ الأنصار، فرَأت فِراشَ رسول الله ﷺ عباءةً، فرَجعَت إلى منزلِها فبعَثَت إليَّ بفِراشٍ حشوه الصّوفُ، فدخَل عليَّ رسول الله ﷺ فقال: «ما هذا؟» فقلتُ: فُلانةُ الأنصاريّة، دخلَت فرَأت فِراشَكَ فبعَثَت إليَّ بهذا، فقال: «رُدّيه» فلم أرُدَّه وأعجَبَني أن يكونَ في بيتي حتَّى قال ذلك ثلاثَ مِرارٍ، فقال: **«يا عائِشة رُدّيه، فَوالله لو شِئتُ لأجرَى الله مَعيَ جِبالَ الذَّهَبِ والفِضّة»**(2).

وعُرض عليه مفاتِحُ كنوزِ الدّنيا فقال: «بَلَ أجوعُ يومًا وأشبَعُ يومًا، فإذا جُعتُ تَضَرَّعتُ إليك وذَكرتُكَ وإذا شَبِعتُ حَمِدتُكَ وشَكَرتُكَ»(3).

=4- الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ، حديث (2516)، بلفظ: «ما شبع رسول الله ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

۞ قال القسطلاني في إرشاد الساري، (ج9/ 264): وإنما كان يفعل ذلك ﷺ للإيثار أو لكراهة الشبع وكان يفعل ذلك مع إمكان حصول التوسع له فقد عرض عليه ربه عَزَّوَجَلَّ أن يجعل له بطحاء مكة ذهبا فاختار الجوع يوما والشبع يوما للتضرع والشكر.

(1) هو مسروق بن الأجدع بن مالك الوادعي الهمداني، الإمام، القدوة، العلم، وعداده في كبار التابعين، وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ، قال أبو داود: (ومسروق هو ابن أخت عمرو بن معد يكرب)، قال الشعبي: (ما علمت أن أحدا كان أطلب للعلم في أفق من الآفاق من مسروق)، وقال يحيى بن معين: (مسروق ثقة، لا يسأل عن مثله)، توفي سنة (62، وقيل: 63هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج4/ 63-69).

(2) رواه: الإمام أحمد في الزهد، ط دار الكتب العلمية، حديث (76) بنحوه. والطبراني في الأوسط، (ج6/ 141)، حديث (6029) بنحوه. قال الطبراني: لم يَروِ هذا الحديث عن حماد بن زيد إلا الصّلت بن مسعود. والبيهقي في شعب الإيمان، (ج3/ 61)، حديث (1395) بنحوه.

۞ جميعًا من طريق: مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن مسروق.

(3) رواه البيهقي في شعب الإيمان، حديث (9925)، (ج13/ 43)، بسنده إلى أبي أمامة=

وسأل ربَّه أن يجعَلَ رِزقَه ورِزقَ أهله قوتًا كما في «الصّحيحين» من حديثِ أبي هُريرةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم اجعَل رِزقَ آلِ محمّد قوتًا**[1]»[2].

ورَوى أحمَدُ والتِّرمذيُّ عنِ ابنِ عبّاسٍ قال: كان رسول الله ﷺ يَبيتُ اللّيالي المُتَتابِعة طاويًا، وأهله لا يَجِدونَ عشاءً، وكان أكثَرُ خُبزِهم خُبزَ الشّعيرِ[3].

=الباهلي، أن رسول الله ﷺ قال: «عرض علي ربي عَزَّوَجَلَّ أن يجعل لي بطحاء مكة ذهبا، فقلت: لا يا رب، ولكن أجوع يوما وأشبع يوما، فإذا شبعت حمدتك وشكرتك، وإذا جعت تضرعت إليك ودعوتك».

(1) أي بقدر ما يمسك الرمق من المطعم، انظر: النهاية لابن الأثير، مادة (قوت)، (ج 8/ 3516).

(2) متفق عليه: صحيح البخاري، باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، حديث (6460)، بلفظ: «اللهم ارزق آل محمد قوتا». صحيح مسلم، حديث (1055). قال الطبري: فى اختيار رسول الله ﷺ، وخيار السلف من الصحابة والتابعين شظف العيش، والصبر على مرارة الفقر والفاقة ومقاساة خشونة خشن الملابس والمطاعم على خفض ذلك ودعته، وحلاوة الغنى ونعيمه ما أبان عن فضل الزهد فى الدنيا وأخذ القوت والبلغة خاصة. انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال، (ج10/ 176). قال الوزير ابن هبيرة في الإفصاح عن معاني الصحاح، (ج7/ 157-158): في هذا الحديث من الفقه أن رسول الله ﷺ أخبر أن من الرزق ما يكون بلغة ولا يعوز ولا يفضل؛ لأن الكفاف ما كان مبلغًا المحل غير قاصر فيشغل بفضول أو معوز فيشغل في تحصيله، وعلى أن هذا الدعاء هو الكفاف الحاصل لم يكون من الرزق لسائر أهل الدنيا؛ فإنه لا يحصل لكبر إنكار سوى قوته؛ وللذي يتقي الفتن من الدنيا، وقد قاسى شيء مما قدر له عن كفاية، فثبت أن الفاضل عن القوت فيه إشغال، وقد أجاد أبو الطيب حين يقول:

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ... ما فاته وفضول العيش إشغال

وفيه أيضًا: أنه ﷺ دعا لآله أن يكون رزقهم قوتًا، فلا يطغون بالإكثار، ولا يحسدهم أهل الدنيا في أرزاقهم، إذا رآهم الفقير استعمل الرضا، وإذا رآهم الغني استحيا.

(3) رواه: أحمد في مسنده، (ج4/ 150)، حديث (2303)؛ من طريق: عفان، قال: حدثنا=

فإن قيلَ: هذا كان في أوّلِ الأمرِ، ثُمّ بعد ذلك استغنَى وأنزلَ اللهُ تعالى عليه قولَه: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: 8].

والجوابُ -على ما ذكرَه جماعةٌ مِنَ المفسِّرين-: أنّ اللهَ رضّاه وقنّعَه بما أعطاه[1]، كما قال: «ليسَ الغِنَى عن كَثرةِ العرَضِ، إنّما الغِنَى غِنَى النّفسِ»[2].

(وأمّا قولُه: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ قال أبو عُبيدةَ[3]: أي ذا فقرٍ[4]. [17/أ]

=ثابت -يعني ابن يزيد-، حدثنا هلال، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: «... قال: وكان عامة خبزهم...». والترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله، حديث (2519)، -بنفس طريق الإمام أحمد، وبلفظ المصنف-. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه في سننه، أبواب الأطعمة، باب خبز الشعير، حديث (3347)، -بنفس طريق ولفظ الإمام أحمد-.

(1) راجع: زاد المسير لابن الجوزي، ط الشيخ علي بن عبدالله، (ج9/ 159).

(2) متفق عليه: صحيح البخاري، باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب الغنى غنى النفس، حديث (6446)، بلفظ: «...، ولكن الغنى...». صحيح مسلم، حديث (120-1051) بلفظ البخاري.

۞ قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري، (ج10/ 165): يريد ليس حقيقة الغنى عن كثرة متاع الدنيا، لأن كثيرا ممن وسع الله عليه فى المال يكون فقير النفس لا يقنع بما أعطي فهو يجتهد دائبا فى الزيادة، ولا يبالى من أين يأتيه، فكأنه فقير من المال؛ لشدة شرهه وحرصه على الجمع، وإنما حقيقة الغنى غنى النفس، الذى استغنى صاحبه بالقليل وقنع به، ولم يحرص على الزيادة فيه، ولا ألح فى الطلب، فكأنه غني واجد أبدا، وغنى النفس هو باب الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لأمره علم أن ما عند الله خير للأبرار.

(3) هو الإمام العلامة البحر، أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، مولاهم البصري، النحور، صاحب التصانيف، ولد في سنة (110هـ)، حَدّث عن: هشام بن عروة، ورؤبة بن العجاج، وأبي عمرو بن العلاء، وطائفة. حدث عنه: علي بن المديني، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وعلي بن المغيرة الأثرم، وعدة. حدث ببغداد بجملة من تصانيفه توفي سنة (209هـ، وقيل: 210هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج9/ 445-447).

(4) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيد ة (ج2/ 302).

وأنشدَ [من الوافر]:

وَما يَدري الفقيرُ مَتَى غِناهُ   وَما يَدري الغنيُّ مَتَى يَعيلُ[1]

أي: يفتَقِر.

قال ابنُ قُتيبةَ[2]: العائِلُ: الفقير كان له عيالٌ أو لم يكُن، يُقالُ: عالَ الرّجُلُ؛ إذا افتقَرَ، وأعالَ؛ إذا كَثُر عيالُه[3].

وفي قولِه تعالى: ﴿فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ قولانِ[4]:

أحدهما: رضّاك بما أعطاك مِنَ الرِّزقِ، قاله ابنُ السّائبُ[5]، واختارَه الفرّاءُ[6]، فقال: لَم يكُن غِناه عن كثرة المالِ، ولكنّ اللهَ تعالى رضّاه بما آتاه، وإن كان قليلًا[7].

والثّاني: فأغناكَ بمال خَديجةَ عن أبي طالِبٍ، قاله جماعة مِنَ المُفسِّرينَ[8].

---

(1) البيت لأحيحة بن الجلاح الأوسي الجاهلي من قصيدة له أوردها أبو زيد القرشي في جمهرة أشعار العرب (ص:518). والبيت في: معاني القرآن؛ للفراء (ج1/ 255). مجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (ج1/ 255). معاني القرآن؛ للزجاج (ج2/ 441). تفسير الطبري (ج6/ 376) و(ج11/ 399) و(ج24/ 489). جمهرة اللغة؛ لابن دريد (ج1/ 59) و(ج1/ 571) و(ج2/ 952).

(2) تقدمت ترجمته.

(3) غريب القرآن؛ لابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، (ص:531).

(4) ذكر القولين ابن الجوزي في زاد المسير، (ج9/ 159).

(5) انظر: تنوير المقباس (ص:651). وذكره الواحدي في التفسير البسيط (ج4/ 511) من رواية الكلبي، ونقل اختيار الفراء. وقد ورد بمثله عن مقاتل، انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي، ط دار التفسير، (ج29/ 501). معالم التنزيل -تفسير البغوي-، ط دار طيبة (ج8/ 456) وذكر اختيار الفراء. قال ابن عطية في تفسيره، ط الأوقاف، (ج8/ 641): والجمهور على أنه فقر المال وغناه، والمعنى في النبي ﷺ أنه أغني بالقناعة والصبر وحببا إليه فقر الحال وغناه.

(6) تقدمت ترجمته.

(7) انظر: معاني القرآن؛ للفراء (ج3/ 274).

(8) راجع: الكشف والبيان؛ للثعلبي (ج29/ 501). التفسير الوسيط؛ للواحدي (ج4/ 511).

فالنّبيُّ ﷺ لم يستغنِ بكثرةِ المالِ، وإنّما استغنَى بالله عَزَّوَجَلَّ.

ومما يدلُّ على ذلك أنّ اللهَ تعالى توفّاه ودِرعُه مرهونةٌ عند يهوديٍّ على طعامٍ أخذَه لأهله، كما هو ثابتٌ في «الصّحيح»[1] ومات ﷺ ولم يترُكْ دِرهمًا واحِدًا، ولا دينارًا، ولا شاةً، ولا بعيرًا، ولا عبدًا، ولا أمةً[2].

وما ذكرنا مِنَ الأحاديثِ والآثار يدُلُّ علَى أنّه كان فقيرًا مِنَ المالِ، وكذلك غالبُ الصّحابةِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعينَ، ونزَلَ في حقِّ بعضِهم قرآنٌ يُتلى، قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: 52] نزلَت في خبّاب، وصُهيبٍ، وبلالٍ، وعمّارٍ، وابنِ مسعودٍ،

---

(1) رواه البخاري في صحيحه: - كتاب الجهاد، باب ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب، حديث (2916)، عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: «توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي، بثلاثين صاعا من شعير». كتاب المغازي، حديث (4467)، عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قالت: «توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين».

قال النووي في شرح صحيح مسلم، (ج13/ 211): كان أهل اليسار من المهاجرين والأنصار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ مع برهم له ﷺ وإكرامهم إياه واتحافه بالطرف وغيرهما ربما لم يعرفوا حاجته في بعض الأحيان لكونهم لا يعرفون فراغ ما كان عنده من القوت بإيثاره به ومن علم ذلك منهم ربما كان ضيق الحال في ذلك الوقت كما جرى لصاحبيه ولا يعلم أحد من الصحابة علم حاجة النبي ﷺ وهو متمكن من إزالتها إلا بادر إلى إزالتها لكن كان ﷺ يكتمها عنهم إيثارا لتحمل المشاق وحملا عنهم.

(2) روى البخاري في صحيحه: كتاب الوصايا، باب الوصايا، حديث (2739)؛ عن عمرو بن الحارث ختن رسول الله ﷺ أخي جويرية بنت الحارث، قال: «ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا، إلا بغلته البيضاء، وسلاحه وأرضا جعلها صدقة». كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، حديث (4461)؛ عن عمرو بن الحارث، قال: «ما ترك رسول الله ﷺ دينارا، ولا درهما، ولا عبدا، ولا أمة، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها، وسلاحه، وأرضا جعلها لابن السبيل صدقة». وروى مسلم في صحيحه، حديث (18-1635)؛ عن عائشة، قالت: «ما ترك رسول الله ﷺ دينارا، ولا درهما، ولا شاة، ولا بعيرا، ولا أوصى بشيء».

والمِقدادِ، وسلمانَ، وعامِر بن فُهيرةَ، وسالم مولَى أبي حُذيفةَ[1].

وفي «صَحيح مُسلم» قال سعدُ بن أبي وقّاصٍ: نزَلت فيَّ وفي ستّة[2]. وذكَر نحوَ ما تقدَّم إلى المِقدادِ.

قال عكرِمةُ: جاءَ عُتبةُ وشيبةُ، ومطعمُ بن عديٍّ، والحارثُ بن نوفلٍ، وأشرافُ بَني عبد منافٍ إلى أبي طالبٍ، فقالوا: لو أنّ ابنَ أخيكَ يطرُد عنه مَوالينا وعبيدَنا كان أعظمَ في صُدورِنا، وأقربَ إلى اتِّباعِنا إيّاه، فأتاه أبو طالبٍ فحدَّثَه؛ فنزلَت هذه الآية[3]، فكانوا يأنفون أشراف القبائلِ مِنَ الموالي والفُقراءِ والعبيدِ الّذين آمنوا بالنّبيِّ صلى الله [17/ ب] عليه وسلم؛ لِكونِهم أقربَ النّاس إليهم بإيمانِهم. لكونِ بعضِهم صاحِبَ سره وصُلحاءَ أُمّتِه، ولما نظَر كُفّار قُريش إلى هؤلاء الضُّعفاءِ الفُقراء بعينِ الكبرِ والعُجبِ أنِفوا من مُساواتهم في الإيمانِ بالنّبيِّ ﷺ «رُبَّ أشعَثَ أغبَرَ مَدفوع بالأبوابِ لو أقسمَ علَى الله لأبرَّه»[4]. يُؤيِّد هذا ما حكاه الله عَزَّوَجَلَّ في قصّة نوحٍ عن قومِه ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾﴾ [الشعراء:111-115]. وروى ثوبانُ قال: جاء حَبرٌ من أحبارِ اليهودِ إلى النّبيِّ ﷺ فقال: أينَ يكونُ النّاسُ يومَ تُبدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هم في الظُّلمة دونَ الجِسرِ**[5]» قال:

---

(1) راجع: تفسير الطبري، (ج9/ 258). أسباب النزول للواحدي، ت: عصام الحميدان، (ص: 216).

(2) صحيح مسلم، حديث (2413).

(3) رواه الطبري في تفسيره، (ج9/ 262).

(4) سبق تخرجه.

(5) هو بفتح الجيم وكسرها لغتان مشهورتان، والمراد به هنا الصراط. انظر: شرح مسلم للنووي، (ج3/ 227).

فَمَن أَوَّلُ النّاسِ إجازة؟ قال: «فُقَراءُ المُهاجِرينَ»[1]. وهذا شرفٌ عظيمٌ في حقِّ مَن اتَّصفَ بهذه الصِّفة بحقِّها.

فَصْلٌ

ومن فضلِ الفقرِ وشرفِه

تفرُّغُ العبدِ للعِبادةِ، واشتغالُه بالخالقِ عنِ الخلقِ، وبتحصيلِ الصّالحِ مِنَ الأعمالِ عنِ الذُّنوبِ والأثقالِ، فهذا هو السّيرُ إلى الله تعالى، وهو روحُ كلِّ منزلةٍ وسرُّها ولُبُّها وغايتُها. فإنّ العبدَ فقيرٌ إلى الله تعالى دائمًا في إعانتِه، وإجابةِ دعوَتِه، وقضاءِ حوائجِه، فهو فقيرٌ إليه فيما يُصلحه ويقصدُه ويُريدُه، وفيما يدفعُه عنه مما يضرُّه، وهذا هو الأمرُ والنّهي

---

(1) صحيح مسلم، حديث (34-315)، وتمام الحديث: عن أبو أسماء الرحبي، أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ حدثه قال: كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد فدفعتُه دفعة كاد يصرع منها فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله. فقال رسول الله ﷺ: «إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي»، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: «أينفعك شيء إن حدثتك؟» قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: «سل» فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: «هم في الظلمة دون الجسر» قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: «فقراء المهاجرين» قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زيادة كبد النون»، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها» قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «من عين فيها تسمى سلسبيلا» قال: صدقت. قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان. قال: «ينفعك إن حدثتك؟» قال: أسمع بأذني. قال: جئت أسألك عن الولد؟ قال: «ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا، فعلا مني الرجل مني المرأة، أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل، آنثا بإذن الله». قال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنبي، ثم انصرف فذهب. فقال رسول الله ﷺ: «لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه، وما لي علم بشيء منه، حتى أتاني الله به».

والشّريعةُ، وإلّا فإذا قُضيت حاجتُه الّتي طلبَها وأرادها ولم تكُن مصلحةً له كان ذلك ضررًا عليه، وإن كان في الحالِ له فيه لذّة ومنفعةٌ، فالاعتِبارُ بالمنفعة [18 / أ] الخالِصة أوِ الرّاجحةِ النّافعةِ في الدّنيا والآخرة، فإن الله تعالى أرسلَ رسولَه ﷺ يأمرُ النّاسَ بما ينفعُهُم، وينهاهم عمّا يضرُّهم، وبيَّنَ لهم مطلوبهم ومقصودَهم ومعبودَهُم، وهو الله لا إلَه إلّا هو وحدَه لا شريكَ له، فهو ربُّهم وخالقُهم ومليكُهُم، فمَن ترَكَ عِبادةَ الله وأشركَ به وعبَدَ غيرَه؛ فقد خسِرَ خُسرانًا مبينًا، وضَلَّ ضلالًا بعيدًا، ومَن عبد اللهَ وحدَه لا شريكَ لَه، وآمَنَ برُسُله وكتُبه، فأتى بما أمَرَه الله به، وانتَهى عمّا نَهى الله عنه؛ فقد فاز فوزًا عظيمًا.

وهذا الّذي تعلَّق به الأمر الدّيني الشّرعيّ، والإرادة الدّينيّة الشّرعيّة(1)، كما تعلَّق بالأوّلِ الأمرُ الكونيُّ القدريُّ، والإرادة الكونيَّةُ القدريّة(2)، والله تعالى قد أنعَم على عبادِه المؤمنينَ بالإعانةِ والهدايةِ، فإنّه بيَّنَ لهم هُداه بإرسال الرُّسُل، وإنزالِ الكُتُب، وأعانَهم على اتِّباع ذلك علمًا وعملًا.

فَصْلٌ

في اختِلافِ النّاسِ في الغِنيِّ الشّاكرِ والفقيرِ الصّابرِ أيُّهما أفضَلُ

وهذه المسألةُ هيَ الموعودُ بذكرِها وتحريرِها، وهي مسألةٌ قديمةٌ، وقد كثُر النِّزاعُ فيها مِنَ الجانِبَينِ، وصنّفَ فيها مِنَ الطّرَفَينِ جماعةٌ من العُلماءِ والفُقهاء والفُقراء والصّوفيّة وأهل الحديثِ والتّفسيرِ، واعتَنَوا

(1) الإرادة الدينية الشرعية: وهي محبة المراد ورضاه ومحبة أهله والرضا عنهم. انظر: التعريفات الاعتقادية؛ لسعد آل عبداللطيف، (ص: 23).

(2) الإرادة الكونية القدرية: وهي الإرادة المستلزمة لوقوع المراد التي يقال فيها: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. انظر: التعريفات الاعتقادية؛ لسعد آل عبداللطيف، (ص: 23).

بهذه المسألةِ ما لم يعتنوا بغيرِها مِنَ المسائِلِ، وذلك لِشمولِ معناها؛ لأنّ النّاس كُلَّهم ما يخرجون عن حقيقتِها؛ إمّا غنيٌّ أو فقيرٌ.

وإنّما الكلامُ في تحقيقِ المناطِ [18 / ب] وكلُّ مَن أطنَب من جانِبٍ، واحتجَّ لِطائفةٍ دون الأُخرى، وضعَّفَ حُجّة الأُخرى إنّما ذلك لكونِ نفسه مالَت إلى تلك الطّائفةِ دون الأُخرى، وقد يكونُ -والله أعلَمُ- علَى قدر ما أدّاه اجتهادُه إلى ما قاله ونصَرَه، والمسألة مُتجاذِبةٌ مِنَ الطّرفينِ، وقدِ احتجَّت كلُّ طائفةٍ علَى الأُخرى بما لم يمكن دفعُه مِنَ الكتابِ والسُّنةِ والآثارِ والاعتبارِ، فهؤلاءِ أدلَوا بحجج لا تُدفعُ، وكذلك الطّائفةُ الأُخرى، والحقُّ لا يُعارِضُ بعضُه بعضًا، بل يجِبُ اتّباعُ موجبِ الدّليلِ أيّن كان.

ولا بُدَّ أن نفصِلَ بينَ الطّائفتَينِ إن شاءَ الله بغيرِ هوى ولا حظِّ نفسٍ علَى قدر ما اطَّلعتُ عليه، والله الموفقُ.

وقد ذهَبَ جماعة من أكابرِ عُلماءِ الطّريقة -كالجُنيدِ والخوّاصِ وغيرِهما- إلى تفضيلِ الفقيرِ الصّابرِ علَى الغنيِّ الشّاكرِ، ونصَرَ هذا القولَ الغزاليُّ وبالغ في «إحياء عُلوم الدّين»[1] ووهَّى مَن قال بخِلافِه.

وقال ابنُ عطاءٍ[2] وابنُ قُتيبةَ وجماعةٌ من العُلماءِ: الغنيُّ الشّاكرُ أفضلُ مِنَ الفقيرِ الصّابرِ[3].

---

(1) انظر: إحياء علوم الدين، (ج3/ 264) و (ج4/ 201).

(2) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي، من ظراف مشايخ الصوفية وعلمائهم، له لسان في فهم القرآن، يختص به، صحب إبراهيم المارستاني، والجنيد، ومن فوقهما من المشايخ، كان أبو سعيد الخراز يعظم شأنه توفي سنة (309هـ/ وقيل: 311هـ). انظر: طبقات الصوفية للسلمي، ترجمة (42)، (ص: 207-212).

(3) انظر: مجموع الفتاوى (ج11/ 122). وعدة الصابرين؛ لابن قيم الجوزية، ط الأوقاف، الباب الثاني والعشرون في اختلاف الناس في الغني الشاكر والفقير الصابر أيهما أفضل؟ وما هو الصواب في ذلك، (ص: 338).

وذكرَ أبو حامدٍ الغزاليُّ قولَ ابنِ عطاءٍ وأنّه امتُحِن علَى هذا القولِ، وقال: قد ذكرتُ محنتَه في هذه المسألةِ في كتابِ الصّبرِ، وأنّ الجُنيدَ دعا علَى ابنِ عطاءٍ لكونِه خالفهُ[1].

وأمّا شيخُ الإسلامِ ابنِ تيميةَ فقال: قد وقَع في هذه المسألة نِزاعٌ قديمٌ بينَ الجُنيدِ وبينَ أبي العبّاس بن عطاءٍ، ثُمّ قال: والصّوابُ فيها ما قاله الله تعالى حيثُ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: 13]. وفي «الصّحيح» عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنِ النّبيِّ ﷺ أنّه سُئِلَ أيُّ النّاسِ أفضلُ؟ قال: «**أتقاهم**»، قيلَ له: ليسَ عن هذا نسألك، فقال: «**يوسفُ نبيُّ الله ابنُ يعقوبَ نبيِّ الله ابنِ إسحاقَ نبيِّ الله ابنِ إبراهيمَ خليلِ الله**»، فقيلَ له: ليسَ عن هذا نسألُك، فقال: «**عن معادِنِ العرَبِ تسألوني؟ النّاسُ معادِنُ كمعادنِ الذّهبِ والفِضّةِ؛ خيارُهم في الجاهِليّة خيارُهم في الإسلام إذا فقِهوا**»[2]. فدلَّ الكتابُ والسُّنّة أنّ أكرَمَ النّاسِ عندَ الله أتقاهُم، فإن استووا في التّقوَى استووا في الدّرجةِ[3]، انتهى كلامُه. وقد نُقل عنِ الإمامِ أحمدَ في المسألة رِوايتانِ.

قال القاضي أبو الحسينِ في كتابِ «التّمام»[4]: الفقيرُ الصّابرُ أفضلُ

---

(1) راجع: إحياء علوم الدين، (ج4/ 140).

(2) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: «واتخذ الله إبراهيم خليلا» وقوله: «إن إبراهيم كان أمة قانتا» وقوله: «إن إبراهيم لأواه حليم»، حديث (3353) بنحوه، وباب قول الله تعالى: «لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين»، حديث (3383) بنحوه.

(3) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية، (ص:52-54).

(4) هو محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء، القاضي الشهيد، أبو الحسين، ابن شيخ المذهب القاضي أبي يعلى، ولد سنة (451هـ)، توفي والده وهو صغير، فتفقه على=

مِنَ الغنيِّ الشّاكرِ في أصحِّ الرِّوايتَين، والثّانيةُ: الغنيُّ الشّاكرُ أفضلُ، وبها قال جماعة منهمُ ابنُ قُتيبةَ.

ثُمّ قال: وجه الرِّوايةِ الأولى اختارها أبو إسحاقَ ابنُ شاقلا[1] والوالِدُ السّعيدُ[2]، قولُه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفرقان:75]، قال محمد بن عليٍّ بن الحُسينِ[3]: الغُرفةُ الجنّة بما صبَروا، قال: على الفقرِ في الدُّنيا.

ورَوى أَنسٌ عنِ النّبيِّ ﷺ أنّه قال: «**اللهم أحيني مِسكينًا، وأمِتني مِسكينًا، واحشُرني في زُمرة المساكينِ يومَ القيامةِ**»، فقالت عائِشةُ: ولِمَ يا رسول الله؟ قال: «**إنّهم يَدخُلونَ الجنّة قبلَ الأغنياءِ بأربَعينَ خَريفًا،**

=الشريف أبي جعفر، وبرع في الفقه، وله تصانيف كثيرة في الفروع والأصول، وغير ذلك، وقرأ عليه جماعة، توفي سنة (526هـ). انظر: الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب، ط مكتبة العبيكان، ترجمة (77)، (ج1/ 391-395). انظر: كتاب التمام للقاضي أبي الحسين، ط دار العاصمة، (ج2/ 302).

(1) هو شيخ الحنابلة أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شاقلا البغدادي البزاز، كان رأسًا في الأصول والفروع، سمع من: دعلج السجزي، وأبي بكر الشافعي، وتفقه بأبي بكر غلام الخلال، وتخرج به أئمة، توفي في رجب سنة (369هـ)، وله أربع وخمسون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (ج16/ 292).

(2) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء أبو يعلى، ولد سنة (380هـ)، وابتدأ بالتصنيف والتدريس بعد وفاة شيخه ابن حامد، وحج سنة (414هـ) وعاد إلى تدريسه وتصنيفه في الفروع والأصول والآداب، وانقطاعه عن الدنيا وما يؤول إلى الذهاب، وكان يقسم ليله كله أقسامًا؛ فقسم للمنام، وقسم للقيام، وقسم لتصنيف الحلال والحرام، توفي ليلة الإثنين، بين العشاءين 19/ رمضان/ 458هـ. انظر: طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين، (ج2/ 193-230).

(3) لعله: أبو بكر محمد بن علي بن الحسين بن القيم الخزاز الحريمي، الحنبلي، طلب الحديث، -قال ابن رجب-: وأظنه جالس القاضي أبا يعلى، توفي سنة (480هـ). انظر: الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب، ترجمة (26)، (ج1/ 113).

يا عائِشةُ لا تَرُدّي المِسكينَ ولو بشقِّ تمرة، يا عائِشةُ [19/ أ] اجبُري[1] المساكينَ وقرِّبيهم؛ فإنّ اللهَ يُقربكِ يومَ القيامة»[2].

قال العلّامةُ ابنُ القيِّم: ولا حُجّة في واحِدٍ مِنَ الحُجّتَينِ، أمّا الآيةُ فإنّ الصبرَ فيها يتناول الصّبرَ على طاعةِ الله، والصّبرَ عن معصيةِ الله، والصبرَ على البلوَى بالفقرِ وغيرَ ذلك، ولو كان المرادُ بها الصّبر على الفقرِ وحده لم يدلَّ على رُجحانِه على الشُّكرِ، فإنّ القرآنَ دلَّ على جزاءِ الصّابرينَ كما دلَّ علَى جزاء الشّاكرينَ أيضًا، كما قال تعالى: ﴿وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: 145]، ﴿وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144].

وأمّا الحديثُ فلا حُجةَّ فيه[3] لوَجهَينِ:

أحدُهما: أنّه لا يُحتجُّ بإسناده، فإنّه من حديثِ ثابتِ بن محمدٍ الكوفيِّ، عنِ الحارثِ بن النُّعمانِ[4]، قال البُخاريُّ عنِ الحارثِ هذا: مُنكرُ الحديثِ[5]، وأمّا التِّرمذيُّ في «جامعِه» فلم يصحِّح حديثَه، ولم يُحسِّنه، بل حكَمَ بغرابَتِه.

---

(1) كذا في الأصل، وفي نسخة التمام المطبوعة: أحبّي. وفي سنن الترمذي: «حِبّي»

(2) رواه: الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون قبل أغنيائهم الجنة، حديث (2511). قال الترمذي: هذا حديث غريب. والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب قسم الصدقات، باب ما يستدل به على أن الفقير أمس حاجة من المسكين، حديث (13152)، (ج7/ 18). قال البيهقي: (قال أصحابنا: فقد استعاذ من الفقر، وسأل المسكنة، وقد كان له بعض الكفاية؛ يدل على أن المسكين من له بعض الكفاية). كلاهما من طريق: ثابت بن محمد العابد الكوفي، قال: حدثنا الحارث بن النعمان الليثي، عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، به.

(3) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، (ج3/ 142).

(4) الحارث بن النعمان بن سالم الليثي، ابن أخت سعيد بن جبير، روى عن: أنس بن مالك، والحسن البصري، وخاله سعيد بن جبير، وطاووس بن كيسان، قال أبو حاتم: ليس بقوي في الحديث. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج5/ 291).

(5) انظر: الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي، (ج1/ 184).

الثّاني: أنّ الحديثَ لو صحّ لم يدُلَّ على مطلوبِهم، فإنّ المسكنة الّتي يُحبُّها الله ليسَت مسكنةَ فقرِ المالِ، بل مسكنةَ القلبِ، والله أعلَم[1]، انتهى كلامُه.

فَصْلٌ

ثُمّ حدثت طائفةٌ أُخرى مِنَ العُلماء، فقالت: لا فضلَ للفُقراءِ علَى الأغنياءِ، ولا للأغنياءِ علَى الفُقراءِ إلّا بالتّقوَى، فأيُّهما أعظم إيمانًا وتقوَى كان أفضلَ عند الله، فإنِ استويا في الصّبر والشُّكر والإيمان والتّقوى استوَيا في الفضيلةِ[2].

واستدلَّ مَن قال بهذا القولِ بقولِه تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ [19/ ب] أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء: 135]، وبقولِه تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: 13] لم يقُل: أفقركم ولا أغناكُم.

ومالَ إلى هذا القولِ شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد ذكرنا قولَه قريبًا مختصرًا، ثُمّ رأيت بعدَ ذلك أنّه سُئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه المسألة، فقال: قد تنازَع كثيرٌ من مُتأخري المُسلمينَ في الغنيِّ الشّاكرِ والفقيرِ الصّابرِ أيُّهما أفضلُ؟ فرجّح هذا طائفةٌ مِنَ العُلماءِ والعبّادِ، ورجّح هذا طائفةٌ أُخرى مِنَ العُلماءِ والعُبّاد، وحُكي في ذلك عنِ الإمام أحمدَ روايتانِ، وأمّا الصّحابةُ والتّابعون فلَم يُنقل عنهم تفضيلُ أحَدِ الصّنفينِ

---

(1) انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين؛ لابن القيم، (ص:286-287).

(2) قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري، (ج10/ 168): وأحسن ما رأيت في هذه المسألة ما قاله أحمد بن نصر الداودي قال: الفقر والغنى محنتان من الله تعالى وبليتان يبلو بهما أخبار عباده ليُبدِي صبر الصابرين وشكر الشاكرين وطغيان البطرين، وإنما أشكل ذلك على غير الراسخين، فوضع قوم الكتب في تفضيل الغني على الفقير، ووضع آخرون في تفضيل الفقر، وأغفلوا الوجه الذي يجب الحض عليه والندب إليه...

علَى الآخَرِ، وقال طائِفةٌ ثالثةٌ بأنّه ليس لِأحدِهما علَى الآخَرِ فضيلةٌ إلّا بالتّقوَى، فأيُّهما كان أعظَمَ إيمانًا وتقوَى كان أفضلَ، فَإنِ استويا في ذلك استويا في الفضيلة. ثُمّ قال: وهذا أصحُّ الأقوالِ؛ لأنّ نصوصَ الكتاب والسُّنّة إنّما تُفضِّل بالإيمانِ والتّقوَى، وقد قال الله تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء: 135].

(فالتّفاضُل لا يقَعُ بالغِنى والفقرِ بل بالتّقوى، فإنِ استَوَيا [في التّقوى][1]؛ استَوَيا [في الدّرجة][2].

وتَذاكَروا هذه المسألة عند يَحيى بن مُعاذٍ الرّازيِّ[3]، فقال: لا يوزنُ عندي[4] الفقرُ والغِنى، إنّما يوزنُ الصّبرُ والشُّكرُ)[5].

وقد كان في الأنبياء والسّابقِينَ الأوّلينَ مِنَ الأغنياءِ مَن هو أفضلُ من أكثرِ الفُقراءِ، وكان فيهم من الفُقراءِ مَن هو أفضلُ من أكثرِ الأغنياءِ، والكامِلون يقومونَ بالمقامَينِ، فيقومونَ بالشُّكر والصّبر علَى التّمام، كحال نبيِّنا ﷺ، وحالِ أبي بكرٍ وعُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ولكِن قد يكونُ الفقرُ لِبعضِ النّاسِ أنفعَ [مِنَ الغِنَى][6]، والغِنَى لِآخرينَ [20/ أ] أنفع، كما تكونُ الصِّحّة لبعضِهم أنفعَ، كما في الحديثِ الّذي رواه البغَويُّ وغيرُه عنِ النّبيِّ ﷺ فيما يرويه عن ربّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «**إنّ من عِبادي مَن لا يُصلِحُه إلّا الغِنَى، ولو أفقرتُه لَأفسَدَه ذلك، وإنّ من عِبادي مَن لا يُصلِحُه إلّا الفقرُ، ولو أغنَيتُه لَأفسَدَه ذلك، وإنّ من عِبادي مَن لا يُصلِحُه إلّا السّقَمُ، ولو أصحَحتُه**

(1) زيادة من مدارج السالكين ليتضح المعنى.(2) زيادة من مدارج السالكين ليتضح المعنى.

(3) تقدمت ترجمته.

(4) كذا في الأصل، وفي المدارج: غدًا.

(5) ما بين المعكوفين ليس من كلام شيخ الإسلام.

(6) ليست في الأصل، والزيادة من مجموع الفتاوى (ج11/ 120).

لَأفسَدَه ذلك، إنّي أُدبِّرُ عِبادي إنّي بهم خَبيرٌ بَصيرٌ»(1). (فعُلِم بهذا أنّ الغِنَى في حقِّ الغنيِّ أفضلُ مِنَ الفقرِ، وأنّ الفقرَ في حقِّ الفقيرِ أفضلُ له مِنَ الغِنى)(2). وقد صحَّ عنِ النّبيِّ ﷺ أنّه قال: «إنّ فُقَراءَ المسلِمينَ يَدخُلونَ الجنّةَ قَبلَ الأغنياءِ»(3)، وفي الحديثِ الآخَرِ لَمّا عَلَّم الفُقراءَ الذِّكرَ عُقيبَ الصّلواتِ سمِع بذلك الأغنياءُ، فقالوا مثلَ ما قالوا. فذَكَر ذلك الفُقراءُ للنّبيِّ ﷺ فقال: «ذلك فَضلُ اللهِ يُؤتيه مَن يَشاءُ»(4).

---

(1) رواه: 1- الثعلبي في تفسيره (ج8/ 318) وتمامه: «من أهان لي وليا، فقد بارزني بالمحاربة، وإني لأسرع شيء إلى نصرة أوليائي، وإني لأغضب لهم كما يغضب الليث الحرد، وما ترددت عن شيء أنا فاعله، ترددي عن قبض روح عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره إساءته، ولا بد له منه، فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا ومؤيدا، إن سألني أعطيته وإن دعاني استجبت له وإن من عبادي المؤمنين لَمَن يسألني الباب من العبادة، ولو أعطيته إياه دخله العجب فأفسده، وإن من عبادي المؤمنين، لمن لا يصلحه إلا السقم ولو صححته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الصحة، ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك. إني أدبر عبادي لعلمي بقلوبهم إني عليم خبير».

2- ابن عساكر في تاريخ دمشق (ج7/ 95) وتمامه: «من أخاف لي وليا فقد بارزني وما تقرب إلي عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه وما يزال عبدي المؤمن يتنقل إلي حتى أحبه ومن أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا إن سألني أعطيته وإن دعاني أجبته وما رددت أمرا أنا فاعله ما رددت أمر عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه وإن من عبادي المؤمنين لمن يشتهي الباب من العبادة فأكفه عنه لئلا يدخله عجب فيفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الفقر ولو بسطت له لأفسده ذلك وإن من عبادي لمن لا يصلحه إلا السقم لو أصححته لأفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك إني أدبر عبادي بعلمي بقلوبهم إني عليم خبير».

(2) ما بين المعكوفين ليس من كلام شيخ الإسلام. (3) سبق تخريجه.

(4) رواه: البخاري في صحيحه: كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، حديث (843)، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جاء الفقراء إلى النبي ﷺ، فقالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلا، والنعيم المقيم يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل=

فالفُقراءُ يتقدّمونَ في دخولِ الجنّة لِخفّة الحسابِ عليهم، والأغنياءُ يُؤخَّرونَ لِأجلِ الحسابِ، ثُمّ إذا حوسِبَ أحدُهم فإن كانت حسنُاته أعظمَ من حسناتِ الفقيرِ؛ كانت درجتُه في الجنّة فوقَه، وإن تأخّر في الدُّخولِ، كما أنّ السّبعينَ ألفًا يدخلون الجنّة بغير حِسابٍ، ومنهم عُكّاشةُ بن مُحصَنٍ قد يدخُلُ الجنّة بحسابٍ مَن يكونُ أفضلَ من أحدِهم في الدّرجاتِ)(1)، لكن أولئك استراحوا من تعَبِ الحسابِ.

=من أموال يحجون بها، ويعتمرون، ويجاهدون، ويتصدقون، قال: «ألا أحدثكم إن أخذتم أدركتم من سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم، وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه إلا من عمل مثله؛ تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين»، فاختلفنا بيننا، فقال بعضنا: نسبح ثلاثا وثلاثين، ونحمد ثلاثا وثلاثين، ونكبر أربعا وثلاثين، فرجعت إليه، فقال: تقول: «سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، حتى يكون منهن كلهن ثلاثا وثلاثين». كتاب الدعوات، باب الدعاء بعد الصلاة، حديث (6329)، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم. قال: «كيف ذاك؟» قالوا: صلوا كما صلينا، وجاهدوا كما جاهدنا، وأنفقوا من فضول أموالهم، وليست لنا أموال. قال: «أفلا أخبركم بأمر تدركون من كان قبلكم، وتسبقون من جاء بعدكم، ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم إلا من جاء بمثله؟ تسبحون في دبر كل صلاة عشرا، وتحمدون عشرا، وتكبرون عشرا». ومسلم في صحيحه، حديث (595)، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى، والنعيم المقيم، فقال: «وما ذاك؟» قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق، فقال رسول الله ﷺ: «أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم؟ ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم» قالوا: بلى، يا رسول الله قال: «تسبحون، وتكبرون، وتحمدون، دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة» قال أبو صالح: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء». قال ابن رجب في فتح الباري شرح صحيح البخاري، (ج7/ 407): ومن زعم من الصوفية أنه أراد أن الفقر فضل الله، فقد أخطأ، وقال ما لا يعلم. قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم، (ج2/ 58): ومعنى هذا أن الفقراء ظنوا أن لا صدقة إلا بالمال، وهم عاجزون عن ذلك، فأخبرهم النبي ﷺ أن جميع أنواع فعل المعروف والإحسان صدقة.

(1) انظر: فتاوى شيخ الإسلام، (ج11/ 119-121).

وهذا في الفُقراء المذكورينَ في الكتاب والسُّنّة، وهو ضدُّ الغِنى الّذي يُبيحُ أخذ الزكاةِ أو الّذي لا يوجب الزكاةَ، ثُمّ قد صارَ في اصطلاحِ كثيرٍ مِنَ النّاس الفقرُ[1]: عبارةٌ عنِ الزُّهد والعبادة والأخلاقِ، ويُسمّون مَنِ اتَّصَف بذلك: فقيرًا، وإن كان ذا مالٍ، ومَن لم يَتَّصف بذلك قالوا: ليس بفقيرٍ، وإن لم يكُن له مالٌ، وقد يُسمَّى بهذا المعنَى تصوُّفًا أو صوفيًّا، ومِنَ النّاس مَن يُفرِّقُ بينَ مُسمَّى الفقيرِ والصّوفي، ثُمّ من هؤلاء مَن يجعل مُسمَّى الفقير أفضلَ، ومنهم مَن يجعل مُسمَّى الصّوفي أفضلَ.

والتّحقيق في هذا البابِ[2]: أنّه لا يُنظر إلى الألفاظِ المُحدثةِ، بل يُنظر إلى ما جاء به الكتابُ والسُّنّة مِنَ الأسماء والمعاني، والله تعالى قد جعَل وصفَ أوليائه الإيمانَ والتّقوى[3]، فمَن كان نصيبُه من ذلك أعظمَ؛ كان أفضلَ، ولا اعتِبارَ بما سِوى ذلك[4]، والله أعلَم.

فَصْلٌ

في ذكرِ ما استدلّت به الفُقراءُ مِنَ الكتابِ والسُّنّة والآثارِ والاعتِبارِ

قالت الفُقراءُ ومَن نصرَهم وقال بقولِهم: قد ذكَر الله سبحانَه الغِنَى والمالَ [21/ أ] في القرآنِ علَى وجوهٍ:

---

(1) في حاشية الأصل عنوان فيه: الفقر في اصطلاح الصّوفيّة.

(2) قال القرافي في الذخيرة (ج13/ 332): والذي أراه تفضيل الغنى على الفقر وتفضيل الفقر على الكفاف...

(3) قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:62-63].

(4) انظر: عدة الصابرين لابن القيم، ط الأوقاف، الباب الثاني والعشرون، (ص: 348-349).

أحدُها: على وجه الذمِّ؛ كقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ ﴾[1] أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴾ [العلق: 6-7]، وقوله: ﴿ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[2] [الشورى: 27].

وقوله: ﴿ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ ... الآيةَ[3] [الزخرف: 33]، وقوله: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ ﴾ .... الآيةَ[4] [التوبة: 55]، وقوله: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ [الكهف: 46]، وقوله: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ ﴾[5] ... الآيةَ[6] [آل عمران: 1]، ونظار ذلك.

الثّاني: أن يذكره علَى وجه الابتلاءِ والامتحانِ؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ ﴾ [التغابن: 14]، وقوله: ﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: 55-56]، وقال تعالى مُخبرًا عن ابتلائه بالغنى كما ابتلى بالفقرِ: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾ ... الآيةَ[7] [الفجر: 15].

---

(1) تجاوز الحد في العصيان. انظر: مفردات ألفاظ القرآن؛ للراغب الأصفهاني، ط الأوقاف، مادة (طغى)، (ص: 419).

(2) أي: لتجاوزوا الحق إلى الباطل. انظر: مفردات ألفاظ القرآن؛ للراغب الأصفهاني، مادة (بغى)، (ص: 120).

(3) وتتمتها: ﴿لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴾.

(4) وتتمتها: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾.

(5) والقناطير: جمع القنطرة، والقنطرة من المال: ما فيه عبور الحياة تشبيها بالقنطرة، وذلك غير محدود القدر في نفسه، وإنما هو بحسب الإضافة. انظر: مفردات ألفاظ القرآن؛ للراغب الأصفهاني، مادة (قطر)، (ص: 538).

(6) وتتمتها:...﴿ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴾.

(7) والآية التي تليها: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾.

الثالث: إخبارُه تعالى أنّ الأموالَ والأولادَ لا تُقرِّبُ إليه شيئًا، وإنّما يُتقرَّب إليه بالإيمانِ والعمَلِ الصّالحِ؛ كقولِه تعالى: ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ ﴾[1] الآيةَ[2] [سبأ: 37].

الرّابع: إخباره أنّ الدّنيا والغِنَى والمالَ إنّما جعَلَها مُتعةً لِمَن لا نصيبَ له في الآخِرة، وأنّ الآخرةَ جعلَها للمُتّقين، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴾ [طه: 131]، وقال تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي [21/ ب] حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا ﴾ [الأحقاف: 20]. وإلى هذا المعنَى أشارَ النّبيُّ ﷺ بقولِه لِعُمرَ: «أما تَرضَى أن تكونَ لَهم الدُّنيا، ولَكُمُ الآخِرة»[3].

الخامِس: أنّه سُبحانه لم يذكُرِ المُترفين وأصحابَ المالِ إلّا بالذّمِّ؛ كقولِه تعالى: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ﴾[4] [الواقعة: 45]، وقولِه: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا ﴾ [الإسراء: 16]، وقولِه: ﴿ لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ ﴾ ... الآيةَ[5] [الأنبياء: 13].

---

(1) الزلفى: المنزلة والحظوة. انظر: مفردات ألفاظ القرآن؛ للراغب الأصفهاني، مادة (زلف)، (ص: 312).

(2) وتتمتها: ﴿ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾.

(3) متفق عليه؛ رواه: البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة التحريم، حديث (4913)، وهو نهاية حديث طويل، ولفظه: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة». مسلم في صحيحه، حديث (30-1479) وهو جزء من حديث طويل، ولفظه: «ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا». قال القرطبي في المفهم، (ج4/ 509): ثم لمّا أخلص الله جوهره، وطيَّب خُبرَه وخَبرَه؛ أغناه بعد العيلة، وكثَّره بعد القلة، وأعزه به بعد الذلة، ومن تمام الحكمة في أخذه ﷺ بالدّيون ليقتدي به في ذلك المحتاجون.

(4) التَّرَفُه: التوسع في النعمة، يقال: أُترف فلان فهو مُترف. انظر: مفردات ألفاظ القرآن؛ للراغب الأصفهاني، مادة (ترف)، (ص: 143).

(5) وتتمتها: ...﴿ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ﴾.

السّادس: أنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذَمَّ مُحبَّ المالِ، فقال تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ (1) أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: 19-20] فذمَّهم بحُبِّ المالِ، وعيَّرَهم به.

السّابع: أنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذَمَّ تمنّي الدُّنيا والغِنى والسّعدَ فيها، ومدَحَ مَن أنكر عليهم وخالفهُم، فقال تعالى حاكيًا عن قارونَ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: 79-80]. فأخبر سُبحانه ما عندَ الله خيرٌ مِنَ الدنيا لِمَن آمن وعمِلَ صالحًا، فثوابُ الله خيرٌ ولا يُلقّى ذلك إلّا الصّابِرونَ على الفقرِ، وعنِ الدُّنيا وشهواتِها.

الثّامن: أنّه سبحانه أنكَر على مَن ظنّ أنّ التّفضيلَ يكونُ بالمالِ الّذي يُحتاج إليه لإقامةِ المُلك، فكيفَ بما هو زيادة وفضلةٌ، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ [22/ أ] عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ﴾ [البقرة: 247].

فردَّ الله سبحانه قولَهم وأخبرَ أنّ الفضلَ ليس بالمالِ كما ظنّوه، وأنّ الفضلَ بالعلم لا بالمالِ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: 58]، ففضلُه ورحمتُه العِلمُ والإيمانُ والقرآنُ.

(1) الوراثة والإرث: انتقال قنية إليك عن غيرك من غير عقد، ولا ما يجري مجرى العقد، وسمي بذلك المنتقل عن الميت، فيقال للقنية الموروثة: ميراث وإرث. وتراث أصله وُراث، فقلبت الواو ألفًا وتاء. انظر: مفردات ألفاظ القرآن؛ للراغب الأصفهاني، مادة (ورث)، (ص: 681).

التّاسع: أنّه أخبرَ سُبحانه أنّ التّكاثُرَ في جمعِ المالِ وغيرِه ألهى النّاسَ وشغلَهم عنِ الآخرة والاستعدادِ لها وتوعَّدَهم على ذلك، فقال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: 1-4]. فأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنّ التّكاثُرَ شغَل أهلَ الدّنيا وألهاهم عنِ الله والدّارِ الآخِرة حتّى حضَرَهم الموتُ فزاروا المقابِرَ ولم يفيقوا من سكرةِ جمعِ المال.

وفي «صحيح مسلم» من حديثِ عبد الله بن الشِّخير أنّه قال: انتهيتُ إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ قال: «**يقولُ ابنُ آدمَ: مالي مالي، وهل لَكَ من مالك إلّا ما تَصدَّقتَ فأمضيتَ، أو أكلتَ فأفنيتَ، أو لَبستَ فأبلَيتَ**»(1).

العاشِر: أنّه تعالى أخبَرَ عن مُحبِّ المالِ الّذي قدِ ابتلاه به وقدِ اشتغل بجمعِه عن عبادة ربِّه أنّه إذا ماتَ انكشف له الغِطاءُ، فيقولُ: يا ليتني قدَّمتُ لحياتي، وعملتُ في مالي بطاعةِ الله قبلَ وفاتي، ثُمّ يقول: ﴿رَبِّ [22/ ب] ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ [المؤمنون: 99- 100] تلك كلِمةٌ يقولها فلا يُعوَّلُ عليها، فقال له: «كَلّا» لا سبيلَ لك إلى الرّجعةِ، وقد عُمِّرت ما يتذكَّر فيه مَن تذكَّر، وأخبَرَ سبحانه أنّه لو رُدَّ لَعادَ لِما نُهيَ عنه، وأنّه لَمِنَ الكاذبينَ(2).

وفي التِّرمذيِّ من حديثِ أنس بن مالِكٍ، عنِ النّبيِّ ﷺ قال: «**يُجاءُ بالعبدِ يومَ القيامة كأنّه بَذَجٌ، فيوقَفُ بين يَدَيِ الله، فيقولُ الله: أعطيتُك**

(1) رواه مسلم في صحيحه، حديث (2958). قال القرطبي في المفهم، (ج7/ 111): أي: يغتر بنسبة المال إليه، وكونه في يديه، حتى ربما يعجب به ويفخر به، ولعله ممن تعب هو في جمعه، ويصل غيره إلى نفعه، ثم أخبر بالأوجه التي ينتفع بالمال فيها...

(2) قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: 28].

وخَوَّلتُكَ وأنعمتُ عليكَ، فماذا صَنعْتَ؟ فيقولُ: يا رَبِّ! جَمعتُه وثَمَّرتُه فتَرَكتُه أكثَرَ ما كان، فارجِعني آتِكَ به كُلِّه، فإذا عبد لم يُقدم خيرًا، فيُمضَى به إلى النّارِ»[1].

قولُه: «بذَجٌ» بذالٍ مُعجمةٍ وجيم معجمةٍ؛ وهو الذُّلُّ، قال أبو عُبيد: هو ولَدُ الضّأنِ، وجمعُه: بذجان[2].

وفي التِّرمذيِّ أيضًا من حديثِ أبي سعيدٍ وأبي هُريرةَ، قالا: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتَى بالعبدِ يَومَ القيامة، فَيَقولُ الله لَه: ألم أجعَل لَكَ سَمعًا وبَصرًا ومالًا ووَلَدًا، وسَخَّرتُ لَكَ الأنعامَ والحرثَ، وتَرَكتُكَ تَرأسُ[3] وتَربَعُ[4]؟ فَكُنتَ تَظُنُّ أنّكَ مُلاقيَّ يومكَ هَذا؟ فيقولُ: لا، فَيَقولُ لَه: اليومَ

---

(1) رواه: الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، حديث رقم (2597)؛ من طريق: سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، قال: أخبرنا إسماعيل بن مسلم، عن الحسن وقتادة، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، به. قال الترمذي: وقد روى هذا الحديث غير واحد عن الحسن قوله: ولم يسندوه، وإسماعيل بن مسلم يضعف في الحديث. وأسد بن موسى -الملقب: أسد السنة-، في كتابه الزهد، تحقيق أبو إسحاق الحويني، باب ذكر محاسبة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى العباد يوم القيامة، حديث (82)؛ من طريق: حماد بن سلمة، عن حميد وثابت، عن الحسن قال: يوقف ابن آدم يوم القيامة كأنه بذج، فيقول الله تعالى: ابن آدم! أين ما خولتك؟ فيقول: أي رب! قد وفرته وثمرته، وتركته أوفر ما كان.

(2) انظر: غريب الحديث لأبي عبيد ، (ج1/ 165). جمهرة اللغة لابن دريد، (ج1/ 265)، قال: والبذَج بفتح الباء والذال: الحمل؛ فارسي معرب، وقد تكلمت به العرب. تهذيب اللغة للأزهري، (ج11/ 16). مقاييس اللغة لابن فارس، (ج1/ 217). النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، (ج1/ 265).

(3) رأس القوم يرأسهم رئاسة، إذا صار رئيسهم، ومقدمهم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (رأس)، (ج4/ 1505).

(4) أي: تأخذ ربع الغنيمة... يريد: ألم أجعلك رئيسًا مطاعًا، لأن الملك كان يأخذ الربع من الغنيمة في الجاهلية دون أصحابه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (ربع)، (ج4/ 1526).

أنساكَ كما نَسيتَني»[1] قال التِّرمذيُّ: حديثٌ صحيحٌ[2].

فغايةُ أبناءِ الدُّنيا التَّفاخُرُ والتَّكاثُرُ بالمالِ والولدِ، فهذه قُصارَى سعادةِ العبدِ في الدّنيا، فالتَهَى عن ذكرِ الله والدّارِ الآخرة، فعاقبة أمرِه إلى القِلّة والفقرِ والحِرمانِ، نسألُ اللهَ تعالى التّوفيقَ لِما يُحبُّه ويرضاه.

فَصْلٌ

ومِمّا يدلُّ للفقراء أنّ الله تعالى حمَى أولياءَه عنِ الدُّنيا، وصانَهم عنها، ورغِب بهم عنها؛ تكريمًا لهم، وتطهيرًا عن سُحتِها[3] وأدناسِها، وأخبرُهم بسُقوط قدرِها عندهم، لو أنّ الدُّنيا تسوى عندَ الله جناحَ بعوضةٍ ما سَقى كافرًا منها شربة ماء[4]، وأعلَمَهم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في كتابه أنّ بسطَها فتنة، وأنّه سببُ الطُّغيانِ والفسادِ في الأرضِ، وألهَى التّكاثُرُ بها عن طلَبِ الدّار الآخرةِ، وأنّها متاعُ الغرور، وأنّها متاعٌ قليلٌ.

وروَى الإمامُ أحمد في «المسند» عن عبد الله بن مسعودٍ قال: نامَ

---

(1) قال ابن قرقول في مطالع الأنوار، (ج4/ 215): «اليوم أنساك كما نسيتني» على طريق المقابلة في الكلام، أي: أجازيك على نسيانك كما قال: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾ [التوبة: 67] أي: عاقبهم عقابًا صورته صورة المنسي بتركهم، ومنعهم الرحمة حيث نجا غيرهم وفاز.

(2) رواه الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، حديث رقم (2598). قال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب. وقال: ومعنى قوله: «اليوم أنساك كما نسيتني»: اليوم أتركك في العذاب.

(3) المال السحت: كل حرام يلزم آكلَه العارُ؛ وسمي سحتا لأنه لا بقاء له. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (سحت)، (ج3/ 143).

(4) روى الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله، حديث (2475)، من حديث سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرا منها شربة ماء». قال الترمذي: هذا حديث صحيح، غريب من هذا الوجه. ونحوه رواه ابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، باب مثل الدنيا، حديث (4110).

رسول الله ﷺ علَى حصير، فقام وقد أثّرَ في جنبه، فقلنا: يا رسول الله! لو اتَّخذنا لكَ [وِطاءً][1]، فقال: «ما لي وللدُّنيا؛ ما أنا في الدُّنيا إلّا كراكبٍ استظَلَّ تحت شجَرةٍ، ثُمّ راحَ وتركَها»[2].

وقال ابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حبَّذا المكروهانِ: الموتُ والفقرُ. والله ما هو إلّا الغِنَى والفقرُ، وما أُبالي بأيِّهما ابتليتُ، إنّ حقَّ الله في كُلِّ واحِدٍ منهما. رواه ابنُ جريرٍ الطّبريُّ[3].

---

(1) بياض في الأصل بمقدار الكلمة، والمثبت من سنن الترمذي.

(2) رواه: 1 - أحمد في مسنده؛ حديث (2744)، (ج4/ 473)؛ من طريق: عبد الصمد، وأبو سعيد، وعفان، قالوا: حدثنا ثابت، حدثنا هلال، عن عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أن رسول الله ﷺ دخل عليه عمر، وهو على حصير قد أثر في جنبه، فقال: يا نبي الله، لو اتخذت فراشا أوثر من هذا؟ فقال: «ما لي وللدنيا؟ ما مثلي ومثل الدنيا، إلا كراكب سار في يوم صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار، ثم راح وتركها». (3709)، (ج6/ 241-242)؛ من طريق: المسعودي، قال: عن عمرو بن مرة، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: اضطجع رسول الله ﷺ على حصير، فأثر في جنبه، فلما استيقظ، جعلت أمسح جنبه، فقلت: يا رسول الله، ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئا؟ فقال رسول الله ﷺ: «ما لي وللدنيا؟ ما أنا والدنيا؟ إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة، ثم راح وتركها». حديث (4208)، (ج7/ 259)؛ كالطريق السابق، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مرفوعًا: «ما لي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب، قال في ظل شجرة في يوم صائف، ثم راح وتركها». والترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، حديث (2536)؛ بنفس طريق المسعودي عند الإمام أحمد، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نام رسول الله ﷺ على حصير، فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: «ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها». قال الترمذي: هذا حديث صحيح. قال الطيبي في شرح المشكاة، (ج10/ 3290): أي: ليس حالي مع الدنيا إلا كحال راكب مستظل، وهو من التشبيه التمثيلي، ووجه التشبيه سرعة الرحيل وقلة المكث؛ ومن ثم خص الراكب.

(3) رواه: الطبري في تهذيب الآثار، مسند عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، السفر الأول، حديث (505)، بنحوه. ابن المبارك في الزهد، حديث (566)، (ص: 199)، بنحوه. وكيع في الزهد، حديث (132)، (ج1/ 358)، بنحوه. أبو داود السجستاني في الزهد، رواية ابن الأعرابي، حديث (175)، (ص: 166)، بنحوه. الطبراني في المعجم الكبير، حديث (8505)، (ج9/ 93-94)، بنحوه.

وقد ذمَّ الله تعالى مُحبيها، وأخبر أنّ مَن أرادَها وأرادَ زينتَها وحرثَها فليس له في الآخِرةِ من نصيبٍ، وأخبَرَ أنّ زينتها المالُ والبنون، وأنّهما فتنةٌ وبلاءٌ، وأخبرَ سُبحانه أنّه زيَّنَها لأعدائه ولِضُعفاءِ العُقولِ الّذين لا نصيبَ لهم في الآخِرة، ونَهَى رسولَه أن يَمُدَّ عينَيه إليها وإلى ما متَّع به أهلَها، وذمَّ مَن أذهَب طيِّباتِه فيها واستمتَع بها، وقال لِنبيِّه: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر: 3][1].

وقد ضرَب الله لها مثلًا كماءٍ أنزلَه مِنَ السّماء فخالطَ نباتَ الأرضِ، فلمّا أخذَتِ الأرضُ زُخرفَها وتزيّنَت بأنواع النّباتِ واخضرَّت وأزهَرت بألوانِ الزُّهورِ؛ أتاها أمرُه فجعَل تلك الزّينةَ نبتًا هشيمًا تذروه الرّياحُ، [23/ ب] كأن لم يكُن قطُّ منه شيءٌ[2].

وأخبرَ عن فنائِها وسُرعةِ انقضائِها، وأنّه إذا عايَنَ العبدُ الآخِرةَ فكأنّه لبِثَ فيها ساعة من نَهارٍ أو يومًا أو بعضَ يومٍ[3].

---

(1) يقول الطبري في تفسيره، (ج14/ 13-14): يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ذر يا محمد هؤلاء المشركين يأكلوا في هذه الدنيا ما هم آكلوه، ويتمتعوا من لذاتها وشهواتهم فيها، إلى أجلهم الذي أجلت لهم، ويلههم الأمل عن الأخذ بحظهم من طاعة الله فيها، وتزودهم لمعادهم منها بما يقربهم من ربهم، فسوف يعلمون غدا إذا وردوا عليه وقد هلكوا على كفرهم بالله وشركهم، حين يعاينون عذاب الله، أنهم كانوا من تمتعهم بما كانوا يتمتعون فيها من اللذات والشهوات، كانوا في خسار وتباب.

(2) يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: 24]، وقوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: 45].

(3) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (112) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (113) قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون: 112-114].

وأخبَرَهم أنّها لهوٌ وزينة وتفاخرٌ وتكاثرٌ ومتاعُ غُرورٍ، وطريقٌ ومعبَرٌ إلى الآخرة[1].

وأخبَرَ عن أهلِ النّار أنهم إنما دخلوها بسَبَبِ غُرور الدُّنيا وأمانيها لهم[2]، وهذا كلُّه وما أشبهه يُزهِّدُ أولياءَه فيها، ويُرغّبهم في التّقليل منها.

فَصْلٌ

ولو كان الغِنَى معَ الشُّكرِ أفضلَ من الفقرِ مع الصّبرِ لاختارَه رسول الله ﷺ، ولأمَرَه ربُّه عَزَّوَجَلَّ أن يسألَه إيّاه كما أمَرَه أن يسألَه زيادة العلم، ولم يكُن رسول الله ﷺ ليختارَ إلّا ما اختارَه الله له، ولم يكُنِ الله ليختار له إلّا الأفضَلَ والأكمَلَ؛ إذ كان أفضلَ خلقِه وأكملَهم.

قال ابنُ جريرٍ: محنة الصّابرِ أشَدُّ من محنة الشّاكرِ، وإن كانا شَريفي المنزلةِ، غيرَ أنّي أقولُ كما قال مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخيرِ[3]: لأن أُعافَى فأشكُرَ، أحَبُّ إليَّ من أن أُبتلَى فأصبرَ[4].

---

(1) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [الحديد: 20].

(2) يشير إلى قوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [الحديد: 14].

(3) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي العامري، الإمام، القدوة، الحجة، أبو عبد الله، حدث عن: أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعلي، وعمار، وأبي ذر، وعثمان، وعائشة، وعثمان بن أبي العاص، ومعاوية، وعمران بن حصين، وعبد الله بن مغفل المزني، وغيرهم، وكان ثقة، له فضل، وورع، وعقل، وأدب، وقال العجلي: (كان ثقة)، توفي سنة (86هـ)، وقيل في وفاته غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج4/ 187-195).

(4) راجع: شرح صحيح البخاري لابن بطال، (ج10/ 177).

ومن فضل قلّة الأكل: ما رَوى يحيى بن أبي كثير[1] عن أبي سلمة[2]، عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أهل البيتِ لَيَقِلُّ طُعْمُهم فتَستَنيرُ بُيوتُهم»[3]. ورَوى إسحاقُ بن عبد الله بن أبي طلحةَ[4]، عن محمد بن عليٍّ، عن أبيه، عنِ النّبيِّ ﷺ قال: «مَن سَرَّه أنَ يَكونَ حكيمًا؛ فَلْيُقِلَّ طُعْمَه، فإنّه يَغشَى جَوفَه نورُ الحِكمة»[5]. وقال مالكُ بن دينارٍ[6]: سمِعتُ عبد الله الرّازيَّ[7] يقول: كان أهل العلم بالله والقبولِ عنه يقولون: إنّ الشِّبَعَ يُقسّي القلبَ، ويُفتِّرُ[8] البدَنَ[9]. انتهى ما ذكرَه.

---

(1) هو يحيى بن أبي كثير أبو نصر الطائي مولاهم، الإمام، الحافظ، أحد الأعلام، روى عن أنس بن مالك، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وعبد الله بن أبي قتادة، وعدة. قال أبو حاتم الرازي: (هو إمام، لا يروي إلا عن ثقة)، توفي سنة (129هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج6/ 27-31).

(2) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، الحافظ، أحد الأعلام بالمدينة، ولد: سنة بضع وعشرين، كان طلابة للعلم، فقيها، مجتهدا، كبير القدر، حجة. قال أبو زرعة: (ثقة، إمام)، وقال مالك: (كان عندنا من رجال أهل العلم)، توفي بالمدينة، سنة (94هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج4/ 287-292).

(3) رواه الطبراني في الأوسط (ج5/ 228 - 229) حديث (5165)؛ قال الهيثمي في المجمع (ج10/ 263): فيه عبد الله بن المطلب العجلي، ضعفه العقيلي، وبقية رجاله ثقات.

(4) هو إسحاق بن عبد الله ابن صاحب رسول الله ﷺ أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري، الخزرجي، النجاري، المدني، الفقيه، أحد الثقات، سمع من: عمه؛ أنس بن مالك، وأبي مرة مولى عقيل، والطفيل بن أبي، وسعيد بن يسار، وجماعة، وكان مالك يثني عليه، ولا يقدم عليه أحدا، توفي سنة (132، وقيل: 134 هـ)، روى له: الجماعة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج6/ 33-34).

(5) لم أقف عليه مسندًا. وذكره ابن بطال في شرحه على البخاري (ج10/ 177).

(6) تقدمت ترجمته.

(7) لم أقف على ترجمته.

(8) فتر: الفاء والتاء والراء أصل صحيح يدل على ضعف في الشيء. من ذلك: فتر الشيء يفتر فتورا. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج4/ 470).

(9) راجع: شرح صحيح البخاري لابن بطال، (ج10/ 177-178).

وقد أخبَرَ الرسول ﷺ أنّ خيرَ الرِّزق ما كان بقدرِ الكِفايةِ للعبدِ، فلا يُعوزه ما يضرُّه، ولا يفضلُ عنه ما يُطغيه.

وقد رَوى الإمامُ أحمد من حديثِ أبي الدّرداءِ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما طلَعَت شمسٌ قطُّ إلّا ملَكانِ ينزلان يُسمِعانِ أهل الأرضِ إلّا الثّقَلَين: يا أيُّها النّاسُ هَلُمّوا إلى ربِّكُم، فإنّ ما قَلَّ وكَفَى خيرٌ مِمّا كَثُرَ وألهى**»(1)، وذكَر تمامَ الحديثِ.

---

(1) رواه: أحمد في مسنده، (ج36/ 53)، حديث (21721)، بلفظ: «ما طلعت شمس قط إلا بعث بجنبتيها ملكان يناديان، يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، ولا آبت شمس قط إلا بعث بجنبتيها ملكان يناديان يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين: اللهم أعط منفقا خلفا، وأعط ممسكا مالا تلفا».

وابن حبان في صحيحه، ط الأوقاف، (ج5/ 418)، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من توقع الخلاف فيما قدم لنفسه وتوقع ضده إذا أمسك، حديث (4666)، بنحو لفظ أحمد مختصرًا.

والحاكم في المستدرك، (ج2/ 483)، حديث (3662/ 799)، بلفظ: «... عن قتادة، وتلا، قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ [الشورى: 27] فقال: ثنا خليد بن عبد الله العصري، عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «ما طلعت شمس قط، إلا بعث بجنبتيها ملكان إنهما ليسمعان أهل الأرض إلا الثقلين: يا أيها الناس، هلموا إلى ربكم فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى وما غربت شمس قط إلا وبجنبتيها ملكان يناديان اللهم عجل لمنفق خلفا وعجل لممسك تلفا».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. جميعًا من طريق: قتادة، عن خليد العصري، عن أبي الدرداء، مرفوعًا.

قال الطيبي في شرح المشكاة، (ج10/ 3304): «يا أيها الناس» تنبيها على تماديهم في الغفلة وانهماكهم في الحرص وجمع حطام الدنيا، حتى ألهاهم ذلك عن الإقبال إلى ذكر الله تعالى وعبادته. وقيل لهم: إلى كم هذه الغفلة والإعراض عن ذكر الله؟ هلموا إلى طاعة ربكم، ما قل من الدنيا ويكفيكم ولا يلهيكم خير مما كثر وألهى، سمع هذا النداء من ألقى السمع وهو شهيد، أولئك الذين أشار الله بذكرهم ورفع من منزلتهم في قوله تعالى: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: 37] الآية. ولعل السر في عدم إسماع الثقلين: لئلا يرتفع التكليف.

وفي «المُسند»: «خَيرُ الرِّزقِ ما يكفي[1]، وخَيرُ الذِّكرِ [24/ أ] الخفيُّ»[2].

قال العلّامةُ ابنُ القيِّم: وتأمَّل جمعَه في هذا الحديثِ بينَ رزقِ القلبِ والبدَن، رِزق الدُّنيا والآخِرة، وإخبارُه أنّ خيرَ الرِّزقينِ ما لم يتجاوزِ الحدَّ،

(1) أي: ما يقنع به ويرضى على الوجه المطلوب شرعا وإلا فلا يملأ عين ابن آدم إلا التراب. وأخرج الخطيب عن المحاسبي في تفسير «خير الرزق ما يكفي» أنه قوت يوم بيوم ولا يهتم لرزق غد. انظر: فتح القدير للمناوي، (ج3/ 472).

(2) قال الطبرى: والصواب عندى أن إخفاء النوافل أفضل من ظهورها لمن لم يكن إمامًا يقتدى به، وإن كان فى محفل اجتمع أهله لغير ذكر الله أو فى سوق وذلك أنه أسلم له من الرياء...ولمن كان بالخلاء أن يذكر الله بقلبه ولسانه؛ لأن شغل جارحتين بما يرضى الله تعالى أفضل من شغل جارحة واحدة، وكذلك شغل ثلاث جوارح أفضل من شغل جارحتين، وكلما زاد فهو أفضل إن شاء الله تعالى. انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال، (ج10 - 430 - 431).

رواه: أحمد في مسنده: (ج3/ 76)، حديث (1477). (ج3/ 131)، حديث (1559). (ج3/ 168)، حديث (1623). ونعيم بن حماد في كتاب الفتن، (ج1/ 158)، حديث (402)؛ وذكر قصة الحديث، وهي: أن عمر بن سعد ذهب إلى أبيه سعد وهو بالعقيق معتزل في أرض له، فقال: يا أبتاه، لم يبق من أصحاب بدر غيرك، ولا من أهل الشورى، فلو أنك انبعثت بنفسك ونصبتها للناس ما اختلف عليك اثنان، فقال: ألهذا جئت؟ أي بني، أقعدت حتى لم يبق من أجلي إلا مثل ظمأ الدابة ثم أخرج فأضرب أمة محمد ﷺ بعضها ببعض؟ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خير الرزق ما يكفي، وخير الذكر الخفي». وابن أبي شيبة في مصنفه، (ج7/ 84)، حديث (34377). وأبويعلى الموصلي في مسنده، (ج2/ 82)، حديث (43-731). وابن حبان في صحيحه، ط الأوقاف، (ج1/ 345)، ذكر البيان بأن ذكر العبد ربه جَلَّوَعَلَا بينه وبين نفسه أفضل من ذكره بحيث يُسمعُ صوته، حديث (442)، وجاء فيه بالشك: «... وخير الرزق أو العيش ما يكفي». قال ابن حبان: الشك من ابن وهب. جميعًا من طريق: أسامة بن زيد، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة، عن سعد بن مالك مرفوعًا.

تأمل جمعه هنا بين رزق القلب واليدين ورزق الدنيا والآخرة وإخباره بأن خير الرزق ما لم يتجاوز الحد فيكفي من الذكر إخفاوه، فإن زاد على الإخفاء خيف على صاحبه الرياء والتكبر به على الغافلين وكذا رزق البدن إذا زاد على الكفاية خيف عليه الطغيان والتكاثر. وهذا الحديث قد عُدّ من الحكم والأمثال. انظر: فيض القدير للمناوي، (ج3/ 472).

فيكفي مِنَ الذِّكر إخفاؤُه، فإذا زاد على الإخفاء خيف على صاحبه الرّياء والعجب، والتكثُّر به علَى الغافلين، وكذلك رزقُ البدَن إذا زادَ على الكِفايةِ خيف عليه الطُّغيان والتَّكاثر[1]. انتهى كلامُه.

وليس هذا هو المقصود، وإنّما المقصودُ تفضيلُ الفقيرِ الصّابرِ على الغنيِّ الشّاكر على ما تقدَّم مِنَ الأدلّة، وقد تقدَّم ما هو كافٍ للعارفِ في حقِّ نَبيِّنا، وما قاله وما كان متَّصِفًا به.

وقد روَى الإمامُ أحمَدُ بإسنادِه عن أبي أُمامةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أغبَطَ أوليائي عندي مُؤمِنٌ خِفيفُ الحاذِ[2]، ذو حَظٍّ من صَلاةٍ، أحسَنَ عِبادة رَبِّه، وكان غامِضًا[3] في النّاسِ لا يُشار إليه بالأصابِعِ، فعُجِّلت مَنيَّتُه، وقَلَّ تُراثُه، وقَلَّت بَواكيه»[4].

---

(1) انظر: عدة الصابرين لابن القيم، ط الأوقاف، الباب الثالث والعشرون في ذكر ما احتجب به الفقراء من الكتاب والسنة والآثار والاعتبار، (ص:384).

(2) أي: خفيف الظهر من العيال. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (حوذ)، (ج3/ 1064).

(3) أي: مغمورًا غير مشهور. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (غمض)، (ج7/ 3065).

(4) رواه: الإمام أحمد في مسنده: (ج36/ 498)، حديث (22167)؛ من طريق: وكيع، قال: حدثنا علي بن صالح، عن أبي المهلب، عن عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ ... الحديث بلفظه. و(ج36/ 535)، حديث (22197)؛ من طريق: إسماعيل بن إبراهيم، قال: أخبرنا ليث بن أبي سليم، عن عبيد الله، عن القاسم، عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، وفيه زيادة: «... وكان عيشه كفافا، قال: وجعل رسول الله ﷺ ينقر بإصبعيه، وكان عيشه كفافا، وكان عيشه كفافا، عجلت منيته وقلت بواكيه وقل تراثه».

والترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الكفاف، حديث (2504)؛ من طريق: سويد بن نصر قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن يحيى بن أيوب، عن عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القاسم أبي عبد الرحمن، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ، وفيه زيادة: «... أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر... لا يشار إليه بالأصابع، وكان=

قال عبد الله بن أحمدَ: سألتُ أبي ما تُراثُه؟ قال: ميراثُه(1).

وروى الإمام أحمدُ أيضًا عن سالم أبي الجعدِ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ من أُمّتي مَن لو أتى بابَ أحَدِكم فسَألَه دينارًا لم يُعطِه إيّاه، ولو سَألَه فِلسًا لم يُعطِه إيّاه، ولو سَألَ الله عَزَّوَجَلَّ الجنّة لأعطاه إيّاها، ولو سَألَه الدُّنيا لم يُعطِها إيّاه، ولم يَمنَعها إيّاه لِهَوانِه عليه؛ ذو طِمرَينِ(2) لا يُؤبَه لَه، لو أقسَمَ على الله لأَبَرّه»(3).

قال أبو سعيد: وجدتُ في كتابي بخطِّ يدي عن أبي داود: حدَّثنا

=رزقه كفافًا فصبر على ذلك»، ثم نقر بيده، فقال: «عجلت منيته...». وابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، حديث (4117)؛ من طريق: محمد بن يحيى، قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة، عن صدقة بن عبد الله، عن إبراهيم بن مرة، عن أيوب بن سليمان، عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ ...الحديث بلفظه.

والحاكم في المستدرك، كتاب الأطعمة، حديث (7148/ 77)؛ من طريق: أبو العباس محمد بن يعقوب، قال: أنبأ الربيع بن سليمان، ثنا عبد الله بن وهب، قال: أخبرني يحيى بن أيوب، عن عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ ... الحديث، وفيه زيادة: «... وكان رزقه كفافًا، فصبر على ذلك» ثم نفض رسول الله ﷺ بإصبعه، وقال: «عجلت منيته...». قال الحاكم: هذا إسناد للشاميين صحيح عندهم ولم يخرجاه. قال الذهبي: لا، بل إلى الضعف هو.

(1) انظر: الزهد للإمام أحمد، (ص: 44).

(2) الطِّمر: الثوب الخَلَق. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (طمر)، (ج6/ 2561).

(3) رواه: الإمام أحمد في الزهد، حديث (67)، (ص: 14). وهناد بن السري في الزهد، باب الزهد وما يكفي من الدنيا، حديث (587)، (ج1/ 323). كلاهما من طريق: الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن رسول الله ﷺ.

والمنذري في الترغيب والترهيب، ت: مصطفى محمد عمارة، كتاب التوبة والزهد، الترغيب في الفقر وقلة ذات اليد، حديث (48)، قال المنذري: (رواه الطبراني، ورواته محتج بهم في الصحيح).

محمَّدُ بنِ عُبيدٍ، ثَنا حمّادٌ[1]، ثَنا يونُسُ[2]، عَنِ الحسَنِ[3]، أنّ عُمرَ بن الخطّابِ أُتيَ بفروة كِسرى بين يديه، وفي القومِ سُراقة بن مالِكِ بن جُعشُم، فألقى إليه سِواري كِسرى فجعَلَهما في يدِه فبلَغا مَنكِبيه، فلمّا رآهما في يدَي سُراقة، قال: الحمدُ لله سِواري كِسرَى في يَدَي سُراقةَ بن مالِكِ أعرابيٍّ من مُدلِجٍ[4]. ثُمّ قال: اللهم إنّي قد علِمتُ أنّ رسولَكَ قد كان يُحِبُّ أن يُصيبَ مالًا يُنفِقه في سَبيلِكَ، وعلى عِبادِكَ، فزَوَيتَ ذلك عنه نظَرًا منكَ له وخيارًا، اللهم إنّي أعوذُ بكَ أن يكونَ هذا مكرًا منك بعُمرَ. ثُمّ قرَأ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾[5] [المؤمنون: 55- 56]. قالوا: فحميةُ الله تعالى لِعبدِه المُؤمنِ عنِ الدّنيا لِمحبَّتِه له وكرامتِه عليه، كما رَوى أحمدُ بإسنادِه من حديثِ

---

(1) هو حماد بن سلمة بن دينار البصري، الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو سلمة النحوي، البزاز، الخرقي، البطائني، مولى آل ربيعة بن مالك، وابن أخت حميد الطويل، سمع: ابن أبي مليكة - وهو أكبر شيخ له - وسماك بن حرب، وحميدا - خاله -، وأيوب السختياني، ويونس بن عبيد ، وأمما سواهم، قال ابن معين: (حماد بن سلمة: ثقة)، قال الذهبي: كان بحرا من بحور العلم، وله أوهام في سعة ما روى، وهو صدوق، حجة - إن شاء الله -... ولم ينحط حديثه عن رتبة الحسن...وكان مع إمامته في الحديث إماما كبيرا في العربية، فقيها، فصيحا، رأسا في السنة، صاحب تصانيف...كانت أوقاته معمورة بالتعبد والأوراد، توفي سنة (167هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج7/ 444-456).

(2) هو يونس بن عبيد بن دينار العبدي مولاهم، الإمام، القدوة، الحجة، أبو عبد الله البصري، من صغار التابعين، وفضلائهم، رأى: أنس بن مالك، وحدث عن: الحسن، وابن سيرين، وعطاء، وعكرمة، ونافع مولى ابن عمر... وعدة، حدث عنه: حجاج بن حجاج، وشعبة، وسفيان، وحماد بن سلمة... وخلق كثير، قال علي بن المديني: (له نحو مائتي حديث)، وقال ابن سعد: (كان ثقة، كثير الحديث). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج6/ 288-296).

(3) هو الحسن البصري تقدمت ترجمته.

(4) انظر: دلائل النبوة؛ للبيهقي، (ج6/ 325).

(5) وبتمامه في السنن الكبرى؛ للبيهقي، حديث (13036)، (ج6/ 582).

مَحمودِ بن لَبيدٍ أنّ رسول الله ﷺ [24/ ب] قال: «إنّ اللهَ تعالى يحمي عبده المُؤمِنَ مِنَ الدُّنيا وهو يُحِبُّه، كما تَحمونَ مَرضاكُمُ الطّعامَ والشّرابَ تَخافونَ عليهم»(1).

وفي الغالِب -والله تعالى أعلَم- ما يُعطي أحَدًا من عباده الدُّنيا ويوسِّعها عليه إلّا استدراجًا لا إكرامًا ومحبّة؛ يؤيِّد ذلك قولُه تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: 44](2).

ومِنَ المعلوم أنّ الله تعالى يُعطي الدُّنيا مَن يُحبُّ، ومَن لا يُحِبُّ، ولا يُعطي الآخِرةَ إلّا مَن يُحبّ، وهذا مُشاهدٌ في الظّاهر بالبصر والسّمع، وقد ثبتَ في «المُسند» أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «إنّ أقربَكم مِنّي مَجلِسًا يومَ القيامة مَن خَرجَ مِنَ الدُّنيا كَهيئة ما تَركتُه فيها»، فكان أبو ذَرٍّ يقول: إنّي لأقربُكُم مجلسًا من رسول الله ﷺ يومَ القيامة، وإنّه والله ما منكم من أحَدٍ إلّا وقد تشَبَّثَ مِنها بشيءٍ غيري(3).

قالتِ الفُقراءُ: لو لم يكُن في التّقليلِ مِنَ الدُّنيا إلّا خفّة الحسابِ، لكَفَى به فضلًا علَى الغِنَى(4).

---

(1) رواه أحمد في مسنده، حديث (23622)، (ج39/ 33)؛ من طريق: أبو سعيد، قال: حدثنا سليمان، عن عمرو بن أبي عمرو، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، أن رسول الله ﷺ، قال: الحديث.

(2) قال الطبري في تفسيره، (ج9/ 245): فتحنا عليهم استدراجا منا لهم أبواب كل ما كنا سددنا عليهم بابه عند أخذنا إياهم بالبأساء والضراء، ليتضرعوا، إذ لم يتضرعوا وتركوا أمر الله.

(3) رواه: الإمام أحمد في الزهد، حديث (795)، (ص:121). ابن أبي شيبة في المصنف، حديث (32268)، (ج6/ 388). الطبراني في المعجم الكبير، حديث (1627)، (ج2/ 149). جميعًا من طريق: محمد بن عمرو، عن عراك بن مالك، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(4) انظر: عدة الصابرين؛ لابن القيم، ط الأوقاف، الباب الثالث والعشرون، (ص:388).

قالوا: والمالُ والغِنَى يدعو إلى النّار والفقرُ يدعو إلى الجنّة.

وممّا يُؤيد هذا: ما روى الإمام أحمد بإسناده عن سعيدِ بن أيمَن مولى كعبِ بن سورٍ قال: بَينما رسول الله ﷺ يُحدِّثُ أصحابَه إذ جاءَ رجُلٌ مِنَ الفُقراءِ فجلَس إلى جنبِ رجُلٍ مِنَ الأغنياءِ فكأنّه قبَضَ من ثيابِه عنه، فقال [25/ أ] رسول الله ﷺ: «**أخَشيتَ يا فُلانُ أن يَعدوَ غِناكَ عليه، أو أن يَعدوَ فَقرُه عليكَ**»، قال يا رسول الله! وشَرٌّ الغِنَى؟ قال: «**نَعم! إنّ غِناكَ يَدعوكَ إلى النّارِ، وإنّ فَقرَه يَدعوه إلى الجنّة**»، قال فما يُنجيني منه؟ قال: «**تواسيه**» قال: إذَن أفعَلُ، فقال الآخَرُ: لا أربَ لي فيه، قال: «**فاستَغفِر، وادعُ لِأخيكَ**»(1).

فَصْلٌ

وقد أقسم رسول الله ﷺ لأصحابه، وهم أئمّة الشّاكرين، وخيرُ الخلقِ بعدَ نبيِّها؛ أنّه لا يخافُ عليهم الفقرَ، وإنّما يخافُ عليهم الغِنى، كما ثبَتَ في «الصّحيحينِ» من حديث عمرِو بن عوفٍ، وكان شهِدَ بدرًا أنّ رسول الله ﷺ بعَثَ أبا عُبيدةَ بن الجرّاحِ إلى البحرينِ(2)، فأتَى بجزيتِها وكان رسول الله ﷺ هو صالَحَ أهلَ البحرينِ، وأمَّر عليهم العلاءَ بن الحضرميَّ، فقدِمَ أبو عُبيدةَ بمالٍ من البحرينِ، فسمِعَتِ الأنصارُ بقُدومِ أبي عُبيدةَ فوافَوا صلاةَ الفجرِ مع رسول الله ﷺ، فلمّا صلى

---

(1) رواه أحمد في الزهد، حديث (207)، (ص:34)؛ من طريق: يزيد، قال: حدثنا أبو الأشهب، قال: حدثني سعيد بن أيمن مولى كعب بن سوار.

(2) هو اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان... وفيها عيون ومياه وبلاد واسعة... انما سموا البحرين؛ لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الأحساء. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (ج1/ 346-349).

رسول الله ﷺ انصرف، فتعرَّضوا له فتَبَسَّم رسول الله ﷺ حين رَآهُم، ثُمّ قال: «أظُنُّكم قد سَمِعتُم أنّ أبا عُبيدةَ قدِمَ من البحرَينِ»، فقالوا: أجل يا رسول الله! قال: «فَأبشِروا وأمِّلوا ما يَسُرُّكُم، فوالله ما الفقرَ أخشَى عليكُم، ولَكِن أخشَى أن تُبسَطَ الدُّنيا عليكم [25/ ب] كما بُسِطَت على مَن كان قَبلَكُم، فَتَنافَسوها كما تَنافَسوها، فتُهلككم كما أهلكَتهُم»(1).

وقال أحمدُ: ثَنا يَزيدُ بن هارونَ(2)، ثَنا هِشامُ بن حَسّانَ(3)، قال:

---

(1) متفق عليه: صحيح البخاري: باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب، حديث (3158) بنحوه. كتاب المغازي، حديث (4015) بنحوه.

وباب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، حديث (6425) بنحوه.

2- صحيح مسلم، حديث (2961) بنحوه.

قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري، (ج10/ 155): هذه الأحاديث تنبيه في أن زهرة الدنيا ينبغى أن يخشى سوء عاقبتها وشر فتنتها من فتح الله عليه الدنيا، ويحذر التنافس فيها والطمأنينة إلى زخرفها الفانى؛ لأن النبى ﷺ خشي ذلك على أمته، وحذرهم منه لعلمه أن الفتنة مقرونة بالغنى.

(2) هو يزيد بن هارون بن زاذي السلمي مولاهم، الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو خالد الواسطي، الحافظ، مولده: في سنة (128هـ)، قال علي بن المديني: (ما رأيت أحفظ من يزيد بن هارون)، وقال أحمد بن حنبل: (كان يزيد حافظا، متقنا)، وقال أحمد بن سنان القطان، عن عفان بن مسلم: (أخذ يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة حفظًا، وهي صحاح بها من الاستواء غير قليل -ومدحها-)، روى له الجماعة، توفي في خلافة المأمون سنة (206هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج32/ 261-270). سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج9/ 358-371).

(3) هو هشام بن حسان أبو عبد الله الأزدي، القُردوسي، البصري، الإمام، العالم، الحافظ، محدث البصرة، قال سفيان بن عيينة: (كان هشام أعلم الناس بحديث الحسن)، قال الذهبي: (هشام قد قفز القنطرة، واستقر توثيقه، واحتج به أصحاب الصحاح، وله أوهام مغمورة في=

سَمِعتُ الحسَنَ يقولُ: واللهِ ما أجِدُ مِنَ النّاسِ بسَطَ اللهُ له دُنيا فلَم أن يَخَفْ أن يكونَ قد مَكَر به فيها إلّا كان قد نقَص علمُه وعجَزَ رأيُه، وما أمسكَها اللهُ عن عبد فلم يظُنّ أنّه قد خُيِّرَ له فيها، إلّا كان قد نقَص علمُه وعجز رأيُه[1].

قال ابنُ مسعودٍ: ما أصبح أحَدٌ في الدُّنيا إلّا ضيفٌ، ومالُه عاريّةٌ، فالضّيفُ مُرتَحِلٌ والعاريةُ مؤدّاةٌ[2].

وكان الشِّبلي[3] يقول: خلَّف أبي ستّينَ ألف دينار سِوى الضّياع، فأنفقتُ الكُلَّ [وقعَدتُ][4] معَ الفُقراء[5]. ذكرَه الرّقيُّ[6] في «أحاسن المحاسن»[7].

=سعة ما روى)، توفي سنة (148هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج6/ 355-363).

(1) رواه: الإمام أحمد في الزهد، (ص: 33)، حديث (200)، بلفظه. وابن أبي الدنيا في ذم الدنيا حديث (42).

(2) رواه: ابن أبي شيبة في المصنف، حديث (34557)، (ج7/ 107)، بلفظ: «ما أصبح اليوم أحد من الناس إلا وهو...». وأحمد في الزهد، (ص: 135)، حديث (906)، بلفظ: «ما أحد أصبح في الدنيا إلا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مردودة». وأبو داود السجستاني في كتاب الزهد، (ص: 175)، حديث (190)، بلفظ: «ما أصبح اليوم أحد إلا وهو ضيف... مؤداة إلى أهلها». والبيهقي في الزهد الكبير، ط الأوقاف، (ص: 325)، حديث (587)، بلفظ: «ما أحد أصبح اليوم إلا وهو ضيف...».

(3) تقدمت ترجمته.

(4) ليست في الأصل، والمثبت من: المنقذ من الضلال للغزالي، وصفة الصفوة لابن الجوزي.

(5) انظر: المنقذ من الضلال؛ للغزالي (ص:242). وصفة الصفوة لابن الجوزي، ترجمة (316)، (ص:483).

(6) هو إبراهيم بن أحمد بن محمد بن معالي بن محمد بن عبد الكريم الرقي، الزاهد العالم، القدوة الرباني، أبو إسحاق: ولد سنة (647هـ) - تقريبا - بالرقة، وقرأ ببغداد بالروايات العشر، وسمع بها الحديث بعد الستين، كان إماما زاهدا، عارفا قدوة، سيد أهل زمانه. له التصانيف الكثيرة في الوعظ والطريق إلى الله تعالى منها: «أحاسن المحاسن» في الوعظ، توفي ليلة الجمعة خامس عشر محرم سنة (703هـ). انظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب، (ج4/ 344-347).

(7) انظر: أحاسن المحاسن؛ لإبراهيم بن أحمد بن محمد الرقي الحنبلي، تحقيق/ أحمد بن=

وقدِ احتجَّتِ الفُقراء أيضًا ومَن نصرهَم وقال بقولِهم؛ أنّه يكفي في فضلِ الفُقراءِ أنّ عامّة أهل الجنّة الفُقراءُ، وعامّة أهل النّارِ الأغنياءُ، كما ثبتَ ذلك في «المُسند» من حديثِ عبد الله بن عمرٍو، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اطَّلَعتُ في الجنّة فرَأيتُ أكثَرَ أهلها الفُقَراءَ، واطَّلَعتُ في النّارِ فرَأيتُ أكثَرَ أهلها الأغنياءَ والنِّساءَ**»(1)، وقد تقدم في «الصّحيحينِ» نحوُه من حديثِ عِمرانَ بن حُصينٍ، لكن لم يذكُر في النّار إلّا أنّ أكثَرَ أهلها النِّساءُ فقَط.

وفي «الصّحيحينِ» من حديث أُسامةَ بن زيدٍ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**قُمتُ على بابِ الجنّة؛ فإذا عامّة أهلها المساكينُ، وقُمتُ على النّارِ؛ فإذا عامّة مَن دَخلَها النِّساءُ**»(2).

وفي «صحيح مُسلم» نحوُه من حديثِ ابنِ عبّاسٍ(3)، فهذه مزيّة عاليةٌ وفضلٌ كبيرٌ في حقِّ الفُقراء، والله أعلم.

=محمد بن غانم آل ثاني، ط/ مركز رؤيا للدراسات والبحوث بدولة قطر، (ج2/ 720).

(1) رواه أحمد في المسند، حديث (6611)، (ج11/ 182). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج10/ 261): رواه أحمد بإسناد جيد.

(2) متفق عليه: 1- صحيح البخاري: كتاب النكاح، حديث (5196)، بلفظ: «قمت على باب الجنة، فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجد محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء».

وباب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب صفة الجنة والنار، حديث (6547)، كالسابق.

2- صحيح مسلم، حديث (93-2736) بلفظ البخاري.

(3) رواه مسلم في صحيحه، حديث (94- 2737)، بلفظ: قال النبي ﷺ: «اطلعت في الجنة فرأيت أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء».

لكن حكَى ابنُ بطّالٍ[1] في «شرحِ البُخاريِّ» في قولِه ﷺ: «**اطَّلعتُ على الجنّة فرَأيتُ أكثَرَ أهلِها الفُقَراءَ**»: ليس في هذا الحديثِ ما يوجب فضلَ الفُقراء، وإنّما معناه أنّ الفُقراءَ في الدّنيا أكثرُ مِنَ الأغنياءِ، فأخبَر عن ذلك كما نقول: أكثَرُ أهلِ الدّنيا الفُقراءُ، لا من جهةِ التّفضيلِ، وإنّما هو إخبارٌ عنِ الحالِ الواقعِ؛ إذ هم في العددِ أكثَرُ مِنَ الأغنياءِ، وليس الفقرُ أدخلَهم الجنّة؛ إنّما أدخلَهم الله الجنّة برحمتِه وبصلاحِهم معَ الفقرِ؛ أرأيتَ الفقيرَ إذا لم يكُن صالحًا فلا فضلَ له في الفقرِ[2]. انتهى كلامُه.

فَصْلٌ

وقد صرَّح رسول الله ﷺ بتفضيلِ الفُقراءِ في غير حديثٍ، فمنها ما تقدَّم ذكرُه في فصولٍ مُتعدِّدةٍ، ومنها ما رواه أحمد في «المُسند» من حديث أبي ذرٍّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذرٍّ ارفع بَصرَكَ؛ فانظر أرفَعَ رَجُلٍ تَراه في المسجدِ**»، قال: فنَظَرتُ فإذا رَجُلٌ عليه حُلّةٌ[3] لَه، قال: فقلتُ: هذا، قال: فقال[4]: «**يا أبا ذرٍّ ارفع بَصرَكَ؛ فانظر أوضَعَ رَجُلٍ تَراه في المسجدِ**»، قال: فنظَرتُ فإذا رَجُلٌ ضَعيفٌ عليه أخلاقٌ[5]، قال: قُلتُ: هذا؟، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**والّذي نَفسي بيَدِه، لَهذا أفضَلُ**

---

(1) هو شارح صحيح البخاري، العلامة أبو الحسن؛ علي بن خلف بن بطال البكري، القرطبي، ثم البلنسي، ويعرف بابن اللجام، قال ابن بشكوال: (كان من أهل العلم والمعرفة، عني بالحديث العناية التامة؛ شرح الصحيح في عدة أسفار، رواه الناس عنه). توفي سنة (449هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج18/ 47-48).

(2) انظر: شرح صحيح البخاري؛ لابن بطال، (ج10/ 173).

(3) قال الخطابي في غريب الحديث (ج1/ 498): الحلة: ثوبان: إزار ورداء، ولا تكون حُلّة إلا وهي جديدة تُحلّ من طيِّها فتُلبس.

(4) كذا في الأصل.

(5) أخلق الشيء وخلق، إذا بلي. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (خلق)، (ج2/ 214).

عند الله يَومَ القيامة من قُرابِ[1] الأرضِ من هذا»[2].

ورواه أيضًا من طريق أخرى، وقال: «لَهذا خَيرٌ عند الله يَومَ القيامة من مِلءِ الأرضِ من هَذا»[3].

ورَوى البخاري نحوه من حديثِ سهلٍ[4]. قال ابنُ بطّالٍ[5] في «شرح البُخاري»: لا يخلو أن يكونَ فضلُ الرّجُلِ الفقير علَى الغني من أجلِ فقره، أو من أجلِ فضلِه، فإن كان من أجلِ فضلِه فلا حُجّة فيه لِمَن فضَّل الفقرَ على الغِنَى، وإن كان لأجلِ فقرِه فكان ينبَغي أن يشترطَ في ملءِ الأرضِ مثله لا فقيرَ فيهم. ولا دليلَ في الحديثِ يدلُّ على تفضيلِه

---

(1) أي: بما يُقارب ملأها، وهو مصدر: قارَبَ يُقارِب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (قرب)، (ج7/ 3344).

(2) رواه الإمام أحمد في المسند، حديث (21493)، (ج35/ 389)؛ من طريق: أبو معاوية، قال: حدثنا الأعمش، عن زيد بن وهب، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ -الحديث-.

(3) رواه الإمام أحمد في المسند، (ج35/ 314-316)، حديث: (21395)؛ من طريق: وكيع، قال: حدثنا الأعمش، عن سليمان بن مسهر، عن خرشة بن الحر، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، به. (21396)؛ من طريق: ابن نمير، ويعلى، قالا: حدثنا الأعمش، عن زيد بن وهب، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، به. (21397)؛ من طريق: محمد بن عبيد ، قال: حدثنا الأعمش، عن زيد بن وهب، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الإمام أحمد: وكذا قال: أبو معاوية، عن زيد. (21398)؛ من طريق: أبو معاوية، قال: حدثنا زائدة، عن الأعمش، قال: حدثنا سليمان بن مسهر، عن خرشة، فذكره.

(4) روى البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، حديث (5091)، عن سهل، قال: مر رجل على رسول الله ﷺ، فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، وإن قال أن يُستمع، قال: ثم سكت، فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يُستمع، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا». وبنحوه؛ باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب فضل الفقر، حديث (6447).

(5) تقدمت ترجمته.

عليه معَ جهة فقرِه؛ لأنّا نجِدُ الفقيرَ إذا لم يكن صالحًا فكُلُّ غنيٍّ صالِحٍ خيرٌ منه(1)، والله أعلَم انتهى.

قالوا: والّذي يفصِلُ بينَنا في المسألةِ أنّ الفقرَ يوفِّر أجر صاحبِه ومنزلَته عندَ الله، والغِنَى -ولو شكَرَ صاحِبُه- فإنّ ما نالَه في الدُّنيا بغناه يُحسب عليه من ثوابِه يومَ القيامةِ، وإن تناولَه من أحلِّ الوجوه فقليلُ الفضلِ في الدّنيا نقصٌ من كثيرِ الآخِرةِ.

وقد ذكَر ابنُ بطّال في شرحِ حديثِ فاطمةَ، وأنّها شكَت ما تلقَى يدُها مِنَ الرّحى، وأنّها سألَتِ النّبيَّ ﷺ خادمًا، فقال النّبيُّ ﷺ: **«ألا أدُلُّكُما على ما هو خيرٌ لَكُما من خادمٍ؟ إذا أويتُما إلى فِراشِكُما فسبِّحا ثَلاثًا وثلاثينَ، واحمِدا ثَلاثًا وثَلاثينَ، وكبِّرا ثلاثًا وثَلاثينَ؛ فإنّه خيرٌ لكُما من خادم»**(2). قال عليٌّ: فما تَركتُهنّ مُنذ سَمِعتُهُنّ من رسول الله ﷺ قيلَ:

---

(1) انظر: شرح صحيح البخاري؛ لابن بطال، (ج10/ 173).

(2) متفق عليه: صحيح البخاري: باب فرض الخمس، باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله ﷺ والمساكين وإيثار النبي ﷺ أهل الصفة والأرامل، حين سألته فاطمة، وشكت إليه الطحن والرحى: أن يخدمها من السبي، فوكلها إلى الله، حديث رقم (3113)؛ عن علي، أن فاطمة عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ اشتكت ما تلقى من الرحى مما تطحن، فبلغها أن رسول الله ﷺ أتي بسبي، فأتته تسأله خادما، فلم توافقه، فذكرت لعائشة، فجاء النبي ﷺ، فذكرت ذلك عائشة له، فأتانا، وقد دخلنا مضاجعنا، فذهبنا لنقوم، فقال: «على مكانكما» حتى وجدت برد قدميه على صدري، فقال: «ألا أدلكما على خير مما سألتماه، إذا أخذتما مضاجعكما فكبرا الله أربعا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وسبحا ثلاثا وثلاثين، فإن ذلك خير لكما مما سألتماه». باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، حديث (3705)، وقال: «إذا أخذتما مضاجعكما تُكبرا أربعًا وثلاثين، وتسبحا ثلاثًا وثلاثين، وتحمدا ثلاثة وثلاثين، فهو خير لكما من خادم» كتاب النفقات، باب عمل المرأة في بيتها، حديث (5361)، بنحوه، وقال: «إذا أخذتما مضاجعكما أو أويتما إلى فراشكما؛ فسبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبرا أربعًا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم». كتاب الدعوات، باب التكبير والتسبيح عند المنام، حديث (6318) بنحوه، وقال: «إذا أويتما إلى فراشكما أو أخذتما=

ولا ليلةَ صفّينَ[1]؟ قال: ولا ليلة صِفّينَ. رواه البُخاريُّ[2]. قال ابنُ بطّال: وفي هذا الحديثِ حجّة لِمَن فضَّل الفقرَ على الغِنَى؛ لأنّه ﷺ قال: «ألا أدُلُّكم على ما هو خيرٌ لَكُما من خادم» فعلَّمَهُما الذِّكرَ، ولو كان الغنى أفضلَ مِنَ الفقر؛ لأعطاهما الخادمَ وعلّمهما الذِّكرَ، فلمّا منَعهما الخادمَ وقصرَهُما على الذِّكرِ خاصّة؛ عُلِم أنّه ﷺ اختارَ لهما الأفضلَ عندَ الله، والله الموفق[3]، انتهى.

وفي «صحيح مُسلم» من حديثِ عبد الله بن عمرٍو أنّ رسول الله ﷺ قال: **«ما من غازية تَغزو في سَبيلِ الله، فَيُصيبونَ الغنيمة، إلّا تَعجّلوا ثُلُثَي أجرِهم مِنَ الآخِرة، ويَبقَى لهم الثُّلُثُ[4]، وإن لم يُصيبوا غنيمة تَمَّ لَهم أجرُهم»**[5]. هذا الحديثِ [26/ ب] إشكالٌ حتّى ظَنّ جماعةٌ مِنَ العُلماءِ أنّ الغنيمةَ توجِب نقصانَ الأجرِ، وقالوا: نُقصانُ أجرِ الغانمِ بما

=مضاجعكما؛ فكبرا ثلاثًا وثلاثين، وسبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، فهذا خير لكما من خادم». وصحيح مسلم، حديث (2727-80) بنحو لفظ البخاري، وقال: «إذا أخذتما مضاجعكما؛ أن تكبرا الله أربعًا وثلاثين، وتسبحاه ثلاثًا وثلاثين، وتحمداه ثلاثًا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم»

(1) صفين: بكسرتين وتشديد الفاء، وهو موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي، وكانت وقعة صفين بين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سنة (37هـ). انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (ج3/ 414-415).

(2) متفق عليه: صحيح البخاري؛ كتاب النفقات، باب خادم المرأة، حديث (5362). صحيح مسلم، حديث (2727-80) بنحوه.

(3) انظر: شرح ابن بطال على صحيح البخاري، (ج10/ 88).

(4) قال القسطلاني في إرشاد الساري (ج5/ 35): وفي التعبير بثلثي الأجر حكمة لطيفة، وذلك أن الله تعالى أعد للمجاهد ثلاث كرامات: دنيويتان وأخروية، فالدنيويتان السلامة والغنيمة، والأخروية دخول الجنة، فإذا رجع سالما غانما فقد حصل له ثلثا ما أعد الله له وبقي له عند الله الثلث، وإن رجع بغير غنيمة عوضه الله عن ذلك ثوابا في مقابلة ما فاته.

(5) رواه مسلم في صحيحه، حديث (1906).

فتَحَ الله عليه مِنَ الدّنيا، وشغَلَه بها عن بعضِ الطّاعةِ، وحسابُه عليها في الآخِرةِ[1]. والتّحقيق: أنّ إصابةَ الغنيمةِ إذا لم تكُن ممّا قصدَها المجاهِدُ بجهادِه، ولا جعلَها باعثًا له على غزوِه؛ لا توجِبُ نُقصانَ الأجرِ، وقد بيّنّا هذا في كتابِنا الموسوم: «كتاب الجهاد»، وذكرنا الخلافَ وبسطنا القولَ في ذلك، فمَن رام كشفَ ذلك فليطلُبه من موضعِه، والله تعالى أعلم[2].

في «الصّحيحين» عن خبّابِ بن الأرَتِّ قال: هاجرنا معَ رسولِ الله ﷺ نلتَمِسُ وجهَ الله فوَقَع أجرُنا؛ فمِنّا مَن ماتَ لم يأكل من أجرِه شيئًا؛

---

(1) قال القاضي عياض في إكمال المعلم (ج6/ 331): أي أنهم نالوا من الدنيا ما هو حساب ما فاتهم منها بقدر ثلثي الأجر، ولو كان نقصا من الأجر في الأصل كان على ثلث أجر من لم يغنم... لأن لهم أجر الجهاد كاملا، وأجر ما فاتهم من الغنيمة، وأجر ما أصابهم من العدو، ونال منهم واستشهدوا، بخلاف من لم يصب الذي له أجر الجهاد فقط. ولا شك أن المصائب كثيرة الأجور، فكيف إذا كانت في ذات الله؟، فهي مضاعفة على تقدير ما جاء في الحديث من الثلثين وأكثر، فيكون معنى قوله في التي غنمت ولم تصب: «أنها تعجلت ثلثي أجورها»، بالإضافة إلى الأخرى إلى تضاعف أجرها عليها مرتين ساوتها في أجر الجهاد، وفضلت عليها بأجر الإخفاق وأجر الإصابة، فجاء نقصها عن درجتين من درجات هذه، كأنه تعجيل بما حصل لها من الدنيا، والأخرى بخلافها.

وقال النووي في شرح مسلم، (ج13/ 52): فالصواب الذي لا يجوز غيره أن الغزاة إذا سلموا أو غنموا يكون أجرهم أقل من أجر من لم يسلم أو سلم ولم يغنم وأن الغنيمة هي في مقابلة جزء من أجر غزوهم، فإذا حصلت لهم فقد تعجلوا ثلثي أجرهم المترتب على الغزو، وتكون هذه الغنيمة من جملة الأجر، وهذا موافق للأحاديث الصحيحة المشهورة عن الصحابة كقوله: (منا من مات ولم يأكل من أجره شيئا ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها) أي: يجتنيها فهذا الذي ذكرنا هو الصواب وهو ظاهر الحديث ولم يأت حديث صريح صحيح يخالف هذا فتعين حمله على ما ذكرنا.

(2) قال الباجي في المنتقى شرح الموطأ، ط العلمية، كتاب الجهاد، (ج4/ 321): معناه أن يصيبوا غنيمة على غير وجهها أو يكونوا قد خرجوا قاصدين لها مع إرادة الجهاد ولا يصح حمله على عمومه لأنا لا نعلم غازيا أعظم أجرا من أهل بدر على ما أصابوا من الغنيمة.
راجع: إحكام الأحكام لابن دقيق العيد، (ج2/ 325-327)

منهم: مُصعبُ بن عُميرٍ قُتل يومَ بدرٍ وترَك نمِرةً[1] فكُنّا إذا غطَّينا بها رأسَه بدَت رِجلاه، وإذا غطَّينا رجلَيه بدا رأسُه فأمرَنا رسولُ الله ﷺ أن نُغطّي رأسَه ونَجعلُ علَى رجليه شيئًا من الإذخر، ومنّا مَن أينعت له ثمرَتُه فهو يَهدِبُها[2][3].

وفي «صحيح البخاري»: أنّ عبد الرّحمن بن عوف أُتي بطعام وكان صائمًا قال: قُتل مصعبُ بن عُميرٍ وهو خيرٌ مِنّي فكُفِّن في بُردة، إن غُطّيَ رأسُه بدَت رِجلاه، وإن غُطّيَ رِجلاه بدا رأسُه، وقُتل حمزة وهو خيرٌ منّي فلم يوجَد له كَفَنٌ إلّا بُردة، ثُم بُسِط لنا مِنَ الدُّنيا ما بُسط -أو قال: أُعطينا مِنَ الدّنيا ما أُعطينا- وقد خَشيتُ أن يكونَ عُجِّلَت لنا طَيِّباتُنا

(1) كل شملة من مآزر الأعراب فهي نمرة، وجمعها: نمار، كأنها أخذت من جلد النمر؛ لما فيها من السواد والبياض. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (نمر)، (ج9/ 4274-4275).

(2) الإذخِرُ: بكسر الهمزة، حشيشة طيبة الرائحة، تسقف بها البيوت فوق الخشب، وهمزتها زائدة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (إذخر)، (ج1/ 77).

وأينعت: أينع الثمر يونِعُ، ويَنَعَ يَينِعُ، فهو مونِعٌ ويانِعٌ، إذا أدرك، ونضج. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (ينع)، (ج10/ 4652).

ويهدبها أي: يجنيها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (هدب)، (ج10/ 4544).

(3) متفق عليه: صحيح البخاري: باب ما جاء في الجنائز، باب إذا لم يجد كفنا إلا ما يواري رأسه أو قدميه غُطِّي رأسه، حديث (1276) بنحوه.

وفي باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، حديث (3897) بنحوه، وحديث (3914) بنحوه.

وكتاب المغازي: باب غزوة أحد، حديث (4047) بنحوه. باب من قتل من المسلمين يوم أحد، حديث (4082).

وفي باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب فضل الفقر، حديث (6448). وصحيح مسلم، حديث (44-940) بنحوه.

فـي حياتِنـا الدُّنيـا، ثُـمّ جعَـلَ يبكـي حتَّـى تـرَكَ الطَّعـامَ[1]. وروى سـعيد بن منصـور[2]: ثَنـا أبـو مُعاويـةَ[3]، عـنِ الأعمَشِ[4]، عـن مُجاهِـدٍ[5]، عـنِ ابنِ

(1) رواه البخاري في صحيحه: باب في الجنائز: باب الكفن من جميع المال، حديث (1274). باب إذا لم يوجد إلا ثوب واحد (1275).

وكتاب المغازي، باب غزوة أحد، حديث (4045) بنحوه.

(2) هو سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني، الحافظ، الإمام، شيخ الحرم، أبو عثمان الخراساني، المروزي - ويقال: الطالقاني - ثم البلخي، ثم المكي المجاور، مؤلف كتاب (السنن)، سمع: بخراسان، والحجاز، والعراق، ومصر، والشام، والجزيرة، وغير ذلك من: مالك بن أنس، والليث بن سعد، وفليح بن سليمان، وسفيان بن عيينة، وأبي معاوية، كان ثقة، صادقا، من أوعية العلمروى عنه: أحمد بن حنبل، وأبو ثور الكلبي، وأبو محمد الدارمي، وسلمة بن شبيب، وأبو بكر الأثرم، وأبو داود، ومسلم، قال سلمة بن شبيب: ذكرت سعيد بن منصور لأحمد بن حنبل، فأحسن الثناء عليه، وفخم أمره، وقال أبو حاتم الرازي: (هو ثقة، من المتقنين الأثبات، ممن جمع وصنف)، وتوفي: بمكة، في شهر رمضان، سنة (227هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج10/ 586-590).

(3) هو أبو معاوية محمد بن خازم السعدي الكوفي الضرير، مولى بني سعد بن زيد مناة بن تميم، الإمام، الحافظ، الحجة، أحد الأعلام، قال أحمد، وجماعة: ولد سنة (113هـ)، حدث عن: هشام بن عروة، وعاصم الأحول، ويحيى بن سعيد الأنصاري، والأعمش، وخلق كثير، وعنه: ابنه؛ إبراهيم، وابن جريج - شيخه - والأعمش - شيخه - ويحيى بن سعيد القطان، وأحمد بن حنبل، وابن معين، وإسحاق، وأبو خيثمة، وسعيد بن منصور، وقال عبد الله بن أحمد: عن أبيه: (كان أبو معاوية إذا سئل عن أحاديث الأعمش، يقول: قد صار حديث الأعمش في فمي عَلقما، أو أمَرَّ، لكثرة ما تردد عليه)، ثم قال أبي: (أبو معاوية في غير حديث الأعمش مضطرب، لا يحفظها حفظا جيدا)، وسمعت أبي يقول: (كان -والله- حافظا للقرآن)، توفي سنة (195هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج9/ 73-78).

(4) هو الأعمش سليمان بن مهران، الإمام، شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدثين، أبو محمد الأسدي، الكاهلي مولاهم، الكوفي، الحافظ، أصله: من نواحي الري، ولد في سنة (61هـ)، قرأ عليه: حمزة الزيات، وزائدة بن قدامة، وقرأ الكسائي على زائدة بحروف الأعمش، قال علي بن المديني: (له نحو من ألف وثلاث مائة حديث)، قال سفيان بن عيينة: (كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله، وأحفظهم للحديث، وأعلمهم بالفرائض)، وقال يحيى القطان: (هو علامة الإسلام)، توفي سنة (148هـ) بالكوفة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج6/ 226-248).

(5) تقدمت ترجمته.

عُمرَ، قال: ما يُصيبُ عبد مِنَ الدُّنيا شيئًا، إلّا انتَقَصَ من دَرجاتِه عندَ اللهِ، وإن كان علَيه كريمًا[1].

ولَمّا أُتي عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بكُنوز كِسرَى بكى، فقال له عبد الرّحمنِ بن عوفٍ: ما يُبكيكَ يا أميرَ المُؤمنينَ! فوالله إن هذا ليَومُ شُكرٍ ويومُ سُرور ويَومُ فرَح؟! فقال عُمرُ: إنّ هذا لم يُعطَه قومٌ إلّا ألقي بينَهم العداوةُ والبغضاءُ[2].

فَصْلٌ [3]

ولَمّا كان الفقرُ أفضَلَ من الغِنَى جاءَ في كتابِ اللهِ وسُنّة رسولِه ﷺ الحضُّ[4] علَى الزُّهد في الدّنيا، والإعراضِ عنها، وذمِّ الحرصِ عليها، والنّهيِ عنِ الرّغبةِ فيها، ولو كان كما يزعم الأغنياءُ لكان جاء الحضُّ عليها، والرّغبةُ في اكتسابِها، والاستكثارُ منها، كما جاءَ الحضُّ علَى اكتِسابِ الفضائلِ الّتي بها كمالُ العبدِ من العِلم والعمَلِ، فلمّا لم يرد إلّا الزُّهد في الدُّنيا، والتّقليل منها؛ دلَّ على أنّ الزّاهدينَ فيها أفضَلُ الطّائفَتينِ.

---

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان، حديث (10194)، (ج13/ 205).

(2) رواه عبدالرزاق في المصنف، حديث (20036)، (ج11/ 100).

(3) راجع: عدة الصابرين لابن القيم، (ص: 411-431).

(4) في الأصل: الحظ، بالظاء، وكذا في الألفاظ التي بعدها، وعلق عليها الناسخ في الحاشية بقوله: صوابه الحض بالضاد، وكذا الألفاظ التي بعده.

حض: الحاء والضاد أصلان: أحدهما البعث على الشيء... حضضته على كذا، إذا حضضته عليه وحرضته. قال الخليل: الفرق بين الحض والحث أن الحث يكون في السير والسوق وكل شيء، والحض لا يكون في سير ولا سوق.

انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (حض)، (ج2/ 13).

وقد أخبَرَ أنّ الدُّنيا ملعونةٌ ملعونٌ ما فيها إلّا ذكر الله وما والاه، وعالِمٌ أو مُتعلّمٌ[1]، وأنّها سِجنُ المُؤمنِ، وجنّة الكافرِ[2]، وقال: «**كُن في الدُّنيا كأنّكَ غريبٌ أو عابرُ سَبيلٍ**»[3] وإذا أصبحَ فلا ينتظِرُ المساءَ، وإذا أمسى فلا ينتظِرُ الصّباحَ[4]، ولعَنَ عبد الدِّينارِ والدِّرهمِ، ودعا عليه بالتّعس[5]،

---

(1) رواه: الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله، حديث (2477)؛ من طريق: محمد بن حاتم المؤدب، قال: حدثنا علي بن ثابت، قال: حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، قال: سمعت عطاء بن قرة، قال: سمعت عبد الله بن ضمرة، قال: سمعت أبا هرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، وعالم أو متعلم». قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، باب الزهد في الدنيا، حديث (4112)؛ من طريق: علي بن ميمون الرقي، قال: حدثنا أبو خليد عتبة بن حماد الدمشقي، عن ابن ثوبان، عن عطاء بن قرة، عن عبد الله بن ضمرة السلولي، قال: حدثنا أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحو لفظ الترمذي. وابن مبارك في الزهد والرقائق، ت الأعظمي، حديث (543)؛ من طريق: ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان قال: قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما أدى إليه، والعالم، والمتعلم في الخير شريكان، وسائر الناس همج لا خير فيهم» موقوفًا بلفظ.

(2) رواه مسلم في صحيحه، حديث (1-2956)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر».

(3) رواه البخاري في صحيحه، باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب قول النبي ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، حديث (6416)، وأوله: عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: الحديث.

(4) هذا من كلام ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك. انظر: صحيح البخاري، باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب قول النبي ﷺ: «كُن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، حديث (6416).

(5) تَعِسَ يَتعَسُ، إذا عثر، وانكب لوجهه، وقد تفتح العين، وهو دعاء عليه بالهلكة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (تعس)، (ج2/ 456).

وعدم إقالة العثرةِ بالانتِقاشِ[1][2].

وأَخبَرَ أنّها حُلوةٌ خضِرة[3] تأخذُ العُيونَ بخضرتِها وبالقلوبِ بحلاوتها، وأخبَرَ أنّ الحرصَ عليها وعلَى الرّياسة والشّرف يُفسد الدّينَ كإفساد الذِّئبينِ الضّاريينِ إذا أُرسلا في الغنم أو أشدّ[4].

(1) أي: إذا دخلت فيه شوكة لا أخرجها من موضعها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (نقش)، (ج9/ 4248-4249).

(2) رواه البخاري في صحيحه: باب فضل الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله: حديث (2886)، بلفظ: «تعس عبد الدينار، والدرهم، والقطيفة، والخميصة، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعط لم يرض». حديث (2887)، بلفظ: «تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة، كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يُؤذن له، وإن شفع لم يشفع». قال الإمام البخاري: فتعسا: كأنه يقول: فأتعسهم الله، طوبى: فُعلى من كل شيء طيب، وهي ياء حولت إلى الواو وهي من يطيب. وباب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب ما يتبقى من فتنة المال، حديث (6435) بلفظ حديث (2886).

(3) رواه مسلم في صحيحه، حديث (99-2742)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء». قال المازري في المعلم بفوائد مسلم (ج2/ 33): قال الهروي: (خضرة) يعني غضة ناعمة طرية. وأصله من خضرة الشجر. وسمعت الأزهري يقول: أخذ الشيء خضرا مضرا إذا أخذه بغير ثمن. وقيل: غضا طريا.

(4) رواه: الإمام أحمد في مسنده، عن كعب بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم أفسد لها من حرص المرء على المال، والشرف لدينه»، حديث (15784)، (ج25/ 62)، وحديث (15794)، (ج25/ 85). والترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، حديث (2535)، بنحو رواية المسند، قال أبوعيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وابن حبان في صحيحه، ط الأوقاف، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من مجانبة الحرص على المال والشرف إذ هما مفسدان لدينه، حديث (4569)، (ج5/ 370)، بنحو رواية المسند. جميعًا من طريق: زكريا بن أبي زائدة، عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة، عن ابن كعب بن مالك الأنصاري، عن أبيه. قال المباركفوري في تحفة الأحوذي (ج7/ 39): ومعناه: ليس ذئبان جائعان أرسلا في جماعة من جنس الغنم بأشد إفسادًا لتلك الغنم من=

وأخبَر أنّها في الدُّنيا كراكبٍ استظَلَّ تحتَ شجرة في يومٍ صائِفٍ، ثُمّ راح وتركَها(1)، وهذه في الحقيقة حالُ سكّانِ الدُّنيا كلِّهم.

ومرَّ النّبيُّ ﷺ بقومٍ وهم يعالجون خُصًّا(2) لهم قد وَهَى فقال: «ما

=حرص المرء على المال والجاه، فإن إفساده لدين المرء أشد من إفساد الذئبين الجائعين لجماعة من الغنم إذا أرسلا فيها؛ أما المال فإفساده أنه نوع من القدرة يحرك داعية الشهوات، ويجر إلى التنعم في المباحات فيصير التنعم مألوفًا، وربما يشتد أنسه بالمال ويعجز عن كسب الحلال فيقتحم في الشبهات مع أنها ملهية عن ذكر الله تعالى، وهذه لا ينفك عنها أحد، وأما الجاه فيكفي به إفسادًا أن المال يبذل للجاه ولا يبذل الجاه للمال، وهو الشرك الخفي، فيخوض في المراآت والمداهنة والنفاق وسائر الأخلاق الذميمة، فهو أفسد وأفسد.

(1) رواه: أحمد في مسنده: - حديث (2744)، (ج4/ 473)؛ من طريق: عبد الصمد، وأبو سعيد، وعفان، قالوا: حدثنا ثابت، حدثنا هلال، عن عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ دخل عليه عمر، وهو على حصير قد أثر في جنبه، فقال: يا نبي الله، لو اتخذت فراشا أوثر من هذا؟ فقال: «ما لي وللدنيا؟ ما مثلي ومثل الدنيا، إلا كراكب سار في يوم صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار، ثم راح وتركها». حديث (3709)، (ج6/ 241-242)؛ من طريق: المسعودي، عن عمرو بن مرة، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: اضطجع رسول الله ﷺ على حصير، فأثر في جنبه، فلما استيقظ، جعلت أمسح جنبه، فقلت: يا رسول الله، ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئا؟ فقال رسول الله ﷺ: «ما لي وللدنيا؟ ما أنا والدنيا؟ إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة، ثم راح وتركها».

والترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، حديث (2536)؛ -من نفس طريق الإمام أحمد (3709)- عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نام رسول الله ﷺ على حصير، فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: «ما لي وللدنيا! ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها». قال أبوعيسى: هذا حديث صحيح. وابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، حديث (4109)؛ -من نفس طريق الإمام أحمد (3709)- عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: اضطجع النبي ﷺ على حصير فأثر في جلده، فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله لو كنت آذنتنا ففرشنا لك عليه شيئا يقيك منه، فقال رسول الله ﷺ: «ما أنا والدنيا إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها».

(2) الخُص: بيت يعمل من الخشب، والقصب، وجمعه خِصاص، وأخصاص، سمي به لما فيه من الخِصاص، وهي الفُرَجُ والأنقاب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (خصص)، (ج3/ 1180).

أرَى الأمرَ إلّا أعجَلَ من ذلك»[1].

وأعلمَ النّاس أنهم ليس لأحد منهم حق في سوى بيت يسكنه، وثوب [27/ ب] يواري عورته، وقوت يقيم صلبه[2].

وأخبرَ أنّ الميتَ يتبعُه أهله ومالُه وعملُه، فيرجِعُ أهله ومالُه، ويبقَى عملُه[3].

---

(1) رواه: أحمد في مسنده، حديث (6502)، (ج11/ 46)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: مرّ بنا رسول الله ﷺ ونحن نصلح خصًا لنا، فقال: «ما هذا؟» قلنا: خُصًا لنا وهَى، فنحن نصلحه، قال: فقال: «أما إنّ الأمر أعجل من ذلك». والترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في قصر الأمل، حديث (2491)، عن عبد الله بن عمرو، قال: مرّ علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خُصًا لنا، فقال: «ما هذا؟» فقلنا: قد وهِيَ، فنحن نصلحه، فقال: «ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في البناء، حديث (5235)، عن عبد الله بن عمرو، قال: مرّ بي رسول الله ﷺ وأنا أطين حائطًا لي أنا وأمي، فقال: «ما هذا يا عبد الله؟» فقلت: يا رسول الله شيء أصلحه، فقال: «الأمر أسرع من ذاك». وابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، باب في البناء والخراب، حديث (4160)، بنحو رواية الترمذي. جميعًا من طريق: الأعمش، عن أبي السفر، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. قال المناوي في فيض القدير، (ج5/ 417): «ما أرى الأمر» يعني: الموت، «إلا أعجل من ذلك» أي: من أن يبني الإنسان لنفسه بناء ويشيده فوق ما لا بد منه.

(2) رواه الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الزهادة في الدنيا، حديث (2497)، عن عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال: بيت يسكنه، وثوب يواري عورته، وجلف الخبز والماء». قال الترمذي: هذا حديث صحيح، وهو حديث حريث بن السائب. وسمعت أبا داود سليمان بن سلم البلخي يقول: قال النضر بن شميل: جلف الخبز، يعني: ليس معه إدام.

(3) متفق عليه: صحيح البخاري، باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب سكرات الموت، حديث (6514)، عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان، ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله». صحيح مسلم، حديث (5-2960)، بنحو رواية البخاري.

وأخبَرَ أنّه ليس لابنِ آدمَ من مالِه إلّا ما أكَلَ فأفنَى، أو لبسَ فأبلَى، أو تصدَّقَ فأمضَى[1]، وقال: «بحَسبِ ابنِ آدمَ لُقَيماتٌ يُقِمنَ بها صُلبَه»، فإن لم يقتصِر علَى ذلك؛ فثلُثُ بطنِه لِطعامه، وثُلُثٌ لِشرابه، وثُلُثٌ لِنفَسِه[2].

وسألَ اللهَ أن يجعَلَ رِزقَه فيها قوتًا[3].

---

(1) رواه مسلم في صحيحه: حديث (3-2958)، عن مطرف، عن أبيه، قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: «ألهاكم التكاثر»، قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي، قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟». حديث (4-2959)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «يقول العبد: مالي مالي، إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب، وتاركه للناس».

(2) رواه: أحمد في مسنده، حديث (17186)، (ج28/ 422)؛ من طريق: أبو المغيرة، قال: حدثنا سليمان بن سليم الكناني، قال: حدثنا يحيى بن جابر الطائي، قال: سمعت المقدام بن معدي كرب الكندي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطن، حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث طعام، وثلث شراب، وثلث لنفسه». والترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، حديث (2539)؛ من طريق: سويد بن نصر قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك قال: أخبرنا إسماعيل بن عياش قال: حدثني أبو سلمة الحمصي، وحبيب بن صالح، عن يحيى بن جابر الطائي، عن مقدام بن معدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «... بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة؛ فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه». قال أبوعيسى: هذا حديث حسن. وابن ماجة في سننه، أبواب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع، حديث (3349)؛ من طريق: هشام بن عبد الملك الحمصي قال: حدثنا محمد بن حرب قال: حدثتني أمي، عن أمها، أنها سمعت المقداد يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «... بحسب الآدمي لقيمات يقمن صلبه، فإن غلبت الآدميَّ نفسُه، فثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنفَس». قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم، (ج2/ 468-469): وهذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها...وأما منافعه بالنسبة إلى القلب وصلاحه، فإن قلة الغذاء توجب رقة القلب، وقوة الفهم، وانكسار النفس، وضعف الهوى والغضب...

(3) متفق عليه: صحيح البخاري، باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا، حديث (6460)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم ارزق آل محمد قوتًا». صحيح مسلم، حديث (1055)، بلفظ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا» وقال: وفي رواية عمرو: «اللهم ارزق».

وغبطَ مَن كان رِزقُه فيها كفافًا بعد أن هُدِيَ للإسلام[1]. وأخبرَ أنّ مَن كانتِ الدّنيا همَّه جعَل الله فقرَه بينَ عينَيه، وشتَّتَ عليه شملَه، ولم يأتِه منها إلّا ما كُتب له[2]. وأخبرَ أنّه «مَن أصبحَ آمنًا في سِربِه[3]، مُعافًى في جسَدِه، عندَه قوتُ يومِه؛ فكأنّما حِيزَت[4] له الدُّنيا»[5].

(1) روى مسلم في صحيحه، حديث (1054)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافًا، وقنعه الله بما آتاه».

(2) رواه: أحمد في مسنده، حديث (21590)، (ج35/ 467)، عن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان، عن أبيه، أن زيد بن ثابت، خرج من عند مروان نحوا من نصف النهار، فقلنا: ما بعث إليه الساعة إلا لشيء سأله عنه. فقمت إليه فسألته، فقال: أجل، سألنا عن أشياء سمعتها من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نضر الله امرأ سمع منا حديثا، فحفظه حتى يبلغه غيره، فإنه رب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»، «ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم أبدا: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»، وقال: «من كان همه الآخرة، جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت نيته الدنيا، فرق الله عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له» وسألنا عن الصلاة الوسطى، وهي الظهر. والترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، حديث (2634)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدر له». وابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، باب الهم بالدنيا، حديث (4105)، عن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان، يحدث عن أبيه، قال: خرج زيد بن ثابت من عند مروان بنصف النهار، قلت: ما بعث إليه هذه الساعة إلا لشيء يسأل عنه، فسألته، فقال: سألنا عن أشياء سمعناها من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «من كانت الدنيا همه، فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة».

(3) يقال: فلان آمن في سِربه -بالكسر-، أي: في نفسه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (سرب)، (ج5/ 1902).

(4) حازه يحوزه، إذا قبضه، وملكه، واستبدَّ به. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (حوز)، (ج3/ 1068).

(5) رواه: الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الزهادة في الدنيا، حديث (2502)، عن سلمة بن عبيد الله بن محصن الخطمي، عن أبيه -وكانت له=

ونَهَى أمَّتَه أن ينظُرَ أحدُهم إلى مَن فوقه في الدُّنيا، وأمَرَه أن ينظُرَ إلى مَن دونَه فيها(1).

ودخَلَ على عُثمانَ بن مظعونٍ وهو في الموتِ، فأكبَّ عليه يُقبِّلُه، ويقول: «رَحِمَكَ الله يا عُثمانُ! ما أصَبتَ مِنَ الدُّنيا، ولا أصابَت منكَ» فغبطه بذلك(2). وكان يقول: «الزُّهدُ في الدُّنيا يُريحُ القلبَ والبدَنَ، والرّغبة في الدُّنيا تُطيلُ الهمَّ والحزَنَ»(3). وقال الإمامُ أحمَدُ لإسحاقَ بن منصورٍ

= صحبة-، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا». قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث مروان بن معاوية. قوله: «حيزت»، يعني: جُمِعَت. وابن ماجة في سننه، أبواب الزهد، باب القناعة، حديث (4141)، بلفظ: «من أصبح منكم معافى في جسده، آمنا في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا». والبخاري في الأدب المفرد، حديث (300)، (ج1/ 156)، بلفظ: «من أصبح آمنا في سربه معافى في جسده عنده طعام يومه فكأنما حيزت له الدنيا». جميعًا من طريق: مروان بن معاوية، عن عبد الرحمن بن أبي شميلة الأنصاري، عن سلمة بن عبيد الله بن محصن الخطمي، عن أبيه، -وكانت له صحبة-، عن النبي ﷺ.

(1) رواه مسلم في صحيحه، حديث (9-2963)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله» - قال أبو معاوية - «عليكم».

(2) رواه: أحمد في الزهد، حديث (61)، (ص:13)؛ من طريق: سيار بن حاتم، حدثنا جعفر، حدثنا أيوب، عن عبد ربه بن سعيد المدني. وأبونعيم في حلية الأولياء، (ج1/ 105)؛ من طريق الإمام أحمد.

(3) رواه: 1 - أحمد في الزهد، حديث (51)، (ص:12)؛ من طريق: الهيثم بن جميل، قال: حدثنا محمد -يعني ابن مسلم-، عن إبراهيم -يعني ابن ميسرة-، عن طاوس قال: قال رسول الله ﷺ، بنحوه. 2 - ابن أبي الدنيا في الزهد: - حديث (76)؛ بنفس طريق الإمام أحمد وبلفظ المتن. وحديث (86)؛ من طريق: علي بن مسلم، قال: ثنا سيار، قال: ثنا جعفر، قال: ثنا مالك بن دينار، قال: سمعت عبد الله الداري، يقول: (كان أهل العلم بالله عَزَّوَجَلَّ، والقبول عنه يقولون: إن الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، وإن الرغبة في الدنيا تكثر الهمَّ والحزن). وحديث (305)؛ من طريق: محمد بن علي بن الحسن، قال: ثنا إبراهيم بن الأشعث، قال: سمعت الفضيل بن عياض، يذكر عن النبي ﷺ ... بلفظه. =

الكوسَجُ[1]: ما أهوَنَ الدُّنيا على اللهِ[2]! قليلُها يجزي، وكثيرُها لا يجزي، وحُبُّ الدّينارِ رأسُ كُلِّ خطيئةٍ[3].

= 3- الطبراني في الأوسط، حديث (6120)، (ج6/ 177)؛ من طريق: محمد بن زكريا الغلابي قال: نا يحيى بن بسطام الأصفر قال: نا أشعث بن براز الهجيمي، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «الزهد في الدنيا يريح القلب، والجسد» دون زيادة «والرغبة في الدنيا...». قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن علي بن زيد إلا أشعث بن براز، تفرد به يحيى بن بسطام. 4- البيهقي في شعب الإيمان، حديث (10054)، (ج13/ 122)؛ من نفس طريق الإمام أحمد، عن طاوس، قال: قال النبي ﷺ: «الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، والرغبة في الدنيا يطيل الهم والحزن». قال البيهقي: هذا مرسل.

۞ قال المنذري في الترغيب والترهيب (ج4/ 157): رواه الطبراني، وإسناده مقارب.

(1) هو إسحاق بن منصور بن بهرام أبو يعقوب الكوسج المروزي: ولد بمرو ودخل إلى العراق والحجاز والشام، واستوطن نيسابور، روى عنه البخاري ومسلم في الصحيحين وأبو زرعة وأبو عيسى الترمذي وعبد الله بن أبي داود ومحمد بن خزيمة، وكان إسحاق عالما فقيها وهو الذي دون عن إمامنا المسائل في الفقه، وسئل مسلم بن الحجاج عن إسحاق بن منصور الكوسج فقال: (ثقة مأمون)، وقال أبو عبد الرحمن النسائي: (إسحاق بن منصور الكوسج مروزي ثقة)، ومات يوم الخميس ودفن يوم الجمعة لعشر بقين من جمادى الأولى سنة (251هـ) بنيسابور، ودفن إلى جنب إسحاق بن راهويه، ومحمد بن رافع، وصلى عليه محمد بن طاهر. انظر: طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى، (ج1/ 113).

(2) انظر: مسائل ابن هانئ (ج2/ 180).

(3) سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن معنى قول من يقول: «حب الدنيا رأس كل خطيئة» فهل هي من جهة المعاصي؟ أو من جهة جمع المال؟ فأجاب: «ليس هذا محفوظا عن النبي ﷺ ولكن هو معروف عن جندب بن عبد الله البجلي من الصحابة ويذكر عن المسيح ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ...وأما حكم الإسلام في ذلك: فالذي يُعَاقب الرجل عليه الحبُّ الذي يستلزم المعاصي: فإنه يستلزم الظلم والكذب والفواحش، ولا ريب أن الحرص على المال والرئاسة يوجب هذا... فحرص الرجل على المال والشرف يوجب فساد الدين فأما مجرد الحب الذي في القلب إذا كان الإنسان يفعل ما أمره الله به ويترك ما نهى الله عنه، ويخاف مقام ربه وينهى النفس عن الهوى فإن الله لا يعاقبه على مثل هذا إذا لم يكن معه عمل، وجمعُ المال إذا قام بالواجبات فيه ولم يكتسبه من الحرام لا يعاقب عليه؛ لكن إخراج فضول المال والاقتصار على الكفاية أفضل وأسلم وأفرغ للقلب وأجمع للهم وأنفع في الدنيا والآخرة». انظر: مجموع الفتاوى، (ج11/ 107-108).

وتَرى مُحبَّ الدُّنيا يسكَرُ بحبِّها أعظَمَ مِنَ السُّكر بالخمرِ، لا يفيقُ منه إلّا في ظلمةِ اللّحدِ، والدُّنيا تَسحَرُ العُقولَ أعظَمَ من سِحر السّحرةِ.

قال الإمامُ أحمدُ: ثَنا سيّار[1]، ثَنا جعفرٌ[2]، قال: سَمِعتُ مالك بن دينارٍ[3] يقولُ: اتّقوا السّحّارةَ؛ فإنّها تَسحَر قلوبَ العُلماءِ[4]. وفي روايةٍ: فإنّها أسحرُ من هاروتَ وماروتَ.

وقال يَحيَى بن مُعاذٍ الرّازيُّ[5]: الدُّنيا خمرُ الشّيطانِ مَن سكِر منها فلا يفيقُ إلّا في عسكَر الموتَى[6].

---

(1) هو سيار بن حاتم العنزي، أبو سلمة البصري. روى عن: بشر بن منصور السليمي، وجعفر بن سليمان الضبعي وجل روايته عنه، وغيرهم. روى عنه: أحمد بن حنبل، وسليمان بن داود القزاز، وأبو داود سليمان بن معبد السنجي، وغيرهم. وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات» وقال: كان جماعا للرقائق. قال علي بن مسلم: (199 أو 200 هـ). روي له الترمذي، والنسائي، وابن ماجه. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج12/ 307-308).

(2) هو جعفر بن سليمان الضبعي، أبو سليمان البصري مولى بني الحريش، كان ينزل في بني ضبيعة فنسب إليهم. روى عن: إبراهيم بن عمر بن كيسان الصنعاني، وإبراهيم بن عيسى اليشكري... ومالك بن دينار، ومحمد بن ثابت البناني، وغيرهم. روى عنه: إسحاق بن أبي إسرائيل، وإسحاق بن سليمان الرازي... وسفيان الثوري، ومات قبله، وسيار بن حاتم، وغيرهم. قال أبو طالب أحمد بن حميد، عن أحمد بن حنبل: (لا بأس به)، وقال يحيى بن معين: (ثقة). مات سنة (278هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج5/ 43-50).

(3) تقدمت ترجمته.

(4) رواه: الإمام أحمد في الزهد، حديث (1863)، (ص:259). وابن أبي الدنيا في ذم الدنيا حديث (39). وأبو نعيم في الحلية (2/ 364)، (6/ 287). وقال أبو طالب المكي في قوت القلوب، ت محمود إبراهيم محمد الرضواني، (ج2/ 740): فمن حرص على الدنيا بالباطل فقد قتل نفسه، فإن قَوِيَ حرصه عليها واشتد عشقُه لها قَتَل غيره.

(5) تقدمت ترجمته.

(6) انظر: الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، ت أحمد أمين وأحمد الزين، الليلة الرابعة والعشرون، (ج2/ 127). - ثمار القلوب للثعالبي، ط دار البشائر، (ج1/ 156). واللطائف والظرائف للثعالبي، باب ذم الدنيا، (ص: 59). وصفة الصفوة لابن الجوزي، (ج4/ 98). وعدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم، ط الأوقاف، الباب الثالث والعشرون، (ص:426).

وإذا قيل: إنّ جميعَ الأمـمِ الّذيـن كذَّبـوا [28/ أ] الرُّسـلَ والأنبيـاءَ إنّمـا حمَلَهـم علـى كفرهـم وهَلاكِهـم حـبُّ الدّنيـا والرّياسـةِ، فـإنّ الرُّسـلَ لَمّـا نَهَوهـم عـنِ الشِّـركِ والمعاصـي الّتـي كانـوا يكتسبونَ بهمـا الدُّنيـا؛ حمَلَهـم حبُّهـا علَـى مُخالفتِهـم وتكذيبهِـم.

وقـد فشَـت محبَّتُهـا فـي زمانِنـا أكثـر مـن الزّمَـنِ المتقـدّم، حتَّـى لـو قيل: لـم ينـجُ مـن محبّتهـا أحَـدٌ؛ فإنّهـا قـدِ اسـتولَت علـى الفُقهـاء؛ فـإنّ العلمـاءَ بهـم يُقتـدى، فهـم فـي زمانِنـا أشـدُّ حبًّـا لهـا مـن كثيـر مِـنَ الأغنيـاءِ، ويُؤيِّـد ذلـك مـا تقـدم مـن روايـة الإمـام أحمـدَ عـن مالِـكِ بـن دينـار، واسـتولَت علـى المشـايخ والفُقـراء والأغنيـاء والنِّسـاء، فلـم تجِـد أحـدًا فـي زمانِنـا يُشـار إليـه بالزُّهـد ظاهـرًا وباطنًـا، ولا بالصّـلاحِ والمشيخة علَـى الطّريقـةِ والحقيقـةِ، وإنّمـا يتعافـون صنعـةَ الصّيـد، فـكُلُّ مَـن ينصـبُ شـبكتَه علـى قـدرِ اجتهـادِه فيمـا يريـد أن يصيـدَ بهـا، ولـولا سـترُ اللـه تعالـى علينـا لانفضَحـتِ السّـرائرُ، وانهتَكَـتِ الأسـتارُ، وسـيأتي فيمـا بعـدُ أتـمّ مـن هـذا وأبيَـن، فـإنّ هـذا ليس هـو المقصـود، وإنّمـا المقصـود الحكـمُ بيـنَ الطّائفتيـن بالحجّـة والبيـان.

واعلَـم: أنّ أقلَّ مـا فـي حُـبِّ الدنيـا أنّهـا تُلهـي عـن حـبِّ اللـه وذكـرِه، ومَـن ألهـاه مالُـه عـن اللـه فهـو مـن الخاسـرين، وإذا لَهَـا القلـب عـن ذكـرِ اللـه سـكنه الشـيطانُ، وصرَفَـه حيـث أرادَ، فـأوّل مـا يصـدُّه بحبِّهـا عـنِ الآخـرةِ ليشـاركَه فـي الدُّخـولِ إلـى الهاويـة، فهـو مـن أسـفه الخلـق، وأقلِّهم عقـلًا؛ إذا آثَـرَ الخيـالَ علَـى الحقيقـةِ، والمنـامَ علـى اليقظـة، والظِّـلَّ الزائـلَ علـى النّعيـمِ الدّائـم، والـدّارَ الفانيـةَ علـى الـدّار الباقيـةِ، قـال الشّـاعر [مـن الكامـل]:

أحـــلامُ نَـــومٍ او كَــظِّــلٍّ زائِـــل   إنّ اللّـبيـبَ بمثلِهـا لا يُخْــدَعُ[1]

وقال غيرُه:

وَإنّ امـــــرَأً دُنـيـــاه أكـــبَرُ هَمِّـــهِ   لُمستَمسكٌ منها بحَبلِ غُـــرورِ[2]

فنسألُ اللـهَ أن يوفقَنا لِما يحبُّه ويرضاه، ويجعلُنا ممَّن آمن به وهداه، فإنّه لا إلـه لنا سِواه، ولا نعبد إلّا إيّاه.

---

(1) انظر: الزهد لابن أبي الدنيا، ط دار ابن كثير: (ص:31)، وفيه: ذكرت الدنيا عند الحسن البصري، فقال:... (ص:171-172)، وفيه: أنشدني إبراهيم بن عبد الملك لسليمان بن يزيد العدوي:

عجبا لأمنك والحياةُ قصيرة   ولفقدِ إلفٍ لا تزال تُروّع

أفقد رضيتَ بأن تُعلل بالمنى   وإلى المنية كلَّ يوم تُدفع

تخدعنك بعد طول تجارب   دنيا تكشف للبلاء وتصرع

أحلام نوم أو كظل زائل   إن اللبيب بمثلها لا يخدع

وتَزوَدَن ليوم فقرك دائبا   ألغيرِ نفسك لا أبا لك تَجمع

(ص: 219)، وفيه: قال لي عمران بن حطان: «إني لعالم بخلافك، ولكن على ذلك احفظ» ثم أخذ بيدي، فقال:

حتى متى تَسقي النفوسَ بكأسها   ريَبُ المنون وأنت لاهٍ ترتع

أحلام نوم أو كظل زائل   إن اللبيب بمثلها لا يخدع

فتزودن من قبل يومك دائبا   أم هل لِغيرِ لا أبا لك تجمع

(2) انظر: العلل ومعرفة الرجال عن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، رواية المروذي وغيره، ط الدار السلفية، وفيه: قال الأصمعي: كان على خاتم أبي عمرو بن العلاء: إن امرأً دنياه... -بلفظه-. كتاب ذم الدنيا لابن أبي الدنيا، ت: محمد عبدالقادر أحمد عطا، (ص: 24)، وفيه: مر قوم بواد فسمعوا هاتفا يقول: وإن امرأً دنياه... -بلفظه. المجالسة وجواهر العلم للدينوري (ت: 333هـ)، ط دار ابن حزم بيروت، (ج7/ 131)، وفيه: أنشدنا الصالحي لغيره:

وإن امـرأً دنيـاه أكـبر همّـه لمستوثق ... ...

بدل: لمستمسك.

فصل [28/ ب]

في ذكرِ ما استدلَّت به الأغنياءُ، ومَن قال بقولهم مِنَ العُلماء ونصرَهم من الكتابِ والسُّنّة والاعتبارِ والآثار

قالتِ الأغنياءُ: لقد أتعبتم أنفسكم وأذهانكُم أيُّها الفقراءُ في تحصيلِ هذه الأدلّة، فظننتُم أنّ ما ذكرتُموه أنّه حكم لكُم بالفضلِ علينا، وليس الأمرُ كذلك، بل نحنُ نحاكمُكُم إلى ما حاكمتمونا إليه في ميزانِ الشّرع والعقلِ، ثُمّ يحكم بينَنا مُنصفٌ، مَن ليس عنده هوى، فيتبيَّن عندَ ذلك الفاضِلُ مِنَ المفضولِ، ولكن أخرِجوا من بينِنا مَن تشبَّهَ بالفُقراءِ الصّادِقينَ الصّابرينَ وليسَ هو منهم؛ بل هو من أحرص النّاسِ على الدّنيا وأشحّهم عليها وأبعدِهم مِنَ الفُقر والصبر، متَّبعٌ لهواه، مفرِّطٌ في أمر معاده، قد جعَل زيقَ[1] الفقرِ صناعتَه ودكانه، وتحلّى بما هو أبعَد النّاس منه، وفقيرٌ آخرُ فقره اضطرارٌ لا اختيارٌ، فزهدُه زهدُ إفلاسٍ، لا زهد رغبةٍ فيما عندَ الله والدّارِ الآخِرة، وفقيرٌ آخرُ يشكو ربَّه إلى خلقِه بلِسانِ قالِه، ولسانِ حالِه، غير راضٍ عن ربِّه في فقرِه، بل إن أُعطي رضي، وإن مُنع سَخِط، شديدُ الأسفِ على الدّنيا، والحسرةِ عليها.

كنت يومًا جالسًا عندَ قاضي القُضاةِ علاءِ الدّين المصري الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ[2]، فجاء إليه جماعةٌ مِنَ الفُقراء المشتغلينَ، يطلُبونَ زيادةً على ما

---

(1) أي: جعل الفقر زينته. يقال: زوقوا المساجد: زينوها بالنقوش... ويقال للمرأة: تزيني وتزيقي... ومن المجاز: كلام مزوق، وقد زوقته تزويقًا. راجع: أساس البلاغة للزمخشري، مادة (زوق)، (ج1/ 426). والصحاح للجوهري، مادة (زوق)، (ج4/ 1492).

(2) هو علي بن مغلي الشيخ الإمام البارع المحصل قاضي القضاة علاء الدين أبو الحسن بن مغلي الحموي الأصل، المصري الحنبلي، كان بارعا في المذهب له المحفوظ الزائد، حفظ=

كُتب لهم؛ فأبى، فخرَجوا وهم يتكلّمون بكلام قبيح، فقال هذه الآيةَ، وهيَ قولُه تعالى: ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [التوبة: 58]. [29/ أ] قال: هذه الآيةُ نزلَت في المنافقينَ، وهيَ اليوم في النّاس أجمعينَ، فمِنَ الفُقراءِ مَن هو من أفقر النّاس في الدُّنيا، وهو من أرغَب النّاس فيها، وهي أزهدُ شيءٍ فيه.

ويُقال أيضًا للأغنياء: أخرِجوا من بينِكم صاحبَ المالِ الجموع المنوع المكاثر بمالِه، يفرحُ بزيادتِه، ويحزَنُ على نُقصانِه، يُرائي بصدقتِه وإنفاقه، إن رآه ذا جاهٍ تصدَّق قُدّامه أو حمَّل صدقتَه إليه، وقال: أنت أخبرُ مِنّي بالفقراء ويقصدونكَ[1] النّاسُ أكثر منّي.

فأجابوهم: أن نعَم! فخلِّصِ الفريقَينِ من هؤلاء وهؤلاء، فتسارَعَ الأغنياءُ إلى الله والدّارِ الآخرة، ونافسوا في القُرب منه بأعمالِهم وأموالِهم، فقلوبُهم عاكفةٌ عليه ينظر غنيُّهم إلى فقيرِهم، فإذا رآه قد سبقَه إلى عمَلٍ صالح شمَّرَ إلى اللِّحاق به، وينظرُ فقيرُهم إلى غنيِّهم، فإذا رَآه قد فاتَه بالإنفاقِ في طاعةِ الله أنفق هو من أعمالِه وأقوالِه وصبرِه وزُهدِه ونيّتِه نظيرًا وأكثرَ منه. فهؤلاء إخوانُنا الّذين تكلّم النّاسُ في التّفضيلِ بينَهُم، فالله تعالى الموفّق للصّواب، وهو الهادي إلى الرّشادِ.

قال ابنُ عبد السّلام[2]: قولُ العُلماءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: الغني أفضلُ أم الفقيرُ، ليسَ الخِلافُ علَى الإطلاقِ، بلِ النّاسُ علَى أقسام؛ منهم مَن لا يُصلحه إلّا الفقرُ، فالفقرُ أفضلُ في حقِّه، ومنهم مَن لا يُصلحُه إلّا الغِنَى، فالغِنى

=«الفروع» و«الخلاصة»، وغير ذلك، ولي قضاء الحنابلة بالديار المصرية، وبرع في المذهب، واستدرك على صاحب «الفروع»، توفي بعد الثمانمائة. انظر: الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد، لابن المبرد الحنبلي، ط العبيكان، ترجمة (101)، (ص: 91-92).

(1) كذا في الأصل، والأولى: ويقصدُكَ.

(2) لم يتضح لي القائل، ولا مصدر النقل.

أفضلُ في حقِّه، وشخصٌ آخرُ استوَى الأمرانِ بالنِّسبة إليه؛ فهذا محلّ النِّزاعِ بينَ العُلماءِ، والغِنَى أفضلُ؛ لأنّ الأولياءَ والأنبياءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في ترقّي المقاماتِ والدّرجاتِ أبدًا، وقدِ اختارَ الله عَزَّوَجَلَّ لِنبيّه محمدٍ ﷺ في آخرِ عُمرِه ونهاية قدره الغِنَى، ولا يختارُ له إلّا الأفضلَ، وأمّا كونُه عُرضت عليه مفاتيحُ كُنوزِ الأرضِ فامتنع؛ فيُحتمل أنّ الأنسبَ بحالِه الفقرُ، لا أنّ الفقرَ أفضلُ، وقدِ استعاذَ منه. انتهى.

فَصْلٌ

في سياقِ ما احتجّوا به

إذا تقرَّر هذا فقد مدَح الله سبحانه في كتابه أعمالًا وأثنَى علَى أصحابِها، ولا تحصلُ إلّا بالغِنَى؛ كالزّكاةِ، والإنفاقِ في وجوه البرِّ، والجهادِ في سبيلِ الله بالمالِ، وتجهيزِ الغزاةِ، وإعانة المحاويجِ، وعتقِ الرِّقابِ، والإطعامِ في زمنِ المسغَبةِ[1]؛ كأيّام الغلاءِ ونحوِه، فهذا كلُّه ذكرَه الله تعالى في القرآنِ علَى وجه المدحِ، وأين يقَعُ صبرُ الفقيرِ من فرحةِ الملهوفِ[2] [29/ ب] المضّطرِّ المشرفِ علَى الهلاكِ إذا أغاثه الغنيُّ، ونصَرَه على فقرِه ومخمَصتِه، خُصوصًا إذا كان إنفاقُه من بابِ التّطوُّعِ لا من بابِ الوجوبِ، معَ كونِ الفقيرِ نفَعَه بالتّطوُّعِ والواجب سواء؟.

وأين يقَعُ صبرُ الفقيرِ من نفعِ الغنيِّ بمالِه في نُصرةِ دينِ الله وإعلاءِ كلمتِه وكسرِ أعدائِه؟ وأين صبر أبي ذرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على فقرِه

(1) سغب: السين والغين والباء أصل واحد يدل على الجوع. فالمسغبة: المجاعة. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج3/ 77).

(2) لهف: اللام والهاء والفاء كلمة تدل على تحسر. يقال: تلهف على الشيء، ولهف، إذا حزن وتحسر. والملهوف: المظلوم يستغيث. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج5/ 217).

إلى شُكر الصِّدّيقِ وإنفاقه وشرائه المعذَّبينَ في سبيلِ الله وإعتاقِهم، وإنفاقِه على نُصرةِ الإسلام؛ حتَّى قال رسول الله ﷺ: «ما نَفَعَني مالُ أحَدٍ ما نَفَعَني مالُ أبي بَكرٍ»(1).

وأينَ يقَعُ صبرُ أهل الصُّفّةِ من إنفاق عُثمانَ بن عفّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تلك

---

(1) رواه: 1- الترمذي في سننه، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، مناقب أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث (3962)؛ من طريق: علي بن الحسن الكوفي قال: حدثنا محبوب بن محرز القواريري، عن داود بن يزيد الأودي، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر؛ فإن له عندنا يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن صاحبكم خليل الله». قال الترمذي: هذا حديث حسن، غريب من هذا الوجه.

2- ابن ماجه في سننه، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، فضل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث (94)؛ من طريق: أبو بكر بن أبي شيبة، وعلي بن محمد، قالا: حدثنا أبو معاوية قال: حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: («ما نفعني مال قط، ما نفعني مال أبي بكر» قال: فبكى أبو بكر، وقال: يا رسول الله، هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله!).

3- الإمام أحمد في المسند: (ج12/ 414)، حديث (7446)؛ من طريق: أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: -بنحو لفظ ابن ماجه-. و(ج14/ 394)، حديث (8790)؛ من طريق: معاوية، قال: حدثنا أبو إسحاق يعني الفزاري، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: («من أنفق زوجًا -أو قال: زوجين- من ماله -أراه قال: في سبيل الله-، دعته خزنة الجنة: يا مسلم، هذا خير هلم إليه»، فقال أبو بكر: هذا رجل لا تُوَى عليه، فقال رسول الله ﷺ: «ما نفعني مال قط إلا مال أبي بكر»، قال: فبكى أبو بكر، وقال: وهل نفعني الله إلا بك، وهل نفعني الله إلا بك، وهل نفعني الله إلا بك).

4- ابن حبان في صحيحه، ط الأوقاف، ذكر البيان بأن المصطفى ﷺ ما انتفع بمال أحد ما انتفع بمال أبي بكر رضوان الله عليه، حديث (3913)؛ من طريق: أبو خليفة، قال: حدثنا مسدد بن مسرهد، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: -بنحو لفظ ابن ماجه-.

النّفقاتِ العظيمةَ، حتّى قال له رسول الله ﷺ في بعضِها: «ما ضَرَّ عُثمانَ ما فَعَلَ بعدَ اليوم»[1]. والقِصّة مشهورةٌ، ثُمّ قال رسول الله ﷺ: «غفرَ اللهُ لَكَ يا عُثمانُ ما أسررتَ، وما أعلَنتَ، وما أخفَيتَ، وما أبدَيتَ»[2] أو كما قال.

وقالوا أيضًا: إذا تأمّلتُمُ القرآن وجدتُمُ الثّناء فيه علَى المنفِقين[3]

(1) رواه الترمذي في سننه، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، حديث (4006)؛ من طريق: محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا الحسن بن واقع الرملي، قال: حدثنا ضمرة، عن ابن شوذب، عن عبد الله بن القاسم، عن كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة، عن عبد الرحمن بن سمرة، قال: جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار -قال الحسن بن واقع: وفي موضع آخر من كتابي- في كمه حين جهز جيش العسرة، فنثرها في حجره، قال عبد الرحمن: فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره، ويقول: الحديث. قال الترمذي: هذا حديث حسن، غريب من هذا الوجه.

(2) ذكر القصة بتمامها الإمام أحمد في كتاب فضائل الصحابة، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، حديث (854)، (ص: 518-519)، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من زاد بيتا في المسجد فله الجنة، ومن جهز جيش العسرة فله الجنة»، قال: ففعل ذلك عثمان بن عفان، فقال النبي ﷺ: «ما ضر عثمان ما عمل، غفر الله لك يا عثمان». ثم ذكر مثل حديث أبي إبراهيم. وحديث أبو إبراهيم هو ما رواه الإمام أحمد عن إبراهيم قال: ثنا زكريا بن يحيى ثنا أبو إبراهيم محمد بن القاسم الأسدي، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية قال: قال رسول الله ﷺ: «غفر الله لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أخفيت وما أبديت، وما هو كائن وما يكون إلى يوم القيامة». انظر: فضائل الصحابة للإمام أحمد، حديث (853)، (ص:518).

۞ ورواه أيضًا الإمام أحمد في كتاب فضائل الصحابة، حديث (736)، (ص:456)، قال: نا محمد بن القاسم الأسدي عن الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: قال رسول الله ﷺ: «غفر الله لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما أبديت وما هو كائن إلى يوم القيامة».

۞ محمد بن القاسم الأسدي أبو إبراهيم الكوفي، أحد الضعفاء، قال البخاري: «يعرف وينكر»، وقال أحمد بن حنبل: «يكذب». انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، (ج5/ 188).

(3) المثبت من الهامش، وكتب فوقه (صوابه)، وفي الصلب: المتقين.

أضعافَ الثّناءِ فيه على الفُقراءِ الصّابرين، وقد شهدَ رسول الله ﷺ وحكَم به؛ بأنّ اليدَ العُليا خيرٌ مِنَ اليدِ السُّفلى[1]، واليدُ العُليا: الغنيُّ المتصدِّقُ، واليدُ السُّفلى: الفقيرُ الآخِذُ، فالعُليا: المعطية، والسُّفلى: السّائلةُ[2]. ففرّق بينَ اليدَين شرعًا وقدرًا، وجعَلَ وظيفةَ الأغنياءِ إعطاءَ الزكاةِ، ووظيفةَ الفُقراءِ أخذَها، وجعَلَ الزكاةَ أوساخَ مالِ الأغنياءِ، ولذلك حرّمَها علَى أطيب خلقِه، وعلَى آلِه؛ صيانةً لهم، وتَشريفًا ورفعًا لِأقدارِهم. وقد عدَّد الله على رسولِه من نِعَمِه [30/ أ] أن أغناه بعدَ فقرِه، وقد تقدَّمَ تفسيرُ ذلك، وما ذكرَه المفسِّرون في ذلك.

قالوا: فكان غِناه هو الحالةُ الّتي نقَلَه إليها، وفقرُه الحالةُ الّتي نقَلَه منها، وهو سُبحانَه ينقلُه مِنَ المفضولِ إلى الفاضلِ، وهو ما أغناه الله به وفتَحَ عليه وخوَّلَه ووسَّع عليه، وكان في آخِرِ أمره يدَّخِرُ لأهله قوتَ سنة[3]، وكان يُعطي عطاءَ مَن لا يخافُ الفقرَ[4]، ونزَّهَه عنِ الفقرِ الّذي يُسوِّغُ أخذَ الصّدقةِ، وعوَّضَه بأشرفِ المالِ وأحلِّه وأفضلِه، وهو ما أخَذَه بظلِّ رُمحه وقائمِ سيفه مِنَ الغنائمِ[5]، واستعاذَ ﷺ مِنَ الفقرِ،

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) راجع: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (علا)، رقم (10929)، (ج6/ 2881)، ومادة (يد)، رقم (17685)، (ج10/ 4631). قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري، (ج3/ 431): وفيه وجه آخر أشبه بمعنى الحديث، وهو أن تكون العليا هي المتعففة.

(3) روى البخاري في صحيحه، كتاب النفقات، باب حبس نفقة الرجل قوت سنة على أهله وكيف نفقات العيال، حديث (5357)، عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ كان يبيع نخل بني النضير، ويحبس لأهله قوت سنتهم.

(4) روى مسلم في صحيحه، حديث (58-2312)، عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رجلاً سأل النبي ﷺ غنمًا بين جبلين، فأعطاه إيّاه، فأتى قومه، فقال: أي قوم! أسلموا، فوالله إن محمدًا ليعطي عطاء ما يخاف الفقر.

(5) روى الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب ما قيل في الرماح، معلقًا عن=

وقرَنَه بالكُفرِ فقال: «اللهم إنّي أعوذُ بكَ مِنَ الكُفرِ والفقرِ»(1)، فإنّ الفقرَ

=ابن عمر، عن النبي ﷺ: «جعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري».

۞ ورواه الإمام أحمد في مسنده: - (ج9/ 123)، حديث (5114)، مسندًا عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة، والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم». - (ج9/ 126)، حديث (5115) بنحو الحديث السابق. - (ج9/ 478)، حديث (5667) بنحو الحديث السابق.

(1) رواه: 1- أبوداود في سننه، باب ما يقول إذا أصبح، حديث (5090)؛ من طريق: العباس بن عبد العظيم، ومحمد بن المثنى، قالا: حدثنا عبد الملك بن عمرو، عن عبد الجليل بن عطية، عن جعفر بن ميمون، قال: حدثني عبد الرحمن بن أبي بكرة، أنه قال لأبيه: يا أبت إني أسمعك تدعو كل غداة «اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت، تعيدها ثلاثا، حين تصبح، وثلاثا حين تمسي»، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يدعو بهن فأنا أحب أن أستن بسنته، قال عباس فيه: وتقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر، والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت تعيدها ثلاثا حين تصبح، وثلاثا حين تمسي، فتدعو بهن» فأحب أن أستن بسنته قال: وقال رسول الله ﷺ: دعوات المكروب «اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت»، وبعضهم يزيد على صاحبه.

2- النسائي في سننه: - باب التعوذ في دبر الصلاة، حديث (1347)؛ من طريق: عمرو بن علي، قال: حدثنا يحيى، عن عثمان الشحام، عن مسلم بن أبي بكرة، قال: (كان أبي يقول في دبر الصلاة: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، وعذاب القبر»، فكنت أقولهن، فقال أبي: أي بني، عمن أخذت هذا؟ قلت عنك، قال: «إن رسول الله ﷺ كان يقولهن في دبر الصلاة»).

۞ الاستعاذة من الفقر، حديث (5465)؛ من طريق: محمد بن المثنى، قال: حدثنا ابن أبي عدي، قال: حدثنا عثمان يعني الشحام -بنحو الحديث السابق-.

۞ الاستعاذة من شر الكفر، حديث (5485)؛ من طريق: أحمد بن عمرو بن السرح، قال: حدثنا ابن وهب، قال: أخبرني سالم بن غيلان، عن دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر»، فقال رجل: ويعدلان؟ قال: «نعم». =

سَبَبُ عذابِ الدّنيا، والكفرَ سَببُ عذابِ الآخِرة، وقد جمَعَ اللهُ لِنبيِّه أعلَى أنواعَ الغِنى، وأشرَفَ أنواعِ الفقرِ، فَكمّلَ له مراتبَ الكمالِ، فليست إحدى الطّائِفتَينِ أولَى به مِنَ الأخرى؛ فكان في فقرِه أصبرَ خلقِ الله وأشكرَهم في غِناه.

وقالتِ الأغنياءُ: وكون الله تعالى خُيِّرَ النبي ﷺ بين أن يكون نبيًّا عبدًا، وبينَ أن يكون نبيًّا ملكًا، فاختارَ ﷺ العُبوديّة فلزمه ﷺ أن يَفِيَ لله عَزَّوَجَلَّ بما اختارَه.

وأيضًا فإنّ المالَ إنّما يُرغب فيه مع مُقارنة الدّين لِيُستعانَ به علَى الآخرةِ؛ لِكثرةِ الأجرِ والدّرجاتِ العلى، والنبي ﷺ قد غفرَ الله له ما تقدَّم من ذنبِه وما تأخَّر، فلم يحتج إلى المالِ من هذه الوجوه، بخلاف غيره فإنّه مُحتاجٌ. وأيضًا فقد ضمِنَ الله تعالى له رزقَه بقولِه: ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: 132][1]. وقد قيلَ في قولِه تعالى: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الضحى: 4] أنّ المرادَ به الحالتانِ؛ أنّ كُلَّ حالةٍ لكَ خيرٌ ممّا قبلَها، ولهذا عقبه بقولِه: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ [الضحى: 5] فهذا يدخلُ فيه عطاؤُه في الدّنيا والآخِرةِ[2].

= ۞ قال ابن رسلان في شرح سنن أبي داود، (ج19/ 335): والمراد بالفقر الذي استعاذ منه ﷺ هو الفقر المدقع هو الذي لا يصحبه صبر ولا ورع، حتى يتورط صاحبه بسببه فيما لا يليق بأهل الأديان، ولا بأهل المروءات، حتى لا يبالي بسبب فاقته على أي حرام وثب، ولا في أي ركاكة تورط. وقيل: المراد به فقر النفس الذي لا يرده ملك الدنيا بحذافيرها.

(1) قال الطبري في تفسير، (ج16/ 216): «نحن نرزقك»، يقول: نحن نعطيك المال ونُكسِبُكَه، ولا نسألكه. وقوله: «والعاقبة للتقوى»، يقول: والعاقبة الصالحة من عمل كل عامل لأهل التقوى والخشية من الله، دون من لا يخاف له عقابًا، ولا يرجو له ثوابًا. وقال القشيري في لطائف الإشارات، (ج2/ 489): «نحن نرزقك والعاقبة للتقوى»، هما شيئان: وجود الأرزاق وشهود الرزاق؛ فوجود الأرزاق يوجب قوة النفوس، وشهود الرزاق يوجب قوة القلوب.

(2) قال البيضاوي في تفسيره، (ج5/ 319): وللآخرة خير لك من الأولى فإنها باقية خالصة=

فَصْلٌ

والغِنَى معَ الشُّكر زيادةُ فضلٍ ورحمةٍ

والله يختصُّ برحمتِه مَن يشاءُ، والله ذو الفضلِ العظيم؛ كما ثبتَ ذلك في «الصّحيحينِ» من حديثِ أبي هُريرةَ أنّ فقراءَ المهاجرينَ أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله ﷺ! ذهَبَ أهل الدُّثور[1] من الأموالِ بالدّرجاتِ العُلى والنّعيم المقيم، قال: «وَما ذاكَ»؟ قال: يُصلّونَ كما نُصلّي، ويَصومونَ كما نصومُ، ويتصَدّقون، ولا نتصدَّقُ، ويعتقونَ، ولا نعتِقُ -وفي لفظ-: ولهم فضولٌ من أموالِهم، يحجّونَ، ويعتَمرون، ويُجاهِدون، ويتصدَّقون. فقال رسول الله ﷺ: «أفلا أُعَلِّمُكم شَيئًا تُدركونَ به مَن سَبَقَكُم، وتَسبَقونَ به مَن بعدَكُم، ولا يكونُ أحَدٌ أفضَلَ منكم إلّا مَن صَنَعَ مِثلَ ما صَنعتُم» قالوا: بلَى يا رسول الله! قال: «تُسبِّحونَ وتُكبِّرونَ وتَحمَدونَ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وثَلاثينَ مَرّة»، فرجَعَ فُقراءُ المهاجِرينَ إلى [30 / ب] رسول الله ﷺ، فقالوا: سمِعَ إخوانُنا أهل الأموالِ بما فعلنا، ففعَلوا مثلَه. فقال رسول الله ﷺ: «ذلكَ فَضلُ الله يُؤتيه مَن يَشاءُ والله ذو الفضلِ العظيم»[2].

وهذا الحديثُ من أحسن الأدلّة علَى أنّ الغنيَّ الشّاكرَ أفضلُ مِنَ الفقيرِ

=عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار، كأنه لما بين أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا وأعدَّ له ما هو أعلى وأجل من ذلك في الآخرة، أو لنهاية أمرك خير من بدايته، فإنه ﷺ لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال...

(1) الدثور: جمع دثر، وهو المال الكثير، ويقع على الواحد، والاثنين، والجميع. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (دثر)، (ج3/ 1323).

(2) سبق تخريجه.

الصّابرِ، فإنّ الفُقراءَ لو كانوا يلحقون الأغنياءَ فيما ذُكر بمجرّدِ النّيّة؛ لقال لهم: انووا أن تفعلوا مثلَ فعلِهم، فتَنالوا مثلَ أجرِهم، فلمّا أعاضَهم عمّا فاتَهم من ثوابِ الصّدقةِ والعتقِ والحجِّ والاعتمارِ، فحصَل لهم نظيرُه بالذِّكر، فإنّ الرسول ﷺ علِم أنّ الأغنياءَ قد فضَلوهم بالإنفاق، فلمّا شارَكَ الأغنياءُ للفُقراء في الذِّكر، بقيَت مزيّة الإنفاقِ، فشكوا الفقراءُ إلى رسول الله ﷺ أنّ الامتيازَ لم يزَل، وأنّهم قد ساوونا في الذِّكر، كما ساوونا في الصّومِ والصّلاة، فأخبَرَهم أنّ ذلك فضلُ الله يُؤتيه مَن يشاءُ، فلو كان لهم سَبيلٌ إلى مُساواتِهم من كُلِّ وجه؛ بالنّيّة والقولِ لَدَلَّهم عليهما[1].

وأيضًا: فأربابُ فُضولِ الأموالِ إن كانوا مُحسنين في فُضولِ أموالهم، فقد يكونون بعدَ دُخولِ الجنّة أرفَعَ درجة من كثيرٍ مِنَ الفُقراء الّذين سبَقوهم إلى دُخول الجنّة.

قالتِ الفُقراءُ ومَن نصَرَهُم: هذا الحديثُ حُجّة لنا إذا فُهم على الحقيقةِ، وذلك أنّ معناه: وإن كانتِ الأغنياءُ قد ساوونا في الإيمان والإسلام والصّلاةِ والصّيام، ثُمّ فُضِّلوا علينا بالإنفاقِ، وقد ساوونا في التّسبيح أيضًا [31/ أ] وقد ساويناهم بحُسن النّيّة والقصدِ[2].

---

(1) قال ابن دقيق العيد في إحكام الأحكام، (ج1/ 309): والفقراء ذكروا للرسول ﷺ ما يقتضي تفضيل الأغنياء بسبب القربات المتعلقة بالمال. وأقرهم النبي ﷺ على ذلك... والذي يقتضيه الأصل أنهما إن تساويا وحصل الرجحان بالعبادات المالية أن يكون الغني أفضل، ولا شك في ذلك.

(2) قال القاضي ابن هبيرة في الإفصاح عن معاني الصحاح، (ج6/ 420): والذي أرى في تفسير هذا الحديث: أن الفقراء لما سمت همتهم إلى ألا يقصروا عن فضيلة غيرهم، كان هذا منهم محمودًا، فعاضهم النبي ﷺ من الإنفاق هذا التسبيح، فلما سمعه الأغنياء وقالوه، كان من حسن فقه الفقراء أن الله سبحانه سيكتب لهم مثل تسبيح الأغنياء من حيث إنهم عنهم تعلموه ومنهم أخذوه، وكان الفقراء هو الذين من رسول الله ﷺ أثاروه، فلهم من الثواب مثل من عمل به من الأغنياء وغيرهم، فلما لم يفقهوا، جاءوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا: يا=

فقد ذكَرَ الرّقي عنِ القلانسي[1] قال: فَرَّقَ رجُلٌ علَى الفُقراء ببغدادَ أربعينَ ألف درهم، فقال لي سَمنون المحبُّ[2]: يا أبا أحمد! ما تَرَى ما فرَّقَ هذا، نحن ما نرجعُ إلى شيءٍ بنفقة، فامض بنا إلى موضع نُصلّي بكُلِّ درهم أَنفقه ركعةً، فذهبنا إلى المدائِن، فصَلّينا أربَعينَ ألفً ركعةً، وانصرفنا[3]. ثُمّ قالتِ الفُقراءُ: ولو أمكننا لأنفقنا مثلَهم، ولأنّ في بعضِ ألفاظِ هذا الحديث من روايةِ ابنِ عُمرَ. ورواه البزّارُ ولفظُه: قالوا الفُقراء: يا رسول الله! إخوانُنا صَدَّقوا تصدِقَنا، وآمَنوا إيمانَنا، وصاموا صيامَنا، ولهم أموالٌ يتَصدَّقون منها، ويَصِلون منها الرّحِمَ، ويُنفِقونها في سبيل الله، ونحنُ مساكينُ لا نقدِر على ذلك، فقال: «ألا أُخبِرُكم بشَيءٍ إذا

=رسول الله، قد سمعوا التسبيح فقالوا: أخرجهم حرصهم إلى الخير إلى ما يشده عن حسن النظر في ثواب المقتدى بمن يقتدي، والتابع لمن يبتدئ، فكان جوابهم من النبي ﷺ أن قال لهم: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾، يشير إلى الفقه، فإن الذي أعطاهم رسول الله ﷺ هو عطية لا تقبل إلا من أيديهم، ولا تحسب إلا في موازينهم، فالأغنياء لا ينقص أجورهم؛ ولكن الفقراء يتضاعف ثوابهم، والفضل الذي ذكره رسول الله ﷺ هو فضل الآدمي في عمله وفقهه من قول الله سبحانه: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ كل ذي فضل فضله إن شاء الله تعالى.

(1) هو أبو أحمد القلانسي مصعب بن أحمد البغدادي، شيخ الصوفية، القدوة، قال ابن الأعرابي: الحكايات عن أخلاقه ومذاهبه يطول بها الكتاب، صحب أبا عثمان الوراق، وسافر مع عبد الله الرباطي، وكان مقدما على جميع مريدي بغداد، لما كان فيه من السخاء والأخلاق، ومراعاته مذاهب النسك، مع طيب القلب، ورقته وعلو الإشارة، وشدة الاحتراق، وحج سنة (270هـ)، فمات بمكة بعد ذهاب الوفد، فصلى عليه أمير مكة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج13/ 170-171).

(2) هو سمنون بن حمزة ويقال: سمنون بن عبد الله أبو الحسن الخواص ويقال: كنيته أبو القاسم، صحب سريا السقطي ومحمد بن علي القصاب وأبا أحمد القلانسي وسوس وكان يتكلم في المحبة بأحسن كلام وهو من كبار مشايخ العراق مات بعد الجنيد، وسئل سمنون عن الفقير الصادق فقال: الذي يأنس بالعدم كما يأنس الجاهل بالغنى، ويستوحش من الغنى كما يستوحش الجاهل من الفقر. انظر: طبقات الصوفية للسلمي، (ص: 158-162).

(3) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم، ترجمة سمنون بن حمزة، (ج10/ 311).

فَعَلتُموه أدرَكتُم مِثلَ فَضلِهم»... فذكر الحديث[1]. وذكَرَ رُجوعَهم وأنّهم سَمِعوا فقالوا مثلَ قولِهم فقال: «ذلك فضلُ الله يُؤتيه مَن يَشاءُ، ألا أُبَشِّرُكم يا مَعشَرَ الفُقَراءِ! إنّ فُقراءَ المسلِمينَ يدخُلون الجنّة قبلَ أغنيائِهم بنصفِ يومٍ؛ خَمسِمائة عامٍ»[2].

فحصَلَ للفُقراء انكسارٌ لمّا قال لهُم: «ذلك فَضلُ الله يُؤتيه مَن يَشاءُ»؛ لأنّه خرج جوابًا لهم عن قولِهم: «إنّهم قد ساوونا في الذِّكر، كما ساوونا في الصّوم والصّلاةِ ونحوِه»، وبقيت مزيّة الإنفاقِ، جبَرَهم بالبشارة بالسبقِ إلى دُخولِ الجنّة بنصفِ يوم في هذا الحديثِ، وأنّ هذا السّبقَ في مُقابلة ما فاتَهم من فضيلةِ الإنفاقِ، وإنما يسبِقُ الفُقراءُ الأغنياءَ إلى الجنّة بنصفِ يومٍ؛ لِعدمِ فضولِ الأموالِ الّتي يُحاسَبون علَى مخارِجِها ومصارِفِها.

قال في «شرح البُخاري»: قال المهلَّبُ[3]: وليس في قولِه ﷺ: «يَدخُلُ فُقَراءُ أُمَّتي الجنّة قَبلَ أغنيائِهم بخَمسِمائةِ عامٍ» تفضيلُ الفقراءِ؛ لأنّ تقديمَ

---

(1) وفيه: قولوا: الله أكبر في دبر كل صلاة أحد عشر مرة والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك وسبحان الله مثل ذلك تدركوا مثل فضلهم ففعلوا فذكروا ذلك للأغنياء فعملوا مثل ذلك فرجع الفقراء إلى رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له فقال: هؤلاء إخواننا فعلوا مثل ما نقول فقال:...

(2) رواه: - البزار في البحر الزخار -المعروف بمسند البزار-، حديث (6133)، (ج12/ 297-298). وفي آخره: (خمسمائة عام وتلا موسى بن عبيدة: «وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون). قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن ابن عمر إلا من هذا الوجه. والمنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق/ صبحي السامرائي، ومحمود الصعيدي، حديث (797)، (ص:254). كلاهما من طريق: موسى بن عبيدة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر.

(3) هو المهلب بن أحمد بن أبي صفرة أسيد بن عبد الله، الأسدي الأندلسي المربي، مصنف «شرح صحيح البخاري»، وكان أحد الأئمة الفصحاء، الموصوفين بالذكاء، ولي قضاء المَرِيَّة، وتوفي سنة (435هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج17/ 579).

دُخولِ الجنّة لا تستحقُّ به الفضيلةُ، ألا ترَى أنّ النّبيَّ ﷺ أفضَلُ البشَرِ، ولا يَتَقدَّمُ بالدُّخولِ في الجنّة حتَّى يشفعَ في أُمَّتِه، وكذلك صالِحُ المؤمنينَ يشفَعون في قوم دونَهم في الدّرجةِ، وإنّما ينظرُ يومَ القيامة بينَ النّاسِ فيقدِّمُ الأقلَّ حِسابًا فالأقَلَّ، فلذلك قدَّم الفُقراءَ؛ لأنّهم لا عُلقة عليهم في حِسابِ الأموالِ، فيدخلونَ الجنّة قبلَ الأغنياءِ، ثُمّ يحاسبُ أصحابَ الأموالِ فيدخلون الجنّة، وينالون فيها مِنَ الدّرجات ما لا يبلغُه الفُقراءُ[1]. انتهى كلامه.

وفي بعضِ ألفاظِ هذا الحديثِ: «إن أخذتُم به سَبَقتُم مَن قَبلَكُم، ولا يَلحَقُكم مَن بعدَكُم».

قالتِ الفُقراءُ ومَن نصَرَهُم: وهذا يدُلُّ علَى أنّ الأغنياءَ لا يلحَقونَهم، وإن قالوا مثلَ قولِهم، وقولُه: «ذلك فَضلُ الله يُؤتيه مَن يَشاءُ» معناه: أنّ فضلَ الله ليسَ مقصورًا علَيكُم دونَهُم.

قلتُ: وليسَ هذا ظاهرَ الحديثِ، بل ظاهرُه أنّ فضلَ الله الّذي ساووكُم بذكرِه تناولَهم مثلَ ما تناولَكُم، فهم فهِموا مِنَ الفضلِ التّخصيصَ، فوَضَعوه في غيرِ موضعِه، وإنّما معناه العمومُ والشُّمولُ للفُقراءِ والأغنياءِ، والله أعلَمُ.

وقال العلامةُ ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يُحتمَلُ قولُه: «فَضلُ الله» ثلاثةُ أمورٍ:

أحدُها: سبقُهم لكُم بالإنفاقِ.

[31/ ب] والثّاني: مُساواتُكم به في فضلِ الذِّكر فلم يختصَّ به دونَهُم.

والثّالث: سبقُكم لهم إلى الجنّة بنصفِ يوم، وهذا وإن كان لا ذكرَ له في هذه الرِّوايةِ، فقد ورَدَ في بعضِ ألفاظِ الحديثِ[2]. انتهى كلامه.

---

(1) انظر: شرح صحيح البخاري؛ لابن بطّال (10/ 172-173).

(2) انظر: عدة الصابرين؛ لابن القيم، الباب الرابع والعشرون، (ص: 496).

قلتُ: ويُحتمل أنّ قولَه: «سَبَقتُم مَن قَبلَكُم» أنّه سبقُ الفقراءِ إلى الذِّكر وسماعِه مِنَ النّبي ﷺ والعمَلِ به قبلَ الأغنياءِ، والله أعلَمُ.

وقد ذكَرَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ في ضمن كلامه في الزكاة قال الفُقراءُ: ذهَبَ أهل الدُّثور بالأجورِ، وقيلَ لهم لَّما ساواهم الأغنياءُ في العِباداتِ البدنيّة، وامتازوا عنهم بالعِباداتِ الماليّة، قال: «ذَلِك فَضلُ الله يُؤتيه مَن يَشاءُ»[1]. انتهى كلامُه.

وتأوَّلَ الغزاليُّ[2] هذا الحديثَ تأويلًا بعيدًا لا يفهمُه أحَدٌ من الحديثِ، فقال في «إحياءِ عُلوم الدّين»: فالتّسبيحُ والتّحميدُ والتّكبيرُ يُثاب عليه الفُقراءُ أكثرَ مِنَ الأغنياءِ. قال: ولهذا قال للفُقراء لَّما رجعوا إلى رسول الله ﷺ قال لهُم: «ذلك فَضلُ الله يُؤتيه مَن يَشاءُ»؛ أي: هذا الفضلُ الجزيلُ الّذي أُعطِيتُموه ما يلحقُكُم إليه أحَدٌ مِنَ الأغنياءِ[3].

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام، (ج11/ 69).

(2) هو الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط، تفقه ببلده أولًا، ثم تحول إلى نيسابور، فلازم إمام الحرمين، وأخذ في تأليف الأصول والفقه والكلام والحكمة، وألف كتاب «الإحياء»، وكانت خاتمة أمره إقباله على طلب الحديث، ومجالسة أهله، ومطالعة «الصحيحين»، قال ابن النجار: (أبو حامد إمام الفقهاء على الإطلاق، ورباني الأمة بالاتفاق، ومجتهد زمانه...)، توفي سنة (505هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج19/ 322-346).

(3) قال الإمام الغزالي: الخبر قد ورد مفصلاً تفصيلاً يدلُّ على خلاف ذلك وهو أنّ ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغني وأن فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء... فهذا يدل على أن قوله: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»؛ أي: مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم. انظر: إحياء علوم الدين للغزالي، باب فضيلة الفقر على الغنى، (ج4/ 201). قال القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم، (ج2/ 546): ورأيت بعض المتكلمين ومن يحتج لتفضيل الفقر على الغنى أغرق فى تأويله، وخالف ظاهره، وذهب أن هذا الفضل راجع إلى ثواب الفقراء على الأغنياء، وأنهم يختصون بما خاطبهم به النبى ﷺ، وأعلمهم من فضل ذكرهم=

وكنتُ قد سمعتُ من بعضِ المشايخ أنّ أبا حامدٍ الغزالي تأوّله على غيرِ هذا، فقال: كلُّ مَن سبَّح وحمِدَ وكبَّرَ مِنَ الأغنياءِ، فلِلفُقراءِ مثلُ أجرِه؛ لِكونِهم سَنّوا لهم هذا الذِّكرَ، وسمِعوه منهم، وقال النّبيُّ ﷺ: «مَن سَنّ في الإسلامِ سُنّة حَسَنة فَلَه أجرُها وأجرُ مَن عمِلَ بها»(1).

وفيه نظرٌ أكثرُ مِنَ الأوّلِ؛ لأنّ الّذي سَنّ الذِّكرَ وابتكرَه الرسول ﷺ لا الفُقراءُ، وإنّما عوّضَهم وطيّبَ خاطرَهم بدل الإنفاق هذا الذِّكر الخاصّ، فلمّا ساووهم فيه أيضًا خبّرَهم بالبشارة وبالسبقِ إلى دُخولِ الجنّة قبلَهم بنصفِ يوم، وقد تقدم ذكرُه، ولم أرَ هذا في «الإحياء» فلعلّه في بعضِ مُصنفاتِه. واللهُ أعلم.

فَصْلٌ(2) [32/أ]

ومَن فَضَّلَ الأغنياءَ الشّاكِرينَ؛ قال: لأنّهم سببٌ لِطاعةِ الفُقراءِ الصّابرين؛ لِتقويتِهم إيّاهم بالصّدقة عليهم، والإحسانِ إليهم، وإعانتِهم علَى طاعاتِهم، فلهم نصيبٌ وافرٌ من أُجور الفُقراءِ زيادةً إلى نصيبِهم من أجرِ الإنفاقِ، وطاعاتِهم الّتي تخصُّهم؛ كما في «صَحيحِ ابنِ خزيمةَ» من حديثِ سلمانَ الفارسيِّ عنِ النّبيِّ ﷺ -وذكَر شهرَ رمضانَ- فقال:

=وسبقهم به مَن بعدهم ودَرك من سبقهم، وإن هذا الفضل لهم دون غيرهم من الأغنياء وإن قالوه، والفضائل ليست بقياس والأجور بفضل الله يؤتيها من يشاء، وهذا خلاف ظاهر الكلام ومفهومه. قال ابن رجب الحنبلي في فتح الباري، (ج7/ 407): ومن زعم من الصوفية إنه أراد أن الفقر فضل الله، فقد أخطأ، وقال ما لا يعلم.

(1) وبهذا فسرها القاضي ابن هبيرة في الإفصاح عن معاني الصحاح، (ج6/ 420)، فقال: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»، يشير إلى الفقه، فإن الذي أعطاهم رسول الله ﷺ هو عطية لا تقبل إلا من أيديهم، ولا تحسب إلا في موازينهم، فالأغنياء لا ينقص أجورهم؛ ولكن الفقراء يتضاعف ثوابهم.

(2) راجع: عدة الصابرين لابن القيم، الباب الرابع والعشرون، (ص:482-516).

«مَن فَطَّرَ فيه صائِمًا؛ كان مغفِرةً لِذُنوبِه، وعِتقَ رقبتِه مِنَ النّارِ، وكان له مثلُ أجرِه من غيرِ أن يَنقُصَ من أجرِه شَيءٌ»(1).

فقد حازَ الغنيُّ الشّاكرُ أجرَ صومِ نفسِه، ومثلَ أجرِ الفقيرِ الّذي فطَّرَه.

وقالوا: لو لم يكُن للغنيِّ الشّاكرِ إلّا فضلُ الصّدقةِ الّتي لَمّا تفاخرتِ الأعمالُ كان الفخرُ لها عليهِنّ، كما ذكَرَ النّضرُ بن شُميلٍ(2)، عن قُرّة(3)

---

(1) رواه ابن خزيمة في صحيحه، باب فضائل شهر رمضان إن صح الخبر، حديث (1887)؛ من طريق: علي بن حجر السعدي،قال: ثنا يوسف بن زياد، قال: ثنا همام بن يحيى، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب، عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال: «أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعًا، من تقرب فيه بخصلة من الخير، كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزداد فيه رزق المؤمن، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء»، قالوا: ليس كلنا نجد ما يفطر الصائم، فقال: «يعطي الله هذا الثواب من فطر صائمًا على تمرة، أو شربة ماء، أو مذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه غفر الله له، وأعتقه من النار، واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأمّا اللتان لا غنى بكم عنهما: فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن أشبع فيه صائما سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة».

(2) هو النضر بن شميل بن خرشة بن زيد، العلامة، الإمام، الحافظ، أبو الحسن المازني، البصري، النحوي، نزيل مرو، وعالمها، ولد: في حدود سنة (122هـ)، وثقه: يحيى بن معين، وابن المديني، والنسائي، وقال أبو حاتم: (ثقة، صاحب سنة)، مات في أول سنة (204هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج9/ 328-332).

(3) هو قرة بن خالد السدوسي البصري، الحافظ، الحجة، روى: إسحاق الكوسج، عن يحيى بن معين: (ثقة)، وقال النسائي: (ثقة)، قيل: مات قرة سنة (154هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج7/ 95-97).

عن سعيدِ بن المسيِّب[1] أنّه حدَّثَ عن عُمرَ بن الخطّابِ، قال: ذُكِرَ أنّ الأعمالَ تتباهى فتقولُ الصّدقةُ: أنا أفضَلُكُم[2]. والصّدقة وقايةٌ بينَ العبدِ وبينَ النّارِ، وصاحِبُه مُستظِلٌّ يومَ القيامةِ في ظِلِّ العرشِ، وقد رَوى عمرو بن الحارثِ[3] [عن][4] يزيد بن أبي حبيبٍ[5]، عن أبي الخيرِ[6]،

(1) هو سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه، ولد: لسنتين مضتا من خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقيل: لأربع مضين منها، بالمدينة، رأى عمر، وسمع: عثمان، وعليا، وزيد بن ثابت، وأبا موسى...وخلقا سواهم، وروايته عن: عمر في (السنن الأربعة)، كان زوج بنت أبي هريرة، وأعلم الناس بحديثه، روى عنه خلق، وكان ممن برز في العلم والعمل، توفي سنة (93هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج4/ 217-246).

(2) رواه ابن خزيمة في صحيحة، باب فضل الصدقة على غيرها من الأعمال إن صح الخبر، حديث (2433).

(3) هو عمرو بن الحارث بن يعقوب بن عبد الله، العلامة، الحافظ، الثبت، أبو أمية الأنصاري، السعدي مولاهم، المدني الأصل، المصري، عالم الديار المصرية، ومفتيها، مولى قيس بن سعد بن عبادة، ولد: بعد التسعين، في خلافة الوليد بن عبد الملك، وروى عن: ابن أبي مليكة، وعمرو بن شعيب، وابن شهاب، ويزيد بن أبي حبيب، وخلق كثير، وبرع في العلم، واشتهر اسمه، قال ابن معين من طريق الكوسج، وأبو زرعة، والعجلي، والنسائي، وطائفة: (ثقة)، وقال أبو حاتم الرازي: (كان عمرو أحفظ أهل زمانه، لم يكن له نظير في الحفظ في زمانه)، قال الحافظ أبو بكر الخطيب: (كان قارئا، فقيها، مفتيا، ثقة)، توفي سنة (148هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج6/ 349-353).

(4) في الأصل: «و»، والصواب ما أثبتناه كما في المعجم الكبير للطبراني، وشعب الإيمان للبيهقي، ويزيد هو شيخ عمرو.

(5) هو يزيد بن أبي حبيب الأزدي مولاهم، المصري، الإمام، الحجة، مفتي الديار المصرية، ولد: بعد سنة خمسين، في دولة معاوية، وهو من صغار التابعين، حدث عن: عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي الصحابي، وأبي الخير مرثد بن عبد الله اليزني، وخلق، وكان من جلة العلماء العاملين، ارتفع بالتقوى وكان مَولًى، حدث عنه: سليمان التيمي، وزيد بن أبي أنيسة، ومحمد بن إسحاق، وعمرو بن الحارث، وآخرون، وهو مجمع على الاحتجاج به، وذكره: أبو حاتم البستي في كتاب (الثقات) له، وقال الليث بن سعد: (يزيد بن أبي حبيب سيدنا، وعالمنا)، مات سنة (128هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج6/ 31-33).

(6) هو مرثد بن عبد الله، الإمام، أبو الخير اليزني، المصري، عالم الديار المصرية، ومفتيها،=

عـن عُقبةَ بـن عامـرٍ، عـن رسـول الله ﷺ قـال: «إنّ الصّدَقـةَ لَتُطفِـئُ علـى أهلهـا حَرَّ القُبـورِ، وإنّمـا يَستَظِلُّ المُؤمِـنُ فـي ظِـلِّ [32/ ب] صَدَقَتِـه»[1].

وفـي روايـةٍ عـن عُقبةَ بـن عامِـرٍ -رفعَـهُ- أنّـه قـال: «كُلُّ امـرِئٍ فـي ظِـلِّ صَدَقَتِه حتّى يُقضَـى بيـن النّـاسِ»[2]. وكان أبـو الخيرِ راوي الحديثِ لا يأتـي عليـه يـومٌ إلّا تصـدَّقَ فيـه، ولـو بكعكـةٍ أو بصلـةٍ[3]. وفـي حديـث مُعـاذٍ عَـنِ النّبـي ﷺ: «والصّدَقـةُ تُطفِـئُ الخطيئـة كمـا يُطفِـئُ المـاءُ النّـارَ»[4].

=ويـزن: بطـن مـن حمـير، حـدث عـن: أبي أيـوب الأنصـاري، وزيد بـن ثابـت، وعقبة بـن عامـر، وجماعـة، حـدث عنـه: جعفر بـن ربيعـة، وعبـد الرحمن بـن شماسـة، ويزيد بـن أبي حبيـب، وجماعـة، قـال أبـو سـعيد بن يونـس: (كان مفتي أهـل مصر في أيامـه، وكان عبد العزيز بـن مـروان -يعنـي: متـولي مـصر- يحضره مجلسـه للفتيـا)، تـوفي سـنة (90هــ). انظـر: سـير أعـلام النبـلاء للذهبـي، (ج4/ 284-285).

(1) رواه: الطـبراني في الكبـير، حديـث (788)، (ج17/ 286). البيهقي في شعب الإيمان، حديث (3076)، (ج5/ 49).

(2) رواه: - الطـبراني في المعجـم الكبـير، حديـث (788)، (ج17/ 286). - البيهقـي في شـعب الإيـمان: حديـث (3077)، (ج5/ 49)، بزيـادة: «...أو يحكـم بـين النـاس». كلاهمـا مـن طريـق: حرملة بـن عمـران، عـن يزيد بـن أبي حبيـب، عـن أبي الخـير، عـن عقبة بـن عامـر.

(3) رواه: 1- الإمـام أحمـد في مسنده، حديث (17333)، (ج28/ 568). بزيـادة: «... أو قـال: يحكـم بـين النـاس»، قـال يزيـد: وكان أبـو الخـير لا يخطئـه يـوم إلا تصدق فيـه بشيء ولـو كعكـة أو بصلـة أو كـذا. 2- ابـن حبـان في صحيحـه، ذكـر البيـان بـأن ظـل كل امرئ في القيامـة يكـون صدقتـه، حديـث (229). 3- الحاكـم في المسـتدرك، حديـث (1517/ 91)، (ج1/ 576). قـال الحاكـم: (هـذا حديـث صحيـح عـلى شرط مسـلم ولم يخرجـاه). قـال الذهبـي في التلخيـص: عـلى شرط مسـلم.

۞ جميعًـا مـن طريـق: حرملـة بـن عمـران، عـن يزيـد بـن أبي حبيـب، عـن أبي الخـير، عـن عقبـة بـن عامر.

(4) رواه: 1- أحمـد في المسـند، حديـث (22133)، (ج36/ 447)؛ مـن طريـق: سريـج، قـال: حدثنـا حمـاد يعني ابـن سـلمة، عـن عاصم بـن بهدلـة، عـن شـهر بن حوشـب، عـن معـاذ، أن النبي ﷺ قـال: «سـأنبئك بأبـواب مـن الخـير: الصـوم جنـة، والصدقـة تطفـئ الخطيئـة كـما يطفـئ المـاء النـار، وقيـام العبـد مـن الليـل». ثـم قـرأ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: 16] إلى آخـر الآيـة. =

وروى البيهقيُّ من حديثِ أنَسٍ أنّ النّبي ﷺ قال: «باكِروا[1] بالصّدَقة فإنّ البلاءَ لا يتخَطّى الصّدَقة»[2]. وفي صحيحَي[3] البُخاري ومُسلم من حديثِ أبي هُريرةَ أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «إذا تصدّقَ الرّجُلُ بصَدَقة من كَسبٍ طَيِّبٍ؛ ولا يَقبَلُ الله إلّا طَيِّبًا، أخَذَها الله بيَمينِه، فيُرَبّيها لأحَدِكُم كما يُرَبّي فَلوَّه أو فَصيلَه، حتّى تكونَ مِثلَ الجبَلِ العظيمِ»[4].

= 2- الترمذي في سننه، أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث (2803)؛ من طريق: ابن أبي عمر، قال: عبد الله بن معاذ الصنعاني، عن معمر، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي وائل، عن معاذ بن جبل، قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: «لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت» ثُمّ قال: «ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل»، قال: ثم تلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ حتى بلغ: ﴿يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: 16-17]، ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده، وذروة سنامه»؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد»، ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله»؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه قال: «كف عليك هذا»، فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك! وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو: على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. 3- ابن ماجة في سننه، أبواب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، حديث (3973) بنحو طريق ورواية الترمذي.

(1) كل من أسرع إلى شيء فقد بكر إليه، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، (ج2/ 357).

(2) رواه البيهقي في شعب الإيمان، حديث (3082)، (ج5/ 53)؛ من طريق: أبو الطيب سهل بن محمد، قال: حدثنا أبو عمرو بن مطر، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن عبيد الشهرزوري، بحلوان، قال: حدثنا محمد بن مؤمل القيسي البصري، قال: حدثنا بشر بن عبيد ، حدثنا أبو يوسف القاضي، عن المختار بن فلفل، عن أنس بن مالك، مرفوعًا.

(3) في المتن: (صحيح)، وكتب في الهامش: (الأولى: صحيحي).

(4) متفق عليه: 1- صحيح البخاري: باب وجوب الزكاة، باب لا يتقبل الله صدقة من=

وفي روايةِ البيهقيِّ في هذا الحديثِ: «حتّى إنّ التّمرةَ أوِ اللُّقمةَ لِتَكونَ أعظَمَ من أُحُدٍ[1]»[2]. وقال محمد بن المنكدر[3]: «من موجباتِ المغفِرةِ

=غلول ولا يقبل إلا من كسب طيب، حديث (1410)، بلفظ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبه، كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل». وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ وقوله جل ذكره: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، حديث (7430)، معلقًا: وقال خالد بن مخلد، حدثنا سليمان، حدثني عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبه، كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل».

والفلو: هو المهر؛ لأنه يفلى عن أمه، أي: يعزل. انظر: مطالع الأنوار لابن قرقول، (ج5/ 246).

2- صحيح مسلم، حديث (1014) بنحو لفظ البخاري.

(1) أُحُد: بضم أوله وثانيه معا: اسم الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد، وهو مرتجل لهذا الجبل، وهو جبل أحمر، ليس بذي شناخيب، وبينه وبين المدينة قرابة ميل في شماليها، وعنده كانت الوقعة الفظيعة التي قتل فيها حمزة عم النبي، ﷺ، وسبعون من المسلمين، وكسرت رباعية النبي، ﷺ، وشج وجهه الشريف، وكُلِمَت شفته، وكان يوم بلاء وتمحيص، وذلك لسنتين وتسعة أشهر وسبعة أيام من مهاجرة النبي، ﷺ، وهو في سنة ثلاث، وفي الحديث: أن النبي ﷺ، قال: «أحد جبل يحبنا ونحبه». انظر: معجم البلدان للحموي، (ج1/ 109).

(2) رواه: - البيهقي في شعب الإيمان، حديث (3201)، (ج5/ 138). وابن خزيمة في التوحيد، حديث (14-80). كلاهما من طريق: وهب بن جرير بن حازم بن العباس، عن أبيه، عن عبيد الله بن عمر، عن حبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي هريرة، مرفوعًا.

(3) هو محمد بن المنكدر بن عبد الله القرشي التيمي، الإمام، الحافظ، القدوة، شيخ الإسلام، ولد: سنة بضع وثلاثين، كان من معادن الصدق، ويجتمع إليه الصالحون، ولم يدرك أحدا أجدر أن يقبل الناس منه إذا قال: قال رسول الله، منه، قال الحميدي: (هو حافظ)، وقال ابن معين، وأبو حاتم: (ثقة)، وقال أبو حاتم البستي: (كان من سادات القراء، لا يتمالك البكاء إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ)، توفي سنة (130هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج5/ 353-361).

إطعـامُ المسـلِم السّـغبانِ»[1]، يعنـي: الجيعـانَ، قَالَ اللَّهُ تَعَـالَىٰ: ﴿أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾[2] [البلد: 14]. وإذا كان اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قـد غفـر لمـن يسـقي كلبًـا علَـى شـدّة ظمائـه كمـا ورَدَ فـي الحديـثِ[3]، فكيـفَ بمَـن يسـقي العِطـاش

(1) اختُلف في رفعه ووقفه، والصواب أنّه من قول ابن المنكدر موقوفًا، أخرجه:

۞ أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج3/ 149)؛ من طريق: سفيان عن محمد بن المنكدر موقوفًا.

۞ البيهقي مرسلًا في شعب الإيمان، حديث (3093)؛ من طريق: يحيى بن أبي طالب، عن عبد الوهاب قال: حدثنا هشام بن حسان، عن محمد بن المنكدر مرسلًا. قال البيهقي: هذا مرسل وقد وصله طلحة بن عمرو.

۞ البيهقي أيضًا في شعب الإيمان، حديث (3092)؛ من طريق: سفيان قال: سمعت ابن المنكدر كان يقول:...-من قوله-، وإسناده قويٌّ. قال البيهقي: هكذا قاله ابن عيينة من قول ابن المنكدر، ورواه غيره عن النبي ﷺ مرسلًا.

۞ الحاكم في المستدرك (ج2/ 570)، حديث (3935/ 1073) موصولًا مرفوعًا. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

۞ البيهقي أيضًا في شعب الإيمان، حديث (3094) كلاهما -أي: الحاكم والبيهقي- من طريق طلحة بن عمرو، عن ابن المنكدر، عن جابر، عن النبي ﷺ.

۞ وطلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمي المكي، روى عن: سعيد بن جبير، ومحمد بن المنكدر، ونافع مولى ابن عمر، قال عمرو بن علي: (كان يحيى وعبد الرحمن، لا يحدثان عنه)، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه: (لا شيء، متروك الحديث)، وقال البخاري: (ليس بشيء). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج13/ 427-430).

(2) من السغب، وهو الجوع مع التعب. انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب، (ص: 335).

(3) حديث متفق عليه، رواه: 1- البخاري في صحيحه:

۞ كتاب الوضوء، باب إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعا، حديث (173)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ: «أن رجلًا رأى كلبًا يأكل الثرى من العطش فأخذ الرجل خفه فجعل يغرف له به حتى أرواه، فشكر الله له؛ فأدخله الجنة».

۞ باب في الشرب وقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٠﴾، باب فضل سقي الماء، حديث (2363) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «بينا رجل يمشي، فاشتد عليه العطش، فنزل بئرًا، فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل=

فـي المفـاوزِ أو فـي غيرِهـا، وأشبعَ الجياعَ فـي مسغبة أو فـي غيرِهـا، وكسـا العـراةَ مِـنَ المُسـلمين، وقـد قـال رسـول الله ﷺ: «اتَّقوا النّـارَ ولو بشِـقِّ تَمرة، فَـإن لـم يَستَطِع أحَدُكـم فَبِكَلِمـة طَيِّبـة»(1)، فجعَـلَ الكلِـمَ الطَّيِّـبَ عِوضًـا عـنِ

=الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له»، قالوا: يا رسول الله! وإن لنا في البهائم أجرًا؟ قال: «في كُلِّ كبدٍ رطبة أجرٌ».

⊙ كتاب في المظالم والغصب، باب الآبار على الطريق إذا لم يُتَأذَّ بها، حديث (2466)، بنحو الحديث السابق.

⊙ كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث (6009)، بنحو الحديث السابق.

2- مسلم في صحيحه، حديث (153-2244) بنحو لفظ البخاري (2363).

⊙ وروى: 1- البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء، حديث (3321)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن رسول الله ﷺ قال: «غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس رَكِيٍّ يلهث، قال: كاد يقتله العطش، فنزعت خفها، فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء؛ فغفر لها بذلك». وكتاب الأنبياء، حديث (2467)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «بينما كلب يطيف بركية كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فسقته؛ فغفر لها به»

2- مسلم في صحيحه: حديث (154-2245)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ: «أن امرأة بغيًا رأت كلبًا في يوم حار يطيف ببئر، قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت له بموقها، فغفر لها». وحديث (155-2245)، بنحو لفظ البخاري (2467).

⊙ الركي: جنس للركية، وهي: البئر، وجمعها: ركايا. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة: (ركا)، (ج4/ 1692-1693).

(1) متفق عليه: 1- البخاري في صحيحه: - كتاب الأدب، باب طيب الكلام، حديث (6023) عن عدي بن حاتم، قال: ذكر النبي ﷺ النار، فتعوذ منها وأشاح بوجهه، ثم ذكر النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه، - قال شعبة: أما مرتين فلا أشك - ثم قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة». وباب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب من نوقش الحساب عُذِّب، حديث (6540)، معلقًا: قال الأعمش، حدثني عمرو، عن خيثمة، عن عدي بن حاتم، قال: قال النبي ﷺ: «اتقوا النار» ثم أعرض وأشاح، ثم قال:=

الصّدقةِ [33/ أ] لِمَن لا يقدِرُ عليها. قالوا: وأينَ لذّة الصّدقةِ والإحسانِ، وتفريحُها للقلبِ وتقويتُها له، وما يُلقي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للمتصدِّقينَ مِنَ المحبّة والتّعظيم في قلوبِ عبادِه، وما يقَعُ للأغنياءِ مِنَ الدُّعاءِ والثّناءِ عليهم بالصّدقة، فالدُّعاءُ من الفُقراءِ للأغنياءِ بخُصوصِهم علَى إحسانِهم، وما يقَعُ مِنَ الدُّعاء مِنَ الأغنياءِ للفُقراء بخُصوصِهم إلّا لِعُموم النّاس، والأغنياءُ الشّاكِرونَ من أصبَرِ النّاس علَى الفُقراء، فلهم أجرُ الصّابِرين أيضًا.

فَصْلٌ

والصّدقةُ والإحسانُ والإعطاءُ من صِفاتِ الرّبِّ عَزَّوَجَلَّ، وأحبُّ عبادِه إليه مَن اتَّصَفَ بهذه الصِّفاتِ الجميلةِ، كما قال النّبيُّ ﷺ: «**الخلقُ عيالُ الله، فأحبُّهم إليه أنفعُهم لِعيالِه**»(1)، وقد ذكَرَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابِه

=«اتقوا النار» ثم أعرض وأشاح ثلاثا، حتى ظننا أنه ينظر إليها، ثم قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة». وباب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب صفة الجنة والنار، حديث (6563)، عن عدي بن حاتم: أن النبي ﷺ ذكر النار فأشاح بوجهه فتعوذ منها، ثم ذكر النار فأشاح بوجهه فتعوذ منها، ثم قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة»

۞ كتاب التوحيد، باب كلام الرب عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، حديث (7512)، عن عدي بن حاتم، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»، قال الأعمش: وحدثني عمرو بن مرة، عن خيثمة، مثله، وزاد فيه: «ولو بكلمة طيبة».

2- مسلم في صحيحه: - حديث (67-1016) بنحو لفظ البخاري (7512). - حديث (68-1016) بنحو لفظ البخاري (6563) و(6023).

(1) رواه: 1- ابن أبي الدنيا في: قضاء الحوائج، حديث (24). واصطناع المعروف، حديث (76)؛ من طريق: يوسف بن عطية الصفار، عن ثابت، عن أنس بن مالك مرفوعًا. =

أصنافَ السُّعداءِ فبدَأ بالمتَصدِّقيَن أوَّلهم فقال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ﴾ [الحديد:18-19]، فهؤلاءِ أصنافٌ ومقدّموهم المصدقون والمصدّقات.

ومن صفاتِه: الشّكورُ، والبرُّ، والكريمُ، ومن صفاتِه: الغنيُّ الجوادُ، وهو يُحبُّ الغنيَّ الجوادَ، ويُحبُّ الشّكورَ، ويُحبُّ الكريمَ، ويُحبُّ العفوَ والرّحمةَ، ويُحبُّ مَنِ اتَّصفَ بموجبِ صفاتِه سبحانَه، والمؤمنُ القويُّ أحَبُّ إليه مِنَ المؤمِنِ الضّعيفِ.

= 2- البزار في مسنده، حديث (6947)، (ج13/ 332)؛ من نفس طريق ابن أبي الدنيا.

3- أبويعلى في مسنده: حديث (560-3315)، (ج6/ 65)، وحديث (615-3370)، (ج6/ 106)، وحديث (723-3478)، (ج6/ 194)؛ من نفس طريق ابن أبي الدنيا.

4- الطبراني في: - المعجم الكبير، حديث (10033)، (ج10/ 105). - المعجم الأوسط، حديث (5541)، (ج5/ 356)؛ من طريق: موسى بن عمير، عن الحكم بن عتيبة، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله مرفوعًا.

قال الطبراني: لم يرو هذين الحديثين عن الحكم إلا موسى بن عمير.

5- أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج2/ 102)، قال أبو نعيم: (غريب من حديث الحكم لم يروه عنه إلا موسى بن عمير). و(ج4/ 237)، قال أبو نعيم: (غريب من حديث الحكم وإبراهيم تفرد به موسى)؛ من نفس طريق الطبراني.

6- البيهقي في شعب الإيمان: حديث (7045). وحديث (7046). وحديث (7047)؛ من نفس طريق ابن أبي الدنيا.

قال البيهقي: (تفرد به يوسف بن عطية، وقد روي بإسناد آخر ضعيف).

وحديث (7048)؛ من نفس طريق الطبراني.

قال ابن الجوزي في العلل المتناهية، حديث (859)، (ج2/ 519): هذا حديث لا يصح، قال يحيى: موسى بن عمير ليس بشيء، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابعه الثقات عليه.

فَصْلٌ

وفـي الصّدقـةِ فوائِدُ ومنافِعُ لا يُحصيهـا إلّا الله، وهـيَ الصّدقـةُ الخالِصةُ الّتي أُخرجت علَى وجهها:

⊙ فمنها: أنّها تقي مصارعَ السّوء(1).

---

(1) روى: 1- الطبراني في: المعجم الكبير، حديث (8014)، (ج8/ 312): عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر».

وفي المعجم الأوسط، حديث (943)، (ج1/ 289): عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، عن رسول الله ﷺ قال: «إن صدقة السر تطفئ غضب الرب، وإن صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وإن صلة الرحم تزيد في العمر، وتقي الفقر. وأكثروا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة، وإن فيها شفاء من تسعة وتسعين داء، أدناها الهم».

قال الطبراني: (لم يرو هذا الحديث عن بهز إلا الأصبغ، ولا عن الأصبغ إلا صدقة، تفرد به: عمرو). وحديث (6086)، (ج6/ 163): عن أم سلمة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والصدقة خَفِيًّا تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم زيادة في العمر، وكل معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا أهل المنكر في الآخرة، وأول من يدخل الجنة أهل المعروف». قال الطبراني: (لا يروى هذا الحديث عن أم سلمة إلا بهذا الإسناد، تفرد به: عبيد الله بن الوليد الوصافي).

2- الحاكم في المستدرك، حديث (429/ 140): عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «المعروف إلى الناس يقي صاحبها مصارع السوء، والآفات، والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة».

قال الحاكم: سمعت أبا علي الحافظ، يقول: (هذا الحديث لم أكتبه إلا عن أبي عبد الله الصفار، ومحمد بن إسحاق وابنه من البصريين لم نعرفهما بجرح، وقوله «أهل المعروف في الدنيا». قد روي من غير وجه عن المنكدر، عن المنكدر بن محمد، عن أبيه، عن، جابر. والمنكدر وإن لم يخرجاه فإنه يذكر في الشواهد).

قال الذهبي في التلخيص: بهذا وبما قبله انحطت رتبة هذا المصنف المسمى بالصحيح!.

⊙ ومنها: أنّها تدفعُ البلاءَ حتّى إنّها لَتدفع عنِ الظّالم؛ قال إبراهيمُ النّخعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «كانوا يَرونَ أنّ الصّدقةَ تدفعُ عنِ الرّجُلِ الظّلومِ»[2].

⊙ ومنها: أنّها تُطفِئُ الخطيئةَ[3].

⊙ ومنها: أنّها تحفظُ المالَ.

⊙ ومنها: أنّها تَجلِبُ الرِّزقَ[4].

⊙ ومنها: أنّها تُفرح القلبَ.

⊙ ومنها: أنّها توجِبُ الثِّقةَ بالله وحُسنَ الظّنِّ به، كما أنّ البُخلَ سوءُ الظّنِّ بالله.

⊙ ومنها: أنّها تُرغِم الشّيطانَ.

⊙ ومنها: أنّها تُزكّي النّفسَ وتنمّيها.

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) انظر: تاريخ ابن معين- رواية الدوري، دراسة وترتيب وتحقيق الدكتور أحمد محمد نور سيف، ط الأولى 1399-1979، (ج3/ 259). (3) تقدم تخريجه.

(4) تقدم تخريج حديث: «اعط منفقًا خلفًا..».

⊙ وروى: 1- البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، سورة هود، حديث (4684)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عَزَّوَجَلَّ: أَنفق أُنفق عليك، وقال: يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض، فإنه لم يغض ما في يده، وكان عرشه على الماء، وبيده الميزان يخفض ويرفع». وفي كتاب النفقات، حديث (5352)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله: أنفق يا ابن آدم أنفق عليك». وفي كتاب التوحيد، باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله، حديث (7411)، بنحو حديث (4684). وباب قول الله تعالى: «يريدون أن يبدلوا كلام الله»، حديث (7496)، بنحو حديث (5352).

2- مسلم في صحيحه: حديث (993)، بنحو لفظ البخاري (5352). حديث (992)، بنحو لفظ البخاري (4684).

⊙ ومنها: أنّها تُحبّب العبدَ إلى الله وإلى خلقِه.

⊙ ومنها: أنّها تَسترُ كُلَّ عيبٍ، كما أنّ البُخلَ يُغطّي عليه كُلَّ حسنة.

⊙ ومنها: أنّها تزيدُ في العُمرِ.

⊙ ومنها: أنّها تَستجلِبُ أدعيةَ النّاس ومحبّتَهم لَه.

⊙ ومنها: أنّها تدفع عذابَ القبرِ عن صاحبها.

⊙ ومنها: أنّها تكونُ عليه ظِلًّا يومَ القيامة(1).

⊙ ومنها: أنّها تشفَعُ له عندَ الله.

⊙ ومنها: أنّها تُهوِّنُ عليه شدائِدَ الدُّنيا والآخرةِ.

⊙ ومنها: أنّها تدعوه إلى سائِرِ أعمالِ البرِّ، فلا تستعصي عليه.

⊙ ومنها: كونُها من صِفاتِ الرّبِّ تعالى، فهو متّصفٌ بما اتّصف الله تعالى به. وفوائدُها ومنافعُها أضعاف ذلك ما لا يحضرني ولا اطّلعت عليه.

وينبَغي أخفاؤُها فإنّها أخلَصُ في حقِّ المصدّقِ، وأبعدُ من الرّياءِ، وأطيبُ لِقُلوبِ الفُقراءِ، لِعزلِهم عنِ الذُّلِّ والمسكنة؛ لأنّ الّذي يُعطي الصّدقةَ من أجلِه يرَى ويعلَمُ خائنةَ الأعيُنِ وما تُخفي الصُّدورُ، وقد رُوِيَ أنّ حسّانَ بن أبي سِنان(2) كان يشتَري أهلَ البيتِ فيُعتِقهُم، ولا يُعلِمُهم

---

(1) تقدم تخريج حديث: «كل امرئ في ظل صدقته...».

(2) هو حسان بن أبي سنان البصري، أحد العباد الورعين، روى عن: الحسن البصري، روى عنه: جعفر بن سليمان الضبعي، وعبد الله بن شوذب، قال البخاري: (كان من عباد أهل البصرة)، قال أبو داود: حدثنا سلام بن أبي مطيع، قال: قال حسان بن أبي سنان: (لولا المساكين ما اتجرت)، ذكره البخاري في البيوع، قال: وقال حسان بن أبي سنان: (ما رأيت شيئا أهون من الورع، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج6/ 26-30).

مَن هو[1]. قال بشرٌ[2]: الصّدقةُ سِرًّا عندي أفضلُ مِنَ الحجِّ والاعتِمارِ والجهادِ؛ لأنّ ذلك يركبُ ويرجعُ فيَراه النّاسُ، والمصدق سرًّا لا يراه النّاسُ[3].

فَصْلٌ

ويكفي في الصّدقةِ نفعُها المتعدّي[4]، وأنّ الجزاءَ عليها من جنسِ العمَلِ، وهيَ من بابِ المقابلة من جنسِها:

---

(1) رواه ابن أبي الدنيا في الإخلاص والنية (ص: 67) رقم (49)، قال: حدثنا أحمد قال: حدثني أبو محمد، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الزراد قال: ربما اشترى حسان بن أبي سنان أهل بيت الرجل وعياله ثم يعتقهم جميعا، ثم لا يتعرف إليهم ولا يعلمهم من هو.

(2) هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء المروزي، الإمام العالم المحدِّث الزاهد الرباني القدوة، شيخ الإسلام، أبو نصر المروزي، ثم البغدادي، المشهور: بالحافي، ابن عم المحدث علي بن خشرم، ولد سنة (152هـ)، وارتحل في العلم، فأخذ عن: مالكٍ، وشريك، وحماد بن زيد وغيرهم، وحدث عنه: أحمد الدّورقي، ومحمد بن يوسف الجوهري، ومحمد بن مثنّى، وإبراهيم بن هانئ النيسابوري، وخلق سواهم، كان يَزُمُّ نفسه، فقد كان رأسًا في الورع والإخلاص، ثم إنه دفن كتبه، وقد أفرد ابن الجوزي مناقبه في كتاب، توفي سنة (227هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (ج10/ 469-477).

۞ قلت: وكتاب ابن الجوزي في مناقب بشر الحافي مفقود لم يعثر عليه حتى الآن.

(3) رواه: أبو نعيم في حلية الأولياء (ج8/ 339) قال: حدَّثنا أبو المظفر منصور بن أحمد المعدل، ثنا عثمان بن أحمد بن السماك، ثنا الحسن بن عمرو، قال: سمعت بشر بن الحارث، يقول: «الصدقة أفضل من الحج والعمرة والجهاد، ثم قال: ذاك يركب ويرجع ويراه الناس، وهذا يعطي سرًّا لا يراه إلا الله عَزَّوَجَلَّ». وابن الجوزي في البر والصلة (ص: 206) رقم (338).

(4) قال القاضي أبو يعلى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: والكسب الذي لا يقصد به التكاثر، وإنما يقصد به التوصل إلى طاعة الله تعالى من صلة الإخوان أو يستعف عن وجوه الناس فهو أفضل، لما فيه من منفعة غيره ومنفعة نفسه، وهو أفضل من التفرغ إلى طلب العبادة من الصوم والصلاة والحج وتعلم العلم لما فيه من المنافع للناس، وخير الناس أنفعهم للناس. انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح، ط الأوقاف، فصل الاتساع في الكسب الحلال والمباني مشروع ولو بقصد الترفه والجاه والكسب واجب للنفقة الواجبة (ج3/ 426).

فمن ذلك: مَن كَسا مؤمِنًا كساه الله من حُللِ الجنّة.

ومن ذلك: مَن أشبَعَ جائعًا أشبعَه الله من ثِمار الجنّة.

ومن ذلك: مَن سقَى ظَمآنًا سَقاه الله من شراب الجنّة[1].

ومن ذلك: مَن أعتَقَ رقبة أعتَقَ الله بكُلِّ عُضوٍ منه عُضوًا مِنه مِنَ النّار حتَّى فرجَه بفرجِه[2].

ومن ذلك: مَن يَسَّر علَى مُعسِرٍ يَسَّر الله عليه في الدّنيا والآخرة.

ومن ذلك: مَن نفَّسَ عن مُؤمنٍ كُربةً من كُربِ الدّنيا نفَّسَ الله عنه كُربةً من كُربِ الآخِرة، والله في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيهِ[3].

---

(1) دلَّ على ما سبق؛ ما رواه الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، حديث (2618) من طريق عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أيُّما مؤمن أطعم مؤمنًا على جوع، أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيُّما مؤمن سقى مؤمنًا على ظمإٍ، سقاه الله يوم القيامة من الرّحيق المختوم، وأيُّما مؤمن كسا مؤمنًا على عري، كساه الله من خضر الجنة». قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث غريب، وقد روي هذا عن عطية، عن أبي سعيد، موقوف، وهو أصح عندنا وأشبه.

(2) دلَّ على ذلك ما رواه: 1- البخاري في صحيحه: - باب كفارات الأيمان، باب قول الله تعالى: «أو تحرير رقبة» وأي الرقاب أزكى، حديث (6715)، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «من أعتق رقبة مسلمة، أعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار، حتى فرجه بفرجه». وفي كتاب في العتق وفضله، حديث (2517)، من سعيد بن مرجانة - صاحب علي بن حسين - قال: قال لي أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال النبي ﷺ: «أيما رجل أعتق امرأ مسلما، استنقذ الله بكل عضو منه عضوا منه من النار» قال سعيد بن مرجانة: «فانطلقت به إلى علي بن حسين، فعمد علي بن حسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إلى عبد له قد أعطاه به عبد الله بن جعفر عشرة آلاف درهم أو ألف دينار، فأعتقه».

2- مسلم في صحيحه: - حديث (21-1509) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «من أعتق رقبة مؤمنة، أعتق الله بكل إرب منها، إربًا منه من النار». وحديث (1509 - 22) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «من أعتق رقبة، أعتق الله بكل عضو منها، عضوًا من أعضائه من النار، حتى فرجه بفرجه». وحديث (23-1509)، بنحو حديث (21-1509). وحديث (24-1509)، بنحو لفظ البخاري (2517).

(3) دلَّ عليهما ما رواه مسلم في صحيحه، حديث (2699) من طريق أبي صالح، عن أبي=

ومن ذلك: مَن بَنَى لله مسجِدًا، ولو كمِفحص قَطاةٍ؛ بنَى الله له بيتًا في الجنّة، ونحو ذلك(1).

=هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن نفَّس عن مُؤمنٍ كربة من كرب الدنيا؛ نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومَن يسَّر على مُعسرٍ، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه».

(1) دلَّ عليه ما رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (2157) من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، أنه قال: «من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة لبيضها، بنى الله له بيتًا في الجنة».

2- ابن ماجة في سننه، أبواب المساجد والجماعات، حديث (738)، من طريق عطاء بن أبي رباح، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «من بنى مسجدا لله كمفحص قطاة، أو أصغر، بنى الله له بيتا في الجنة».

3- ابن خزيمة في صحيحه، باب في فضل المسجد وإن صغر المسجد وضاق، حديث (1292)، طريق عطاء بن أبي رباح، عن جابر بن عبد الله، عن رسول الله ﷺ قال: «من حفر ماء لم يشرب منه كبد حري من جن ولا إنس ولا طائر إلا آجره الله يوم القيامة، ومن بنى مسجدا كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتا في الجنة». قال يونس: «من سبع ولا طائر»، وقال: «كمفحص قطاة».

4- ابن حبان في صحيحه: - ذكر الخبر الدال على أن الله جَلَّ وَعَلَا يدخل المرء الجنة ببنيانه موضع السجود في طرق السابلة بحصى يجمعها أو حجارة ينضدها وإن لم يكن بنى المسجد بتمامه، حديث (40)، من طريق إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من بنى لله مسجدًا، ولو كمفحص قطاة، بنى الله له بيتًا في الجنة».

⊙ ذكر خبر ثان يصرح بصحة ما ذكرناه، حديث (41)، بنحو الحديث السابق.

الفحص: البحث والكشف...المفحص: مفعل، من الفحص، كالأفحوص، وجمعه: مفاحيص. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (فحص)، (ج7/ 3123).
قال الطيبي في شرح المشكاة، (ج5/ 1544): ومقدار المفحص لايمكن أن يتخذ مسجدا، وإنما هو على سبيل المبالغة.

وذكَـر اللَّالَكائـيُّ[1] فـي «السُّـنّة» بسـنَده عـن جابـرٍ قـال: حدَّثَتنـي مـولاةٌ لأبـي أُمامـةَ البّاهلـيِّ قالـت: كان أبـو أُمامـةَ رَجلٌ[2] يُحـبُّ الصّدقـةَ، ويجمَـعُ لهـا مـن بيـنَ الدّنانيـرِ والدّراهيـمِ والفُلـوسِ، ومـا يـأكُل حتَّـى البصَلـة ونحـوِها، ولا يقِـفُ بـه سـائِلٌ إلّا أعطـاه.

قالـت: فأصبحَنـا ذاتَ يـوم ليـسَ فـي بيتِـه شـيءٌ مِـنَ الطّعـامِ لِذلـك، ولا لنـا، وليـسَ عنـدَه إلّا ثَـلاثُ الدَّنانيـرِ[3]، فوَقـفَ بـه سـائِلٌ فأعطـاه دينـارًا، ثُـمّ وقَـفَ بـه سـائِلٌ فأعطـاه دينـارًا، ثُـمّ وقَـفَ بـه سـائِلٌ فأعطـاه دينـارًا، قالـت: فغَضِبـتُ، وقُلـتُ: لـم يَبـقَ لَنـا شـيءٌ.

فاسـتلقَى علَـى فِراشِـه، وأغلَقـتُ عليـه البـابَ، حتَّـى أذَّنَ المُـؤذِّنُ للظُّهـرِ، فجِئتُـه فأيقَظتُـه، وراحَ إلـى المسـجدِ صائِمًـا، فاسـتَقرَضـتُ مـا اشـتَريـتُ بـه عَشـاءً، فَهيَّـأتُ لـه عشـاءً وسِـراجًا، فوضَعـتُ مائِـدةً، ودَنَـوتُ مِـن فِراشِـه لأُمَهِّـده لَـه، فرَفَعـتُ المُرفقـة فـإذا بذَهَـبٍ، فقُلـتُ فـي نفسـي: مـا صنَـعَ إلّا ثِقـة بمـا جـاءَه، فَعَدَدتُهـا، فـإذا ثَلاثُمائـة دينـارٍ، فتركتُهـا علَـى حالِهـا، فلمّـا دخَـلَ ورَأى مـا هيَّـأتُ لَـه؛ حَمِـدَ اللـهَ تعالـى وتَبَسَّـمَ فـي وجهـي، وقـال: هـذا خيـرٌ مـن غيـرِه، وجَلَـسَ فتَعَشَّـى، فقُلـتُ: يغفِـرُ اللـه لَـكَ! جِئـتَ بمـا جِئـتَ بـه، ثُـمّ وضَعتَـه بموضـعِ مَضيعـة، فقـال: ومـا ذاكَ؟ قلـتُ: مـا جِئـتَ بـه مِـنَ

---

(1) هو الإمام، الحافظ، المجود، المفتي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، الرازي، الشافعي، اللالكائي، مفيد بغداد في وقته، سمع: عيسى بن علي الوزير، وأبا طاهر المخلص، وجعفر بن فناكي الرازي، وعدة، وتفقه بالشيخ أبي حامد، وبرع في المذهب، روى عنه: أبو بكر الخطيب، وابنه محمد بن هبة الله، وأبو بكر أحمد بن علي الطريثيثي، وعدة، قال الخطيب: (كان يفهم ويحفظ، وصنف كتابا في السنة). توفي في شهر رمضان سنة (418هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج17/ 419-420).

(2) كذا في الأصل، وفي مصادر الرواية: رجلاً.

(3) كذا في الأصل، وفي جميع مصادر الرواية: ثلاثة دنانير.

الدّنانيـر؟ ورَفَعتُ المِرفقة عنهـا، ففَزِعَ لِمـا رَأى تَحتَهـا، وقـال: ويحَـكَ مـا هـذا؟ فقُلتُ: لا عِلمَ لي به إلّا ما أخبَرتُكَ[1].

قال العُلماء: هذه مِنَ الكراماتِ له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَصلٌ

وقد جعَلَ رسول الله ﷺ الطّاعِمَ الشّاكرَ، بمنزلة الصّائمِ الصّابرِ[2]،

---

(1) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة؛ للالكائي، ط دار طيبة، سياق ما روي من كرامات أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (ج5/ 168-169).

وحلية الأولياء لأبي نعيم، (ج10/ 129)، وفي آخره: (...قالت: فقمت فقطعت زناري وأسلمت، قال ابن جابر: فأدركتها في مسجد حمص وهي تعلم النساء القرآن والسنن والفرائض، وتفقههن في الدين). والبر والصلة لابن الجوزي بسنده من طريق اللالكائي، (ص: 204)، فقره (16-336)

(2) روى: 1- أحمد في مسنده: حديث (7806)، (ج13/ 213)؛ من طريق: معمر، عن رجل من بني غفار، أنه سمع سعيدًا المقبري يحدث، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «الطاعم الشاكر، كالصائم الصابر». وحديث (19014)، (ج31/ 354)؛ من طريق: عبد العزيز بن محمد، قال: أخبرني محمد بن عبد الله بن أبي حرة، عن عمه حكيم بن أبي حرة، عن سنان بن سنة؛ صاحب النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «الطاعم الشاكر له مثل أجر الصائم الصابر».

2- ابن ماجة في سننه، أبواب ما جاء في الصيام، باب فيمن قال الطاعم الشاكر كالصائم الصابر: - حديث (1764)؛ من طريق: معن بن محمد، عن حنظلة بن علي الأسلمي، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر». وحديث (1765)؛ من نفس طريق ولفظ أحمد (19014). 3- البخاري في التاريخ الكبير، حديث (427)، القسم 1، (ج1/ 142-143)؛ من نفس طريق ولفظ أحمد (19014).

۞ قال ابن المقلن في التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ط الأوقاف، (ج26/ 250-251):ومعنى الحديث والله أعلم: التنبيه على لزوم الشكر لله تعالى على جميع نعمه، صغيرها وكبيرها، فكما ألحق الطاعم الشاكر بالصائم الصابر في الثواب، دل على أنه تعالى كذلك يفعل في شكر سائر النعم؛ لأنها كلها من عنده لا صنع في شيء منها للمخلوقين، فهو المبتدئ بها=

ومعلومٌ أنّه إذا تعدَّى شكره إلى الإحسانِ إلى الغنيِّ؛ ازداد درجةً أخرَى، فإنّ الشُّكرَ يتضاعَفُ إلى ما لا نهايةَ له، بخلافِ الصّبرِ فإنّ له حدًّا يقِفُ عندَه، وهذا دليلٌ مُستقلٌّ في المسألة؛ يوضِّحُه أنّ الشُّكر أفضَلُ مِنَ الرِّضا(1) [34/ب] الّذي هو أعلَى مِنَ الصّبر(2) علَى ما سيأتي بيانُه إن شاءَ الله.

فإذا كان الشّاكِرُ أفضلَ مِنَ الرّاضي الّذي هو أفضَلُ مِنَ الصّابِرِ؛ كان أفضَلَ مِنَ الصّابِرِ بدرَجَتينِ، وفي «الصّحيحينِ» من حديثِ الزُّهريِّ(3)،

=والملهم للشكر عليها والمثيب على ذلك، فينبغي للمؤمن لزوم الشكر لربه تعالى في جميع حركاته وسكناته، وعند كل نفس وكل طرفة، وليعلم العبد (تحت) ما هو من نعم الله مولاه، ولا يفتر لسانه عن شكرها، فتستديم النعم والعافية؛ لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

(1) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى، (ج2/ 393): الرضا نوعان: أحدهما: الرضا بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، ويتناول ما أباحه الله من غير تعد إلى المحظور كما قال: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة 62]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [التوبة: 59]، وهذا الرضا واجب... والنوع الثاني: الرضا بالمصائب، كالفقر والمرض والذل، فهذا الرضا مستحب في أحد قولي العلماء، وليس بواجب، وقد قيل: إنه واجب، والصحيح: أن الواجب هو الصبر، كما قال الحسن: الرضا غريزة، ولكن الصبر معول المؤمن.

(2) قال ابن القيم في طريق الهجرتين، ط الأوقاف، (ج1/ 476-477): فإذا وردت عليهم أقداره التى تصيبهم بغير اختيارهم قابلوها بمقتضاها من العبودية، وهم فيها على مراتب ثلاثة: إحداها: الرضا عنه فيها والمزيد من حبه والشوق إليه...المرتبة الثانية: شكره عليها كشكره على النعم، وهذا فوق الرضا عنه بها ومنه ينتقل إلى هذه المرتبة... والثالثة: للمقتصدين وهى مرتبة الصبر التى إذا نزل منها نزل إلى نقصان الإيمان وفواته، من التسخط والتشكى، واستبطاءِ الفرج، واليأس من الروح، والجزع الذى لا يفيد إلا فوات الأجر وتضاعف المصيبة.

فالصبر أول منازل الإيمان ودرجاته، وأوسطها، وآخرها؛ فإن صاحب الرضا والشكر لا يعدم الصبر فى مرتبته، بل الصبر معه وبه يتحقق الرضا والشكر، ولا تصور ولا تحقق لهما دونه، وهكذا كل مقام مع الذى فوقه. قال ابن مفلح في الآداب الشرعية -نقلًا عن ابن تيمية-، ط الأوقاف، (ج1/ 33): وأعلى من ذلك أن يشكر الله على المصيبة لما يرى من إنعام الله عليه بها.

(3) تقدمت ترجمته.

عـن سـالِم[1]، عـن أبيـه قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «لا حَسَـدَ إلّا فـي اثنَتَيـنِ؛ رَجُـلٌ آتـاهُ اللـه القـرآنَ، فهـو يَقـومُ بـه آنـاءَ اللّيـلِ والنّهـارِ، ورَجُـلٌ آتـاه اللـه مـالًا، فهـو يُنفِقُـه آنـاءَ اللّيـلِ والنّهـارِ»[2].

فجعَـلَ الغِنَـى مـعَ الإنفـاقِ، بمنزلـة القرآنِ معَ القيام بـه، وقـد صـرَّح بـه فـي حديـثِ أبـي كبشـةَ الأنمـاريِّ[3] أنّ صاحـبَ المـالِ إذا عمِـلَ فـي مالِـه بعلمِـه، واتَّقَـى فيـه ربَّـه، ووصَـلَ بـه رحِمَـه، وأخـرَجَ منه حـقَّ الله؛ فهـو بأعلَى

(1) هـو سـالم بن عبد الله بـن أمير المؤمنين عمر بـن الخطاب، الإمـام الزاهـد، الحافـظ، مفتـي المدينـة، أبـو عمـر، وأبـو عبـد الله، القـرشي، العـدوي، المدني، وأمـه أم ولـد، مولـده في خلافـة عثـمان، حـدث عـن أبيـه فجـود وأكثـر، وعـن عائشـة، وأبي هريـرة، وغيرهـم، وعنـه ابنـه أبـو بكـر، وسـالم بن أبي الجعـد، وعمرو بـن دينـار، وأبـو بكر بـن حـزم، والزهـري، وخلـق سـواهم، قـال أشـهب، عـن مالـك، قـال: لم يكـن أحـد في زمـان سـالم أشبه بمـن مضى مـن الصالحـين، في الزهـد والفضـل والعيش منـه...، وقـال أحمـد وابـن راهويـه: أصـح الأسـانيد؛ الزهـري، عـن سـالم، عـن أبيـه. تـوفي سـنة (106 هـ). انظـر: سـير أعـلام النبـلاء للذهبي، (ج4/ 457-467).

(2) متفـق عليـه: 1- صحيـح البخـاري: كتـاب فضائـل القـرآن، بـاب اغتبـاط صاحـب القـرآن، حديـث (5025)، بنحـوه. وكتـاب التوحيـد، بـاب قـول النبـي ﷺ: «رجـل آتـاه الله القـرآن فهـو يقـوم بـه آنـاء الليـل والنهـار، ورجـل يقـول: لـو أوتيـت مثـل مـا أوتي هـذا فعلـت كـما يفعـل»...، حديـث (7529). 2- صحيـح مسـلم، حديـث (815).

۞ قـال القـاضي ابـن هبـيرة في الإفصـاح، (ج2/ 44): في هـذا الحديـث مـن الفقـه أنـه مـن شرف هاتـين الخلتـين أتيـح فيهـما مـا هـو محظـور في غيرهمـا...وقـال الخطـابي: (المـراد بالحسـد في هـذا الحديـث شـدة الحـرص والرغبـة فكنـى بالحسـد عنهـما لأنهـما سـبب الحسـد والداعـي إليـه).

۞ وقـال أيضًـا، (ج4/ 46): في هـذا الحديـث مـن الفقـه أنـه يجـوز أن يكـون قولـه: (لا حسـد) نهيًـا عـن الحسـد عـلى الإطـلاق؛ ويكـون قولـه: (إلا) بمعنـى لكـن.

(3) رواه: 1- الإمـام أحمـد في مسـنده، حديـث (18031)، عـن أبي كبشـة الأنـماري، قـال: سـمعت رسـول الله ﷺ يقـول: «...إنـما الدنيـا لأربعـة نفـر: عبـد رزقـه الله مـالا وعلـما، فهـو يتقـي فيـه ربـه، ويصـل فيـه رحمـه، ويعلـم لله فيـه حقـه»، قـال: «فهـذا بأفضـل المنـازل» قـال: «وعبـد رزقـه الله علـما، ولم يرزقـه مـالا» قـال: «فهـو يقـول: لـو كان لي مـال عملـت بعمـل فـلان» قـال: «فأجرهمـا سـواء»...إلى آخـر الحديـث. 2- الطـبراني في الكبـير، حديـث (868)، (ج22/ 345)، بنحـو حديـث أحمـد.

المنازلِ عندَ اللهِ، وهذا صريحٌ في تفضيلِه. وجعَلَ الفقيرَ الصّادِقَ إذا نوَى أن يعمَلَ بعمَلِه، وقال ذلك بلِسانِه ثانيًا له أنّه يُثيبُه(1). وقولُه: «وَأجرُهما سَواءٌ» فإنّ كُلًّا منهما نوَى خيرًا، وعمِلَ ما يقدِرُ عليه، فالغنيُّ نواه ونفَّذَه بعَمَلِه، والفقيرُ نواه ونفَّذَه بلِسانِه، فاستوَيا في الأجرِ من هذه الجهة.

قال العلّامة ابنُ القيِّم: ولا يلزَمُ مِنِ استوائِهما في أصلِ الأجرِ، استواؤُهما في كيفيّتِه وتفاصيلِه، فإنّ الأجرَ على العمَلِ والنّيّة له مزيّة علَى الأجرِ على مُجرَّدِ النّيّة [35/ أ] الّتي قارنَها القولُ، ومَن نوَى الحجَّ ولم يكُن له مالٌ يحجُّ به، وإن أُثيب علَى ذلك، فإنّ ثوابَ مَن باشَرَ أعمالَ الحجِّ معَ النّيّة له مزيّة عليه.

وإذا أردتَ فَهمَ هذا فتأمَّل قولَ النّبيِّ ﷺ: «**مَن سَألَ اللهَ الشّهادة خالِصًا من قَلبه؛ بلَّغَه الله مَنازلَ الشُّهَداء وإن ماتَ علَى فِراشه**»(2)، ولا ريبَ أنّ ما حصَلَ للمقتولِ في سبيلِ الله من ثوابِ الشّهادةِ تزيدُ كيفيّتُه وصِفاتُه علَى ما حصَل لِمَن سألَ الشّهادةَ فقط وماتَ علَى فِراشه، وإن بلَغ منزلة الشّهيدِ، فهاهُنا أجرانِ: أجرٌ، وقربٌ، فإنِ استوَيا في أصلِ الأجرِ، لكنَّ الأعمالُ الّتي قامَ بها العامِلُ تقتضي أثَرًا زائِدًا وقُربًا خاصًّا، وهو فضلُ الله يُؤتيه مَن يَشاءُ(3). انتهى كلامُه.

قالوا: وقد سمَّى الله تعالى المالَ خَيرًا في غيرِ موضعٍ من كتابه؛ كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ﴾ [البقرة: 180]، وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات:8](4).

---

(1) كذا في الأصل، وفي عدة الصابرين: (ثانيًا وأنّه بنيّتِه).

(2) رواه مسلم في صحيحه، حديث (1909).

(3) انظر: عدة الصابرين؛ لابن القيم، الباب الرابع والعشرون، (ص:492-494).

(4) المصدر السابق.

وجعَلَه قِوامًا للأنفُسِ، وأمَرَ بحفظِه، ونَهى أن يُؤتَى السُّفهاءُ؛ النِّساءُ والأولادُ كما تقدَّمَ، ومدحَه الرسول ﷺ بقولِه: «نِعمَ المالُ الصّالِحُ مع الرّجُلِ الصّالِحِ»(1).

وقال أبو إسحاقَ السّبيعيُّ(2): كانوا يَرَون السّعةَ عونًا علَى الدّينِ(3).

---

(1) رواه الإمام أحمد في المسند: حديث (17763)، (ج29/ 298-299)، عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعث إلي رسول الله ﷺ فقال: «خذ عليك ثيابك وسلاحك، ثم ائتني» فأتيته وهو يتوضأ، فصعد في النظر ثم طأطأه، فقال: «إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك، وأزعب لك من المال زعبة صالحة». قال: فقلت: يا رسول الله، ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله ﷺ. فقال: «يا عمرو، نعمّا بالمال الصالح للرجل الصالح». وحديث (17802)، (ج29/ 337-338)، بنحو الحديث السابق. قال: كذا في النسخة: «نَعِمّا» بنصب النون وكسر العين، قال أبو عبيد: بكسر النون والعين. من طريق: موسى بن علي بن رباح، عن أبيه، عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. زعب: أي: أعطيك دفعة من المال، وأصل الزعب: الدفع، والقسم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ج4/ 1786).

(2) هو أبو إسحاق السبيعي عمرو بن عبد الله، ابن ذي يحمد، الهمداني، الكوفي، الحافظ، شيخ الكوفة، وعالمها، ومحدثها، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ من العلماء العاملين، ومن جلة التابعين، قال: ولدت لسنتين بقيتا من خلافة عثمان، ورأيت علي بن أبي طالب يخطب، وروى عن معاوية، وعدي بن حاتم، وابن عباس...وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ، وقرأ القرآن على الأسود بن يزيد، وأبي عبد الرحمن السلمي، وكان طلابة للعلم، كبير القدر، حدث عنه: محمد بن سيرين -وهو من شيوخه-، والزهري، وقتادة،...وخلق كثير، وهو ثقة حجة بلا نزاع، قرأ عليه القرآن عرضًا حمزة بن حبيب، فهو أكبر شيخ له في كتاب الله تعالى، وغزا الروم في دولة معاوية، قال علي بن المديني: (روى أبو إسحاق، عن سبعين رجلًا أو ثمانين لم يرو عنهم غيره، وأحصيت مشيخته نحوًا من ثلاث مئة شيخ)، وقال يحيى بن معين: (أثبت أصحاب أبي إسحاق؛ الشعبي والثوري)، توفي سنة (127هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج5/ 392-401).

(3) أخرجه: 1- الإمام أحمد في كتاب العلل، رقم (999)، (ج1/ 445). قال عبد الله بن أحمد: حدثني أبي قال: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق:... 2- علي بن الجعد في مسنده، رقم (399)، (ص:73)، قال: رأيت في كتاب أبي عبد الله - أي الإمام أحمد-... 3- أبو نعيم في حلية الأولياء (4/ 340). من طريق الإمام أحمد.

وقال محمَّدُ بن المُنكدرِ[1]: نِعمَ العونُ علَى التَّقوَى الغِنَى[2].

وقال سُفيانُ الثّوريُّ[3]: المالُ في زَمانِنا هذا سلاحُ المُؤمِنِ[4].

وقال يوسفُ بن أسباط[5]: الخيرُ كالخيلِ؛ لِرجُلٍ أجرٌ، ولِرَجُلٍ سِترٌ، ولِرَجُلٍ وِزرٌ[6].

وقال سَعيدُ بن المُسيِّبِ[7]: «لا خَيرَ فيمَن لا يُريدُ جمعَ المالِ من حِلِّه؛ يكفُّ به وجهَه عنِ النّاسِ، ويصِلُ به رحِمَه، ويُعطي منه حقَّه»، رواه عنه ابنُ عبد البرِّ[8].

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) أخرجه: 1- علي بن الجعد في مسنده، رقم (1687)، (ص:255)، من طريق محمد بن سوقة قال: قال لي محمد بن المنكدر: «نعم العون على تقوى الله عَزَّوَجَلَّ الغنى».

2- ابن أبي الدنيا في إصلاح المال، رقم (85)، (ص:37)، من طريق محمد بن سوقة، عن محمد بن المنكدر، قال: «نعم العون على الدين الغنى». (3) تقدمت ترجمته.

(4) أخرجه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال، رقم (79)، (ص:42)، قال: حدثنا الحسين بن علي العجلي، قال: سمعت عبيد الله بن موسى، يقول: سمعت سفيان الثوري، يقول: «المال في هذا الزمان سلاح المؤمن». قال ابن الجوزي في تلبيس إبليس، ط دار الوطن للنشر، ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في الخروج من الأموال والتجرد عنها، (ج3/ 1086)، بعد نقله لكلام الثوري: وما زال السلف يمدحون المال ويجمعونه للنوائب وإعانة الفقراء وإنما تجافاه قوم منهم إيثارا للتشاغل بالعبادات وجمع الهم فقنعوا باليسير.

(5) هو يوسف بن أسباط، الزاهد، من سادات المشايخ، له مواعظ وحكم، روى عن: محل بن خليفة، والثوري، وزائدة بن قدامة، وعنه: المسيب بن واضح، وعبد الله بن خبيق، وغيرهما، نزل الثغور مرابطًا، وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: (لا يحتج به)، وقال البخاري: (دفن كتبه، فكان حديثه لا يجيء كما ينبغي). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج9/ 169-171).

(6) ذكره عنه ابن القيم في عدة الصابرين، الباب الرابع والعشرون: في ذكر ما احتجت به الأغنياء من الكتاب والسنة والآثار والاعتبار، (ص:500).

(7) تقدمت ترجمته.

(8) أخرجه: 1- ابن أبي الدنيا في إصلاح المال، رقم (55)، (ص:35). 2- أبو نعيم في حلية الأولياء (ج2/ 173). من طريق: يحيى بن سعيد، قال: سمعت سعيد بن المسيب، يقول: «لا=

[35/ب] فَصْلٌ

والمالُ سببُ سعادةِ العبدِ وشقاوَتِه؛ كما ورَدَ في أثَرٍ أنّ الذّهبَ والفِضّة يصيرانِ كالجبلَينِ العظيمَينِ، فيَقولُ الله عَزَّوَجَلَّ: هذا مالُنا رجَعَ إلَينا، سَعدَ به مَن سَعدَ، وشَقيَ به مَن شَقِيَ[1].

فمن أسبابِ السّعادةِ به: أنّه قِوامُ العِباداتِ والطّاعاتِ، وبه قامَ سوقُ الحجِّ والجِهادِ، وبه حصَلَ الإنفاقُ الواجبُ والمُستحبُّ، وبه حصَلَ قُرُباتُ العِتقِ والوقفِ وبناءِ المساجدِ والجوامِعِ والقناطِرِ[2] وإصلاحِ الطُّرُقاتِ وغيرِها، وبه يُتوصَّل إلى النّكاحِ الّذي هو أفضلُ من التّخلّي لِنوافلِ العِبادةِ، وبه ظهرَت صِفةُ الجود والسّخاءِ، وبه اكتُسِبَتِ الإخوانُ والأصدقاءُ، وبه توصَّلَتِ الأبرارُ إلى الدّرجاتِ العُلَى ومُرافَقةِ الّذين أُنعِم عليهم، فهو مرقاةٌ يصعَدُ بها إلى أعلَى غُرفة في الجنّة، وكان قيسُ بنُ سعدٍ، يقولُ: اللهم إنّي من عِبادِكَ الّذين لا يُصلِحُهم إلّا الغِنَى[3].

وهو من أسبابِ رِضَى الله عنِ العبدِ؛ كما هو من أسبابِ سخَطِه

=خير فيمن لا يريد جمع المال من حله، يكف به وجهه عن الناس، ويصل به رحمه، ويعطي منه حقه».

3- ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، ط الأوقاف، فصل في كسب طالب العلم وما يكفيه من ذلك، (ج2/ 31)؛ من طريق: يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، قال: «لا خير فيمن لا يجمع المال يكف به وجهه ويؤدي أمانته».

(1) راجع: عدة الصابرين لابن القيم، الباب الرابع والعشرون، (ص:501)، بلفظ: أموالنا رجعت إلينا، سعد بها من سعد، وشقي بها من شقي.

(2) القنطرة: الجسر. انظر: الصحاح للجوهري، مادة (قطر)، (ج2/ 796).

(3) راجع: عدة الصابرين لابن القيم، الباب الرابع والعشرون، (ص:514).

عليه، وهذا عُثمانُ والزُّبيرُ وعبدُ الرّحمَن بن عوفٍ أفضلُ من جمهورِ الصّحابةِ معَ الغِنَى الوافي، وتأثيرُهم في الدّين أعظمُ من تأثير أهل الصُّفّة، وعليُّ بن أبي طالب أقدَمُ إسلامًا من عُثمانَ، وأكثَرُ جِهادًا بنفسِه، وقُدِّم عُثمانُ عليه.

وأمّا سبَبُ الشّقاوة بالمالِ: فاستخراجُه من غيرِ وجهِه، وصرفُه في غيرِ حقِّه؛ إذا استَعبَد صاحِبَه، وملَكَ [36/ أ] قلبَه، وأشغَلَه عنِ الله والدّارِ الآخِرة[1].

ومِنَ الأسبابِ المذمومةِ مَنُّ المصدِّق علَى الفقير بما يُعطيه، وما علِمَ أنّ اللهَ ربحه عليه واقتَرض منه ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: 245، الحديد: 11]، فيأخُذُ منكَ لكَ في حالِ غِناك، فيُخَبِّئُه لكَ في وقتِ فقرِكَ وحاجتِكَ إليه، ويأخذُ منك يَسيرًا يفنَى، ويُعطيك كثيرًا يبقَى، فهو أمنُّ عليكَ؛ لأنّ المنّ الّذي يحصُلُ للفَقيرِ به الأذَى من وجهَين؛ مواجهةُ الفقير بما يُؤذيه مِنَ الكلامِ، والثّاني أن يُخبِرَ النّاسَ بما فعَلَ معَ الفقيرِ.

ويُذمُّ منه أيضًا: ما توصَّل به صاحِبُه إلى المقاصِدِ الفاسدة، أو شغَلَه عنِ المقاصِدِ المحمودة، والذّمُّ يقَعُ عليه دونَ مالِه؛ كما قال النّبيُّ ﷺ: «**تَعِسَ عبد الدّينارِ، تَعِسَ عبد الدِّرهَم**»[2] فذَمَّ عبدهما دونَهما.

وقالتِ الأغنياءُ للفُقراء: ما ذكرتُم مِنَ الزُّهدِ في الدّنيا والتّقليلِ منها،

---

(1) قال أبو عمر: المال المذموم عند أهل العلم هو المطلوب من غير وجهه والمأخوذ من غير حله. انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ط الأوقاف، فصل في كسب طالب العلم وما يكفيه من ذلك، (ج2/ 25).

(2) سبق تخريجه.

فالزُّهـدُ فيهـا لا يُنافـي الغِنَـى، بـل زُهـدُ الغنـيِّ أكمَـلُ مـن زُهـدِ الفقيـر، فـإنَّ الغنـيَّ زُهـدُه عـن قُـدرةٍ، والفقيـرَ زُهـدُه عـن عجزٍ[1].

وقـد حُكـي عـن بعضِ السّلَفِ أنّـه سُـمّي لـه جماعـةٌ مـن الزُّهـاد، فقـال: الزّاهـدُ عمرُ بـن عبد العزيـزِ[2] جـاءتِ الدّنيـا إلـى تحـتِ قدَمَيه فزهِـدَ فيها[3].

وقـد كان الرسـول ﷺ فـي حـالِ غِناه أزهـدَ الخلـقِ، وكذلـك إبراهيـمُ، وعيسـى وغيرهمـا مِـنَ الأنبيـاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فهـم أزهَـدُ الخلـقِ، وقـد رَوى التِّرمـذيُّ مـن حديـثِ أبـي ذَرٍّ عـنِ النّبـي ﷺ قـال: «**الزّهـادة فـي الدُّنيـا ليست بتَحريـم الحـلالِ، ولا إضاعـة المـالِ، ولَكِـنِ الزّهـادة فـي الدُّنيـا ألّا تكـونَ بمـا فـي يَديـكَ أوثَـقُ مِمّـا فـي يَـدِيِ اللـه**»... الحديـثَ[4].

---

(1) قـال ابـن شـهاب: الزهـد في الدنيـا أن لا يغلـب الحـرام صبرك ولا الحـلال شـكرك. انظـر: جامـع بيـان العلـم وفضلـه لابـن عبد الـبر، فصـل في كسـب طالـب العلـم ومـا يكفيـه مـن ذلـك، (ج2/ 35).

(2) هـو عمـر بـن عبد العزيز بـن مروان بـن الحكم بـن أبي العاص بـن أمية بـن عبد شـمس بن عبد مناف بـن قصي بـن كلاب، الإمـام، الحافـظ، العلامـة، المجتهـد، الزاهـد، العابـد، السـيد، أمير المؤمنين حقـا، أبـو حفـص القرشي، الأمـوي، المدني، الخليفـة، الزاهد، الراشـد، أشـج بنـي أميـة، حـدث عـن: عبد الله بـن جعفر بـن أبي طالـب، والسـائب بن يزيـد، وسـهل بن سـعد، واسـتوهب منـه قدحـا شرب منـه النبـي ﷺ وأَمَّ بأنـس بـن مالـك، فقـال: (مـا رأيـت أحـدا أشـبه صـلاة برسـول الله ﷺ مـن هـذا الفتـى)، كان مـن أئمـة الاجتهـاد، ومـن الخلفـاء الراشـدين رحمـة الله عليـه، حـدث عنـه: أبـو سـلمة - أحـد شـيوخه - وأبـو بكر بـن حـزم، ورجاء بـن حيـوة، وابـن المنكـدر، والزهـري، وعنبسـة بن سـعيد، وأيـوب السـختياني، وخلـق سـواهم. قـال ابـن سـعد في الطبقـة الثالثـة مـن تابعـي أهـل المدينـة، فقـال: (أمـه: هـي أم عاصـم بنـت عاصـم بـن عمر بـن الخطـاب)، قالـوا: ولـد سـنة (63هـ)، قـال: (وكان ثقـة، مأمونـا، لـه فقـه وعلـم وورع، وروى حديثـا كثـيرا، وكان إمـام عـدل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ورضي عنـه)، تـوفي سـنة (101هـ). انظـر: سـير أعـلام النبـلاء للذهبـي، (ج5/ 114-148).

(3) راجع: إحياء علوم الدين للغزالي (ج4/ 217).

(4) رواه: 1- الترمـذي في سننه، أبـواب الزهـد عـن رسـول الله ﷺ، بـاب مـا جـاء في الزهـادة في الدنيـا، حديـث (2496)، مـن طريـق: عمرو بـن واقـد، قـال: حدثنـا يونس بـن حلبس، عـن أبي=

وسُئل الإمامُ أحمدُ عنِ الرّجُلِ يكونُ معَه ألفُ دينارٍ هل يكونُ زاهِدًا؟ قال: نَعَم بشرطِ ألّا يَفرَحَ إذا زادَت، ولا يَحزَنُ إذا نَقَصَت(1).

فالزُّهدُ فراغُ القلبِ مِنَ الدُّنيا، لا فراغُ اليدِ منها، والله أعلَمُ.

فَصْلٌ [36/ ب]

قال العلّامةُ ابنُ القيّم في «شرحِ المنازلِ»: فعندَ أهلِ التّحقيقِ والمعرفةِ أنّ التّفضيلَ لا يرجِعُ إلى ذاتِ الفقرِ والغِنَى، وإنّما يرجِعُ إلى الأعمالِ والأحوالِ والحقائقِ، فالمسألة فاسِدةٌ في نفسِها، فإنّ التّفضيلَ عندَ الله

=إدريس الخولاني، عن أبي ذر، عن النبي ﷺ، قال: الحديث، وتمامه: وأن تكون في ثواب المصيبة -إذا أنت أصبت بها- أرغب فيها لو أنها أبقيت لك. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وقال الترمذي: وإدريس الخولاني اسمه: عائذ الله بن عبد الله، وعمرو بن واقد: منكر الحديث.

2- ابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، باب الزهد في الدنيا، حديث (4100)، بنحو لفظ الترمذي. قال ابن ماجه: قال هشام: كان أبو إدريس الخولاني، يقول: مثل هذا الحديث في الأحاديث، كمثل الإبريز في الذهب.

3- الإمام أحمد في الزهد، حديث (96)، (ص:19)، موقوفًا على أبي مسلم الخولاني.

۞ قال ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم، (ج2/ 179): الصحيح وقفه، كما رواه الإمام أحمد في كتاب «الزهد».

۞ قال الطيبي في شرح المشكاة، (ج10/ 3326): حقيقته - أي: الزهد- أن تأكل الحلال، وتلبس الحلال، وتقنع بالكفاف، وتقصر الأمل.

۞ قال المباركفوري في تحفة الأحوذي، ط دار الفكر، (ج7/ 4): المعنى ليكن اعتمادك بوعد الله لك من إيصال الرزق إليك، ومن إنعامه عليك من حيث لا تحتسب، ومن وجه لا تكتسب أقوى وأشد مما في يديك من الجاه والكمال والعقار وأنواع الصنائع، فإن ما في يديك يمكن تلفه وفناؤه بخلاف ما في خزائنه فإنه محقق بقاؤه.

(1) راجع: مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ 11).

بالتّقوى وحقائقِ الإيمانِ، لا بفقرٍ وغِنى؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: 13]، ولم يقُل: أكرمَكُم أفقركُم، ولا أغناكُم. انتهى كلامُه(1).

وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الفقرُ والغِنى ابتلاءٌ مِنَ الله لِعبدِه؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ...﴾ [الفجر: 15-17]؛ أي: ليس كُلُّ مَن أعطيتُه، ووسعتُ عليه رِزقَه أكونُ قد أكرمته، ولا كُلُّ مَن ضيَّقتُ عليه، وقتَّرتُ عليه أكونُ قد أهَنته، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمرُ كذلك. انتَهى كلامُه(2).

قال ابنُ بطّالٍ في شرح البخاري: فإن قيل: أيُّ الرّجُل أفضلُ: المُبتَلى بالفقرِ أوِ المُبتلَى بالغِنى، إذا صلحت حالُ كلِّ واحدٍ منهما أو أنّ كُلَّ واحدٍ منهما حالُه في الأمرينِ سواءٌ يعني: الغنَى والفقرَ وهُما في غيرِ الفقرِ والغِنَى مُتساويانِ في الأعمالِ الصّالحةِ، قد أدّى الفقيرُ ما يجبُ عليه مِنَ الصّبرِ والعفافِ والرِّضَى، وأدّى الغنيُّ ما يجبُ عليه مِنَ الإنفاق والبذلِ والشُّكرِ والتّواضُعِ؟ قيلَ: علمُ هذا عندَ اللهِ(3).

وقد يُقال: إنّ كلًّا مِنَ الغنيِّ والفقيرِ لا بُدَّ له من صبرٍ وشُكرٍ، فإنّ الإيمانَ نصفانِ؛ نصفٌ صبرٌ، ونِصفٌ شُكرٌ، بل قد يكونُ قسطُ الغِنَى مِنَ الصّبرِ أوفَرَ؛ لأنّه يصبرُ عن قُدرةٍ، فصبرُه أتمُّ من صبرِ مَن يقعُ صبرُه عن عجزٍ، ويكونُ شكرُ الفقيرِ أتَمَّ؛ لأنّ الشُّكرَ استفراغُ الوُسعِ في طاعةِ الله،

---

(1) انظر: مدارج السالكين؛ لابن القيم (ج2/ 442).

(2) انظر بنحوه: الفتاوى الكبرى؛ لشيخ الإسلام (ج2/ 420).

(3) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال، (ج10/ 171-172).

والفقيرُ أعظمُ فَراغًا للشُّكر مِنَ الغنيِّ. فكِلاهُما لا تَقومُ[1] قائمةُ إيمانه إلّا علَى ساقَي الصّبرِ والشُّكر، هذا معنى كلامِ بعضِ أصحابِ الطّريق.

قال بعضُ أصحابِنا: والذي يحكي النّاسُ من هذه المسألة: فرعًا مِنَ الشُّكر، وفرعًا مِنَ الصّبر، فنُجرِّدُ غنيًا مُنفقًا [37/ أ] مُتصدِّقًا، باذِلًا مالَه في وجوه القُرَبِ، شاكِرًا لله عليه، وفقيرًا مُتفرِّغًا لِطاعةِ الله، ولأورادِ العِباداتِ، صابِرًا علَى فقرِه؛ فهل هو أكمَلُ من ذلك الغنيِّ أم الغنيّ أكمَلُ؟

والصّوابُ أن يُقال: أكمَلُهما أطوَعهما، فإن تساوَت طاعتُهما تساوَت درَجتُهما، وقد تقدَّم نحوُ هذا بأتَمَّ منه[2].

وقال الفُضيلُ بن عياضٍ[3]: إنّما الفقرُ والغِنَى بعدَ العرضِ علَى الله عَزَّوَجَلَّ. رواه ابنُ عبد البرِّ[4].

يعني: مَن صارَ إلى الجنّة فهو الغنيُّ، ومَن صارَ إلى النّارِ فهو الفقيرُ.

وقال بعضُ السّلفِ: كان يُقال: الشُّكر زينةُ الغِنَى، والعفافُ زينةُ الفقرِ.

وقيل لبعضِ الحُكماءِ: ما الغِنَى؟ قال: قِلّة تَمَنّيكَ، ورِضاك بما يكفيكَ[5].

والمقصودُ: أنّ اللهَ تعالى خلَقَ الغِنَى والفقرَ؛ ليبتليَ بهما عِبادَه أيُّهم أحسنُ عملًا، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً[6] وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾

---

(1) في الأصل: يقوم، والمثبت من مدارج السالكين.

(2) انظر: مدارج السالكين (ج2/ 214).

(3) تقدمت ترجمته.

(4) انظر: بهجة المجالس؛ لابن عبد البر، القسم الأول، باب جامع القول في الغنى والفقر، (ج1/ 205). وجامع بيان العلم وفضله؛ لابن عبدالبر، فصل في كسب طالب العلم المال وما يكفيه من ذلك، (ج2/ 48).

(5) انظر: إحياء علوم الدين؛ للغزالي (ج3/ 239).

(6) قال الزمخشري في تفسيره، ط العبيكان، (ج4/ 83): الفتنة: المحنة، وكل ما يشق على الإنسان. وكل ما يبتلي الله به عباده: فتنة.

[الأنبياء:35] قال ابنُ عبّاسٍ: الشِّدّة والرّخاءُ، والصِّحّة والسّقَمُ، والغِنَى والفقرُ، والحلالُ والحرامُ(1).

وقال ابنُ زيدٍ(2): يبلوكُم بما تُحبّون، وبما تكرَهون؛ لينظُرَ كيفَ شُكركُم وصبركُم فيما تُحبّون وفيما تكرَهونَ(3).

وقال الكلبيُّ: بالشّرِّ: بالفقرِ والبلاءِ، والخيرِ: بالمالِ والولَدِ(4).

فأخبرَ سبحانه أنّ الغِنَى والفقرَ ابتِلاءٌ وامتِحانٌ، وهُما سببانِ للطّاعةِ والمعصيةِ، والثّوابِ والعِقابِ، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام:16]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف:7]، فأخبرَ سبحانه أنّه زيّنَ الأرضَ بما عليها مِنَ المالِ وغيرِه؛ لِلابتِلاءِ والامتحانِ، واللهُ أعلَمُ.

فإن قيلَ: إذا قُدِّر رَجُلان: أحُدُهما يختارُ أن يكونَ فقيرًا كامِلًا، والآخَرُ يختارُ أن يكونَ غَنيًّا كاملًا.

---

(1) أخرجه الطبري (ج16/ 269) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عبّاس، قوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ يقول: نبتليكم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة.

(2) هو الإمام، العالم، الصدوق، أسامة بن بن زيد، أبو زيد الليثي، مولاهم المدني. حديث عن: سعيد بن المسيب، ومحمد بن كعب القرظي، وعمرو بن شعيب، وجماعة. روى عنه: حاتم بن إسماعيل، وابن وهب، وأبو نعيم، وآخرون. توفي سنة (153هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج6/ 342-343).

(3) أخرجه الطبري (ج16/ 269) من طريق: ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ قال: نبلوهم بما يحبون وبما يكرهون، نختبرهم بذلك لننظر كيف شكرهم فيما يحبون، وكيف صبرهم فيما يكرهون.

(4) ذكره عنه ابنُ القيم في عدة الصابرين، الباب الحادي والعشرون، (ص:311).

قيلَ: هذا موضِعٌ اختلَفَ فيه حالُ السّلفِ الصّالحِ:

فمنهم: مَنِ اختارَ المالَ للجِهادِ به والإنفاقِ وصرفِه في وجوه البِرِّ؛ كعبدِ الرّحمنِ بن عوفٍ وغيرِه من أغنياءِ الصّحابة.

ومنهم: مَن اختار الفقرَ والتّقليلَ مِنَ الدّنيا؛ كأبي ذَرٍّ وجماعةٍ مِنَ الصّحابة، وهؤُلاءِ نظَروا إلى آفاتِ الدّنيا وخَشَوا الفِتنةَ بها، وأولئك نظَروا إلى مصالِحِ الإنفاقِ وثمراتِه العاجلة والآجلة.

وثَمَّ فِرقةٌ ثالِثةٌ لم تختَر شَيئًا، بل كان اختيارُها ما اختارَه الله تعالى لها، ويُشبه هذا بعينِه أنّ طائفةً اختارتِ البقاءَ في الدّنيا وتمنّته، وذلك لإقامة دينِ الله وعبادتِه وإقامة الأمرِ بالمعروف والنّهي عنِ المُنكر وتنفيذِ أوامرِ الله ومُجاهدة أعدائِه.

وطائفة: أحبَّتِ الموتَ ولقاءَ الله والرّاحةَ مِنَ الدّنيا، وطائِفةٌ ثالثةٌ لم تختَر لا هذا ولا هذا، بلِ اختارَت ما اختارَه الله تعالى لها.

ولا يليق بهذه المسألة التّطويلُ بأكثرَ من هذا، والله يقولُ الحقَّ وهو يهدي السّبيلَ.

فَصْلٌ [37/ ب]

وقد قسّم بعضُهم الصّوفيّة أربعةَ أقسامٍ:[1]

- أصحابُ السّوابقِ.
- وأصحابُ العواقِبِ.
- وأصحابُ الوقتِ.

---

(1) ذكر الأقسام الأربعة الطيبي في شرح المشكاة، (ج6/ 1788).

⊙ وأصحابُ الحقِّ.

فأمّا أصحابُ السّوابقِ: ففكرهم أبدًا فيما سبَقَ لهم مِنَ الله تعالى؛ لعلمِهم أنّ الحُكمَ الأزليَّ لا يتَغيَّرُ باكتِساب العبدِ، ويقولونَ: من أقصَته السّوابِقُ [لَم تُدنِه الوسائِلُ][1]، وهم مع ذلك يَجِدّون في القيامِ بالأوامِرِ، واجتنابِ المناهي، والتّقرُّبِ إلى الله تعالى بأنواعِ القُرَبِ، غيرَ واثِقينَ بها، ولا مُلتَفِتينَ إليها.

وأمّا أصحابُ العواقِبِ: فهم مُتَفكِّرونَ فيما يُختَمُ به أمرُهُم، فإنّ الأُمورَ بأواخِرِها، والأعمالَ بخواتِمِها، والعاقِبةُ مستورةٌ، كما قيلَ: لا يَغُرَّنّكَ صَفا الأوقاتِ، فإنّ تَحتَها غوامِضَ الآفاتِ، فكَم من رَبيعٍ نَوَّرَت أشجارُه، وظهَرت أزهارُه، وزَهَت ثِمارُه، ثُمّ لم يلبَث أن أصابَته جائحةٌ، فجعَلناها حَصيدًا كأن لم تَغنَ بالأمسِ.

وأمّا أصحابُ الوقتِ: فلم يشتَغلوا بالفِكرِ في السّوابقِ، ولا في العواقبِ؛ بلِ اشتَغلوا بمراعاةِ الوقتِ، وما يلزَمُهم من أحكامِه؛ كقولِ القائلِ: تيقَظ للسّاعةِ الّتي أنت بها، فأنت بها.

وأمّا أصحابُ الحقِّ[2]: فهم معَ صاحبِ الوقتِ والزّمانِ، ومالِكِهما ومُدَبِّرِهما. مأخوذونَ بشُهودِه عن مُشاهدة الأوقاتِ، لا يتفَرّغونَ لِمُراعاةِ وقتٍ و[لا][3] زَمانٍ.

---

(1) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، والمثبت من مدارج السالكين.

(2) قال القشيري في الرسالة، باب الولاية، (ص:439): الخواص من عباده ارتقوا عن هذه الأقسام فلا العواقب هم في ذكرها ولا السوابق هم في فكرها ولا الطوارق هم في أسرها وكذا أصحاب الحقائق يكونون محوا عن نعوت الخلائق قال الله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾.

(3) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، والمثبت من مدارج السالكين.

قال السّريُّ[1]: دخلتُ علَى الجُنيدِ[2] يومًا، فقُلتُ: كيفَ أصبحتَ؟ فأنشَأ يقولُ [من البسيط]:

ما في النّهارِ ولا في اللّيلِ لِي فَرَحٌ   فَلا أُبالي أطالَ لَيلي أم قَصُرا[3]

ثُمّ قال: ليسَ عند ربّكُم ليلٌ ولا نَهارٌ.

يُشيرُ رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أنّه غيرُ مُتطلّعٍ للأوقاتِ، بل هو الّذي يُقدّرُ اللّيلَ والنّهارَ[4]، والله أعلَمُ.

---

(1) هو السري بن المغلس السقطي، الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو الحسن البغدادي، ولد: في حدود (160هـ)، وحدث عن: الفضيل بن عياض، وهشيم بن بشير، وأبي بكر بن عياش، وغيرهم بأحاديث قليلة، واشتغل بالعبادة، وصحب معروفا الكرخي، وهو أجل أصحابه، روى عنه: الجنيد بن محمد، والنوري أبو الحسين، وأبو العباس بن مسروق، قال أبو عبد الرحمن السلمي: كان السري أول من أظهر ببغداد لسان التوحيد، وتكلم في علوم الحقائق، وهو إمام البغداديين في الإشارات، توفي في رمضان سنة (253هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج12/ 185-187).

(2) تقدمت ترجمته.

(3) البيت للسري في حلية الأولياء؛ لأبي نعيم (ج10/ 125).

(4) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، فصل ومنها الوقت، (ج3/ 130-131).

الباب الثالث

في ذكر الأبدال والنجباء والنقباء والأوتاد

أمّا اسمُ الأبدالِ؛ فقد وُجِد في كلامِ طَوائِفَ من الشُّيوخِ العارفين وأهلِ التّصوُّفِ، وقد فسَّر النّاطِقون بهذا الاسم معنَى الأبدالِ بمعانٍ[1]: فمِنَ النّاس مَن يقول: سُمّوا أبدالًا؛ لأنّهم أبدالُ الأنبياءِ. وقيلَ: سُمّوا أبدالًا؛ لأنّهم كُلَّما ماتَ رَجُلٌ أبدلَ الله مكانه رَجُلًا. وقيلَ: لأنّهم بدَّلوا سيِّئاتِهم بحسَناتٍ[2]. فمَن فسَّرَهم بأنّهم أبدالُ الأنبياء[3]، فقال: لأنّهم يقومون مقامَهم في تبليغ الدّين، والأمرِ به، والأمرِ بالمعروفِ، والنّهيِ عنِ المُنكرِ، كما سُمّي العُلماءُ ورثةَ الأنبياء، وكما رُوِيَ فيمَن يُحيي السُّنّة أنّهم خلفاءُ الرُّسُل. ومَن فسَّرَه بأنّه كلّما ماتَ منهم رجلٌ أبدل الله تعالى مكانه رجُلًا[4]، فقالوا: للحديث.

---

(1) قال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، (ج1/ 264): وإنما سموا أبدالا لوجهين: وجه: أنه كلما مات رجل، بدل مكانه آخر لتمام الأربعين. ووجه آخر: أنهم بدلوا أخلاقهم السيئة وراضوا أنفسهم حتى صارت محاسن أخلاقهم حلية أعمالهم.

(2) راجع: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (ج11/ 441- 442).

(3) قال العكبري في شرح ديوان المتنبي، (ج3/ 196): سموا أبدالا لأنهم أبدال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في إجابة دعواتهم ونصحهم للخلق. قال المناوي في التوقيف على مهمات التعاريف، (ص: 36): الأبدال: جمع بدل، وهم طائفة من الأولياء، قال أبو البقاء: كأنهم أرادوا أنهم أبدال الأنبياء وخلفاؤهم.

(4) روى ابن الجوزي بسنده في التبصرة، (ج2/ 113)؛ عن أبي الزناد قال: لما ذهبت النبوة وكانوا أوتاد الأرض أخلف الله مكانهم أربعين رجلا من أمة محمد ﷺ يقال لهم الأبدال، لا يموت الرجل منهم حتى ينشئ الله مكانه آخر يخلفه... قال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، (ج1/ 262): إن الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كانوا أوتاد الأرض، فلما انقطعت النبوة، أبدل الله تعالى مكانهم قومًا من أمة أحمد يقال لهم: الأبدال.

والحديثُ: قال الإمامُ أحمد: حدَّثنا أبو المُغيرةِ[1]، قال: حدَّثنا صَفوانُ -هو ابن عمرو بنِ هَرم السّكسَكي-[2] قال: حَدَّثني شُريحٌ -يعني: ابنَ عُبَيدٍ-[3] قال: ذُكِر أهلُ الشّام عندَ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو بالعِراق، فقالوا: العنهم يا أميرَ المُؤمنينَ، قال: لا؛ إنّي سَمِعتُ رَسولَ الله ﷺ يَقولُ: «**الأبدالُ يَكونونَ بالشّام، وهم أربعونَ رَجُلًا، كُلَّما ماتَ رَجُلٌ أبدَلَ الله مَكانه رَجُلًا، يُسقَى بهم الغيثُ، ويُنتَصَرُ بهم على الأعداءِ، ويُصرَفُ عن أهلِ الشّامِ بهم العذابُ**»[4].

قال الحافِظُ الضّياءُ[5] [38/أ] في «فضائل الشام»: لم أرَ في ذِكرِ

(1) هو عبد القدوس بن الحجاج الخولاني، أبو المغيرة الشامي الحمصي، قال أبو حاتم: (كان صدوقا)، وقال أحمد بن عبد الله العجلي، والدارقطني: (ثقة)، وقال النسائي: (ليس به بأس)، قال البخاري: مات سنة (212هـ) وصلى عليه أحمد بن حنبل. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج18/ 237-240).

(2) هو صفوان بن عمرو بن هرم السكسكي أبو عمرو الحمصي، وأمه أم الهجرس بنت عوسجة بن أبي ثوبان المقرائي، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه: (ليس به بأس)، وقال أبو حاتم: (سألت يحيى بن معين عنه، فأثنى عليه خيرا)، توفي سنة (155، وقيل: 158هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج13/ 201-207).

(3) هو شريح بن عبيد بن شريح بن عبد بن عريب الحضرمي المقرائي الشامي الحمصي، قال أحمد بن عبد الله العجلي: (شامي تابعي ثقة)، وقال عثمان بن سعيد الدارمي، عن دحيم: (من شيوخ حمص الكبار، ثقة)، وقال النسائي: (ثقة). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج12/ 446-448).

(4) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (896)، (ج2/ 231). 2- ضياء الدين المقدسي في المستخرج، حديث (484)، (ج2/ 110) بلفظ أحمد. قال ضياء الدين المقدسي: أبو المغيرة: عبد القدوس بن الحجاج الخولاني؛ شيخ البخاري، وصفوان؛ هو ابن عمرو بن هرم السكسكي؛ من رجال الصحيح.

(5) هو محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور، الشيخ الإمام الحافظ القدوة المحقق المجود الحجة بقية السلف ضياء الدين أبو عبد الله السعدي المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي صاحب التصانيف والرحلة الواسعة، ولد سنة (569هـ)، بالدير المبارك بقاسيون، ومن تصانيفه المشهورة: كتاب فضائل الأعمال، وكتاب=

الأبدال حديثًا مُتَّصِلًا أحسنَ إسنادًا من هذا الحديثِ[1].

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ: أمّا الأبدالُ؛ فقد جاءَ فيهم ما رواه الإمامُ أحمد في «مُسنده» من طريقِ الشّاميينَ، وإسنادُه مُنقطِعٌ، ومَن تكلَّم بهَذا الاسم وفسَّره بمعنى صحيح موافِق للكتابِ والسُّنّة كان ذلك المعنَى صَحيحًا، ومَن فسَّره بمعنى باطلٍ رُدَّ عليه ذلك، فالاعتِبارُ بمعاني الألفاظِ لا بمُجرَّدِ الألفاظ، وذكر أنّ مَن فسَّره بتَبديلِ السَّيئاتِ بالحسناتِ، فهذا معنى صَحيحٌ موافق للكتابِ والسُّنّة، وأمّا مَن فسَّره كُلَّما مات رجُلٌ أبدل الله مكانه رجُلًا، فهَذا ليس بمعلوم، بَل ولا هو صَحيحٌ، فقد يبدِّلُ الله مكان الميِّتِ مَن يقوم مقامَه، وقد لا يُبدِّل، ولو كان كُلُّ ميِّتٍ يقوم مقامَه واحِدٌ لَما نقَص الدّينُ[2]. وقال في موضعٍ آخَرَ: والأشبه أنّ هَذا الحديثَ ليس من كلامِ النّبي ﷺ فإنّ الإيمانَ كانَ بالحِجازِ وباليمَنِ قبلَ فتوح الشّام، وكانتِ الشّامُ والعراقُ دارَ كُفرٍ، ثُمّ في خِلافةِ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد ثبَتَ عنه ﷺ أنّه قال: «**تَمرُقُ مارِقة[3] على حينِ فُرقةٍ مِنَ المسلمينَ تَقتلُهم أولَى الطّائفَتينِ بالحقِّ**»[4] فكان عليٌّ وأصحابُه أولَى بالحقِّ مِمَّن قاتَلهم من أهلِ الشّامِ.

= الأحكام، والأحاديث المختارة، والموافقات، ومناقب المحدثين، وفضائل الشام، وصفة الجنة، وصفة النار، وسيرة المقادسة... ولم يزل ملازمًا للعلم والرواية والتأليف إلى أن مات، وتصانيفه نافعة مهذبة، وفيه تعبد وانجماع عن الناس، وكان كثير البر والمواساة، دائم التهجد، أمارًا بالمعروف، روى عنه خلق كثر. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج23/ 126-130).

(1) كتاب فضائل الشام للضياء المقدسي لم أقف عليه مطبوع.

(2) راجع بنحوه: مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام، (ج1/ 46).

(3) أي: يجوزونه، ويخرقونه، ويتعدونه، كما يخرق السهم الشيء المرميّ به، ويخرج منه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (مرق)، (ج8/ 3919).

(4) رواه: 1- مسلم في صحيحه، (150- 1064) من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: «تَمرُقُ مارِقة، عند فُرقة مِنَ المسلِمينَ، يَقتُلُها أولَى الطّائِفَتينِ بالحقِّ». 2- الإمام أحمد في مسنده، حديث (11275)، (ج17/ 375).

ومعلومٌ أنّ الذين كانوا معَ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الصّحابةِ؛ مثلُ عمارِ [بنِ ياسرٍ][1]، وسهلِ بنِ حنيفٍ ونحوِهما كانوا أفضلَ مِنَ الّذين كانوا معَ مُعاويةَ، فكيفَ يُعتقدُ معَ هذا أنّ الأبدالَ جميعَهم الّذين هم أفضلُ الخلقِ كانوا في أهلِ الشّامِ؛ هذا باطلٌ قطعًا، وإن كان قد وردَ في الشّامِ وأهلِه فَضائلُ مَعروفةٌ، فقد جعَلَ اللهُ لِكُلِّ شيءٍ قدرًا، فعَليٌّ وأصحابُه أولَى بالحقِّ من مُعاويةَ وأصحابِه، فلا تكونُ الأبدالُ في أدنَى العسكرينِ دونَ أعلاهما، واللهُ أعلم.

والتّحريرُ يُظهرُ المعنى مِنِ اسمِ النُّجباءِ، والغرَضُ أنّ هذهِ الأسماءَ تارةً تُفسَّرُ بمعانٍ باطلةٍ بالكتابِ والسُّنّةِ وإجماعِ السّلَفِ، كما فـ[سَّرَ][2] بعضُهم الغوثَ الّذي يُغيثُ أهلَ الأرضِ في رزقِهم ونصرِهم، فهَذا باطلٌ كما سَنُبيّنه إن شاءَ اللهُ، هذا معنى كلامِ الشّيخِ رَحِمَهُ اللَّهُ[3].

ثُمّ قالَ[4]: وفي الجملةِ فليسَ هذا الاسمِ في أمرٍ مِنَ الدّينِ الّذي يجبُ الاعتناءُ به، ولا له أصلٌ يُعتمدُ عليه في كتابِ اللهِ ولا في سُنّةِ رسولِ اللهِ، ولا ينبَغي تعليقُ القُلوبِ به، فإنّه مِنَ الأُمورِ المجهولةِ الّتي ليسَ لها أصلٌ ثابتٌ في العِلمِ الثّابتِ الموروثِ عن نَبيِّنا محمدٍ ﷺ، فإن اللهَ تعالى قال: ﴿ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ [الأحقاف: 4]، فمَن لم يأتِ علَى ما يقولُه في الدّينِ بكِتابٍ من عندِ اللهِ أو أثارةٍ عن رسولِ اللهِ، وإلّا فهو مُبطِلٌ، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[5] [النساء: 59] [38/ب]

---

(1) ما بين المعكوفين من مجموع الفتاوى.

(2) طمس في الأصل والمثبت من مجموع الفتاوى.

(3) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (ج11/ 441-442).

(4) لم أقف على هذا النقل من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية المطبوعة، والله أعلم.

(5) وتمامها: ﴿... إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾.

الآيَةَ، وكُلُّ شيءٍ تنازَع فيه المُسلِمون من أمرِ الكِتابِ الظّاهِرِ أوِ الباطِنِ؛ فعلَيهم ردُّه إلى الله؛ كتاب الله، وسنة رسوله. انتهى.

وقد روى أبو الفرج ابنُ الجوزيِّ[1] في كتابِ «مناقب أحمد» بإسنادِه، قال: لَمّا قدِمَ حمدون البرذَعيُّ[2] علَى أبي زُرعةَ[3] لِكتابةِ الحديث دخَلَ فرَأى في دارِه أواني وفُرُشًا كثيرةً، فهَمَّ أن يرجِعَ ولا يَكتُبَ عنه، فلَمّا كان مِنَ اللّيلِ رَأى كَأنّه علَى شَطِّ بركةٍ، ورَأى ظِلَّ شخصٍ في الماء، فقال: أنت الّذي زَهِدتَ في أبي زُرعة؟ أعَلِمتَ أنّ أحمدَ بنَ حنبلٍ كان مِنَ الأبدالِ، فلَمّا أن ماتَ أحمدُ أبدلَ الله مكانه أبا زُرعةَ[4]!.

وأمّا الأوتادُ[5]؛ فقد يوجد في كَلام بعض المشايخ أنّ فُلانًا مِنَ الأوتاد؛ يعني بذلك أنّ اللهَ تعالى يُثبِّت به الإيمانَ والدّينَ في قلوبِ مَن يهديهِمُ الله به، كما يُثبِّتُ الأرضَ بأوتادِها وهيَ الجبالُ، وهذا المعنَى ثابتٌ لِكُلِّ مَن كان بهذه الصِّفةِ مِنَ العُلماءِ، فكُلُّ مَن حصَلَ به تثبيتُ العلم

---

(1) تقدمت ترجمته. (2) لم أقف على ترجمته.

(3) أبو زرعة الرازي، الإمام، سيد الحفاظ، عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ: محدث الري، ودخول (الزاي) في نسبته غير مقيس، كالمروزي، مولده: بعد نيف ومائتين، وطلب هذا الشأن وهو حدث، وارتحل إلى الحجاز والشام، ومصر والعراق والجزيرة وخراسان، وكتب ما لا يوصف كثرة، قال أبو بكر الخطيب: (كان إمامًا ربانيًا، حافظًا متقنًا مكثرًا، جالس أحمد بن حنبل، وذاكره)، وقال إسحاق بن راهويه: (وكل حديث لا يعرفه أبو زرعة الرازي، فليس له أصل)، توفي سنة (264هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج13/ 65-85).

(4) مناقب الإمام أحمد؛ لابن الجوزي، ط الخانجي، الباب الثالث والتسعون في ذكر المنامات التي رئيت له، (ص: 578).

(5) قال ابن المبرد الحنبلي في صب الخمول على من وصل أذاه إلى الصالحين من أولياء الله، ط النوادر، (ص: 95): وإن غلب الفساد، وعم سائرَ البلاد، فلا بد لها من أوتاد، يدفع الله بهم البلاء عن الناس، ويرفع بهم الشدة والبأس، ولو خلت من الصالحين، لخسف بنا وبهم أجمعين.

۞ وقال في نفس الرسالة، (ص: 102): فالأولياء أوتاد الدنيا، بهم تثبت، وبهم تستقر.

والإيمان [في جمهور النّاس][1]؛ كان بمنزلةِ الأوتادِ العظيمةِ، وليسَ ذلك محصورًا في أربعة ولا أقلَّ ولا أكثرَ؛ بل جَعلُ هؤلاءِ أربعةً مُضاهاةٌ لقولِ المُنجِّمين في أوتادِ الأرضِ[2].

وأمّا القُطبُ[3]؛ فيوجد أيضًا في كلامِهم: فُلانٌ من الأقطابِ، وفُلانٌ قطبٌ، فكُلُّ مَن دارَ عليه أمرٌ من أُمورِ الدّينِ والدُّنيا باطنًا وظاهرًا؛ فهو قُطبٌ؛ ذلك الأمرُ ومَدارُه سواءٌ كان الدّائرُ عليه أمرَ بيتِه أو قَريتِه، أو تـ[سديد][4] أوامر الدّينِ أو الدّنيا باطِنًا أو ظاهِرًا، ولا اختِصاصَ لِهذا المعنى بسبَعةٍ ولا أقَلَّ ولا أكثَرَ، كما ذكرنا ذلك في الأبدالِ، وقد يتّفِق ذلك في بعضِ الأعصارِ أن يكونَ شخصٌ أفضلَ أهلِ عصرِه، وقد يتّفِق في عصرٍ آخَرَ أن يتَكافَأَ اثنانِ أو ثلاثة في الفضلِ عندَ الله [سَواءٌ][5]، ولا يجبُ أن يكون في [كُلِّ][6] زمانٍ شخصٌ واحِدٌ هو أفضلُ الخلقِ عندَ الله مُطلقًا[7].

---

(1) ما بين المعكوفين زيادة من مجموع الفتاوى.

(2) قال الجرجاني في التعريفات، (ص:43): الأوتاد: هم أربعة رجال، منازلهم على منازل الأربعة الأركان من العالم، شرق، وغرب، وشمال، وجنوب.

(3) قال الجرجاني في التعريفات، (ص:178): (القطب: وقد يسمى غوثا باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضوع نظر الله في كل زمان أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وزنه يتبع علمه، وعلمه يتبع علم الحق، وعلم الحق يتبع الماهيات الغير المجعولة، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل، وهو على قلب إسرافيل من حيث حصته الملكية الحامل مادة الحياة والإحساس لا من حيث إنسانيته، وحكم جبرائيل فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية، وحكم ميكائيل فيه كحكم القوة الجاذبة فيها، وحكم عزرائيل فيه كحكم القوة الدافعة فيها). قلت: وكل هذا لا دليل عليه في أدلة الشرع.

(4) ما بين المعكوفين من مجموع الفتاوى، وفي الأصل مطموس لم تظهر منه غير التاء.

(5) ما بين المعكوفين من مجموع الفتاوى. (6) ما بين المعكوفين من مجموع الفتاوى.

(7) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ج11/ 440).

والكلامُ في غيرِ الأنبياءِ والمُرسلين، فإنّ الواحِدَ مِنَ المُرسلين هو أفضلُ أهل زمانه [مُطلقًا][1]، إنّما هو في أتباعِ الرُّسُلِ، كما هو مشهورٌ علَى ألسِنةِ النّاس من هذه الأسماءِ المعقودِ عليها هذا البابُ، أو قد رُوِيَ فيها آثارٌ فيها نظَرٌ، يأتي الكلامُ عليها إن شاءَ الله تعالى.

فَصْلٌ

وكثيرٌ من العُبّادِ أهل التّصوُّفِ وغيرهم يذكُرونَ أنّ سيِّدَ القوم هو الخضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنّه موجودٌ إلى زَمانِنا هذا، بل بعضُهم -كالقُشيري[2] وغيره- يحكي عن جماعة مِنَ الصّوفيّة أنّهم رَأوا الخضِرَ وإلياسَ جَميعًا.

وقدِ انقسَمَ النّاسُ في هذه المسألة أقسامًا:

فطائِفةٌ تُثبت حياةَ الخضِرِ وحدَه بناءً علَى ما رُوِيَ في ذلك مِنَ الآثارِ والحِكاياتِ، وقد صنّفَ في ذلك أبو محمّدٍ الخلّالُ[3]، وأبو القاسِم

---

(1) طمس في الأصل بمقدار كلمة، وما بين المعكوفين كلمة مناسبة تتم بها الجملة.

(2) هو الإمام الزاهد، القدوة، الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري، الخراساني، النيسابوري، الشافعي، الصوفي، المفسر، صاحب «الرسالة»، ولد سنة (375هـ)، وتعانى الفروسية والعمل بالسلاح حتى برع في ذلك، ثم تعلم الكتابة والعربية، وجوّد، ثم سمع الحديث، وتقدم في الأصول والفروع، وصحب العارف أبا علي الدقاق، وتزوج بابنته، قال القاضي ابن خلكان: (كان أبو القاسم علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة...)، وكان عدم النظير في السلوك والتذكير، وقال أبو بكر الخطيب: (كتبنا عنه، وكان ثقة...)، توفي سنة (465هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج12/ 227-233).

(3) هو الإمام، الحافظ، المجود، محدث العراق، أبو محمد الحسن بن أبي طالب محمد بن الحسن بن علي البغدادي، الخلال، أخو الحسين، ولد: سنة (352هـ)، قال الخطيب: (كتبنا عنه، وكان ثقة، له معرفة، وتنبه، وخَرَّجَ (المسند) على (الصحيحين)، وجمع أبوابا وتراجم كثيرة، ومات في جمادى الأولى سنة (439هـ)). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج17/ 593-595).

۞ له كتاب مخطوط باسم كرامات الأولياء فلعله ذكر المسألة فيها.

عُبيدِ الله بنُ عليٍّ الفرّاءُ[1]، وذكَرَ الماورديُّ في «تفسيره»[2] هل هو باقٍ أم لا؟ علَى قولَينِ، وذَكرَهُما ابنُ الجوزيِّ أيضًا في «تفسيرِه»[3].

وقال النّواوي[4] في «شرح مُسلِم»: جمهورُ العُلماءِ علَى أنّه حيٌّ موجودٌ بينَ أظهُرنا، وذلك مُتَّفقٌ عليه عندَ الصّوفيةِ وأهل الصّلاحِ والمعرفة، وحكاياتُهم في رؤيَتِه، والاجتماعِ به، والأخذِ عنه، وسُؤالِه، والاجتماعِ به في المواطِنِ الشّريفة[5] أكثَرُ من أن تُحصر[6]، وأشهَرُ من أن تشهرَ[7]. انتَهى كلامُه[8].

---

(1) هو عبيد الله بن علي بن محمد بن الحسين ابن الفراء، أبو القاسم بن أبي الفرج بن أبي خازم ابن القاضي أبي يعلى البغدادي، الحنبلي، قال ابن النجار: (وكانت داره مجمعا لأهل العلم والشيوخ، وينفق عليهم ويتكرم. وكان لطيفا حسن الأخلاق ذا مروءة)، قال الذهبي: (روى عنه الشيخ الموفق وقال: كان آخر من بقي من ذرية القاضي أبي يعلى ممن له حشمة وجاه ومنصب. وكان له دار واسعة، وعنده أكثر كتب أبي يعلى، ثم افتقر فباع أكثرها)، مات سنة (580هـ) في آخرها. مرض بالفالج أسبوعا، ومولده سنة (527هـ).

انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، (ج12/ 641).

۞ لم أقف على الكتاب المذكور.

(2) راجع: تفسير النكت والعيون للماوردي، (ج3/ 336-337).

(3) راجع: زاد المسير؛ لابن الجوزي، (ج5/ 168).

(4) هو أبو زكريا يحيى بن الشيخ الزاهد الورع ولي الله أبي يحيى شرف الحزامي النووي، ذو التصانيف المفيدة، والمؤلفات الحميدة، والنووي نسبة إلى نوى، وهي قاعدة الجولان من أرض حوران من أعمال دمشق، ولد سنة (631هـ)، وتوفي سنة (676هـ). انظر: تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين؛ لابن العطار، ط دار الصميعي.

(5) في شرح النووي المطبوع: وسؤاله وجوابِه في المواضع الشريفة ومواطن الخير.

(6) يحتمل قراءتها: تُحصى.

(7) في شرح النووي المطبوع: أكثر من أن يحصر، وأشهر من أن يستر.

(8) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (ج15/ 135-136).

وقال ابنُ الصّلاحِ[1]: هو حيٌّ[2] عندَ جماهيرِ[3] العُلماءِ والصّالحينَ، والعامّةُ معَهم في ذلك [39/ أ]، ثُمّ قال: وإنّما شَذَّ بإنكارِه بعضُ المُحدِّثينَ[4]، انتَهى.

واختارَ بقاءَه ووجودَه أبو عُمرَ بنُ عبدِ البرِّ في كِتاب «التّمهيد»[5]، وكذلك أبو القاسم السُّهيلي في «روض الأنف»[6]، وصنّف في بقائِه مِنَ المُتأخِّرين في عصرنا العلامةِ شمسِ الدّينِ بنِ النّقّاش بمصرَ[7]، ولَكنّي لم أطَّلع عليه، وأبلَغُ ما رأيتُ لِمَن يستَدِلُّ علَى حياتِه ما رَوى الحاكِمُ في

---

(1) هو الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو عمرو عثمان بن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الموصلي الشافعي، صاحب «علوم الحديث»، ولد سنة (577هـ)، تفقه على والده بشهرزور، ولي تدريس الشامية الصغرى، وأفتى، وجمع وألف، وكان من كبار الأئمة، وله مشاركة في عدة فنون، متبحر في الأصول والفروع، توفي سنة (643هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج23/ 140-144).

(2) في الفتاوى المطبوعة: فهو من الأحياء. (3) في الفتاوى المطبوعة: جماهير الخاصة من.

(4) انظر: فتاوى ومسائل ابن الصلاح (ج1/ 185).

(5) لم أقف على الموضع الذي رجح فيه ابن عبد البر بقاءه، ولعله يشير إلى القصة التي ذكرها في التمهيد، (ج2/ 162)، فقال: (وروي عن علي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال لما توفي النبي ﷺ وسجي بثوب هتف هاتف من ناحية البيت يسمعون صوته ولا يرون شخصه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته السلام عليكم أهل البيت ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ الآية إن في الله خلفا من كل هالك وعزاء من كل مصيبة ودركا من كل فايت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المصاب من حرم الثواب). وعلق السهيلي في الروض الأنف، (ج7/ 581) على هذه الرواية فقال: (فكانوا يرون أنه الخضر -صلى الله على نبينا وعليه-)

(6) راجع: الروض الأنف؛ للسهيلي (ج7/ 515).

(7) هو محمد بن علي بن عبد الواحد بن يحيى بن عبد الرحيم، الشيخ الإمام العالم الفاضل المفسر المحدث شمس الدين أبو أمامة الدكالي -بالدال المهملة المضمومة وكاف بعدها ألف ولام وياء النسبة- ودكال: قلعة بالمغرب، المعروف بابن النقاش. ولد سنة (720هـ)، وتوفي بالقاهرة سنة (763هـ). راجع: أعيان العصر؛ للصفدي (ج4/ 670-674).

۞ لم أقف على الكتاب المذكور.

«المُستدرك»، وقال: صحيحُ الإسنادِ عن أنَسِ بنِ مالِكٍ، قال: لَمّا قُبِضَ رسولُ الله ﷺ أحدقَ به أصحابُه فبَكوا حولَه واجتمَعوا، فدَخَلَ رجُلٌ أشهبُ(1) اللِّحية، جَسيمٌ صَبيحٌ(2)، فتخطَّى رِقابَهم فبَكَى، ثُمّ التفتَ إلى أصحابِ رسولِ الله ﷺ فقال: «إنّ في الله عَزاءً من كُلِّ مُصيبةٍ، وعِوَضًا من كُلِّ فائتٍ، وخَلَفًا من كُلِّ هالِكٍ، فَإلى الله فَأنيبوا، وإليه فارغَبوا، ونَظَرةٌ إليكُم في البلاءِ فانظُروا، فإنّما المُصابُ مَن لم يُجبَر» وانصرَفَ، فقال بعضُهم لِبعضٍ: تَعرِفون الرّجُلَ؟ قال أبو بكرٍ وعليٌّ: نعَم! هذا أخو رسولِ الله ﷺ الخَضِر عَلَيْهِ السَّلَامُ(3).

(1) شهب: الشين والهاء والباء أصل واحد يدل على بياض في شيء من سواد، لا تكون الشهبة خالصة بياضا. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج3/ 220).

(2) صبح: الصاد والباء والحاء أصل واحد مطرد. وهو لون من الألوان قالوا: أصله الحمرة. قالوا: وسمي الصبح صبحا لحمرته، كما سمي المصباح مصباحا لحمرته. قالوا: ولذلك يقال: وجه صبيح. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج3/ 328).

(3) رواه: 1- الحاكم في المستدرك حديث (4392/ 96)، (ج3/ 60)؛ من طريق: عباد بن عبد الصمد، وليس القاسم بن عبدالله.

قال الحاكم: هذا شاهد لما تقدم وإن كان عباد بن عبد الصمد ليس من شرط هذا الكتاب.

قلت: والحديث الذي أشار إليه الحاكم وفيه أنّ الكلام كان هاتفًا من الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لما توفي رسول الله ﷺ عزتهم الملائكة يسمعون الحس ولا يرون الشخص، فقالت: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفا من كل فائت، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، فإنما المحروم من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

2- الإمام الشافعي في السنن والآثار، برواية المزني، حديث (390)، (ص: 334-335)؛ من طريق: القاسم بن عبد الله بن عمر عن جعفر بن محمد، عن أبيه، أن رجالًا من قريش دخلوا على أبيه علي بن الحسين فقال: ألا أحدثكم عن رسول الله ﷺ؟ قالوا: بلى فحدثنا عن أبي القاسم ﷺ، قال: لما مرض رسول الله ﷺ جاءه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال... الحديث.

3- الطبراني في المعجم الأوسط، حديث (8120)، (ج8/ 109- 110)؛ من طريق: عباد بن عبدالصمد بنحو رواية الحاكم. قال الطبراني: لا يروى هذا الحديث عن أنس إلا بهذا الإسناد،=

ولكنّ هذا الحديثَ من روايةِ القاسمِ بنِ عبدِ الله بنِ عُمرَ العُمريِّ المدينيِّ، قال الإمامُ أحمد: «كان يكذِبُ ويضَعُ الحديثَ»، وقال مرّة أُخرى: «ليسَ هو عندي بشيءٍ»، وقال يحيى بنُ مَعينٍ: «ليسَ بشيءٍ، كذّابٌ خَبيثٌ»، وقال أبو حاتمٍ وأكثَرُ المُحدِّثينَ: «مَترُوكٌ»، فهذا أبلَغُ ما رأيتُ، وفيه ما تَرَى[1].

وطائفةٌ ثانيةٌ: يُثبتونَ حياةَ الخضرِ وإلياسَ[2] جميعًا، وهؤلاءِ أيضًا عُمدتُهم أحاديث ملفَّقةٌ، وحِكاياتٌ مرويّة عن بعضِ أهل الدّين والصّلاحِ مرويّة في الاجتِماعِ به، والأخذِ عنه.

وطائِفةٌ ثالِثةٌ: تزعُم أنّ لِكُلِّ زمانٍ خَضِرًا، وأنّه القُطبُ [39/ ب] أوِ الغوثُ الّذي هو مُقيمٌ بمكّة، وأنّه إذا نزَلَت بأهلِ الأرضِ نازِلةٌ؛ رفعَتها

=تفرد به: عباد بن عبد الصمد.

۞ قال البيهقي: وقد روي معناه من وجه آخر عن جعفر عن أبيه، عن جابر، ومن وجه آخر عن أنس بن مالك، وفي أسانيده ضعف، والله أعلم. انظر: السنن الكبرى؛ للبيهقي (ج4/ 99).

(1) راجع: تهذيب التهذيب، ترجمة (578)، (ج8/ 320-321).

(2) إلياس هو الصيغة اليونانية للاسم العبري إلياهو؛ أي: إلهي يهوه، أو الله يهوه...وفي المدراشيم، والأجاداه من التراث اليهودي يظهر مدى تشابه القصة التي دارت أحداثها بين النبي إلياهو الذي يمثل الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبين يوشع بن لاوي الذي يمثل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وشخصية الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ في التراث الإسلامي تتطابق في مناح عددية مع شخصية إلياهو في التراث اليهودي، فهو لا يتقيد بحدود الحياة الإنسانية؛ بل يعيش طوال الأجيال، وأنه يلتقي بالأصفياء والأتقياء، ويعتبر نموذجًا للشخصية المتصوفة عند القبالاه، كما يحتل الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ مكانة سامية في حركة التصوف الإسلامي، كما ذهب بعض المفسرين إلى أن إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ الوارد ذكره في القرآن الكريم المقصود منه إلياهو النبي الوارد في العهد القديم.

انظر: قصص سورة الكهف في الديانات السماوية الثلاث؛ لإبراهيم ثروت حداد علي عافية، ط دار النوادر، (ج1/ 423-462) بتصرف.

النُّجباءُ[1] الثّلاثُمائةِ وثلاثة عشَرَ إلى السّبعينَ النُّقَباءِ[2]، يرفَعونَها إلى الأوتادِ الأربعةِ، فيَرفعونَها إلى الغوثِ[3]، وهو يرفَعُها إلى الله تعالى.

وذكَرَ جماعةٌ مِنَ العُلماءِ مِمَّن صنّفَ في هذا الفنِّ: أنّ ثَمَّ طائِفةً تزعُم أنّ أهلَ الأرضِ يُرزَقون ويُمطَرون ويُنصَرونَ بالغوثِ، ويقولونَ فيه نَظيرَ ما تقولُه النّصارَى في البابِ، وقد يقولونَ: إنّ الملَكَ الّذي ينزلُه الله علَى عِبادِه يَنزل أوّلًا إلى الغوثِ، ثُمّ يفيضُ منه إلى قُلوبِ العِبادِ.

وهذا باطِلٌ، بلِ الرِّزقُ والمطرُ وغيرُ ذلك تحصُلُ بأسباب؛ من أوكَدِها دُعاءُ المُؤمنينَ، وصَلاتُهُم، وإخلاصُهم لله وحدَه لا شَريكَ لَه، لا واسِطةَ بينَ الله وبينَ عِبادِهِ[4].

وطائِفةٌ رابِعةٌ: تزعُم أنّ الخضِرَ وإلياسَ حالانِ من أحوالِ القلبِ؛

---

(1) النجباء: هم الأربعون، وهم المشغولون بحمل أثقال الخلق، وهي من حيث الجملة: كل حادث لا تفي القوة البشرية بحمله؛ وذلك لاختصاصهم بوفور الشفقة والرحمة الفطرية، فلا يتصرفون إلا في حق الغير؛ إذ لا مزية لهم في ترقياتهم إلا من هذا الباب.

انظر: التعريفات للجرجاني، (ص:235-236).

(2) النقباء: هم الذين تحققوا بالاسم الباطن، فأشرفوا على بواطن الناس فاستخرجوا خفايا الضمائر؛ لانكشاف الستائر لهم عن وجوه السرائر، وهم ثلاثة أقسام: نفوس علوية، وهي الحقائق الأمرية، ونفوس سفلية وهي: الخلقية ونفوس وسطية، وهي الحقائق الإنسانية، وللحق تعالى في كل نفس منها أمانة منطوية على أسرار إلهية وكونية، وهم ثلاثمائة.

انظر: التعريفات للجرجاني، (ص:241).

(3) الغوث: هو القطب حينما يُلتجأ إليه، ولا يسمى في غير ذلك الوقت: غوثًا. انظر: التعريفات للجرجاني، (ص:165).

(4) قال محي الدين ابن عربي: القطب مركز الدائرة ومحيطها ومرآة الحق، عليه مدار العالم... فالأسرار إليه منصة إذا كان المحبوب يعرفه كل شيء فكيف القطب الذي توقفت عليه حوائج العالم من أوله إلى آخره. (قلت: وهذا يلحق بالأوهام والخرافات).

انظر: رسائل ابن عربي، كتاب منزل القطب ومقامه وحاله، (ص:250-251).

فالخِضرُ هو البسطُ، وإلياسُ هو القبضُ؛ مِن اشتقاقِ اسمِهما، فإذا كان القلبُ في ابتِهاجٍ وذكرٍ وبسطٍ؛ كان الخِضرُ، وإذا كان في ضيقةٍ وقبضٍ؛ كان في إلياس.

وطائفةٌ خامِسةٌ مِنَ العُلماءِ والزُّهادِ والعُبّادِ: ذهبَت إلى أنّ الخضرَ وإلياسَ ماتا، فإنّهُما لو كانا أو أحدُهما حَيًّا لكان الواجِبُ عليه أن يُهاجِرَ إلى رسولِ الله ﷺ، ويُؤمِنَ به، ويُجاهِدَ معه، كما ذُكِر عن ابنِ عبّاسٍ في قولِه تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: 81]... الآية[1].

قال: ما بعَثَ الله نبيًّا إلّا وأخذَ عليه الميثاقَ؛ لَئِن بُعث محمّدٌ وهو حيٌّ لَيُؤمِنَنّ به ولَيَنصُرنّه، وأمَره أن يأخُذَ الميثاقَ علَى أُمّتِه؛ لَئِن بُعث محمّدٌ لَيُؤمِنُنّ به، ولَيَنصُرُنّه[2].

فإنّه قد أجمَع المُسلِمون أنّ رِسالَتَه ﷺ عامّة لِجَميعِ الخلقِ؛ عربِهم وعَجَمِهم، دانيهم وقاصيهم، مُلوكِهم ورَعيّتِهم، زُهّادِهم وغيرِ زُهّادِهِم، فلو قُدِّر أنّه حيٌّ وجميعُ الأنبياءِ؛ وجَب عليهم اتّباعُ النّبيِّ ﷺ قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: 28].

وقال ابنُ الجوزيِّ في «تفسيرِه»: وكان الحسنُ البصريُّ يذهَبُ إلى أنّه ماتَ[3]. انتهى.

---

(1) وتمامها: ... ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

(2) راجع: تفسير الطبري، (ج5/ 539-541).

(3) انظر: زاد المسير؛ لابن الجوزي (ج5/ 168).

وسُئِل الإمامُ أحمد عن تعميرِ الخضِرِ؛ فقال: مَن أحالك علَى غائِبٍ؛ فما أنصَفَك[1]. وكذلك نُقِل عن إبراهيمَ [40/ أ] الحربيِّ[2]، ولفظُه: مَن أحالَك على حيٍّ غائبٍ أو ميِّتٍ مفقودٍ؛ فما أنصفَك. وكان ابنُ المُنادي[3] يُقَبِّح قولَ مَن يَرَى بقاءَه، ويقولُ: لا يثبُتُ حَديثٌ في بقائِه، وكلُّها أحاديث واهيةٌ، وما ألقى بينَ النّاسِ هذا إلّا الشّيطانُ. ورَوى أبو بكرِ بنُ النّقّاش[4] أنّ محمّدَ بنَ إسماعيلَ البُخاريَّ[5] سُئِل عنِ الخضِرِ وإلياسَ: هل هما

---

(1) راجع: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (ج4/ 337).

(2) هو الشيخ، الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ الإسلام، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير البغدادي، الحربي، صاحب التصانيف، مولده: في سنة (198هـ)، وطلب العلم وهو حدث، قال أبو بكر الخطيب: (كان إمامًا في العلم، رأسًا في الزهد، عارفًا بالفقه، بصيرًا بالأحكام، حافظًا للحديث، مميزًا لعلله، قيمًا بالأدب، جامعًا للغة، صنف «غريب الحديث»، وكتبًا كثيرة، وأصله من مرو)، توفي سنة (285هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج13/ 356-372).

(3) هو أحمد بن جعفر بن محمَّد بن عبيد الله بن المنادي، البغداديُّ. سمع جده محمَّد بن عبيد الله، ومحمد بن إسحاق الصغاني، وخلق، قال الخطيب: (وكان ثقة أمينًا صدوقًا ورعًا حجة فيما يرويه، صنف كتبًا كثيرة وجمع علومًا جمة)، توفي سنة (336هـ)، انظر: تاريخ بغداد؛ للخطيب (ج4/ 69).

(4) هو العلامة، المفسر، شيخ القراء، أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي، ثم البغدادي، النقاش، ولد سنة (266هـ)، وهو مؤلف (شفاء الصدور) في التفسير، وكان واسع الرحلة، قديم اللقاء، وهو في القراءات أقوى منه في الروايات، وله كتاب (الإشارة في غريب القرآن)، وكتاب (المناسك)، و (دلائل النبوة)، و(المعاجم الثلاثة):أوسط وأكبر وأصغر، فالأكبر في معرفة المقرئين، قال الخطيب: (في حديثه مناكير بأسانيد مشهورة)، توفي سنة (351هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج15/ 573-576).

(5) هو أبو عبد الله البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، وقيل: بذدزبه، وهي لفظة بخارية، معناها الزراع، ولد في شوال سنة (194هـ)، قال البخاري: (كتبت عن ألف وثمانين رجلا، ليس فيهم إلا صاحب حديث، كانوا يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص)، روى عنه خلق كثير، منهم: أبو عيسى الترمذي، وأبو حاتم، وإبراهيم بن إسحاق الحربي، وأبو بكر بن أبي الدنيا...، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول:=

في الأحياءِ؟ فقال: كيفَ يكونُ ذلك، وقد قال رسولُ الله ﷺ: «لا يَبقَى على رَأسِ مِائة سَنة مِمَّن هو على ظَهرِ الأرضِ أحَدٌ»(1).

=(ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل)، وقال عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي: (محمد بن إسماعيل أعلمنا وأفقهنا وأغوصنا، وأكثرنا طلبًا)، وقال أبي حاتم الرازي: (محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق)، توفي ليلة عيد الفطر سنة (256هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج12/ 391-471).

(1) متفق عليه رواه؛ 1- البخاري في صحيحه: - كتاب العلم، باب السمر في العلم، حديث (116)، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: صلى بنا النبي ﷺ العشاء في آخر حياته، فلما سلم قام، فقال: «أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد».

⊙ باب مواقيت الصلاة وفضلها، باب ذكر العشاء والعتمة ومن رآه واسعًا، حديث (564)، بنحو الحديث السابق.

⊙ باب مواقيت الصلاة وفضلها، باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء، حديث (601)، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: صلى النبي ﷺ صلاة العشاء في آخر حياته، فلما سلم، قام النبي ﷺ، فقال: «أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة، لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد»، فوهل الناس في مقالة رسول الله ﷺ، إلى ما يتحدثون من هذه الأحاديث، عن مائة سنة، وإنما قال النبي ﷺ: «لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض»؛ يريد بذلك: أنها تخرم ذلك القرن.

2- مسلم في صحيحه: - حديث (217-2537)، بنحو لفظ البخاري (601).

⊙ حديث (218-2538) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت النبي ﷺ يقول، قبل أن يموت بشهر: «تسألوني عن الساعة؟ وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله! ما على الأرض من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة».

⊙ حديث (219-2539)، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما رجع النبي ﷺ من تبوك، سألوه عن الساعة، فقال رسول الله ﷺ: «لا تأتي مائة سنة، وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم».

⊙ حديث (220-2538)، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال نبي الله ﷺ: «ما من نفس منفوسة؛ تبلغ مائة سنة».

انظر: زاد المسير لابن الجوزي، (ج5/ 168). - الموضوعات؛ لابن الجوزي (ج1/ 200).

وبلَغَني أنّ ابنَ الجوزيِّ[1] صنّفَ في الخضِرِ مُصنّفًا[2]، وادَّعى الإجماعَ علَى أنّه ماتَ، ولم أرَه، ومِنَ العجبِ أنّه رَوى بإسنادِه في كِتابِه في «مناقب أحمد» من طُرُقٍ عن سلَمةَ بنِ شَبيبٍ[3]، قال: كُنّا معَ أحمدَ بنِ حنبَلٍ جُلوسًا، وجاءَه رجُلٌ، فقال: مَن منكم أحمدُ بنُ حنبَلٍ؟ فسكتنا هَيبةً لأحمدَ، فقال: أنا أحمد بنُ حنبَلٍ؛ ما حاجتُكَ؟ فقال: ضربتُ إليكَ من أربعِمائةِ فرسَخٍ برِّها وبحرِها، جاءَني الخضِرُ ليلةَ الجمُعةِ، وقال لي: لِمَ لا تخرجُ إلى أحمدَ بنِ حنبَلٍ، فقُلتُ: لا أعرفُه، فقال: تأتي بغدادَ فتسألُ عنه، وقُل لَه: خالقُ السّماءِ الّذي علَى عرشِه استوَى راضٍ عنكَ، وسائرُ الملائكةِ راضونَ عنكَ بما صبرَت نفسُكَ لله عَزَّوَجَلَّ، فقال أحمدُ: الأعمالُ بالخواتيمِ، ثُمّ قال أحمدُ: ألك حاجةٌ سوى ذلك، قال: لا.

ونحو ذلك القِصّة في بعضِ طُرقِها: كنتُ نائِمًا فأتاني آتٍ، فقال: إذا رأيتَ أحمدَ بنَ حنبلٍ فقُل لَه: إنّ الخضِرَ يُقرئك السّلامَ[4]. وذكَرَ القِصّة.

وإتيانه في النّوم لا كلامَ فيه، إنّما الكلامُ في اليقَظة.

وأبلَغُ من هذا أنّه بوَّبَ علَى ثناءِ الخضِرِ علَى أحمدَ، وذكَرَ بسنَدِه

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) قال ابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (ج1/ 363): «وقد جمعت كتابا سميته عجالة المنتظر بشرح حال الخضر». والكتاب لم يطبع.

(3) هو سلمة بن شبيب، الإمام، الحافظ، الثقة، أبو عبد الرحمن الحجري، المسمعي، النسائي، نزيل مكة، سمع: يزيد بن هارون، وأبا داود الطيالسي، وعبد الرزاق، ومحمد بن يوسف الفريابي، وأبا المغيرة الخولاني، وخلقا كثيرا من هذا الضرب فمن بعدهم. حدث عنه: مسلم، وأرباب السنن، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وعبد الله بن أحمد، وعدة. وحدث عنه من شيوخه: الإمام أحمد. قال النسائي: (ليس به بأس)، وقال أبو حاتم: (صدوق)، قال ابن يونس: قدم مصر، وحدث سنة ست، ومات في رمضان، سنة (247هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج12/ 256-258).

(4) انظر: مناقب الإمام أحمد؛ لابن الجوزي (ص: 555-557).

من عِدّة طُرُقٍ أنّ بلالًا الخوّاصَ[1]، قال: كنتُ في تيه بَني إسرائيلَ، فإذا رجُلٌ يُماشيني فعجبتُ منه، ثُمّ أُلهمت أنّه الخضِرُ، فقُلت لَه: بحقِّ الحقِّ مَن أنت؟ قال: أخوكَ الخضِرُ، قلتُ لَه: أُريد أن أسألَك مسألةً، قال: سَل، قُلتُ: ما تقولُ في الشّافعيِّ؟ قال: مِنَ الأوتادِ، قلتُ: فأحمدَ بنِ حنبَلٍ؟ قال: صِدّيقٌ[2]. فهذا تناقضٌ مِنِ ابنِ الجوزي أو يُحمل أمره على حالتَينِ. وسُئلَ القاضي أبو يعلَى[3] عنِ الخضِرِ: أماتَ؟ قال: نعَم[4].

وقد ذكرَ هذه المسألة شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ في مَواضِعَ من مُصنّفاتِه[5]، فتارةً استطرادًا، وتارةً سُؤالًا مُفردًا، فقال في بعضِها: ليس في دعوَى المُدَّعي اجتماعُه بالخضِرِ فائدةٌ في دينِ المُسلمين، سَواءٌ كان صادِقًا أو كاذِبًا؛ بلِ اتّفقَ المُسلِمون علَى أنّه لا يُرجَعُ إلى الخضِرِ، ولا إلى مَن ينقُل عنِ الخضِرِ من غيرِ طريقِ الرّسول ﷺ [في][6] شيءٍ من دينِهم.

بل لو نقَل ناقِلٌ عن نَبيٍّ مِنَ الأنبياءِ؛ كموسى وعيسى من غيرِ أن يكونَ نَبيُّنا واسطة في ذلك؛ لم يَرجِع إليه المُسلِمون في دينِهم.

---

(1) قال الصفدي في الوافي بالوفيات، ترجمة (2439)، (ج10/ 177): بلال الخواص الصوفي، قال السلمي في تاريخ الصوفية: كان من متأخري مشايخ الصوفية ببيت المقدس يقال إنه كان يرى الخضر ويسأله عن مسائل.

(2) انظر: مناقب الإمام أحمد؛ لابن الجوزي، الباب السادس عشر فيما يذكر من ثناء الخضر عليه، (ص:188).

(3) تقدمت ترجمته.

(4) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ط الأوقاف، (ج2/ 145)، قال: قال القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي: سئل بعض أصحابنا عن الخضر هل مات؟ فقال: نعم.

(5) راجع: زيارة القبور، ط دار الصحابة للتراث، (ص:48-50).

(6) ليست في الأصل، والمثبت من جامع المسائل (ج1/ 57).

بل قد ثبت في «السُنَن» أنّ النبيَّ ﷺ قال لِعُمرَ: «لو كان موسَى حَيًّا، ثُمّ اتّبَعتُموه وتَركتُموني لَضَلَلتُم»[1]، وفي روايةٍ: «لَما وسِعَه إلّا اتّباعي»،

---

(1) أخرجه: 1- عبد الرزاق في مصنفه (10164)؛ من طريق: الثوري، عن جابر، عن الشعبي، عن عبد الله بن ثابت، قال: جاء عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! إني مررت بأخ لي من قريظة، وكتب لي جوامع من التوراة، أفلا أعرضها عليك؟ قال: فتغير وجه رسول الله ﷺ، قال عبد الله: فقلت: مسخ الله عقلك، ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا. قال: فَسُرِّيَ عن النبي ﷺ، ثم قال: «والذي نفس محمد بيده لو أصبح موسى فيكم ثم اتبعتموه، وتركتموني لضللتم، أنتم حظي من الأمم، وأنا حظكم من النبيين».

2- الإمام أحمد في مسنده (15864)؛ من نفس طريق ولفظ عبد الرزاق.

فيه: جابر الجعفي، وهو ضعيف، قال المزي في تهذيب الكمال، (ج4/ 469): (قال أبو حاتم الرازي، عن أحمد بن حنبل: تركه يحيى، وعبد الرحمن. وقال النسائي: متروك الحديث).

۞ تابعه: مجالد بن سعيد، عن عامر الشعبي، عن جابر بن عبد الله. رواه:

1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (14631)، بلفظ: (عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، فإنكم إما أن تصدقوا بباطل، أو تكذبوا بحق، فإنه لو كان موسى حيًّا بين أظهركم، ما حل له إلا أن يتبعني»).

2- الدارمي في سننه، حديث (449)، بلفظ: (عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أتى رسول الله ﷺ بنسخة من التوراة، فقال: يا رسول الله، هذه نسخة من التوراة، فسكت، فجعل يقرأ ووجه رسول الله يتغير، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثكلتك الثواكل، ما ترى بوجه رسول الله ﷺ؟ فنظر عمر إلى وجه رسول الله ﷺ، فقال: أعوذ بالله من غضب الله، ومن غضب رسوله، رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني، لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حيًّا وأدرك نبوتي لاتبعني» وهي الرواية الثانية التي ذكرها المصنف.

۞ ومجالد بن سعيد ليس بالقوي، قال المزي في تهذيب الكمال، (ج27/ 221): (قال البخاري: كان يحيى بن سعيد يضعفه، وكان عبد الرحمن بن مهدي لا يروي عنه شيئًا، وكان ابن حنبل لا يراه شيئًا، يقول: ليس بشيء).

=

وثَبَتَ في «الصّحيح» أنّ عيسى إذا نزَل إلى الأرض، فإنّما يحكُم في الأمّة بكتابِ ربِّها وسُنّة نَبيِّها(1).

والخضرُ قدِ اختُلف في نُبوّتِه، فالأكثرون على أنّه ليس بنَبيٍّ، وذهَبت طائفةٌ إلى أنّه نَبيٌّ، وهو قولُ ابنِ حزم(2)، وابنِ الجوزيِّ(3)، فإن كان الخضر نَبيًّا؛ فمُحمَّدٌ وعيسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ أفضَلُ منه، وهُما يظهَرانِ لِعُموم هذه الأُمّة، وإن لم يكُن نبيًّا فأبو بكرٍ الصِّدّيقُ وعُمرُ وغيرُهما من المُهاجرينَ والأنصارِ أفضلُ منه(4).

وقد ثَبَت [40/ ب] عنِ الخضرِ أنّه كان يجتمِعُ معَ أهل زمانِه، وأنّه أصلَح سَفينتَهُم، وأنّهم حمَلوه بغير جُعلٍ، وأنّه قتَل الغُلامَ من بينِ

= ۞ قال ابن حجر في الفتح (13/ 525) بعد أن تكلم على طرق الحديث وشواهده: «وهذه جميع طرق هذا الحديث، وهي وإن لم يكن فيها ما يُحتَجُّ به، لكن مجموعها يقتضي أن لها أصلًا».

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، حديث (246-155)؛ من طريق: ابن أبي ذئب، عن ابن شهاب، عن نافع مولى أبي قتادة، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمّكم منكم؟»، فقلت لابن أبي ذئب: إن الأوزاعي حدثنا عن الزهري، عن نافع، عن أبي هريرة: «وإمامكم منكم»، قال ابن أبي ذئب: تدري ما «أمكم منكم»؟ قلت: تخبرني، قال: فأمكم بكتاب ربكم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وسنة نبيكم ﷺ.

(2) انظر: المحلى بالآثار لابن حزم، ط دار الكتب العلمية، (1/ 71).

۞ ابن حزم؛ هو الإمام الأوحد، البحر، ذو الفنون والمعارف، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، الفقيه الحافظ، المتكلم، الأديب، الوزير، الظاهري، صاحب التصانيف، ولد بقرطبة في سنة (384هـ)، وسمع في سنة أربع مائة وبعدها من طائفة، وكان قد مهر أولا في الأدب والأخبار والشعر، وفي المنطق وأجزاء الفلسفة، توفي سنة (456هـ)، قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام -وكان أحد المجتهدين-: (ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل «المحلى» لابن حزم، وكتاب «المغني» للشيخ موفق الدين). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج18/ 184-212).

(3) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي، (ج1/ 363-365).

(4) راجع: مجموع الفتاوى لابن تيمية، (ج4/ 397).

الغِلمانِ، وأنّه استطعَمَ هو وموسَى، فقد كان يظهَرُ لقوم أُمّةُ محمَّدٍ خيرٌ منهم، فوجودُ الخضرِ وحَياته لا يتعلّق به شَيءٌ من دينِ المُسلمينَ، فدينُ الإسلام محفوظٌ محروسٌ لا يحتاجُ فيه المُسلمون إلى أحَدٍ غير نبيِّهم، وقد أكملَ الله لهم دينَهُم، وأتَمَّ عليهم نِعمَته، ورَضي لهم الإسلامَ ديناً[1].

ثُمّ نَقَل الشّيخُ عن طائِفةٍ أنها ادَّعت أنّ الخضرَ يعرفُ كُلَّ الأولياءِ، ويُميِّزُ كُلَّ وليٍّ لله، وقد قال الله تعالى لِنبيِّه: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟[2] عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ [التوبة: 101]

فقد أخبرَ الله تعالى أنّه كان جماعةٌ من المُظهرينَ للإسلامِ من أهلِ المدينةِ النّبويّة ومَن حولَها مُنافقونَ، والنّبيُّ لا يعرفُهُم، وكذلك قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ﴾ الآيةَ[3] [الممتحنة: 10][4].

فكان النّبيُّ ﷺ يمتحنُ مَن جاءَه مِنَ النِّساءِ حتَّى يعرِفَ إيمانَها، فإذا كان الرّسولُ لا يعلَم أنّ في المُسلمينَ مُنافقينَ ومُؤمِنينَ، ولا يُميِّزُ كُلَّ مُؤمنٍ من كُلِّ مُنافقٍ، فكيف بالخضرِ؟!

وفي «الصّحيح» أنه لَمّا سلَّم عليه موسَى، قال: وأنّى بأرضِكَ السّلامُ؟ قال: أنا موسَى، قال: موسَى بَني إسرائيلَ؟ قال: نَعم[5]! فهَذا يُبيِّنُ أنّه لم

---

(1) راجع: مجموع الفتاوى لابن تيمية، (ج27/ 100-101).

(2) أي: ارتكسوا عن الخير وهم على النفاق. انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب، مادة: (مرد)، (ص: 606).

(3) تمامها: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

(4) راجع: مجموع الفتاوى لابن تيمية، (ج27/ 100).

(5) متفق عليه من حديث طويل: 1- صحيح البخاري: كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم=

يكُن يعرِف عينَ موسَى كليمِ الرّحمن، فكيفَ يُقال: إنّه يعرِفُ الأولياءَ؟!!

ومن المعلوم أنّه لو كان الخضِرُ أتَى إلى النّبيِّ ﷺ ورَآه وكلَّمه، لكان هذا مُستفيضًا بينَ الصّحابة، وأخبروا به التّابِعين إلى أن يصِلَ إلَينا، كما علِمَتِ الصّحابة ما هو أعجبُ من ذلك من إيمانِ الجنِّ به، وعُروجِه إلى السّماءِ، وقد أخبَرَهم بما رَآه مِنَ الأنبياءِ ليلةَ المِعراج، ولم يُنقل عنِ النّبي ﷺ في حياةِ الخضِرِ حديثٌ يُلتفت إليه، بل جميعُ ما رُوِيَ في ذلك من أبينِ الأحاديثِ الموضوعةِ.

[41 / أ] ثُمّ شرَعَ يسردُها ويُعدِّدُها، ويقول في كُلِّ واحِدٍ منها: هذا مكذوبٌ باتِّفاقِ أهلِ المعرفة بالحديثِ، ومِنَ العجَب أنّه لم يذكُر حديثَ التّعزيةِ في هذه المواضِعِ الّتي اطَّلعتُ علَيها الّذي ذكرناه قَريبًا، حتّى إنّه ذكَرَ الحديثَ الّذي يُروى أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «**لو كان أخي الخضِرُ حَيًّا لَزارَني**»(1) لا أصلَ له، فهذا معناه صَحيحٌ، فإنّه كان يجبُ علَيه وعلَى أمثالِه زيارَتُه واتِّباعُه، ومَن تدبَّر الأحاديثَ الصّحيحةَ لم يجِد فيها ذكرَ حياتِه.

وقال الشّيخ في موضعٍ آخَرَ: والصّوابُ أنّ الخضِرَ ماتَ قبلَ النّبيِّ ﷺ، ولم يكُنِ ﷺ في شَكٍّ من موتِه(2).

=إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله، حديث (122). وكتاب الأنبياء، حديث الخضر مع موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، حديث (3401). وكتاب التفسير، سورة الكهف، حديث (4725)، وحديث (4726)، بلفظ: «وقال: هل بأرضي من سلام؟! من أنت؟».

2- صحيح مسلم حديث (170-2380).

(1) قال السخاوي في المقاصد الحسنة، ط دار الكتاب العربي، (ص:363): (قال شيخنا: لا يثبت مرفوعًا، وإنما هو من كلام بعض السلف ممن أنكر حياة الخضر). وكذا قال الفتني في تذكرة الموضوعات (ص:109). وقال الملا علي القاري في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، حديث (212)، (ص:207): (قال العسقلاني: لا يثبُت مرفوعًا).

(2) راجع بنحوه: مختصر الفتاوى المصرية، (ص:198).

ثُمّ استدلَّ الشّيخ بما استدَلَّ به البُخاريُّ -وقد تقدَّم- ثُمّ قال: وأمّا الّذينَ اعتقدوا وجودَه، فلَهم ثلاثة طُرُقٍ:

أحدُها: أحاديثُ موضوعةٌ، وحِكاياتٌ يظُنّونَها صِدقًا، وهي كذِبٌ، والسُّنّة الثّابتةُ تدلُّ على موته.

الثّاني: أن يرَى أحَدُهم شخصًا يُتوهَّمُ فيه الخيرُ فيَظنُّ أنّه الخضِرُ؛ مثلُ أن يراه في فلاةٍ، ويرَى منه خرقَ عادة، أو يراه ثُمّ يَحتجب عنه، فيظُنُّ أنّه الخضِرُ، وعامّةُ الحِكاياتِ من هذا البابِ، ومعلومٌ أنّ خرقَ العادةِ يكونُ لخَلقٍ عَظيمٍ من عبادِ الله غيرِ الخضرِ، وليس للخضِرِ علامة تُميِّز بينَه وبينَ غيرِه، وإنّما عرفَه موسى بمكانِه لَمّا جعَلَ الله فقدَ الحوتِ علامةً لِمَكانه.

الثّالث: أن يقول بعضُ النّاسِ بلِسانِه: أنا الخضِرُ، أو رَأى رجُلًا ظنّه الخضر غلَطًا منه، وقال لَه: أنتَ الخضِرُ؟ فقال: نعَم! وكان كاذِبًا[1].

ثُمّ قال الشّيخ في موضِعٍ آخَرَ: وقد رأينا مَن يدَّعي أنّه الخضِرُ وهو كذّابٌ، وقد يظُنُّ به بعضُ النّاس ذلك [41/ ب]، وقد يدَّعي ذلك مَن يُظهر بعضَ المخاريقِ مخاريقِ مُسيلَمةَ والعنسيِّ وابنِ صيّادٍ والدّجّالِ، وقد رأينا جماعة مِنَ الصّادِقين الّذين لا ريبَ في صدقِهم ودينِهم يذكُرون أنّهم رأوا الخضِرَ، وإذا حُقِّق ما رَأوه تبيَّنَ أنّه كان كذّابًا.

قلت: وقد وقَع في مَواضِعَ من كلامِ الشّيخِ عبدِ القادِر الجيلي[2] أنّه

---

(1) راجع: الرد على المنطقيين لابن تيمية، إبطال القول بحياة الخضر، (ص:184-185).

(2) هو عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله بن جنكي دوست بن أبي عبد الله بن عبد الله الجيلي ثم البغدادي، الزاهد، شيخ العصر، وقدوة العارفين، وسلطان المشايخ، وسيد أهل الطريقة في وقته، محيي الدين أبو محمد، صاحب المقامات والكرامات، والعلوم والمعارف، والأحوال المشهورة، ولد سنة (470 أو 471هـ) بكيلان، وقدم بغداد شابًا، فسمع بها =

اجتمَعَ بالخضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، والشّأنُ في المرئي لا في الرّائي إذا كان من أهل الدّينِ والصّلاحِ، ونحنُ نجزمُ بصدقِ الشّيخ عبدِ القادرِ، وقدمِه الرّاسِخ، وكثرة كراماتِه، وإنّما رأى شخصًا ظنّ أنّه الخضِرُ، وبعضُ النّاسِ إذا حدَّثته نفسُه بشَيءٍ، وأكثَرَ من ذكرِه وظَنّه استشرَفَ له فيتوهَّمُه فيما عظُمَ عندَه رُؤيتُه خُصوصًا إذا قال لَه: أنا الخضِرُ. نعم، قد يكاشفُه به، فإنّه يجزِم به،[1] وقدِ اتَّفقَ أهلُ العِلم بالله والمعرفةِ به علَى أنّ مُجرّد الكشفِ لا يدُلُّ علَى الإيمان، فضلًا عن وِلايةِ الله، كما سنذكُر ذلك في الكشفِ إن شاءَ الله، ومِنَ النّاس مَن يُفتن بذلك، ولا يصدُّه عن ذلك صادٌّ، ولا يرُدُّه عن ذلك رادٌّ، ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾ [المائدة: 41].

وقد حكَى الشّيخُ أنّ النّصارَى ترَى في كنائِسِهم مَن يقولُه: إنّه الخضِرُ، وكذلك اليهودُ.

ونظيرُ هذه المسألة مَن يعتقِدُ في شخصٍ أنّه خاتَمُ الأولياءِ، وأنّ ثَمَّ شخصًا خاتَمَ الأولياء؛ وهذا خطَأٌ بيّنٌ، وكَذِبٌ فاحِشٌ، فإنّه لا حقيقةَ لِخاتَمِ الأولياءِ، وإنّما يصِحُّ هذا الاسمُ علَى آخِرِ مُؤمِنٍ تقيٍّ يكونُ -كما سيأتي الكلامُ علَى الأولياءِ بعدُ إن شاءَ اللهُ- وليسَ آخِرُ الأولياءِ بأفضَلَ من غيرِه، فضلًا عن أن يكون أفضَلَ من سائرِ الأولياءِ، بل أفضلُ الأولياءِ بعدَ الأنبياءِ هو أبو بكرٍ ثُمّ عُمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فإنّه يجبُ علَى جميع

= الحديث، وتفقه على القاضي أبي سعد المخرمي، وأبي الخطاب الكلوذاني، وبرع في المذهب والخلاف والأصول، وغير ذلك، ودرس بمدرسة شيخه المخرمي، وأقام بها إلى أن مات، ودفن بها، وللشيخ عبد القادر كلام حسن في التوحيد، والصفات، والقدر، وفي علوم المعرفة موافق للسنة، توفي سنة (561هـ). انظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب، (ج2/ 187-212).

(1) ذكر الشيخ عبد القادر في كتابه الغنية، ط دار إحياء التراث العربي، فصل آخر: في ذكر ما ورد فعله بين العشاءين ورؤية فاعله للنبي ﷺ ببركة فعله ذلك في المنام وغير ذلك من الثواب، (ص: 349-352) قصة طويلة في لقاء إبراهيم التيمي بالخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ قبالة الكعبة.

الأولياءِ اتِّباعُ الرّسولِ المبعوثِ إليهم، فكلُّ مَن كان أعلمَ به ولَه أتبَعَ كان أفضلَ، ولهذا كان الصِّدّيقُ أبو بكر أفضلَ أولياء الله تعالى، والصِّدّيقون أفضلُ الخلقِ بعدَ الأنبياءِ، وأوّلُ مَن تكلّم في خاتم الأولياء أبو عبد الله محمَّدُ بنُ عليٍّ الحكيمُ التِّرمذيُّ(1)، وصنّف فيه(2)(3).

قال الشّيخُ: تكلّم فيه بكلام أنكره عليه الأئمةُ المُحقِّقون، وعلِموا أنّه أخطأ فيه خطأً خرَجَ به عن إجماع المشايخ، بل عن إجماع السّلفِ [42/أ] والأئمّة، فإنّه أخذَ يذكُر أنّ للأولياءِ خاتمًا، ووصَفَه بصِفاتٍ ذكرها لا أصلَ لَها، وفضلُه علَى السّابِقين الأوّلينَ(4)، فجاءَ قومٌ بعدَه،

---

(1) هو الإمام، الحافظ، العارف، الزاهد، أبو عبد الله محمد بن علي ن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي. حدث عن: أبيه، وقتيبة بن سعيد، وعلي بن حجر، وصالح بن عبد الله الترمذي، وطبقتهم. وكان ذا رحلة ومعرفة، وله مصنفات وفضائل. حدث عنه: يحيى بن منصور القاضي، والحسن بن علي، وغيرهما من مشايخ نيسابور، وله حكم ومواعظ وجلالة، لولا هفوة بدت منه. قال أبو عبد الرحمن السلمي: (أخرجوا الحكيم من ترمذ، وشهدوا عليه بالكفر، وذلك بسبب تصنيفه كتاب «ختم الولاية»، وكتاب «علل الشريعة»، وقالوا: إنه يقول: إن للأولياء خاتما كالأنبياء لهم خاتم) وقال السلمي: (هُجِرَ لتصنيفه كتاب: «ختم الولاية»، و«علل الشريعة»، وليس فيه ما يوجب ذلك، ولكن لبعد فهمهم عنه). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج13/ 439-442).

(2) صنف الحكيم الترمذي كتاب باسم «ختم الأولياء» وطبع بتحقيق عثمان إسماعيل يحيى، ومن إصدارات إدارة معهد الآداب الشرقية في بيروت، وطبع بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت.

(3) انظر بنحوه: مجموع الفتاوى؛ لابن تيمية (ج11/ 444).

(4) ومما قال في كتابه «ختم الأولياء»، الفصل التاسع النبوة والولاية، (ص:344-345): (...ابتعث الله وليًا، اصطفاه واجتباه، وقربه وأدناه، وأعطاه ما أعطى الأولياء، وخصه بخاتم الولاية، فيكون حجة الله يوم القيامة على سائر الأولياء، فيوجد بذلك الختم صدق الولاية... فينصب له مقام الشفاعة، ويثني على الله تعالى ثناء، ويحمده بمحامد يقر الأولياء بفضله عليهم في العلم بالله تعالى، فيم يزل هذا الولي مذكورًا في البدء...والأولياء من خلقه دونه درجة درجة، ومنازل الأنبياء بين يديه). ثم قال في الفصل الثالث عشر خاتم الأولياء، (ص:367): (...في أعلى منازل الأولياء، في ملك الفردانية، وقد انفرد في وحدانيته، ومناجاته كفاحًا في=

كلٌّ منهم يدَّعي أنّه خاتمُ الأولياءِ كابن حمويه[1] وابن عرَبيٍّ[2] وصاحبِه القونويِّ[3] وغيرِهم.

ثُمّ قال: وذلك لأنّ رياسةَ خاتَمِ الأنبياءِ فاتَتهم فلم يُمكنهم هذه الدّعوى لِما استقرَّ عند الأُمّة أنّ محمَّدًا ﷺ خاتمُ الأنبياء والرُّسلِ صلوات الله عليهم وسلامه فأخذوا يطلُبون رياسةً تُناظِرُها[4]، كما سنذكُر ذلك

=مجالس الملك، وهداياه من خزائن السعي...). ثم قال في الفصل الخامس والعشرون خاتم الأولياء، (ص:421-422): (...النبوة أعطيت الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ولم يعطوا الختم، فلم تخل تلك الحظوظ من هنات النفس ومشاركتها، وأعطي نبينا وختمت له نبوته؛ كالعهد الذي يكتب ثم يختم، فلا يصل أحد إلى أن يزيد فيه ولا أن ينقص منه...وكذا هذا الولي يسير به الله تعالى على طريق محمد ﷺ بنبوته، مختومًا بختم الله، كما كان محمد ﷺ حجة على الأنبياء، فكذلك يصير هذا الولي حجة على الأولياء...).

(1) هو الإمام، العارف، أبو عبد الله محمد بن محمد بن حمويه الجويني، الصوفي، كان ذا تأله وتعبد ومجاهدة وصدق، حج مرتين، قال السمعاني: (صاحب كرامات وآيات، اشتهر بتربية المريدين، وله إجازة من الأستاذ أبي القاسم القشيري، وعاش اثنتين وثمانين سنة)، توفي سنة (530هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج19/ 597-598).

(2) هو صاحب التواليف الكثيرة، محيي الدين، أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي، الحاتمي، المرسي، ابن العربي، نزيل دمشق. سكن الروم مدة، وكان ذكيا، كثير العلم، كتب الإنشاء لبعض الأمراء بالمغرب، ثم تزهد وتفرد، وتعبد وتوحد، وسافر وتجرد، وأتهم وأنجد، وعمل الخلوات، وعلق شيئا كثيرا في تصوف أهل الوحدة، ومن أردأ تواليفه كتاب (الفصوص)، فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر، توفي سنة (638هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج23/ 48-49).

(3) هو سليمان بن علي بن عبد الله بن علي بن ياسين، الشيخ، الأديب، البارع، العفيف التلمساني، وكان كومي الأصل، ولد سنة (616هـ)، خدم في جهات المكس، وغيرها، وسمع وحدث بشيء من «صحيح مسلم»، عن ابن صلاح، والسخاوي، وجماعة، كتب عنه بعض الطلبة، وكان يُتَّهم بالخمر والفسق، وحاصل الأمر أنه من غلاة الاتحادية القائلين بوحدة الوجود، وأن عين الموجودات هي الله، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا، وله في ذلك أشعار ورموز وتغزلات، توفي سنة (690هـ). انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، (ج15/ 654-659)

(4) راجع: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (ج11/ 444).

فـي آخِـرِ الكِتـابِ، فمـا يُذكـر مـن صفـة خاتـم الأوليـاءِ أمرٌ باطِـلٌ لا أصـلَ لَـه، واللـه أعلَـم. والمقصـودُ أنّ الّـذي يغلـب علَـى الظّـنِّ -واللـه أعلـم- أنّ الخضـرَ مـاتَ لِمـا ذكرنـاه ويُعضـده قولُـه تعالـى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾ [الأنبياء: 34]، وأنّ سببَ نُزولها: أنّ قومًـا قالـوا: إنّ محمّـدًا لا يمـوتُ؛ فنزلَـت هـذه الآيـة، قالـه مُقاتِـلٌ(1).

ومعنَى الآية: ما خلّدنا أحدًا قبلَك مِنَ البشرِ. والخُلدُ: البقاءُ الدّائمُ(2).

وفـي «الصّحيـح» أنّ النّبيَّ ﷺ قـال: «**إنّ اللهَ نظَرَ إلى أهـل الأرضِ فَمَقَتَهم عَرَبَهـم وعَجَمَهـم إلّا بَقايا مـن أهـل الكِتـابِ**»(3)، والخضِرُ ليس هـو مـن أهـل الكتـاب، فـإنّ موسـى لـم يكُـن مبعوثًـا إليـه، كمـا قـال: «**أنا على عِلم من عِلم اللـه علّمَنيه اللـه لا تعلَمُـه**»... الحديـث(4)، وأهـل الكِتـابِ هـم أهـلُ التّـوراةِ

---

(1) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، (ج3/ 78).

(2) انظر: زاد المسير؛ لابن الجوزي (ج5/ 350).

(3) جزء من حديث طويل رواه مسلم في صحيحه، حديث (63- 2865)، عن عياض بن حمار المجاشعي، أن رسول الله ﷺ، قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان، وإن الله أمرني أن أحرق قريشا، فقلت: رب إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة، قال: استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نغزك، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشا نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك، قال: وأهل الجنة ثلاثة؛ ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال، قال: وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبعا لا يبتغون أهلا ولا مالا، والخائن الذي لا يخفى له طمع، وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك» وذكر «البخل أو الكذب والشنظير الفحاش».

(4) تقدم تخريجه.

والإنجيل، ومَن لم يجب عليه اتِّباعُ شَريعةِ موسى كيف يجبُ عليه اتِّباعُ شريعة عيسى لو قُدِّر أنّه عاشَ إلى زَمنِه؟ والله أعلم.

وأمّا تَسميتُه بالخضِرِ ففيه قولانِ:

أحدُهما: أنّه جلَس في فروة بيضاءَ فاخضَرَّت. رواه البُخاريُّ في حديثٍ عن أبي هُريرةَ مرفوعًا(1).

والفروةُ: الأرضُ القحِلة، وقال عبدُ الرّزّاق: الفروةُ البيضاءُ: الحشيشُ اليابِسُ(2).

الثّاني: أنّه كان إذا جلَس اخضَرَّ ما حولَه، قاله عكرمةُ(3).

وقال مجاهدٌ: كان إذا صلَّى اخضرَّ ما حولَهُ(4)، والله أعلَمُ(5).

فَصْلٌ

وأمّا الأسماءُ الدّائرةُ علَى ألسِنةِ كثيرٍ من العبّاد وأهلِ الخيرِ وأكثَرِ العامّة في زمانِنا؛ مثلُ الغوثِ، وأنّ مقامَه بمكّة، والأوتادِ الأربعة، والأقطابِ

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، حديث الخضر مع موسى عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ، حديث (3402).

(2) راجع: النهاية في غريب الحديث؛ لابن الأثير، مادة: (فرا)، (ج7/ 3175).

(3) راجع: تفسير ابن أبي حاتم في تفسيره، (ج7/ 2377). وهو عكرمة، العلامة، الحافظ، المفسر، أبو عبد الله القرشي مولاهم، المدني، البربري الأصل، حدث عن: ابن عباس، وعائشة، وأبي هريرة، وابن عمر... حدث عنه: إبراهيم النخعي، والشعبي، وماتا قبله، وعمرو بن دينار، وخلق كثير من جلة التابعين. قال عكرمة: (طلبت العلم أربعين سنة، وكنت أفتي بالباب، وابن عباس في الدار)، وقال الشعبي: (ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة)، وقال البخاري: (ليس أحد من أصحابنا إلا وهو يحتج بعكرمة)، توفي بالمدينة سنة (104هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج5/ 12-36).

(4) ذكره عنه: الثعلبي في الكشف والبيان (ج6/ 182). والبغوي في معالم التنزيل (ج5/ 188).

(5) راجع: زاد المسير؛ لابن الجوزي (ج5/ 168).

السّبعةِ، والأبدال الأربعينَ، والنُّقباءِ السّبعينَ، والنُّجباءِ الثّلاثمائةِ وبضعة عشرَ -وقد أشرنا إلى ذكر ذلك فيما تقدَّم- فهذه الأسماءُ والأعدادُ ليست موجودةً في كتابِ الله عَزَّوَجَلَّ، ولا هي أيضًا مأثورةً عنِ النّبي ﷺ [42/ ب] لا بإسنادٍ ضعيفٍ، ولا صَحيحٍ، إلّا ما قدَّمتُه لك من حديثِ الأبدال، وقد مضَى ذكرُ الأبدال، ومن أيِّ شيءٍ هو مُشتقٌّ، وذكرنا الخِلافَ في ذلك، فلا حاجة إلى تكرارِه، وما سِوى الأبدالِ مِنَ الأسماءِ فقد سبَقَ الكلامُ علَى بعضِه، وبِكُلِّ حالٍ فلا توجد في كلامِ السّلف علَى هذا التّرتيب معَ أنّ بعضَهم قد خالَف بعضَهم في بعضِ التّرتيبِ والتّعدادِ، وهذا ممّا يزيدُها ضعفًا، فلا تجِدُ هذه الأسماء مأثورةً علَى هذا التّرتيب والمعاني عنِ المشايخِ العارفِينَ، ولا عن أهلِ الطّريقةِ المقبولينَ مِنَ المُتقدِّمينَ، وإنّما توجد علَى هذه الصّورةِ عنِ المُتوسطين مِنَ المشايخِ المعذورينَ المغرورين بالآثارِ في هذا البابِ عنِ المجهولينَ، بل عنِ الكذّابينَ الواضِعينَ قد وضعَها في تصنيفِه؛ إمّا آثِرًا لها عن غيرِه، أو ذاكرًا لها لِمُريديه وأتباعِه، وهذا الجنسُ ونحوه من علمِ الدّين، وقدِ التبسَ عندَ أكثرِ المُتأخِّرين حقُّه بباطلِه.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية: وقد صار كثيرٌ مِنَ النّاس فيما يُذكر؛ مِنَ الغوثِ، والأوتادِ، والأقطابِ، والأبدالِ، والنُّقباءِ، والنُّجباءِ علَى طرَفَي نقيضٍ: قومٌ كذّبوا به كُلِّه لِمَا وجدوا فيه مِنَ الباطلِ، وقومٌ صدَّقوا به كلِّه لِما وجدوا فيه من الحقِّ، وإنّما الفُرقانُ التّصديقُ بالحقِّ، والتّكذيبُ بالباطلِ، وهذا تحقيقُ ما أخبر به النّبيُّ ﷺ من ركوبِ هذه الأُمّة سَنَنَ مَن قبلَها حَذوَ القُذّة بالقُذّة، فإنّ أهلَ الكتابَينِ لبَسوا الحقَّ بالباطل، وهذا هو التّبديلُ والتّحريفُ الّذي وقع في [43/ أ] دينِهم، فتَغيَّرَ دينُهم

بالتّبديلِ تارةً وبالنّسخ أُخرى، وهذا الدّينُ لا يُنسخ أبدًا، ولكن يدخلُ فيه مِنَ التّحريفِ والتّبديل والكذِبِ والكِتمانِ ما يُلبس به الحقُّ بالباطل، ولا بدَّ أن يُقيم الله فيه مَن تقومُ به الحُجّة خلفًا عنِ الرُّسُل، فينفون تحريفَ الغالينَ، وانتحالَ المُبطلينَ، وتأويلَ الجاهلينَ، ليحقَّ الله الحقَّ، ويُبطلَ الباطلَ، فبالكُتُب المُنزَّلة مِنَ السّماءِ والآثارةِ مِنَ العلم المأثورة عن خاتَم الأنبياء يميِّز الله الحقَّ مِنَ الباطِل، ويحكُم بين النّاس فيما اختلَفوا فيه.

وبذلك تبيَّنَ: أنّ هذه الأسماءَ علَى هذا العدَدِ والتّرتيبِ والطّبقاتِ ليسَت حَقًّا في كُلِّ زمانٍ، بل يجبُ القطعُ بأنّ هذا علَى عُمومِه، وإطلاقُه باطِلٌ، فإنّ المُؤمنين يقلّون تارةً، ويكثُرونَ أُخرى، ويقلُّ فيهم السّابقونَ المُقرَّبونَ تارةً، ويكثُرونَ أُخرى، وينتقِلون في الأمكنة ليس من شرطِ أولياءِ الله أهل الإيمانِ والتّقوى، ومَن يدخلُ فيهم مِنَ السّابقينَ المُقرَّبينَ لزومُ مكانٍ واحدٍ في جميع الأزمنة، وقد بعَثَ الله رسولَه بالحقِّ، وآمَنَ معَه بمكّة نفَرٌ قليلٌ كانوا أقَلَّ من سبعة، ثُم أقَلَّ من أربَعينَ، ثُمّ أقَلَّ من ثلاثِمائةٍ، فيُعلم أنّهم لم يكن فيهم هذه الأعدادُ، ومن المُمتنع أن يكون ذلك كان في الكُفّار، ثُمّ هاجرَ هو وأصحابُه إلى المدينةِ.

إلى أن قال: ثُمّ إنّ الإسلامَ انتشرَ في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها، وكان في المُؤمنين في كلِّ وقتٍ من أولياءِ الله المُتّقين، بل مِنَ الصِّدّيقينَ [43/ب] السّابقينَ المقرَّبينَ مَن لا يُحصي عدَدَه إلّا ربُّ العالَمين؛ لا يُحصرونَ بثلاثِمائةٍ، ولا بثلاثةِ آلافٍ، وليسوا محصورينَ بعددٍ، ولا محدودينَ بأمَدٍ، وكلُّ مَن جعَل لهم عددًا محصورًا لازمًا فهو مِنَ المُبطلينَ عمدًا أو خطأً.

فأمّا لفظُ الغوثِ والغياثِ: فلا يستحقُّه إلا الله، فهو غياثُ المُستغيثينَ لا يجوزُ لأحَدٍ الاستغاثةُ بغيرِه لا بملَكٍ مُقرَّبٍ ولا نبيٍّ مُرسلٍ، ومَن زعَم

أنّ أهل الأرضِ يرفعونَ حَوائِجَهم الّتي يطلبون بها كشفَ الضُّرِّ عنهم ونُزول الرّحمة بهم إلى الثّلاثمائةِ، والثّلاثُمائة إلى السّبعين، والسّبعون إلى الأربَعين، والأربعون إلى السّبعة، والسّبعةُ إلى الأربعة، والأربعة إلى الغوثِ؛ فهو كاذِبٌ ضالٌّ مُشركٌ؛ فقد أخبَرَ الله عنِ المُشركين بقولِه: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:67]، وقال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: 62]، وقال: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]، فكيفَ يكونُ المؤمنونَ يرفَعون حوائِجَهم بعده بوسائِطَ مِنَ الحُجّاب، وهو القائلُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186].

وقال النّبي ﷺ لإصحابه لَمّا رَفَعوا أصواتَهم بالتّلبيةِ: «**أيُّها النّاسُ اربَعوا[1] على أنفُسِكُم؛ فإنّكم لا تَدعونَ أصَمَّ ولا غائبًا، وإنّما تَدعونَ سَميعًا قَريبًا، إنّ الّذي تَدعونَه أقرَبُ إلى أحَدِكم من عُنُقِ راحِلَتِه**»[2]، وهذا بابٌ واسِعٌ.

وقد عِلمَ المُسلمون كلُّهم أنّه لم يكن عامّة المُسلمين، ولا مَشايخُهم المعروفونَ يرفَعون إلى الله حَوائِجَهم لا ظاهِرًا ولا باطنًا بهذه الوسائطِ والحُجّابِ، فتَعالى الله عن تشبيهِه بالمخلوقين مِنَ المُلوك وسائرِ ما يقوله الظّالِمون عُلوًّا كبيرًا[3].

---

(1) بفتح الباء أي الزم أمرك وشأنك وانتظر ما تريد ولا تعجل، وقيل كف وارفق. انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض، مادة (ر ب ع)، (ج1/ 279).

(2) متفق عليه: 1- البخاري في صحيحه، باب في القدر، باب لا حول ولا قوة إلا بالله، حديث (6610)، دون زيادة: «إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»، وفيه زيادة: («قال يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمة هي من كنوز الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله»).

2- مسلم في صحيحه، حديث (46-2704) واللفظ له.

(3) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ج11/ 434-439).

فَصْلٌ

وقد ذكرَ غيرُ واحدٍ من أهل العِلم ممَّن ينتَمي إلى الدّين والصّلاح في هذا البابِ أحاديثَ وآثارًا كلُّها ضعيفةٌ أو واهيةٌ، وقد ذكَر غالبها الحافظُ أبو نُعيم[1] في «الحلية»، والحافظُ محمَّدُ بنُ طاهرٍ[2]، وكذلك محمَّدُ بن مانَكٍ[3] في جزء «كرامات الأولياء والصّالحين»، وكذلك أبو عبد الله محمَّدُ بن إبراهيمَ بنِ عبدِ السّلامِ الأنصاريُّ[4] صنّف كتابًا

---

(1) هو أبو نعيم المهراني أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الإمام، الحافظ، الثقة، العلامة، شيخ الإسلام، الأصبهاني، الصوفي، الأحول، سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء، ولد سنة (336هـ)، وكان أبوه من علماء المحدثين والرحالين، فاستجاز له جماعة من كبار المسندين، وعمل معجم شيوخه، وكتاب الحلية، والمستخرج على الصحيحين، وتاريخ أصبهان، وصفة الجنة، وكتاب دلائل النبوة، وكتاب فضائل الصحابة، وكتاب علوم الحديث، وكتاب النفاق. ومصنفاته كثيرة جدا، وكان حافظا مبرزا عالي الإسناد، تفرد في الدنيا بشيء كثير من العوالي، وهاجر إلى لقيه الحفاظ. قال أبو طاهر السلفي: (لم يصنف مثل كتابه «حلية الأولياء»)، وكانوا يقولون: (لما صنف كتاب (الحلية) حمل الكتاب إلى نيسابور حال حياته، فاشتروه بأربع مائة دينار)، مات في العشرين من المحرم سنة (430هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج17/ 453-464).

(2) هو محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي، الإمام، الحافظ، الجوال، الرحال، ذو التصانيف، أبو الفضل بن أبي الحسين بن القيسراني الأثري، الظاهري، الصوفي، ولد ببيت المقدس، في شوال، سنة (408هـ)، قال أبو زكريا يحيى بن منده: (كان ابن طاهر أحد الحفاظ، حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، صدوقا، عالما بالصحيح والسقيم، كثير التصانيف، لازما للأثر)، مات عند قدومه من الحج، في يوم الجمعة، لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول، سنة (507هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج19/ 361-371).

(3) هو محمد بن مانك أبو عبد الله السجستاني، أحد الصوفية الصالحين، سكن أنطاكية، وحكى عن: إبراهيم بن نصر الكرماني، والحسن بن صالح بن الفضل الرازي، حكى عنه: أبو القاسم بكير بن محمد المنذري، وأبو الحسن بن جهضم، وأبو بكر محمد بن إبراهيم بن محمد الهمذانيان. انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر، (ج55/ 217).

(4) هو الشيخ، الإمام، الحافظ، المجود، الرحال، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن=

فـي كرامـات الأوليـاء والـرّدِّ علـى مَـن أنكرهـا، وغـرَّ هـؤلاء فيمـا أورَدوه مِـنَ الكرامـات بالأسـانيدِ وغيرِهـا، فإنّـا لا نُنكـره بـل نُقرُّه ونؤمـن بـأنّ اللـهَ تعالـى يُعطي بعضَ خلقِـه مـا يَشـاء مـن أنـواع التّصرُّفـاتِ مـا هـو مـن مِنَنِ اللـه تعالـى علَى أوليائه(1)، كمـا سـنذكُر ذلـك فـي بابـه مبسـوطًا.

وإنّمـا الـكلامُ فـي هـذه الآثـارِ المُتضمنـة لهـذه الأسـماء الّتـي لـم تـرِد فـي كتـابِ اللـه عَزَّوَجَلَّ، وإنمـا ورَد فـي القـرآن ذكـرُ الأوليـاءِ، والصّالحيـن، والصِّدّيقيـنَ، والشُّـهداءِ، والرِّجـالِ، والمُؤمنينَ، والمُتَّقيـن، والنّاس، وكذلك فـي الصِّحـاح والمسـانيدِ المرويّـة عـنِ النّبيِّ ﷺ لـم أطَّلِـع فيهـا علـى شـيءٍ مـن ذلـك إلّا مـا تقـدَّم مـن ذكـرِ الأبـدالِ فـي «مسـند أحمـدَ»، وربمـا نذكُـر بعـضَ الآثـارِ المرويّـة ليطَّلـعَ عليهـا مَـن عنـده معرفـة، فيعلَـمُ أنّـه لا يقـوم بهـا حجّـة، ولكـن أكثـرَ الآثـارِ الـوارِدةِ عـنِ السّـلفِ فـي الأبـدالِ.

قـال أبـو عبـدِ اللـه محمَّـدُ بـنُ إبراهيـمَ بـنِ عبـدِ السّـلام: أخبَرَنـا أبـو إسـحاقَ

=موسى بن عبد السلام الأنصاري، الأندلسي، الطليطلي، المعروف بابن شق الليل، حج، ولقي بمكة؛ أحمد بن فراس العبقسي، وعبيد الله السقطي، وأبا الحسن بن جهضم، وبمصر أبا محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ، وأبا محمد بن النحاس، وأحمد بن ثرثال، وابن منير الخشاب، وعدة، وبالأندلس الصاحبين أبا إسحاق بن شنظير، وأبا جعفر بن ميمون، فأكثر عنهما، وهو أعلى إسنادا منهما.

قال ابن بشكوال وغيره: (كان ابن شق الليل فقيها، إماما، متكلما، عارفا بمذهب مالك، حافظا متقنا، بصيرا بالرجال والعلل، مليح الخط، جيد المشاركة في الفنون، نحويا، شاعرا مجيدا، لغويا، دينا، فاضلا، كثير التصانيف، حلو العبارة)، وتوفي سنة (455هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج18/ 129-130).

(1) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى، (ج3/ 156): ومن أصول أهل السنة والجماعة: التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات.

إبراهيمُ بنُ محمَّدٍ الأُمويُّ، قال: أملَى علَينا أبو محمَّدٍ عبد الله بنُ إسماعيلَ بنِ حربٍ الدّبّاغُ[1] الحافِظُ من أصلِ كتابه وقُرئ عليه: حَدَّثَكُم أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أحمد بنِ المُفيدِ البغداديُّ الحافظُ[2] بجَرجُرايا[3].

قال: سَمِعتُ الحسنَ بنَ إسماعيلَ الربعيَّ[4] يقول: كنتُ عندَ أبي عبد الله أحمد بنِ حَنبَلٍ، فَقيلَ: يا أبا عبد الله مَنِ الأبدالُ؟ قال: إن لم يكونوا أهلَ الحديثِ الّذينَ يحفَظونَ علَى الأُمّة ما جاءَ عن نَبيِّهم فلا أدري مَن هم[5]؟

---

(1) لعله: عبد الله بن إسماعيل بن حرب، أبو محمد ابن الثور القرطبي، سمع: أحمد بن سعيد بن حزم، ومحمد بن معاوية، وأحمد بن مطرف، وجماعة، وبمصر من أبي العباس أحمد بن الحسن الرازي، وببغداد من أبي علي ابن الصواف، وأمثالهم، وكان يفهم ويدري؛ سمع منه: جماعة، وتوفي في صفر، سنة (380هـ).

انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، (ج8/ 478-479).

(2) هو الشيخ، الإمام، المحدث الضعيف، أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب الجرجرائي المفيد. قال أبو الوليد الباجي: (أبو بكر المفيد، أنكرت عليه أسانيد ادعاها)، وقال المحدث محمد بن أحمد الروياني: (لم أر أحدا أحفظ من المفيد)، ووصفه أبو نعيم الأصبهاني بالحفظ، وارتحل إليه إلى جرجرايا من أعمال العراق. وقال الماليني: (كان المفيد رجلا صالحا)، توفي سنة (378هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج16/ 269-271).

(3) جَرجرايا: بفتح الجيم، وسكون الراء الأولى، بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي.

انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (ج2/ 123).

(4) هو الحسن بن إسماعيل بن الربعي، سمع عبد الرحمن الفهري وغيره وروى عن إمامنا أشياء. انظر: طبقات الحنابلة، (ج1/ 130-131).

(5) راجع: تلبيس إبليس؛ لابن الجوزي (ص: 329). الآداب الشرعية؛ لابن مفلح (ج1/ 279).

قَالَ أحمدُ بنُ أبي الحواريِّ[1]: قَالَ أبو سُليمانَ الدّارانـي[2]: إنّ الأبدالَ لَـم يبلُغـوا مـا بلَغـوا بصَـومٍ ولا صَـلاةٍ؛ ولكِـن بالصِّـدقِ والسّـخاءِ وسـلامةِ الصُّـدورِ، وبذَمِّهـم أنفُسَـهمْ عنـدَ أنفُسِـهم[3].

ثُـمّ قَـالَ أبـو عبـدِ الله: وقَـالَ بعضُهُـم: لا يـزالُ: الصِّدّيقـونَ ثمانـونَ، والأبـدالُ أربعَـونَ، والأوتـادُ سـبعة، والقُطـبُ واحِـدٌ، فـإذا مـاتَ [44/ ب] القُطـبُ جُعِـل مِـنَ الأوتـادِ مكانـه، وجُعـل مِـنَ الأبـدالِ فأُتِـمَّ الأوتـادُ، وجُعـل مـن الصِّدّيقيـن فأُتِّـم بـه الأبـدالُ، وجُعـل مِـنَ العامّـة فأُتِـمَّ بـه الصِّدّيقـون؛ فلم يزالـوا فـي كُلِّ وقـتٍ[4].

---

(1) هـو أحمد بـن أبي الحـواري عبد الله بـن ميمـون الثعلبي، الإمـام، الحافـظ، القـدوة، شـيخ أهـل الشـام، أبـو الحسـن، الثعلبي، الغطفـاني، الدمشـقي، الزاهـد، أحـد الأعـلام، أصلـه مـن الكوفـة. ولـد سـنة (164هـ)، سمع مـن: سـفيان بن عيينـة، والوليد بـن مسـلم، وأبي الحسـن الكسـائي، ووكيـع، وحفص بـن غيـاث، وطبقتهـم. ودخـل دمشـق، فصحـب الشيخ أبـا سـليمان الـداراني مـدة. ثـم أقبـل عـلى العبـادة والتألـه. حـدث عنـه: سـلمة بن شـبيب، وأبـو زرعـة الدمشـقي، وأبـو زرعـة الـرازي، وأبـو داود وابـن ماجـه في (سـننهما)، وأبـو حاتـم، وخلـق كثـير، قـال هارون بـن سـعيد الأيـلي: عـن يحيى بـن معـين، وذكـر أحمد بـن أبي الحـواري، فقـال: (أهـل الشـام بـه يمطـرون)، تـوفي سـنة (246هـ). انظـر: سـير أعـلام النبـلاء للذهبي، (ج12/ 85-94).

(2) هـو أبـو سـليمان الـداراني عبد الرحمن بـن أحمـد، الإمـام، الكبـير، زاهـد العـصر، وروى عـن: سـفيان الثـوري، وأبي الأشـهب العطـاردي، وعبـد الواحد بـن زيـد البـصري، وعلقمـة بـن سـويد، وصالح بـن عبد الجليـل. روى عنـه: تلميـذه؛ أحمد بـن أبي الحـواري، وهاشـم بن خالـد، وحميد بـن هشـام العنـسي. تـوفي سـنة (215، وقيـل: 205هـ) خمس عـشرة ومائتـين. انظـر: سـير أعـلام النبـلاء للذهبـي، (ج10/ 182-186).

(3) انظر: حلية الأولياء؛ لأبي نعيم (ج9/ 274).

(4) لم أقـف عـلى مصدر هـذا النقـل. وإنـما وقفـت عـلى قـول النبهـاني في كتابـه شـواهد الحـق، (ص:101): (والأوتـاد أربعـة، فـإذا مـات القطـب جعـل مكانـه خيـار الأربعـة، وإذا مـات أحـد الأربعـة، جعـل مكانـه خيـار السـبعة، وإذا مـات أحـد السـبعة، جعـل مكانـه خـير الأربعـين، وإذا مـات أحـد الأربعـين، جعـل مكانـه خـير الثلاثمائـة، وإذا مـات خيـار الثلاثمائـة، جعـل مكانـه خيـار الصالحـين...)، ولم يذكـر لهـذا الـكلام سـندًا.

وقال الشّيخ العارفُ إمامُ الطّائفةِ عبدُ القادرِ الجيلاني[1] في «فتوح الغيب»: له ذكرٌ في الإرادةِ، وإنّ العبدَ إذا مات عن إرادته قيل له: رحِمَك الله وأحياك، فحيا حياةً لا موتَ بعدَها، وبقيَ فردَ الفردِ، ووترَ الوترِ، وغيثَ الغيثِ، وسِرَّ السِّرِّ، وحينئذٍ يكونُ وارثَ كُلِّ رسولٍ، وكُلِّ نبيٍّ وصدّيقٍ، به تُختم الولايةُ، وإليه تصدُر الأبدالُ، وبه تُكشف الكُروبُ، وبه تُسقى الغُيوثُ، وبه ينبُتُ الزّرعُ، وبه يُدفع البلايا والمِحنُ عنِ الخاصِّ والعامِّ، فيكونُ شُحنةَ العبادِ والبلادِ، فتهرَع إليه الأرجُلُ بالسّعي والتِّرحالِ في سائرِ الأحوالِ، والألسنُ بالذِّكر الطّيِّب والحمدِ والثّناءِ في سائرِ المحالِ، وذلك بإذنِ خالقِ الأشياءِ، وهو فضلُ الله ذو الامتنانِ[2]. انتهى.

قُلتُ: وهذا الكلام مِنَ الشّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيه مجازَفةٌ، وكُلُّ أحدٍ يُؤخذُ من كلامِه ويُترك إلّا النّبيَّ ﷺ، فإنّه لا يجوزُ أن يُتركَ من قولِه والعملِ به إذا صحَّ، ولا كلمة [واحدة][3].

والشّيخ له كلامٌ حسَنٌ خُصوصًا في التّصوُّف، وقولُه: إنّه وارثُ كُلِّ رَسولٍ وكُلِّ نَبيٍّ وصدّيق، وبه تُختم الولايةُ، فلو جاءَ بعدَه أحَدٌ بهذه المثابةِ، فأيُّ شيءٍ يكونُ حالُه بتغيُّرِ الوسطاءِ؟ وهل تُكشف الكُروبُ بغيرِ الاستغاثةِ بالله ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ ... الآيةَ[4] [النمل: 62]. وقال القاضي الفقيه أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ مانَك[5] في جزء «كراماتِ الأولياء والصّالحين»: قال: حَدَّثَنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ

(1) تقدمت ترجمته.

(2) انظر بنحوه: فتوح الغيب؛ لعبدالقادر الجيلاني، المقالة الرابعة في الموت المعنوي، (ص: 28).

(3) كأنه ضرب عليه في الأصل.

(4) وتمامها: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

(5) تقدمت ترجمته.

عبدِ الحميدِ[1] -بحلبَ سنةَ إحدى عشرَ وثلاثمائةٍ- حَدَّثَنا عليُّ بنُ شُبرمةَ[2]، ثَنا شَرِيكٌ[3]، عن أبي إسحاقَ[4]، عَنِ الحارِثِ الأعورِ[5]،

---

(1) هو الإمام، الثقة، العابد، أبو الحسن علي بن عبد الحميد بن عبد الله بن سليمان الغضائري، محدث حلب، ومسند الشام، وثقه الخطيب، توفي في شوال، سنة (313هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج14/ 432-433).

(2) هو علي بن شبرمة يروي عن شريك قال الأزدي ضعيف. انظر: الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي، (ج2/ 194).

(3) هو شريك بن عبد الله أبو عبد الله النخعي، العلامة، الحافظ، القاضي، أحد الأعلام، على لين ما في حديثه، أدرك شريك: عمر بن عبد العزيز، وسمع: سلمة بن كهيل، ومنصور بن المعتمر، وأبا إسحاق. توقف بعض الأئمة عن الاحتجاج بمفاريده، وليس بالمتين عندهم. قال الدارقطني: (ليس شريك بقوي فيما ينفرد به)، وقال النسائي: (ليس به بأس)، وقال الجوزجاني: (سيئ الحفظ، مضطرب الحديث، مائل)، وكان من كبار الفقهاء، وبينه وبين الإمام أبي حنيفة وقائع، مولده في سنة (95هـ)، ومات سنة (177هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج8/ 200-216).

(4) هو أبو إسحاق السبيعي عمرو بن عبد الله بن علي الهمداني، الكوفي، الحافظ، شيخ الكوفة، وعالمها، ومحدثها، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من العلماء العاملين، ومن جلة التابعين.، قال: ولدت لسنتين بقيتا من خلافة عثمان، ورأيت علي بن أبي طالب يخطب.، وروى عن: معاوية، وعدي بن حاتم، وابن عباس، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ. وكان طلابة للعلم، كبير القدر. وهو ثقة، حجة بلا نزاع، وقد كبر وتغير حفظه تغير السن، ولم يختلط، وغزا الروم في دولة معاوية. قال أبو حاتم: (هو يشبه الزهري في الكثرة). قال الإمام أحمد: (كان أبو إسحاق تزوج امرأة الحارث الأعور، فوقعت إليه كتبه). توفي سنة (127هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج5/ 392-401).

(5) هو العلامة، الإمام، أبو زهير الحارث الأعور بن عبد الله بن كعب بن أسد الهمداني، الكوفي، صاحب علي وابن مسعود. كان فقيها، كثير العلم، على لين في حديثه. حدث عنه: الشعبي، وعطاء بن أبي رباح، وعمرو بن مرة، وأبو إسحاق السبيعي، وغيرهم. وقد جاء أن أبا إسحاق سمع من الحارث أربعة أحاديث، وباقي ذلك مرسل. قال أبو بكر بن أبي داود: (كان الحارث أفقه الناس، وأحسب الناس، تعلم الفرائض من علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ). وقال الإمام النسائي: (ليس به بأس)، وقال أيضا: (ليس بالقوي)، وقال أبو حاتم: (لا يحتج به)، وقال=

قال: سَمِعتُ عليَّ بنَ أبي طالِبٍ -كرَّم الله وجهه- يقول: إنّ البُدَلاءَ بالشّامِ، والنُّجباءَ والعصائِبَ بالعِراقِ، والنُّقباءَ بخُراسانَ، والأوتادَ بسائِرِ الأرضِ، والخضِرُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سيِّدُ القوم[1].

وقال أبو عبدِ الله محمَّدُ بنُ مانَك: حَدَّثَنا أبو إسحاقَ السِّجستانيُّ، حَدَّثَنا عليُّ بنُ خشرم[2]، عن سُفيانَ بنِ عُيينة[3]، قال: إنّ في هذه الأُمّة خُلفاءَ لِسائرِ الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ يسلُكون طُرقَهم إلى يوم يُنفخ في الصّور، ثم تلا: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 90].

وقال أبو عبدِ الله: حَدَّثَنا أحمد بنُ سَعيدٍ الأعرابيُّ بمكّة، حدَّثنا

=أبو حاتم بن حبان: (كان الحارث غاليا في التشيع، واهيا في الحديث)، توفي سنة (65هـ) بالكوفة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج4/ 152-155).

(1) ذكره النبهاني في كتابه شواهد الحق، (ص:101)، عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، بدون سند.

(2) هو علي بن خشرم بن عبد الرحمن المروزي، الإمام، الحافظ، الصدوق، أبو الحسن، ابن أخت بشر الحافي. ولد سنة (160هـ)، سمع: عبد العزيز بن محمد الدراوردي، وهشيم بن بشير، وأبا بكر بن عياش، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن وهب، ووكيعا، وطبقتهم. حدث عنه: مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن خزيمة، وأبو بكر بن أبي داود، ومحمد بن يوسف الفربري. وانتهى إليه علو الإسناد بما وراء النهر، وبمرو، وهراة. ومات في رمضان، سنة (257هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج11/ 552-553).

(3) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، مولى محمد بن مزاحم، أخي الضحاك بن مزاحم، الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام، أبو محمد الكوفي، ثم المكي. مولده: بالكوفة، في سنة (107هـ)، وطلب الحديث وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علما جما، وأتقن، وجود، وجمع، وصنف، وعمر دهرا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد، وتفرد بالرواية عن خلق من الكبار، وجاور عنده غير واحد من الحفاظ، ومن كبار أصحابه المكثرين عنه: الحميدي، والشافعي، وابن المديني، وأحمد، وإبراهيم الرمادي، قال الإمام الشافعي: (لولا مالك وسفيان بن عيينة، لذهب علم الحجاز)، توفي سنة (198هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج8/ 454-475).

محمَّدُ بنُ سالِم الخُراسانيُّ، عن أبيه، قال: سَمِعتُ الفُضَيلَ بنَ عياضٍ[1]، يقولُ: ما من نَبيٍّ إلّا ولَه نَظيرٌ في أُمَّتِه[2]. انتَهى.

وذكَرَ أبو عبدِ الله محمَّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ عبدِ السّلام الأنطاكيُّ بسنَدِه عن [محمد بن[3]] أحمدَ بنِ البراء العبديِّ[4]، عن عبد المُنعم بنِ إدريسَ[5]، قال: حَدَّثَني أبي[6]، عن وهبِ بنِ مُنبِّهٍ[7]، قال: قال الله

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) راجع: تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر (ج13/ 394). ورجال السند لم أقف على ترجمتهم.

(3) ليست في الأصل، والمثبت من ترجمة الراوي عن عبد المنعم بن إدريس.

(4) هو محمد بن أحمد بن البراء بن المبارك أبو الحسن العبدي القاضي سمع المعافى بن سليمان، وخلف بن هشام البزار، ومحمد بن حسان السمتي، وعلي ابن المديني، ومحمد بن الصباح، وأحمد بن إبراهيم الدورقي، والفضل بن غانم، وعبد المنعم بن إدريس، وأمثالهم. روى عنه: الحسين بن إسماعيل المحاملي، ومحمد بن مخلد الدوري، وعثمان بن أحمد الدقاق، وأبو جعفر بن بريه الهاشمي، وعبد الباقي بن قانع، في آخرين. وكان ثقة. توفي سنة (291هـ). انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، (ج2/ 104-106).

(5) هو عبد المنعم بن إدريس اليماني، ابن بنت وهب بن منبه. روى عن: أبيه كتاب «المبتدأ»، وادعى أنه سمع من ابن جريح، ومعمر. وحدث ببغداد. روى عنه: أبو بكر بن أبي الدنيا، ومحمد بن أحمد بن البراء، وجماعة.

قال أحمد بن حنبل: (يكذب على وهب)، وقال البخاري: (ذاهب الحديث)، مات سنة (228هـ). انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، (ج5/ 626).

(6) هو إدريس بن سنان اليماني، أبو إلياس الصنعاني ابن بنت وهب بن منبه، وهو والد عبد المنعم بن إدريس. روى عن: البختري بن هلال، وأبيه سنان اليماني، وجده وهب بن منبه اليماني. روى عنه: أبو حذيفة، إسحاق بن بشر البخاري، والحكم بن أبان العدني، وابنه عبد المنعم بن إدريس. قال يحيى بن معين: (يكتب من حديثه الرقاق)، وقال أبو أحمد بن عدي: (ليس له كبير رواية، وأحاديثه معدودة، وأرجو أنه من الضعفاء الذين يكتب حديثهم)، روى له ابن ماجه في «التفسير». انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج2/ 298-299).

(7) هو وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار؛ وهو الأسوار، الإمام، العلامة،=

عَزَّوَجَلَّ لِموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنّه لم يزَل في الأرض أبدالٌ أُقيمُ بهم الأرضَ، ولولا الأبدالُ لدَمَّرتُ الدُّنيا وأهلها؛ هم أصفيائي من خلقي، وأوليائي من خيرَتي، بهم تقومُ الدُّنيا، كلَّما ماتَ منهم رجُلٌ أبدلتُ مكانه مثلَه»[1].

ورَأيتُ في كلام شيخِ الإسلام ابنِ تيميةَ أنّهم اختلفوا هل [45/أ] البُدلاءُ بالشّام خاصّة أم هم بالشّام وغيرِها؟ فطائِفةٌ قالت هذا، وطائِفةٌ قالت هذا[2]. وقد رَوى الحافظُ أبو نُعيم[3] في كتاب «الحلية» بسنده أنّه كان بالصُّفّة غُلامٌ للمُغيرة بن شُعبةَ، وأنَّ النّبيَّ ﷺ قال: «**هَذا واحِدٌ مِنَ السّبعة**»[4].

قال الشّيخُ: وهذا الحديثُ كذِبٌ باتّفاقِ أهل العِلم بالحديثِ[5].

=الأخباري، القصصي، أبو عبد الله الأبناوي، اليماني، الذماري، الصنعاني. مولده في زمن عثمان، سنة (34هـ)، ورحل، وحج. وأخذ عن: ابن عباس، وأبي سعيد، والنعمان بن بشير، وجابر، وابن عمر. حدث عنه: ولداه؛ عبد الله وعبد الرحمن، وعمرو بن دينار، وسماك بن الفضل، وابن أخيه؛ عقيل بن معقل، وابن أخيه؛ عبد الصمد بن معقل، وسبطه؛ إدريس بن سنان، وخلق سواهم. وروايته (للمسند) قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب. قال أحمد: (كان من أبناء فارس، له شرف)، قال العجلي: (تابعي، ثقة، كان على قضاء صنعاء)، وقال أبو زرعة، والنسائي: (ثقة)، مات سنة (110هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج4/ 544-557).

(1) ذكرها من غير سند؛ الحسين بن يحيى الزندويستي الحنفي في كتابه «روضة العلماء ونزهة الفضلاء»، ط دار الكتب العلمية، (ص:381)، بزيادة: «وهم أربعون رجلًا».

(2) قال شيخ الإسلام ابن تيمية، في مجموع الفتاوى، (ج11/ 441):... فكيف يعتقد مع هذا أن الأبدال جميعهم الذين هم أفضل الخلق كانوا في أهل الشام؟! هذا باطل قطعًا.

(3) تقدمت ترجمته.

(4) لم أقف عليه في كتاب الحلية لأبي نعيم المطبوع.

(5) راجع بنحوه: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط دار الفضيلة، (ص:69)، وذكر الحديث وعزاه لأبي نعيم في الحلية، ولعل المصنف تبعه في ذلك، أو أن الحديث ساقط من المطبوع، والله أعلم.

ثُمّ قال: وكذلك كُلُّ حديثٍ يُروى عن النّبيِّ ﷺ في عددِ الأولياءِ والأبدالِ والنُّقباءِ والنُّجباءِ والأوتادِ والأقطابِ؛ مثلُ ثلاثةٍ أو أربعةٍ أو سبعةٍ أو اثني عشرَ أو أربعينَ أو سبعينَ أو ثلاثمائةٍ وثلاثةَ عشرَ أو القُطبِ الواحدِ أو الغوث الواحد، فليس في ذلك شيءٌ صَحيحٌ عن النّبي ﷺ، ولم ينطقِ السّلفُ بشيءٍ من هذه الألفاظِ إلّا بلفظِ الأبدالِ(1).

وقد تقدم هذا كلُّه من كلام الشّيخ وغيره.

[45/ ب] فإن قيلَ: قد نُقِل عن جماعةٍ ممَّن ينتمي إلى الطّريقِ أنّ جبَلَ لِبنانَ فيه أربعون رَجُلًا هُمُ الأبدالُ أو رِجالُ الغيبِ، وأنّ بعضَهم يسمَع ببعضِ العُبّادِ والصّالحينَ فيه.

يُقال: إنّه لم يُرو فيه عنِ النّبيِّ ﷺ ولا عنِ أصحابه ولا عنِ التّابعينَ لهم بإحسانٍ شيءٌ من ذلك، وإنّما أصلُ هذا كان ثغرًا يُرابطُ فيه كأمثالِه من ثُغورِ الإسلام، فيقصدُه المُسلمون وعبّادُهم لِجهاد العدوِّ، ولَمّا كانوا المسلمون قد فتَحوا الشّام كلَّه، فكانت غزّة(2)، وعسقلانُ(3)، وعكّة(4)،

---

(1) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (ج11/ 167).

(2) غَزّة: بفتح أوله، وتشديد ثانيه وفتحه، مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر، وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان، وفيها مات هاشم بن عبد مناف جد رسول الله ﷺ، وبها قبره. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (ج4/ 202).

(3) عَسقلان: بفتح أوله، وسكون ثانيه ثم قاف، وآخره نون، وهو اسم اعجمي فيما علمت، وقد ذكر بعضهم أن العسقلان أعلى الرأس، فان كانت عربية فمعناه أنها في أعلى الشام: وهي مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ويقال لها عروس الشام، وقد نزلها جماعة من الصحابة والتابعين وحدث بها خلق كثير، وقد افتتحها أولا معاوية بن أبي سفيان في خلافة عمر بن الخطاب، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (ج4/ 122).

(4) عَكّة: بفتح أوله، وتشديد ثانيه، العكة الرملة حميت عليها الشمس، بلد على ساحل بحر الشام من عمل الأردن، وفتحت عكة في حدود سنة 15هـ على يد عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان، وكان لمعاوية في فتحها وفتح السواحل أثر جميل. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (ج4/ 143-144).

وبيروتُ[1]، وجبَلُ لِبنانَ[2]، وطَرابلسُ، ومصيصةُ[3] (سيس)، وطَرسوسُ، وأُذنة، وجبَلُ اللُّكام، وملطيّة[4]، وغير ذلك، فكانت هذه الأماكنُ

---

(1) بَيروت: بالفتح ثم السكون، وضم الراء، وسكون الواو، والتاء فوقها نقطتان: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تعد من أعمال دمشق، وقد خرج منها خلق كثير من أهل العلم والرواية. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (ج1/ 525).

(2) قال ابن جبير في رحلته، ط دار صادر، ذكر مدينة حلب حرسها الله تعالى، (ص 229): جبل لبنان وهو سامي الارتفاع ممتد الطول يتصل من البحر إلى البحر. قال ابن شداد في الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، الباب الثاني في ذكر ما بنواحي دمشق من الجبال: جبل لبنان: ومن جبالها لبنان وهو جبل معمور بالأبدال والسياح والمنقطعين إلى الله تعالى عن الخلق لما فيه من الأشجار، والأنهار وفيه سائر الحشائش ومنها يرتزق الصالحون.

(3) طَرابُلُسُ: بفتح أوله، وبعد الألف باء موحدة مضمومة، ولام أيضا مضمومة، وسين مهملة، ويقال أطرابلس، وهي على شاطئ البحر، وغزا عمرو بن العاص طرابلس سنة 23 فملكها عنوة واستولى على ما فيها.

انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (ج4/ 25).

المصّيصة: بالفتح ثم الكسر، والتشديد، وياء ساكنة، وصاد أخرى، كذا ضبطه الأزهري وغيره من اللغويين بتشديد الصاد الأولى هذا لفظه، وتفرّد الجوهري وخالد الفارابي بأن قالا المصيصة، بتخفيف الصادين، والأول أصح، وهي مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس، وكانت من مشهور ثغور الإسلام قد رابط بها الصالحون قديما.

انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (ج5/ 144-145).

(4) سيسية: وعامة أهلها يقولون: سيس: بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية، وطرسوس، على عين زربة. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (ج3/ 297).

طَرَسوسُ: بفتح أوله وثانيه، وسينين مهملتين بينهما واو ساكنة، بوزن قربوس، كلمة عجمية رومية، ولا يجوز سكون الراء إلا في ضرورة الشعر لأن فعلول ليس من أبنيتهم، وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، وما زالت موطنا للصالحين والزهّاد يقصدونها لأنها من ثغور المسلمين.

انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (ج4/ 28). =

ثُغورًا كما كانتِ الأسكندريّة[1] ونحوها ثغورًا، وكان الصّالحون يتنابون الثُّغورَ لأجلِ المُرابطةِ في سبيل الله، فإنّ المقامَ بالثّغر لأجلِ الجهادِ في سبيلِ الله أفضلُ مِنَ المُجاورةِ بمكّة والمدينة.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية: لا أعلَم في ذلك خِلافًا بينَ العُلماء يعني: أنّ الرِّباطَ أفضلُ مِنَ المُجاورةِ لِما ورَد فيه، ولأنّ الرِّباطَ من جنسِ الجهادِ في سبيلِ الله، والمُجاورةَ من جنسِ النُّسك، وجنسُ الجِهادِ أفضَلُ من جنسِ النُّسكِ بكتابِ الله وسُنّة رسولِه وإجماع المسلمين، ولَو نُسب جبَلُ لبنانَ ثغرًا للمُسلمين هو مِنَ الصِّفاتِ العارضةِ له لا المُلازمةِ بمنزلة: هذه دار إسلام أو دار كُفر أو دار حربٍ أو دار إيمانٍ، فذلك يختلِف باختلافِ

= أذِنة: بفتح أوله، وكسر الذال، ونون، بوزن خَشِنة، بلد من الثغور قرب المَصّيصة مشهور، خرج منه جماعة من أهل العلم، وسكنه آخرون، بنيت سنة إحدى أو اثنتين وأربعين ومائة.

انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (ج1/ 132-133).

اللُّكّامُ: بالضم، وتشديد الكاف، ويروى بتخفيفها، وهو الجبل المشرف على أنطاكية وبلاد ابن ليون والمَصّيصة وطرسوس وتلك الثغور. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (ج5/ 22).

مَلَطية: بفتح أوله وثانيه، وسكون الطاء، وتخفيف الياء، والعامّة تقوله بتشديد الياء وكسر الطاء، هي من بناء الإسكندر وجامعها من بناء الصحابة: بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام وهي للمسلمين، قال خليفة بن خيّاط: في سنة 140 وجّه أبو جعفر المنصور عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لبناء ملطية فأقام عليها سنة حتى بناها وأسكنها الناس وغزا الصائفة.

انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (ج5/ 192-193).

(1) الإسكندرية: بنى الإسكندر ثلاث عشرة مدينة، وسماها كلها باسمه، وليس فيها ما يعرف الآن بهذا الاسم إلا الإسكندرية العظمى بمصر، وفتحت سنة عشرين من الهجرة في أيام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على يد عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (ج1/ 182-189).

سكانِها، بخلافِ المساجدِ الثّلاثِ، فإنّ حرمتَها صِفةٌ لازمةٌ لها(1).

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية: جبلُ لبنانَ ليس فيه مِنَ الفضيلةِ شيءٌ، صارَ طوائفُ ممَّن يُؤثر التّخلي عنِ النّاس زُهدًا ونُسكًا يحسبُ أنّ فضلَ هذا الجبَلِ ونحوه لِما فيه من الخلوةِ عنِ النّاسِ وأكلِ المُباحاتِ مِنَ الثِّمار الّتي فيه، فيقصدونَه لأجلِ ذلك غلَطًا منهم وخطأً، فإن سُكنى الجبالِ والبوادي ليسَ مشروعًا للمُسلمينَ إلّا عندَ الفِتنةِ في الأمصارِ(2). وذكر كلامًا كثيرًا في هذا الموضع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال في موضعٍ آخر: وأمّا اعتقادُ بعضِ الجُهّال أنّ به الأربعينَ الأبدال، فهذا جهلٌ وضلالٌ ما اجتمع به الأبدالُ الأربعونَ قطُّ، ولا هذا مشروعٌ لهم، ولا فائدةَ في ذلك(3).

قُلتُ: ويُحتملُ أنّ الأبدالَ وإن كانوا بالشّام إنّما أتوا [...] فيه على [...] انحازوا إلى فئةِ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من غير أن [...] معاويةَ(4).

فَصْلٌ

هَل يصِحُّ أن يكونَ مِنَ الأبدالِ أو مِنَ الأولياءِ والصُّلحاءِ ونحوِهم مَن يكونَ مجنونًا أو مَن لا يصِحُّ إيمانُه ولا عباداتُه، وإن قُدِّر أنّه لا إثمَ عليه؛ مثل أطفالِ الكُفّار، ومَن لم تبلغه الدّعوةُ ونحوهم؛ فالعبدُ لا يكون وليًّا لله ولا صالحًا ولا من الأبدالِ الصُّلحاءِ إلّا إذا كان مؤمنًا تقيًّا؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ [46/أ] ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:62-63].

---

(1) انظر بنحوه: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (ج27/ 51-52).

(2) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (ج27/ 50-56).

(3) المرجع السابق، (ج27/ 57).

(4) فيه عدد من الكلمات غير الواضحة.

وفي «صحيح البُخاري» الحديثُ المشهورُ الإلهي، وفيه يقول الله تعالى: «وَلا يَزالُ عبدي يَتَقرَّبُ إلَيَّ بالنّوافِلِ حتّى أُحِبَّه»(1) ولا يكون مؤمنًا تقيًا حتَّى يتقرَّب إليه بالفرائض، فيكونُ مِنَ الأبرارِ أهل اليمين، ثُمّ بعد ذلك لا يزال يتقرَّب إليه بالنّوافل حتى يكونَ مِنَ السّابقين المقرَّبين.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ: فمعلومٌ أنّ أحَدًا مِنَ الكُفّار والمُنافقين لا يكون وليًّا لله، و[كذلك](2) مَن لا يصِحُّ إيمانُه وعِباداتُه، وإن قُدِّر أنّه لا إثم عليه كأولادِ المُشركين ونحوِهم، وإن قيل: إنّهم لا يُعذَّبون حتى يرسلَ إليهم رسولًا، فلا يكونون من أولياء الله، إلّا إذا كانوا مِنَ المُؤمنين المُتَّقين، فمَن لم يتقرَّب إلى الله لا بفعلِ الحسناتِ ولا بتركِ السّيِّئاتِ، لم يكن من أوليائِه(3). انتَهى كلامُه.

وبعضُ الجهلة من أهل عصرِنا يعتَقِد في المجانينِ والمولهين(4) ممّن يلعبُ بالنّجاسةِ، ويدهِنُ ثيابَه وبدنَه بها أنّه مِنَ الأبدالِ أو مِنَ الصّالحينَ، وقد ثبَتَ في «السُّنن الأربعةِ» أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «رُفِعَ القلَمُ عَنِ المجنونِ

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب التواضع، حديث (6502)، وتمام الحديث: «إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته».

(2) ليست في الأصل، والمثبت من المصدر الآتي.

(3) انظر: الفرقان؛ لابن تيمية (ص:47).

(4) (وله) الواو واللام والهاء: أصل صحيح يدل على اضطراب شيء أو ذهابه [يقال: رجل] واله، وامرأة واله، وواهة... والموله: الذي وَلِهَ عقله. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج6/ 140).

حتّى يَفيقَ، وعَنِ الصّبيِّ حتّى يَحتَلِمَ، وعَنِ النّائِم حتّى يَستَيقِظَ»[1]، وهو من حديثِ عليٍّ وعائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، واتّفقتِ الأُمّةَ علَى تلَقّيه بالقبول.

فإذا كان الصّبيُّ المُميِّز[2] الّذي تصحُّ عباداتُه، ويُثاب عليها عندَ جُمهور العُلماءِ [46/ ب] لا يصلحُ أن يكونَ في هذه الحالة وليًّا، فكيف

---

(1) رواه: 1 - أبو داود في سننه، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدًا، حديث (4398) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وحديث (4401) و(4402) و(4403) عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال أبو داود: رواه ابن جريج عن القاسم بن يزيد عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ؛ زاد فيه: «والخرف».

2 - الترمذي في سننه، أبواب الحدود عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد، حديث (1495) عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال أبو عيسى الترمذي: وفي الباب عن عائشة. وقال: حديث علي حديث حسن، غريب من هذا الوجه. وقد روي من غير وجه عن علي، عن النبي ﷺ، وذكر بعضهم: «وعن الغلام حتى يحتلم»، ولا نعرف للحسن سماعا من علي بن أبي طالب.

وقد روي هذا الحديث، عن عطاء بن السائب، عن أبي ظبيان، عن علي، عن النبي ﷺ... نحو هذا الحديث. ورواه الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس، عن علي، موقوفا ولم يرفعه. والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم. قد كان الحسن في زمان علي وقد أدركه، ولكنا لا نعرف له سماعا منه. وأبو ظبيان اسمه: حصين بن جندب.

3 - النسائي في سننه، كتاب الطلاق، باب من لا يقع طلاقه من الأزواج، حديث (3432) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

4 - ابن ماجه في سننه، كتاب الطلاق، باب طلاق المعتوه والصغير والنائم، حديث (2041) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وحديث (2042) عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(2) الصغير: هو الصبي الذي لم يفهم البيع والشراء، ولم يفرق الربح والغبن، ويقال للذي يميز ذلك: صبي مميز. انظر: التعريفات الفقهية لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي، (ص: 128).

قال المرداوي في الإنصاف، ط الشيخ علي، (ج1/ 396): (وقال ابن أبي الفتح في المطلع: هو الذي يفهم الخطاب ويرد الجواب، ولا ينضبط بسن، بل يختلف باختلاف الأفهام. وقاله الطوفي في مختصره في الأصول. قلت: وهو الصواب، والاشتقاق يدل عليه).

بالمجنونِ الّذي رُفع عنه القلَمُ، ولا يصِحُّ شيءٌ من عباداته باتِّفاقِ العُلماء، ولا يصِحُّ منه إيمانٌ ولا كفرٌ ولا صَلاةٌ ولا غير ذلك من العِباداتِ؛ بل لا يصِحُّ عندَ عامّة العُقلاءِ لِأُمورِ الدّنيا كالتِّجارةِ والصِّناعة، فلا يصِحُّ أن يكون بزّازًا[1] ولا عطّارًا ولا حدّادًا ولا نجّارًا، ولا تصِحُّ عقودُه باتِّفاق العُقلاء، فلا يصِحُّ بيعُه ولا شراؤه ولا نِكاحُه ولا طلاقُه ولا إقرارُه ولا شهادتُه، بل أقوالُه كلُّها لغوٌ، فلا يتعلَّق بها حكمٌ شرعيٌّ ولا ثوابٌ ولا عِقابٌ، بخلافِ الصّبي المُميِّز فإنّ له أقوالًا معتبرةً في مواضِعَ نصَّ عليها الشّارعُ.

والمقصودُ: أنّ المجنونَ إذا كان لا يصِحُّ منه الإيمانُ والتّقوى ولا التّقرُّبُ إلى الله بالفرائضِ ولا بالنّوافل امتنع أن يكونَ وليًّا لله، فلا يجوزُ لأحَدٍ أن يعتقِدَ في مجنونٍ من المجانينِ أنّه وليٌّ لله، ولا سيّما تكون حجَّتُه على ذلك إمّا مكاشفة سمِعَها منه، وإمّا نوع تصرُّفٍ؛ مثل أن يراه قد أشارَ إلى أحدٍ فمات أو صُرع، فإنّه قد عُلم أنّ الكُفّار والمُنافقين مِنَ المُشركين وأهل الكتاب مِنَ الرُّهبان ونحوِهم لهم مُكاشفاتٌ وتصرُّفاتٌ شيطانيّة كالكُهّانِ والسّحرة، فلا يجوزُ لأحدٍ أن يستدلَّ بمجرَّد ذلك على كونِ الشّخص وليًّا لله، وإن لم يُعلم منه ما يُناقض الله [47/ أ]، فكيف إذا عُلم منه ما يُناقض ولايته كما سنذكر بعد إن شاء الله.

فمَن احتجَّ بما يصدُر عن أحَدِهم من خرقِ عادةٍ علَى ولايتِهم كان أضلَّ من حِمارِ أهله، فإنّ المجنونَ كونه مجنونًا يُناقض أن يصِحَّ منه الإيمانُ والعباداتُ الّتي هيَ شرطٌ في ولايةِ الله، ومَن كان يُجَنُّ أحيانًا

---

(1) بز: الباء والزاء أصل واحد، وهو الهيئة من لباس أو سلاح. يقال: هو بزاز يبيع البز. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج1/ 180).

ويُفيق أحيانًا إذا كان في حالِ إفاقتِه مُؤمنًا بالله ورسولِه يُؤدّي الفرائضَ ويجتَنِبُ المحارمَ؛ فهذا إذا جُنّ لم يكن جنونُه مانعًا من أن يثيبَه الله علَى إيمانِه وتقواه الّذي أتَى به في حال إفاقتِه، ويكونُ له من ولايةِ الله بحسب ذلك، وكذلك مَن طرَأ عليه الجنون بعدَ إيمانِه وتقواه، فإنّ الله يُثيبه علَى ما تقدم من إيمانِه وتقواه. فَإن قيلَ: وقد رأيتُهم يروونَ حديثًا لم أرَه ولم أطّلع علَى إسنادِه أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «**اطّلَعتُ على الجنّة فَرَأيتُ عامّة مَن يَدخُلُها الفُقراءُ البُله**»[1] فسألت بعضَ مشايخِنا، قال: يكونُ أبلهًا في أحوالِ الدّنيا حاذقًا في أحوال الآخِرة.

فَصْلٌ

قال أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ مانَك[2]: كنتُ في مركبٍ في البحرِ من يافا[3]، ومعي رفيقٌ لي، فلمّا سارَ المركبُ هدَأ الرّيحُ، فطَلَبوا مرسًى، فقرّبوا المركبَ مِنَ السّاحِلِ، وكان إلى جنبي شابٌّ حسَنُ الوجه، فخرَج مِنَ المركبِ إلى ساحِلٍ، فصعدَ إلى شطِّ البحرِ، فدخَلَ بينَ أشجارٍ هُناك ثُمّ رجَعَ، فدَخل [47/ ب] في المركب، فلمّا أن غابَتِ الشّمسُ قال لي ولِصاحبي: إنّي ميّتٌ السّاعةَ ولي إليكما حاجةٌ. قلنا: ما هي؟

قال: إذا مِتُّ فكَفِّنوني بما في هذه الرّزمةِ، وهذه الثّيابِ الّذي علَيَّ، ومخلاتي، إذا دخلتم مدينةَ صور[4] فأوّل مَن يلقاكم فيقول: هاتوا الأمانةَ؛

(1) لم أقف على مصدر هذه الزيادة: «البله».

(2) تقدمت ترجمته.

(3) يافا: بالفاء، والقصر: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكّا. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (ج5/ 426).

(4) صورُ: بضم أوّله، وسكون ثانيه، وآخره راء، وهو في اللغة القرن، وهي مدينة مشهورة سكنها خلق من الزهاد والعلماء، وكان من أهلها جماعة من الأئمة، كانت من ثغور المسلمين،=

فادفَعوها إليه، فلمّا أن صلَّينا المغرِبَ حرَّكنا الرَّجُل فإذا هو قد ماتَ، فحملناه إلى الشّطِّ، وأخذنا في غُسلِه، وفتحتُ الرُّزمة فإذا ثَوبين أخضَرين مكتوبَين[1] عليهما بالذّهب، وثوب أبيضُ فيه صُرّة فيها شيءٌ كأنّه الكافورُ ورائحتُه رائحةُ المِسك، [فغسَّلناهُ][2] وكفَّنّاه في ذلك الكفنِ، وحنّطناه بما كان في الصُّرّة مِنَ الطّيب، وصلَّينا عليه ودفنّاه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فلمّا صِرنا إلى صور استقبلنا غلامٌ أمردُ حسنُ الوجه عليه ثوبٌ شربٌ[3]، وعلَى رأسِه منديلٌ دبيقي[4]، فسَلَّم علينا، وقال: هاتوا الأمانةَ. فقُلنا لَه: نعَم! ولكنّك تدخُلُ معَنا إلى هذا المسجدِ نسألك عن مسألةٍ، قال: نعَم! فدخلَ معنا إلى المسجدِ، فقُلنا لَه: أخبرنا مَنِ الميّتُ؟ ومَن أنت؟ ومن أينَ كان له ذلك الكفنُ؟ فقال: أمّا الميّتُ فكان من البُدلاءِ مِنَ الأربعينَ وأنا بَديلُه، وأمّا الكفنُ فإنّه جاءَ به الخضِرُ [48/ أ] عَلَيهِ ٱلسَّلَامُ، وعرَّفه أنّه ميّتٌ، ثُمّ لبسَ الثّياب الّتي كانت معَنا ودفَع إلينا الكسوةَ الّتي كانت عليه، وقال: بيعوها أو تصَدَّقوا بثَمَنِها إن لم تحتاجوا إليها، فأخذناها ودخلنا إلى مدينة صور، فدفعنا السّراويلَ إلى المنادي يبيعُه، فلم نشعُر إلّا والمُنادي قد جاءَنا ومعَه جماعةٌ، فأخَذونا وحَملونا إلى دارٍ كبيرةٍ، وإذا فيه جماعةٌ، وإذا شيخٌ يبكي وصُراخُ النِّساء في الدار.

=وهي مشرفة على بحر الشام داخلة في البحر مثل الكف على الساعد يحيط بها البحر من جميع جوانبها إلّا الرابع الذي منه شروع بابها، افتتحها المسلمون في أيام عمر بن الخطّاب، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (ج3/ 433).

(1) كذا في الأصل، والجادة: فإذا ثوبان أخضران مكتوبان، كما في تاريخ دمشق (55/ 218).

(2) في الأصل: فغسلنا، والمثبت هو الصواب، كما في تاريخ دمشق.

(3) أشرب اللون: أشبعه. انظر: القاموس المحيط، مادة: (ش ر ب).

(4) الدبيقي: نسبة إلى بلد يجلب بها الثياب الدبيقية. انظر: القاموس المحيط (د ب ق).

فلمّا صِرنا إلى الشّيخ [سألناه][1] عنِ السّراويل والتّكةِ، فحدَّثناه الحديث فخرَّ لله ساجدًا، ثُمّ رفَع رأسَه، وقال: الحمدُ لله الّذي أخرجَ من صُلبي مثلَه، ثُمّ صاحَ بأُمّه، وقال لنا: حدِّثوها الحديثَ، فحَدَّثناها، فقال لها الشّيخ: احمدي اللهَ الّذي رزقَكِ مثلَه.

فلمّا كان بعدَ سنين كنتُ واقفًا بعرَفات، فإذا أنا بشابٍّ حسن الوجه عليه مطرفةُ خزٍّ، فسلَّم علَيَّ، وقال لي: تعرِفُني؟ فقُلت: لا، قال: أنا صاحِبُ الأمانةِ الصّوري، ثُمّ ودَّعَني، وقال: لولا أنّ أصحابي ينتَظِروني لأقمتُ معَك، فمَضَى وتركَني، فإذا أنا بشيخٍ خلفي من أهل المغرِبِ كُنت أعرِفُه يحجُّ كُلَّ سنة، فقال لي: من أينَ تعرِف هذا الشّابَّ؟ فقلُت: هذا يُقال: إنّه مِنَ الأربعينَ، فقال لي: هو اليوم من العشرةِ، وبه يُغاث العِبادُ[2]. انتهَى ما ذكرَه. وهي في كتابِ «كرامات الأولياء».

وحكى الحافظُ الذّهبيُّ في «تاريخه» عن جماعةٍ مِنَ الصّالحين أنّهم قالوا: أقامَ الشّيخُ أبو عُمرَ قُطبًا ستَّ سِنين، وتكرَّر هذا من طُرقٍ[3].

ويُؤيِّده الحديثُ الّذي رواه الإمام أحمدُ في «المُسند» وقد تقدَّم،

---

(1) في الأصل: سألنا، والمثبت هو الصواب، كما في تاريخ دمشق.

(2) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر، (ج55/ 217-219).

(3) انظر: تاريخ الإسلام؛ للذهبي، (ج13/ 178). وترجم له الذهبي فقال: محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر، الإمام القدوة الزاهد أبو عمر المقدسي الجماعيلي، مولده في سنة (528هـ) بجماعيل، قال الضياء: (كان لا يكاد يسمع دعاء إلا حفظه ودعا به، ولا يسمع ذكر صلاة إلا صلاها، ولا يسمع حديثًا إلا عمل به، وكان لا يترك قيام الليل من وقت سبوبيته)، ومات وهو عاقد على أصابعه، يعني يسبح، وكان يحفظ الخرقي ويكتبه من حفظه، وكان قد جمع الله له معرفة الفقه والفرائض والنحو والزهد والعمل وقضاء حوائج الناس، وكان مسارعًا إلى الخروج في الغزوات قل ما يتخلف عن غزاة، توفي عشية الاثنين من الثامن والعشرين من ربيع الأول، سنة (607هـ).

ولكنَّ الشَّيخَ ضعَّفَه، كما تقدَّم ذكرُه، فالله تعالى أعلَم بصحَّتِها، وسيأتي في أواخر الكتاب ما هو أتمُّ من هذا وأبينُ، والله أعلم.

الباب الرابع

في أدب الفقراء في فقرهم

قال الله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: 273]؛ أي: من حُسن سَمتهم وأدبهم وطريقهم كأنّهم أغنياء[1]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: 6]، قال ابنُ عبّاسٍ وغيرُه: علّموهم وأدّبوهُم[2]، فالأدَبُ: اجتماعُ خِصالِ الخيرِ في العبدِ.

واعلَم: أنّ للفُقراءِ آدابًا في ظاهِرهم وباطِنهم ومُخالطتِهم وقيامهم وقُعودِهم وجميعِ أفعالِهم ينبَغي مُراعاتُها.

فأمّا أدبُ باطنِ الفقيرِ؛ فأن لا يكونَ فيه كراهيةٌ لِما ابتُلي به من الفقرِ، بل هو صابِرٌ علَى شِدّة العيش والضّنك يُعطي الصّبرَ حقَّه.

قال أبو عليٍّ الدّقّاقُ[3] رَحِمَهُ اللَّهُ: الفقيرُ يصِلُ بطاعة الله إلى الجنّة،

---

(1) قال الطبري في تفسيره، (ج5/ 26): يعني بذلك: يحسبهم الجاهل بأمرهم وحالهم أغنياء من تعففهم عن المسألة، وتركهم التعرض لما في أيدي الناس؛ صبرًا منهم على البأساء والضراء.

(2) رواه الإمام الطبري في تفسيره، (ج23/ 103-104): عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأما ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقد قال: اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، ومروا أهليكم بالذكر، ينجيكم الله من النار.

(3) هو الحسن بن علي بن محمد، الأستاذ أبو علي الدقاق الزاهد النيسابوري، شيخ الصوفية، وشيخ أبي القاسم القشيري، لسان وقته وإمام عصره بعلم العربية، وحصل علم الأصول، وخرج إلى مرو فتفقه بها علي الخضري، وأعاد على أبي بكر القفال المروزي، وبرع، ثم أخذ في العمل وسلك طريق التصوف، وصحب أبا القاسم النصراباذي. حكى عنه أبو القاسم القشيري أحوالا وكرامات. توفي في ذي الحجة، سنة (405هـ، وقيل: 406هـ). انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، (ج9/ 104-105).

ويصِل بأدبه في طاعته إلى الله تعالى. وقال ابنُ عطاءٍ[1]: الأدَبُ أن يُصلحَ الله تعالى به سرًّا وعلانيةً[2]. وقال ابنُ حفصٍ[3]: حُسن الأدَبِ في الظّاهرِ عُنوانُ حُسن الأدَبِ في الباطِنِ[4].

وينبَغي للفَقير أن ينقّيَ باطنَه من الغِلّ والغِشّ والحِقدِ والحسَدِ وطلَبِ المنزِلة وحُبِّ الجاه وحُبِّ الحياةِ الدّنيا، وحُبِّ الدّنيا والبُخلِ بها والفرَحِ بها إذا أقبلَت عليه والحزنِ علَيها إذا فاتَته، ويكرَه طولَ الأمَلِ، وأن لَا يُحبَّ أن يُمدحَ بما لا يفعَلُ، وأن ينزِعَ من قلبِه حُبَّ الرِّئاسةِ، والتّعظيمَ والغضبَ لِغيرِ الله، وسخطَ المقدورِ، وقلّةَ الأمنِ مِنَ الرِّزق، وأن لا يُعظِّمَ الأغنياء من أجلِ غِناهُم، ولا يهينُ الفُقراءَ أهلَ خِرقةٍ من أجلِ فقرِهِم، وأن لا يطلُبَ رضا المخلوقين بما يُسخط اللهَ، وأن يكرَه بقلبه المُباهاة والمداهنةَ والنِّفاقَ، وأن يكونَ راضيًا قانعًا فرحًا؛ من جهةِ الله تعالى بما ينالُه من فقرٍ وضيقٍ.

وأن يُنقّيَ باطنَه وظاهِرَه مِنَ الرّياءِ الّذي قد أفسد علَى أكثر أهلِ زَمانِنا أحوالَهم وأقوالهم، [49/ أ] ولا يشكو إلى أحَدٍ مِنَ النّاس حالَه، فيكونُ قد شكا الخالق إلى مخلوقٍ.

---

(1) هو الزاهد، العابد، المتأله، أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي البغدادي. كان له في كل يوم ختمة، وفي رمضان تسعون ختمة، وبقي في ختمة مفردة بضع عشرة سنة يتفهم ويتدبر. توفي سنة (309هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج14/ 255-256).

(2) وفي الرسالة القشيرية، الباب الرابع والأربعون الأدب، (ص:473)، زيادة توضح المعنى: ...فقيل: وما معناه؟ قال: أن تعامل الله تعالى بالأدب سرا وعلنا فإذا كنت كذلك كنت أديبا وإن كنت أعجميا.

(3) تقدمت ترجمته.

(4) راجع: مدارج السالكين؛ لابن القيم، ت الفقي، (ج2/ 376).

وقال عبدُ الله بنُ المُبارك[1]: مَن تَهاونَ بالأدَبِ عوقب بحرمانِ السُّننِ، ومَن تَهاونَ بالسُّنن عوقب بحرمانِ الفرائض، ومَن تَهاوَن بالفرائض عوقب بحرمان المعرفةِ[2].

وقيلَ: الأدَبُ في العملِ علامةُ قبول العمل.

وحَقيقةُ الآدابِ: استِعمالُ الخُلُق الجميل، ولهذا كان الأدَبُ استخراج ما في الطّبيعة مِنَ الكمال مِنَ القوّة إلى الفِعل.

فإنّ الله سبحانه تعالى هيّأ في العبدِ قوّة لِقَبول الكمالِ واستِعدادًا لأهليّة ذلك، فمَن أراد به خيرًا ألهمَه ومكّنه وعرّفه وأرشَدَه، ورَقّاه إلى درَجاتِ الكمالِ، ومَن لم يُرد به خَيرًا حكَم عليه بالشّقاوة وألهمَه الفُجورَ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: 7-8] وهذه الآيةُ حال هذينِ العبدَين، فاختَر لِنفسِك؛ أيُّ القِسمَين أحَبّ إليكَ.

فَصْلٌ

ومن أدبِ الفقير مُلازمةُ الذِّكر، فيُكثر مِنَ الشُّكر والحمدِ علَى فقرِه، ويكونُ كما ورَدَ عن بعضِ السّلف، قال: رأيتُ نعمةَ الله تعالى علَيَّ فيما يصرِفُه عنّي أكبر ممّا أُعطيتُه، فإنّ الّذي صرَفه عنّي افتتن به أقوامٌ[3] فحمِدتُ اللهَ على ذلك.

ورَوى التِّرمذيُّ وحسَّنه أنّ رجُلًا قال: يا رسولَ الله! إنّ شَرائعَ الإسلام قد كثُرَت علَيَّ، فأخبرني بشيءٍ أتَشبَّثُ به، قال: «لا يَزالُ لِسانُكَ رَطبًا

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) راجع: مدارج السالكين؛ لابن القيم، (ج2/ 381).

(3) في الأصل: أقوامًا، والمثبت هو الجادة.

من ذِكرِ الله»[1]. وقال مالِكُ بنُ دينارٍ[2]: ما تلَذَّذَ المُتلذِّذونَ بمثلِ ذكرِ اللهِ[3]. نقَل القرطُبيُّ في «تفسيره» عنِ ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنّه قال: لم يُعذر أحَدٌ في تركِ ذكرِ الله إلّا مغلوبٌ علَى عقلِه[4]، [وسيأتي في بابِ الذِّكر ما هو أكثر من هذا][5].

---

(1) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده: - حديث (17680)، (ج29/ 226)؛ من طريق: حسان بن نوح، عن عمرو بن قيس عن عبد الله بن بسر قال: أتى النبي ﷺ أعرابيان، فقال أحدهما: من خير الرجال يا محمد؟ قال النبي ﷺ: «من طال عمره وحسن عمله»، وقال الآخر: إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا، فباب نتمسك به جامع؟ قال: الحديث.

۞ حديث (17698)، (ج29/ 240)؛ من طريق: معاوية بن صالح، عن عمرو بن قيس، قال: سمعت عبد الله بن بسر يقول: جاء أعرابيان إلى رسول الله ﷺ ... الحديث.

2- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الذكر، حديث (3659)؛ من طريق: معاوية بن أبي صالح، عن عمرو بن قيس، عن عبد الله بن بسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلًا قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله». قال أبو عيسى: هذا حديث حسنٌ، غريب من هذا الوجه.

3- ابن ماجة في سننه، أبواب الأدب، باب فضل الذكر، حديث (3793)، بنفس طريق ولفظ الترمذي.

۞ قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم، (ج2/ 518-522): كلما قويت المعرفة، صار الذكر يجري على لسان الذاكر من غير كلفة...قلوب المحبين لا تطمئن إلا بذكره، وأرواح المشتاقين لا تسكن إلا برؤيته...فإذا قوي حال المحب ومعرفته، لم يشغله عن الذكر بالقلب واللسان شاغل، فهو بين الخلق بجسمه، وقلبه معلق بالمحل الأعلى.

(2) تقدمت ترجمته.

(3) انظر: شعب الإيمان؛ للبيهقي (ج2/ 181).

(4) انظر: تفسير القرطبي، ط الأوقاف، (ج17/ 167). - وانظر: النكت والعيون؛ للماوردي (ج1/ 526). تفسير ابن عطية، ط الأوقاف، (ج8/ 25).

(5) ما بين المعكوفين من هامش المخطوط، وهو غير واضح، وهذه قراءة اجتهادية.

فَصْلٌ

وكلَّما كان الفقيرُ أعظمَ اتِّباعًا لِكتاب الله الّذي أنزَلَه، ولِنبيِّه الّذي أرسَلَه؛ كان أعظمَ أدبًا، فإنّ الله سبحانه بعَثَ مُحمَّدًا بالهُدَى ودينِ الحقِّ؛ ليُخرجَ النّاسَ مِنَ الظُّلماتِ إلى النّور، وهو ﷺ قال: «**أدَّبَني رَبّي فَأحسَنَ تَأديبي**»[1].

---

(1) الحديث رواه عبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر، ورجل من بني سليم.

1 - أمّا حديث ابن مسعود: فأخرجه السمعاني في أدب الإملاء والاستملاء (ج1/ 87-88) من طريق سفيان الثوري، عن الأعمش، قال: قال عبد الله فذكره بلفظ: «إن الله أدبني، فأحسن أدبي، ثم أمرني بمكارم الأخلاق، فقال: «خذ العفو وأمر بالعرف» -الآية-». قال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص: 73): بسند منقطع، فيه من لم أعرفه.

2 - وأمّا حديث علي بن أبي طالب: أخرجه: - العسكري في الأمثال، كما في موسوعة الحافظ ابن حجر الحديثية، سلسلة إصدارات الحكمة (ج3/ 399).

۞ سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان كما في كشف الخفاء؛ للعجلوني (ج1/ 70) من طريق السدي عن أبي عمارة عن علي بن أبي طالب به. قال ابن حجر كما في الموسوعة الحديثية، (ج3/ 399): سنده غريب، وقد سئل عنه بعض الأئمة فأنكروا وجوده. اهـ. وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص: 73): سنده ضعيف جدًّا، وإن اقتصر شيخنا على الحكم عليه بالغرابة. ا. هـ.

3 - عبد الله بن عمر: أخرجه أبو نعيم في ذكر أخبار أصبهان (ج1/ 117) من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر به نحوه. وفي سنده أحمد بن يحيى بن الحجاج حدث بمناكير، وهذا منها كما نص عليه أبو نعيم.

4 - رجل من بني سليم: أخرجه السرقسطي في دلائل النبوة، كما في المقاصد الحسنة؛ للسخاوي (ص: 73) من طريق الزهري عنه، ولفظه: «أدبني ربي ونشأت في بني سعد». =

وقال أبو هُريرةَ: «علَّمَنا رَسولُ الله ﷺ كُلَّ شَيءٍ حتَّى الخِراءَةَ»(1).

ففَرَّق الله بمُحمَّدٍ ﷺ بينَ الحقِّ والباطِلِ، والهُدَى والضَّلالِ، والرَّشادِ والغيِّ، والصِّدقِ والكذِبِ، والعِلمِ والجهلِ، والمعروفِ والمُنكرِ، وطريقِ أولياءِ [49/ ب] الله السُّعداءِ وأعداءِ الله الأشقياءِ، وفصَّل الاختلافَ بينَ النّاس، وكذلك النّبيّون قبلَه، قال الله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ

= الحكم على الحديث: الحديث وإن تعددت مخارجه فكلها ضعيفة وممن صرح بذلك:

1 - ابن تيمية في مجموع الفتاوى (ج18/ 375) قال: المعنى صحيح، لكن لا يعرف له إسناد ثابت.

2 - السخاوي في المقاصد الحسنة (ص:74) قال: وبالجملة فهو كما قال ابن تيمية لا يعرف له إسناد ثابت.

3 - الفتني في تذكرة الموضوعات، (ج1/ 87)، قال: سنده ضعيف ولا يعرف له إسناد ضعيف ثابت.

4 - الزركشي في اللآلئ المنثورة (ص:160) قال: معناه صحيح، لكن لم يأت من طريق صحيح.

۞ قال سبط ابن الجوزي، كما في كشف الخفاء؛ للعجلوني (ج1/ 70): وقد تكلم على الحديث الأصمعي، وأبو عمرو بن العلاء، والأزهري، وصححه أبو الفضل بن ناصر وجعله من معجزات نبينا ﷺ. ا. هـ.

(1) رواه: مسلم في صحيحه، حديث (57-262)، (...عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قيل له: قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة، قال: فقال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو نستنجي باليمين، أو نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم).

۞ خرأ: الخراءة بالكسر والمد: التخلي والقعود للحاجة. قال الخطابي: وأكثر الرواة يفتحون الخاء. وقال الجوهري: (إنها الخراءة بالفتح والمد. يقال خرئ خراءة، مثل كره كراهة). ويحتمل أن يكون بالفتح المصدر، وبالكسر الاسم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، (ج3/ 1134).

ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ ... الآية(1) [البقرة: 213].

وقد أخبرَ المسيحُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ والحواريّون أنّ مُحمَّدًا ﷺ يُبعث بقضيب الأدب(2)، وبالبيّنات والتّأويلِ، فإذا تأدّبَ الفقيرُ بالشّرع، وعلِم أنّ اللهَ سبحانه بكرمِه وإحسانِه وجودِه وامتنانِه قد أنارَ السُّبلَ إليه، وأقامَ الدّلالاتِ الواضحةَ عليه في كلماتِه الكونيّاتِ وكلماتِه الشّرعيّاتِ، فقال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ ﴾ [فصلت: 53] فهذا آثارُ كلماتِه الكونيّاتِ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: 1] وهذه إشارةٌ إلى كلماتِه الشّرعيّاتِ.

فلمّا ظهرَت أنوارُ هذه الكلماتِ الشّرعيّاتِ والكونيّاتِ في قلوبِ الصّادقينَ أدّبوا أنفُسَهم بها، ونهضَت هِمَمُهم بالإرادةِ لِسُلوكِ طريقِ ربِّ العالَمينَ، فأدّتهُمُ الإرادةُ إلى رفضِ العلائقِ وهُجرانِ الخلائقِ للوصولِ إلى الحقائقِ، فقَبِلهمُ المولى الكريمُ بفضلِه، ففَتَحَ لهم الطّريقَ، وآواهم في كنَفِه بينَ يدَيه، وقرّبَهم منه زلفَى، وجمَع لهم بينَ سعادةِ الأولى والأخرَى، فكانت ولادتُهم مُنيرةً، وبداياتُهم صحيحةً، وأصولُهم مُستقيمةً، [50/أ] وقصودُهم غيرَ مَشوبةٍ، دخلوا في الطّريقةِ من أبوابِ التّوبةِ النّصوحِ، فحكموا علَى أنفُسهم التّقوى بعدَ أن علِموا ما يتّقون.

---

(1) وتتمتها: ﴿لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾.

(2) وهو السّيف. راجع: - مجموع الفتاوى؛ لابن تيمية (ج28/ 615). - الحكم الجديرة بالإذاعة؛ لابن رجب (ص:4).

فَصْلٌ

وينبغي مِنَ الأدَبِ في زمانِنا هذا أن يطلبَ الانفراد والخلوة بعدَ التّفقّه في الدّين والمُداومةِ على صلاةِ الجماعات، وهذه المسألةُ مفروضةٌ.

هلِ الأفضَلُ لأربابِ السُّلوكِ أو للفَقيرِ السّالِك أو لِغيرِهم مِنَ النّاسِ العُزلةُ عنِ النّاسِ أوِ الاختِلاطُ بهم؟

ففيها قولانِ مشهورانِ؛ فمِنَ العُلماء مَن رجَّحَ هذا، ومنهم مَن رجَّحَ هذا، ولا بُدَّ للعبدِ من أوقاتٍ ينفَرِد فيها بنفسِه في دُعائِه وذكرِه وصلاةِ نافلَتِه وتفكُّرِه ومُحاسبةِ نفسِه وإصلاحِ قلبه، وما يختصُّ به مِنَ الأمور الّتي لا يشركُه فيها غيرُه، فهذا يحتاجُ إلى الانفرادِ بنفسِه؛ إمّا في بيتِه كما قال طاوسٌ[1]: نِعمَ صومعةُ الرّجُلِ بيتُه يكفُّ فيها بصرَه ولِسانَهُ[2].

---

(1) هو طاووس بن كيسان، الفقيه القدوة عالم اليمن، أبو عبد الرحمن الفارسي، ثم اليمني الجندي الحافظ، كان من أبناء الفرس الذين جهزهم كسرى لأخذ اليمن له، سمع من: زيد بن ثابت، وعائشة، وأبي هريرة، ولازم ابن عباس مدة؛ وهو معدود من كبراء أصحابه. روى عنه: عطاء، ومجاهد، وجماعة من أقرانه، وابن شهاب، وخلق سواهم، وهو حجة باتفاق. قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إني لأظن طاووسًا من أهل الجنة)، قال ابن حبان: (كان من عباد أهل اليمن، ومن سادت التابعين، مستجاب الدعوة، حج أربعين حجة)، توفي سنة (106هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج5/ 38-49).

(2) ذكره شيخ الإسلام عن طاووس، انظر: مجموع الفتاوى، (ج10/ 405). ورواه: وكيع في الزهد، حديث (251)، (ج2/ 516)، وتمامه:... وإياك والسوق فإنها تلغي وتلهي. وأحمد في الزهد، حديث (721)، (ص:111). وابن أبي شيبة في المصنف، حديث (34595)، (ج7/ 112).

۞ جميعًا عن: وكيع، عن سفيان، عن ثور بن يزيد، عن سليم بن عامر، عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وإمّا في غيرِ بيتِه، وقد حكَى بعضُ أصحابِ شيخ الإسلام أنّه كان في بدء أمرِه يخرجُ أحيانًا إلى الصّحراءِ، ويخلو عنِ النّاس، وينفَرِد بنفسِه، فتَبِعَه في بعضِ الأيّام شخصٌ وهو لا يعلَم به، فبَقِي يتنفَّس الصُّعداءَ، ثمَّ جعَل يتَمثَّلُ، ويقولُ [من الطويل]:

وَأخرُجُ من بَينِ البُيوتِ لَعَلَّني أُحَدِّثُ عنك النّفسَ بالسِّرِّ خاليا(1)

وما ذاكَ -والله أعلَمُ- إلّا لِقوّة الوارِد عليه. وحكَى الحافِظُ الذّهبيُّ في «تاريخِه» عن عبدِ الله بنِ [أبي](2) الحسَنِ الجُبّائي(3)، قال: كنتُ أسمَع كتابَ «الحِلية» عندَ الحافظِ ابنِ ناصرٍ(4)، فرَقَّ قلبي، وقلتُ في

---

(1) البيت لمجنون العامري في العزلة؛ للخطّابي، ط دار ابن كثير (ص:118). ومدارج السالكين؛ لابن القيم، (ج3/ 60).

۞ بلا نسبة في إحياء علوم الدين؛ للغزالي، (ج2/ 228). وبدائع الفوائد؛ لابن القيم، (ج3/ 1186).

(2) ليست في الأصل، والمثبت من تاريخ الإسلام، وترجمته في ذيل طبقات الحنابلة.

(3) هو عبد الله بن أبي الحسن بن أبي الفرج الجبائي الطرابلسي الشامي، الفقيه الزاهد أبو محمد، نزيل أصبهان، ولد سنة (521هـ) تقريبا، وهو من «جبة» طرابلس، وسبي من طرابلس صغيرا، فقرأ القرآن في حلقة الحنابلة - يعني بجامع دمشق - فحفظه، وحفظ شيئا من عبادات المذهب الحنبلي، ثم اشتراه ابن نجية وأعتقه، ولقي الحافظ أبا العلاء الهمداني، فأقام عنده، وقرأ عليه القرآن، وسمع الحديث، واشتهر بالخير والعلم، وسافر إلى بغداد، ثم إلى أصبهان. فسمع ببغداد من ابن ناصر، وابن الطلاية وسعيد بن البنا، وغيرهم، وسمع بإصبهان من أبي الخير الباغباني، ومسعود الثقفي، وغيرهما، وتفقه ببغداد على أبي حكيم النهرواني، وأخذ عنه القطعة التي كتبها من شرح الهداية، وصحب الشيخ عبد القادر الجيلي مدة، مائلا إلى التزهد والصلاح والخير والانقطاع، وانتفع به، وكان يحكي عنه كثيرا من أحواله وكراماته، توفي سنة (605هـ) بأصبهان. انظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب، (ج3/ 88-94).

(4) هو الإمام، المحدث، الحافظ، مفيد العراق، أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر السلامي، البغدادي، مولده في سنة (467هـ)، وربي يتيما في كفالة جده لأمه الفقيه أبي حكيم الخبري، ثم طلب، وقرأ ما لا يوصف كثرة، وحصل الأصول، وجمع وألف، وبعد صيته، ولم يبرع في الرجال والعلل، وكان فصيحا، مليح القراءة، قوي العربية، بارعا في اللغة،=

نفسي: أشتَهي أن أنقطعَ عنِ الخلقِ، وأشتغِلَ بالعِبادةِ، فمضَيتُ فصلَّيتُ خلفَ الشّيخِ عبدِ القادر[1]، فلمّا صلَّى جلسنا، فنَظَر إلَيَّ، وقال: إذا أردتَ الانقطاعَ، فلا تنقَطِع حتَّى تتفقَّهَ، وتُجالِسَ الشُّيوخَ وتتأدَّبَ، وإلّا فتنقَطِعُ وأنت فُرَيخٌ ما رَيَّشتَ[2]. انتهى.

فانظُر -رحِمَكَ اللهُ- إلى هذا الكلامِ ما أجمعَه، يُريد أنّه لا ينفرِدُ للعبادةِ علَى جهلٍ، وانظُر إلى حُسنِ المُكاشفة ما ألطفَها. وقال شيخ الإسلام ابن تيميةَ أيضًا -وقد سُئِل عن هذه المسألة فقال-: هذه المسألةُ، وإن كانَ النّاس يتنازَعون فيها إمّا نزاعًا عمليًّا، وإمّا حاليًّا؛ فحقيقةُ الأمر أنّ الخُلطةَ تارة تكونُ واجبةً أو مُستحبّة، والعزلةُ تارةً تكونُ واجبةً أو مستحبّة، والشّخصُ الواحِدُ قد يكونُ مأمورًا بالمُخالطةِ تارّة، وبالانفِراد أُخرى، وجِماعُ ذلك أنّ المُخالطةَ إن كان فيها تعاونٌ علَى البرِّ والتّقوَى، فهو مأمورٌ بها، وإن كان فيها تعاونٌ علَى الإثمِ والعُدوان، فهو منهيٌّ عنها.

والاختِلاطُ [50/ ب] بالمُسلمين في جنسِ العبادات؛ كالصّلوات الخمسِ، والجمُعة، والعيدَينِ، وصلاةِ الكُسوف، والاستِسقاء، ونحوِ ذلك، هو ممّا أمَرَ الله به ورسولُه، وكذلك الاختلاطُ بهم في الحجِّ، وفي غزو الكفّار والخوارجِ المارِقين وإن كان أئِمّة ذلك فُجّارًا وإن كان في تلكَ الجماعاتِ فُجّارٌ، وكذلك الاجتماعُ الّذي يزدادُ العبدُ به إيمانًا

=جم الفضائل، تفرد بإجازات عالية، قال أبو طاهر السلفي: (سمع ابن ناصر معنا كثيرا، وهو شافعي أشعري، ثم انتقل إلى مذهب أحمد في الأصول والفروع، ومات عليه، وله جودة حفظ وإتقان، وحسن معرفة، وهو ثبت إمام)، توفي سنة (550هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج20/ 265-271).

(1) تقدمت ترجمته.

(2) انظر: تاريخ الإسلام؛ للذهبي، (ج12/ 260).

إمّا لانتِفاعه به، وإمّا لنفعِه لَه، ونحو ذلك، ولا بُدَّ للعبدِ من أوقاتٍ ينفرد بها بنفسِه.

ثُم قال بعد ذلك: فاختيارُ المُخالطة مُطلقًا خطأٌ، واختيارُ الانفرادِ مُطلقًا خطأٌ. وأمّا مِقدارُ ما يحتاجُ إليه كُلُّ إنسانٍ من هذا وهذا، وما هو الأصلَحُ له في كُلِّ حالٍ؛ فهذا يحتاجُ إلى نظرٍ خاصٍّ كما تقدَّم[1]. انتَهى كلامُه.

رُوِّينا في جزء ابنِ البنّاء[2] قال: كان يقول يحيى بنُ مُعاذٍ الرّازيُّ[3]: إلهي أدعوكَ بلِسانِ نعمِك، فأجِبني بلِسانِ كرَمِك، إلهي إذا شهِدَ لي الإيمانُ بتوحيدِك، ونطَقَ لِساني بتحميدِك، ودَلّني القُرآنُ علَى فواضلِ جودِك، ويشفَعُ لي محمَّدٌ خيرُ عبيدِك، فكيفَ لا يبتَهِجُ رَجائي بحُسن موعودِكَ.

وكان يحيى كثيرًا يطلُبُ الخلوةَ والتّفرُّدَ مِنَ النّاس، فدخَل عليه أخوه ذاتَ يوم، فقال له: يا أخي! كم تترُك من النّاس؟ إن كنتَ مِنَ النّاس فلا بُدَّ مِنَ النّاسِ، فقال يحيى: إن كنتُ مِنَ النّاس، فلا بُدَّ من الله، ثُمّ أنشأ يحيى يقولُ [من الرجز]:

دَعوا -بِالله- تَعذالي فَما أن تَفهَموا حالي
دعوني واخرجوا عني رِجالَ القيلِ والقالِ
فَيا شَوقي إلى شَخصٍ إلى الرّحمَنِ مَيّالِ
وَفي سِرٍّ من الأسرارِ خَطّاطٍ ورَحّالِ

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى؛ لشيخ الإسلام (ج10/ 425-426).

(2) تقدمت ترجمته.

(3) هو يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي الواعظ، تكلم في علم الرجاء وأحسن الكلام فيه، توفي سنة (258هـ). انظر: طبقات الصوفية للسلمي، ت أحمد الشرباص (ص:35-36).

وروينا فيه أيضًا، قال: أنشَدَ إبراهيمُ بنُ عبدِ الملِكِ [من السريع]:

مَن حَمِدَ النّاسَ ولَم يَبلُهُم ثُمّ بَلاهم ذَمَّ مَن يَحمَدُ
وَصارَ بالوحدة مُستَأنِسًا يوحِشُه الأقرَبُ والأبعَدُ

ثُمّ قال: وأنشد الحُسينُ بنُ عبدِ الرّحمَنِ [من الرمل]:

طِب عَنِ الأُمّة نَفسًا وارضَ بالوحدة أُنسًا
ما رَأينا أحَدًا يَسوَى على الخِبرة فِلسا

ثُمّ قال: وأنشدَ أبو بكرِ بنُ مُسلِم [من الطويل]:

تَوَحَّش مِنَ الإخوانِ لا تَبغِ مُؤنِسًا وَلا تَتَّخِذ خِلًّا ولا تَبغِ صاحِبًا
وَكُن سامِريَّ الفِعلِ من نَسلِ آدَمٍ وَكن أوحَديًّا ما حَييتَ مُجانِبًا
فَقد فَسَدَ الإخوانُ والحُبُّ والهوَى فَلَستَ تَرَى إلّا صَدوقًا وكاذِبًا
فَوالله لَولا أن يُقال مُدَهدَهٌ[1] وَتُنكَرَ أحوالي لَقد صِرتُ راهِبًا[2]

قيلَ لِداودَ الطّائي رَحِمَهُ اللهُ عَلَيهِ[3]: لِمَ لا تُجالِسُ النّاس؟ فقال: اللهم غفرًا، إمّا صغيرًا لا يوقِّرُكَ، أو كبيرًا يُحصي عليكَ عُيوبَكَ، وكان إذا سلَّمَ الإمامُ خرَجَ مُسرِعًا كأنّه رجُلٌ هارِبٌ حتّى يدخُلَ بيتَهُ[4]، ثُمّ يقولُ [من الوافر]:

---

(1) دهده: دهدهت الحجارة ودهديتها إذا دحرجتها فتدهده الحجر وتدهدى، والدهدهه: قذفك الحجارة من أعلى إلى أسفل دحرجة. انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة: (دهده)، (ج13/ 489).

(2) انظر: الرسالة المغنية في السكوت ولزوم البيوت؛ لابن البناء الحنبلي (ص: 46-47).

(3) هو داود الطائي أبو سليمان بن نصير، الإمام، الفقيه، القدوة، الزاهد، الطائي، الكوفي، أحد الأولياء، ولد: بعد المائة بسنوات، وكان من كبار أئمة الفقه والرأي، برع في العلم بأبي حنيفة، ثم أقبل على شأنه، ولزم الصمت، وآثر الخمول، وفر بدينه، وكان الثوري يعظمه، ويقول: (أبصر داود أمره)، وقال ابن المبارك: (هل الأمر إلا ما كان عليه داود)، توفي سنة (162هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج7/ 422-425).

(4) انظر: الزهد الكبير؛ للبيهقي، ط الأوقاف، فصل في العزلة والخمول، (ص: 174-175)، رقم (167).

أَنِسْتُ بِوَحْدَتِي وَلَزِمْتُ بَيْتِي ... فَطَابَ العَيْشُ لِي وَنَمَا السُّرُورُ
وَأَدَّبَنِي الزَّمَانُ فَلَيْتَ أَنِّي ... هُجِرْتُ فَلا أُزَارُ وَلا أَزُورُ
وَلَسْتُ بِسَائِلٍ مَا صَحَّ عَقْلِي ... أَسَارَ الجُنْدُ أَمْ رَكِبَ الأَمِيرُ(1)

وحُكي عن داود الطّائيِّ أيضًا أنّه كان يُجالِس أبا حَنيفةَ، فقال له أبو حَنيفةَ: يا أبا سُليمانَ! أمّا الأداة فقد أحكمناها، فقال داودُ: وأيُّ شيءٍ بقيَ؟ قال: بقيَ العمَلُ به، قال داودُ: تُنازِعُني نفسي إلى العُزلةِ، فقلتُ لها: حتّى تجلِسي معَهم فلا تُجيبي في مسألةٍ، فكان يُجالِسُهم سنةً، قال: فكانتِ المسألةُ تجيءُ أنا أشدُّ شهوةً للجوابِ فيها إلى العطشانِ(2) مِنَ الماءِ، فلا أُجيبُ فيها، ثُمّ اعتزلتُ بعدَ ذلك. ذكرَه في «الحلية»(3).

قال الشّيخُ الإمامُ العارِفُ عمادُ الدّين الواسِطيُّ(4): وعلَيهم [51/ أ] أن يتأدّبوا بآدابِ الشّرعِ جليلِه ودَقيقِه حسبَ الإمكانِ، كما أُمِروا(5). انتهى كلامُه.

---

(1) البيت بلا نسبة في العزلة؛ للخطّابي (ص:231). ولصالح بن عبد القدّوس في مرآة الزمان؛ لسبط ابن الجوزي (12/ 364). - ولعلي بن يعقوب في مرآة الزمان أيضًا (17/ 361).

(2) في الحلية: فيها من العطشان.

(3) انظر: حلية الأولياء؛ لأبي نعيم (ج7/ 341- 342).

(4) هو أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن شيخنا القدوة العارف عماد الدين ابن شيخ الحزامية، ولد سنة (657هـ)، تفقه وشارك في الفضائل وصحب الكبار، وكان يقتات من النسخ، وله أحوال ومقامات، وكان داعية إلى السنة ومتابعة الآثار، وله تواليف نافعة في السلوك، توفي سنة (711هـ) بالمارستان الصغير، ودفناه بسفح قاسيون. انظر: معجم الشيوخ الكبير للذهبي، ط مكتبة الصديق، (ج1/ 29).

(5) انظر: العماديات لابن شيخ الحزامية، ط دار الكتب العلمية، لوائح من قواعد أهل الزيغ والضلال المبطلين ولوائح من قواعد طريق الصادقين، (ص:123)، قال: وعلمت أني مطالب في الآخرة عن عرض أموري كلها جليها ودقيقها، ما ظهر منها على الجوارح، وما كان معتقدًا في القلب، على قواعد السلف وفهمهم في كتاب الله وسنة رسوله.

فَصْلٌ

ومِنَ الآدابِ: حفظُ اللِّسانِ إلّا فيما يَعنيكَ؛ فقد ثبَتَ في «الصَّحيحَينِ» أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «مَن كان يُؤمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ؛ فَليَقُل خَيرًا أو لِيَصمُت»(1).
وفي روايةٍ: «أو لِيَسكُت»(2).

ورَوَى الإمامُ أحمد من حديثِ ابنِ عمرٍو، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن صَمَتَ نَجا»(3).

---

(1) متفق عليه: 1- صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، حديث (6018).

۞ وباب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، حديث (6135)، وحديث (6136)، وحديث (6138).

۞ وفي باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب حفظ اللسان، حديث (6475).

2- صحيح مسلم (74-47) و(14-48).

۞ قال الطيبي في شرح المشكاة، (ج9/ 2865): فمعناه أنه إذا أراد أن يتكلم، فإن كان ما يتكلم به خيرًا محققا يثاب عليه، واجبًا كان أو مندوبًا فليتكلم. وإن لم يظهر له خيره فليمسك عنه سواء ظهر له أنه حرام أو مكروه أو مباح، فعلى هذا يكون الكلام المباح مأمورًا بتركه مندوبًا إلى الإمساك عنه مخافة من الجرارة إلى الحرام.

(2) متفق عليه: 1- صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخرة فلا يؤذ جاره، حديث (6019).

۞ وباب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب حفظ اللسان، حديث (6476).

2- صحيح مسلم (75و76-47) و(77-48).

(3) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (6481)، (ج11/ 19)، وحديث (6654)، (ج11/ 235). =

ورُوِّينا في جزءِ «السُّكوت ولُزوم البُيوتِ» لأبي الحسن بنِ أحمدَ بنِ البنّاءِ، عن عيسى بنِ عُقبةَ[1]، قال: قال عبدُ الله: والله الّذي لا إله إلّا هو، ما علَى وجه الأرضِ أحوَجُ إلى طولِ سِجنٍ من لِسانٍ[2].

= 2- الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، حديث (2682)، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة.

۞ كلاهما عن: ابن لهيعة، عن يزيد بن عمرو المعافري، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا.

۞ قال الطيبي في شرح المشكاة، (ج10/ 3122-3123): الصمت أبلغ من السكوت؛ لأنه قد يستعمل فيما لا قوة له للنطق وفيما له قوة النطق؛ ولهذا قيل لما لا نطق له «الصامت والمصمت» والسكوت يقال لما له نطق فيترك استعماله.

(1) لعله: حصين بن قبيصة الفزاري الكوفي، روى عن: عبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، والمغيرة بن شعبة. روى عنه: الركين بن الربيع بن عميلة الفزاري، وعبد الملك بن عمير، والقاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود. ذكره أبو حاتم بن حبان في «الثقات»، روى له أبو داود، والنسائي، وابن ماجة، وقيل فيه: حصين بن عقبة أيضًا. انظر: تهذيب الكمال للمزي، ترجمة (1365)، (ج6/ 530).

(2) انظر: الرسالة المغنية في السكوت ولزوم البيوت؛ لابن البناء، رقم (4)، (ص:25).
ورواه أيضًا:

1- ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الأدب، رقم (26499)، (ج5/ 320).

2- الإمام أحمد في الزهد، رقم (894).

3- هناد بن السري في الزهد، رقم (1095).

4- أبو داود السجستاني في الزهد، رقم (159).

5- ابن أبي الدنيا في الصمت، رقم (16)، و (613).

6- الطبراني في المعجم الكبير، (ج9/ 162)؛ رقم (8744)، و(8745)، و(8746)، و(8747).

۞ قال المنذري في الترغيب والترهيب، ط دار إحياء التراث العربي، كتاب الأدب وغيره، الترغيب في الصمت إلا عن خير والترهيب من كثرة الكلام، (ج3/ 526): رواه الطبراني موقوفا بإسناد صحيح.

ورويـنـا عـن مُعـاذ بـن جبَـل، قـال: قلـتُ: يـا رَسـولَ اللـه! أَنؤاخـذُ بمـا نتكلَّـمُ بـه؟ فقـال: «ثَكلَتـكَ أُمُّكَ يـا ابـنَ جَبَـلٍ، وهـل يَكُـبُّ النّـاسَ فـي النّـارِ علـى مَناخِرِهـم فـي جَهَنّـمَ إلّا حَصائِـدُ ألسِـنَتِهم»(1)؟! وقـال: «المسلِـمُ مَـن سَـلِمَ

---

(1) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده: حديث (22016)، (ج36/ 345)؛ من طريق: عاصم بن أبي النجود، عن أبي وائل، عن معاذ بن جبل، قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير، فقلت: يا نبي الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار. قال: «لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت» ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير؟: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، وصلاة الرجل في جوف الليل» ثم قرأ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: 16]، حتى بلغ: ﴿يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: 17] ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟» فقلت: بلى يا رسول الله. قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد» ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» فقلت له: بلى يا نبي الله. فأخذ بلسانه، فقال: «كف عليك هذا» فقلت: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، -أو قال-: على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم؟».

وحديث (22063)، (ج36/ 383)؛ من طريق: وكيع، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ، عن النبي ﷺ قال: «ثكلتك أمك، وهل يكب الناس على مناخرهم في جهنم إلا حصائد ألسنتهم؟».

وحديث (22068)، (ج36/ 387)؛ من طريق: شعبة، عن الحكم قال: سمعت عروة بن النزال، يحدث عن معاذ بن جبل قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، فلما رأيته خليا. قلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة. قال: «بخ، لقد سألت عن عظيم، وهو يسير على من يسره الله عليه: تقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتلقى الله لا تشرك به شيئا، أولا أدلك على رأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ أما رأس الأمر: فالإسلام، فمن أسلم سلم، وأما عموده: فالصلاة، وأما ذروة سنامه: فالجهاد في سبيل الله، أولا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة، وقيام العبد في جوف الليل يكفر الخطايا، وتلا هذه الآية ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة: 16] أولا أدلك على أملك ذلك لك كله؟» قال: فأقبل نفر، قال: فخشيت أن يشغلوا عني رسول الله ﷺ، -قال شعبة: أو كلمة نحوها-، قال: فقلت: يا رسول الله، قولك أولا أدلك على أملك=

المسلِمونَ مـن لِسـانِه ويَـدِه»(1).

ورويـنـا فـي جـزءِ ابـنِ البـنّـاء عـن جابرِ بـنِ عبـدِ الله، قـال: قال رسـولُ الله ﷺ: «مَـن حَـفِـظَ مـا بين فُقمَيـه ورِجلَيه دَخَـلَ الجنّة»(2).

المُـراد بمـا بيـنَ فُقمَيـه: لِسانُه. وبيـنَ رِجلَيـه: فرجُـه(3). فـإذا حبَـسَ لِسـانَه

=ذلـك لـك كلـه؟ قـال: فأشـار رسـول الله ﷺ بيده إلى لسـانه. قـال: قلـت: يـا رسـول الله، وإنـا لنؤاخـذ بـما نتكلـم بـه؟ قـال: «ثكلتـك أمـك معـاذ، وهـل يكـب النـاس عـلى مناخرهـم إلا حصائـد ألسـنتهم؟».

2- الترمـذي في سننه، أبـواب الإيـمان عـن رسـول الله ﷺ، بـاب مـا جـاء في حرمـة الصـلاة، حديـث (2817). مـن نفـس طريـق ولفـظ الإمـام أحمـد (22016). قـال الترمـذي: هـذا حديـث حسـن صحيـح.

3- ابـن ماجـة في سننه، أبـواب الفتـن، بـاب كـف اللسـان في الفتنـة، حديـث (3973). مـن نفـس طريـق ولفـظ الإمـام أحمـد (22016). انظـر: الرسـالة المغنية، لابـن البنـاء، (ص: 27).

(1) متفـق عليـه: 1- صحيـح البخـاري: - كتـاب كيـف كان الإيـمان، بـاب المسـلم مـن سـلم المسـلمون مـن لسـانه ويـده، حديـث (10)، وبـاب أي الإسـلام أفضـل، حديـث (11). وبـاب مـا جـاء في الرقـاق وأن لا عيـش إلا عيـش الآخـرة، بـاب الانتهـاء عـن المعـاصي، حديـث (6484).

2- صحيح مسلم (65-41)، (66-42).

(2) الرسـالة المغنيـة في السـكوت ولـزوم البيـوت؛ لابـن البنـاء، حديـث (7)، (ص: 29). ورواه أيضًـا: 1- الإمـام أحمـد في مسنده، حديـث (19559)، (ج32/ 330).

2- أبو يعلى الموصلي في مسنده، حديث (7275)، (ج13/ 259).

3- الطبراني في المعجم الكبير، حديث (919)، (ج1/ 311).

4- الحاكم في المستدرك، (8063/ 40)، (ج4/ 399).

۞ قـال المنـذري في الترغيـب والترهيـب، كتـاب الحـدود وغيرهـا، الترهيـب مـن الزنـا سـيما بحليلة الجـار والمغيبـة والترغيـب في حفـظ الفـرج، (ج3/ 283): رواه الطـبراني بإسـناد جيـد. [الفقـمان]: بسـكون القـاف: همـا اللحيـان.

(3) قـال ابـن الأثـير: الفقـم بالضـم والفتـح: اللَّحـي، يريـد مـن حفـظ لسـانه، وفرجـه. انظـر: النهايـة في غريـب الحديـث والأثـر؛ لابـن الأثـير، مـادة (فقـم)، (ج7/ 3228).

فلم يتكلَّم بما يكتبُه عليه صاحِبُ الشِّمال، وأمّا بينَ رِجليه وهو الفرجُ فلم يستعمله فيما لا يحِلُّ له؛ دخلَ الجنّة بحفظِه لِسانه وفرجَه.

ودلَّ هذا الحديثُ علَى أنّ أعظمَ البلاءِ علَى العبدِ في الدّنيا اللِّسانُ والفرجُ، فمَنِ اكتفَى شرَّهُما فقدِ اكتفَى أعظمَ الشّرِّ، ألا ترَى قولَه ﷺ: «**إنّ العبدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلِمةِ ما يُلقي لها بالًا يَهوي بها في النّارِ سَبعينَ خَريفًا**»[1].

قال ابنُ بطّالٍ في «شرح البُخاريِّ»: قد تكونُ الكلِمةُ عندَ سُلطانٍ جائرٍ في حقِّ مسلمٍ، فرُبَّما كانت سَببًا لِهلاكه، وعكس ذلك الكلمة من رضوانِ الله يُريد بها وجهَ الله، يدفعُ بها عن أخيه المسلم أو يفرج بها عنه كربة من كربِ الدُّنيا، فإنّ اللهَ يُفرِّج عنه كربةً من كُربِ يوم القيامةِ، ويرفعُه بها، فالجزاءُ من جنسِ العمَلِ[2].

وقالت **أُمُّ عُتبةَ لِغُلامٍ مُجتهدٍ في العِبادةِ**: ارفُق بنَفسِك يا بُنيَّ، فقال: إنّما أطلُبُ الرِّفقَ لها؛ ويحكَ إنّما هي نفسٌ واحِدةٌ، والعُمر رأسُ مالك، فلا يضيع الوقت تندَم عندَ الحصادِ، فليشهَد نَهارُك بالصّيام، وليلُك بالقيام، والملائكةُ بقلّة الكلامِ، والدّنيا بتركِ الحرام، والسّلامُ علَيكَ.

وذكَرَ ابنُ عقيلٍ[3] أنّه يُستحبُّ ضبطُ الألسِنةِ وحفظُها، والإقلالُ مِنَ

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب حفظ اللسان، حديث (6478) بلفظ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالا، يرفع الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالا، يهوي بها في جهنم».

(2) انظر: شرح ابن بطال على صحيح البخاري (ج10/ 187).

(3) هو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد الغدادي الظفري المقرئ الفقيه الأصولي الواعظ المتكلم أبو الوفاء، أحد الأئمة الأعلام، وشيخ الإسلام، ولد سنة (431هـ)، حفظ القرآن، وقرأ بالروايات، وقرأ الفقه على القاضي أبي يعلى، وعلى أبي محمد التميمي، قال ابن الجوزي: (وأفتى ابن عقيل، ودرس، وناظر الفحول... وجمع علم الفروع والأصول، وصنف=

الكلام إلّا فيما يَعني ولا بُدَّ عنه. ثُمّ قال بعد ذلك: وأفضَلُ مِنَ الصّمتِ إجراءُ الألسِنة بما فيه النّفعُ لِغيرِه والانتِفاع لنفسِه؛ مِثلُ: قِراءةِ القرآن، وتدريسِ العِلم، وذكرِ الله تعالى، والأمرِ بالمعروف، والنّهي عنِ المُنكر، والإصلاحِ بينَ النّاس[1]. انتهى كلامُه.

ورويَنا في جزء ابن البنّاءِ عنِ اللّيثِ بنِ سعدٍ[2] قال: مَرّوا براهب فنادَوه فلَم يُجبهُم، ثُمّ عاوَدوه فنادَوه فلَم يُجبهُم، فقالوا: لِمَ لا تُكلِّمُنا؟ فاطَّلَعَ عليهم، وقال: يا هؤُلاءِ! إنّ لِساني سَبُعٌ، وإنّي أخافُ أن أرسِلَه فيأكُلَني[3].

وأنشَدونا في معناه [51/ ب] [من الكامل]:

احفَظ لِسانَكَ أيُّها الإنسانُ ... لا يَقتُلَنّكَ إنّه ثُعبانُ
كَم في المقابِرِ من قَتيلِ لِسانِهِ ... كانت تَهابُ لِقاءَه الفُرسانُ[4]

=فيها الكتب الكبار)، وكان من أفاضل العالم، وأذكياء بني آدم، مفرط الذكاء، متسع الدائرة في العلوم، وكان خبيرًا بالكلام، مطلعًا على مذاهب المتكلمين، وله في الكلام في السنة والانتصار لها، والرد على المتكلمين شيء كثير، وكانت له يد طولى في الوعظ والمعارف، وله تصانيف كثيرة في أنواع العلم، وأكبر تصانيفه كتاب «الفنون»، توفي (513هـ).

انظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب، (ج1/ 316-362).

(1) انظر: فصول الآداب؛ لابن عقيل، (ص:54).

(2) تقدمت ترجمته.

(3) رواه البيهقي في شعب الإيمان، (ج7/ 89): عن معن بن عيسى قال: قيل لراهبٍ ما لك لا تتكلم؟ قال: لساني سبع، إن أرسلته أكلني.

(4) روى البيهقي بسنده في كتابه «مناقب الشافعي»، ت السيد أحمد صقر، (ج2/ 87): عن المزني، قال: سمعت الشافعي يقول:

كنت باليمن فقرأت على باب صنعاء أو عدن مكتوبا:

احفظ لسانك أيها الإنسانُ ... لا يلدغنّك إنه ثعبانُ
كم في المقابر من قتيلِ لسانه ... قد كان هاب لقاءه الأقرانُ

أنشدَنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ المُظفَّر بن بدرٍ الشّافعيُّ[1]، قال: أنشدَنا أبو النُّعمان عبدُ الأعلى بنُ أحمدَ البجليُّ[2]، قال: أنشدَنا الحُسينُ بنُ أحمدَ بنِ بسطام[3] لأبي نواسٍ[4] [مجزوء الرمل]:

خَلِّ جَنبَيكَ لِرام وامضِ عنه بسَلامٍ
مُت بداءِ الصّمتِ خيرٌ لَكَ من داءِ الكلامِ
رُبَّما استُفتِحَ بالقولِ[5] مَغاليقُ الحِمامِ

(1) هو علي بن المظفر بن بدر أبو الحسن الشافعي الضرير المعروف بابن الخلوقي من أهل البندنيجين سمع بالبصرة عبد الأعلى بن أحمد بن عبد الله بن مالك البجلي والحسين بن محمد بن بكر الوراق وعلي بن وصيف القطان وغيرهم وقرأ بالعسكر على أبي حامد العسكري وروى عنه أبو بكر الخطيب وغيره وتوفي سنة (429هـ). انظر: الوافي بالوفيات للصفدي، (ج22/ 123).

(2) لم أقف على ترجمته إلا أنه من أهل البصرة، وشيخ لابن الخلوقي كما تقدم، وأيضًا شيخ لمحمد بن أحمد بن القاسم أبو منصور الأصبهاني المقرئ كما ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق (ج51/ 101).

(3) هو الحسين بن أحمد بن بسطام أبو علي الزّعفراني الأبلي البصري. حدث عن: إسماعيل بن إبراهيم، وإبراهيم بن سعيد الجوهري، وإبراهيم بن محمد التيمي، وأحمد بن عبدة، وأزهر بن جميل، والحسن بن قزعة، وغيرهم.

وعنه: أبو القاسم الطبراني في «معاجمه»، وجعفر بن الفضل حنزابه، وابن عدي ولم يذكره في «كامله»، وابن حبان في «صحيحه»، وأبو بكر الإسماعيلي في «معجمه»، وسكت عنه، وعمر بن أحمد بن شاهين، وعثمان بن محمد أبو عمر العثماني البصري. أخرج له الضياء. انظر: ارشاد القاصي والداني إلى تراجم شيوخ الطبراني؛ لأبي الطيب المنصوري، ط دار الكيان، (ص: 277).

(4) هو أبو نواس: هو أبو علي الحسن بن هانيء الحكمي، رئيس الشعراء، ولد: بالأهواز، ونشأ بالبصرة، وسمع من: حماد بن سلمة، وطائفة، وتلا على: يعقوب، وأخذ اللغة عن: أبي زيد الأنصاري، وغيره، ومدح الخلفاء والوزراء، ونظمه في الذروة، مات: سنة (195، أو 196هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج9/ 279-281).

(5) في أدب الدنيا والدين للماوردي، (ص: 319): «بالمزح».

رُبَّ قـــول ســـاقَ آجـا ل قـيـــامٍ وفِـــئـــامٍ[1]

وأنشدَنا أيضًا [من المنسرح]:

أنت مِنَ الصّمتِ آمِنُ الزَّلَلِ ... وَمن كَثيرِ الكلامِ في وجَلِ
لا تَقُلِ القولَ ثُمّ تُتبِعُهُ ... يا لَيتَ ما كُنتُ قُلتُ: أَلَمْ[2] أَقُلِ[3]

وأنشَدَنا أيضًا [من الخفيف]:

استُرِ العيَّ ما استَطَعتَ بصَمتٍ ... إنّ في الصّمتِ راحةً لِلصَّموتِ
واجعَلِ الصّمتَ إن عَييتَ جَوابًا ... رُبَّ قول جَوابُه في السُّكوتِ[4]

---

(1) الأبيات نسبها الجاحظ، للحسن بن هانئ في «البيان والتبيين»، كتاب الزهد، (ص: 199)، وتمامها:

خـل جنبيك لـرام ... وامض عنه بسلام
مت بداء الصمت خير ... لك من داء الكلام
إنما السالم من ألـ ... ـجم فاه بلجام
ربما استفتحت بالقو ... ل مغاليق الحمام
رب لفظ ساق آجا ... ل فئام وفئام
فالبس الناس على الصـ ... ـحة منهم والسقام
والمنايا آكلات ... شاربات للأنام
شبت يا هذا وما تتـ ... ـرك أخلاق الغلام

(2) كذا في الأصل، وفي المصادر: لم.

(3) نسبها ابن حبان في روضة العقلاء، ط أروقة، ومكتبة نظام يعقوبي الخاصة، الباب الرابع ما يجب على المرء من الحفظ للسان وتعهده عند الإظهار للبيان، (ص: 157)؛ لمحمد بن عبد الله بن الزنجي البغدادي.

(4) نسبها ابن أبي الدنيا في كتاب «الصمت»، (ص: 300)؛ لأبي جعفر القرشي محمد بن مزيد. ونسبها القاضي الدينوري في المجالسة والجواهر العلم، (ج6/ 310)؛ لمحمد بن موسى. ونسبها ابن حبان في روضة العقلاء، الباب الرابع ما يجب على المرء من الحفظ للسان وتعهده عند الإظهار للبيان، (ص: 162)؛ للكريزي.

وأنشَدَنا أيضًا [من الطويل]:

يَموتُ الفتَى من عَثرة بِلِسانِهِ ... وَليس يَموتُ المرءُ من عَثرة الرِّجلِ[1]

فَعَثرَتُه من فيه تُذهِبُ نَفسَهُ ... وَعَثرَتُه بالرِّجلِ تَبرَى على مَهلِ[2]

---

(1) نسبها للمعتز بالله كل من: - أبو سعيد الأشج في «جزء فيه حديث أبي سعيد الأشج»، (ص:307)؛ فقال: أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن أحمد الصيدلاني قراءة عليه وأنا أسمع قال نا يزداد بن عبد الرحمن قال قال لي الزبير بن بكار صرت إلى أبي عبد الله المعتز بالله أمير المؤمنين وهو أمير فلما أعلم بمكاني خرج مستعجلًا فعثر فأنشأ يقول: -البيت-.

۞ صاحب التذكرة الحمدونية، (ج3/ 162)، فقال: قال الزبير: لما وفدت على المتوكل قال لي: ادخل إلى أبي عبد الله يعني المعتز، فدخلت إليه وهو صبيّ فحدثته وأنشدته، وسألني عن الحجاز وأهله، ثم نهضت لأنصرف فعثرت فسقطت فقال لي المعتز: يا زبير:

كم عثرة لي باللسان عثرتها ... وتفرق من بعد اجتماع

من الشمل يموت الفتى ... ...

البيت.

۞ الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (ج2/ 491)؛ فقال: حدثني الحسن بن أبي طالب، قال: حدثنا عبيد الله بن أحمد بن علي، قال: حدثنا يزداد بن عبد الرحمن، قال: قال لي الزبير بن بكار: صرت إلى أبي عبد الله المعتز بالله وهو أمير، فلما علم بمكاني خرج مستعجلا فعثر، فأنشا يقول: -البيت-.

(2) نسب البيتين أبو طاهر السلفي في «الجزء الخامس من المشيخة البغدادية»، مخطوط نشر في برنامج جوامع الكلم بالشبكة الإسلامية، لوح (81)؛ للمعتصم بن الرشيد، فقال: أخبرنا الشيخ أبو محمد السمرقندي، بقراءتي عليه، أنا نصر بن الحسين بن أحمد بن طلاب الخطيب، بدمشق، أنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جميع الغساني، بصيدا، أنا بشر بن عبدون، نا ثعلب، نا الزبير بن بكار، قال: لما قدمت إلى الرشيد لأحدث أولاده بالأخبار التي صنفتها، أعجل المعتصم في القصر، فعثر فكادت إبهامه تنقطع فقام، وهو يقول: -البيتين-. وكذا ابن جميع الصيداوي في معجم الشيوخ، (ص:229-230).

۞ نسبها ابن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد، ط دار الكتب العلمية (ج2/ 303)؛ لجعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب.

ورويْنا فيه:

قالتِ الحُكماءُ: مَثَلُ الكلمةُ كالسّهم لا يُمكِنُ ردُّه، وإنّما جُعِل للإنسانِ[1] لِسانٌ واحِدٌ وأُذُنانِ، حتَّى يكونَ ما يَسمعُ أكثَرَ ممّا يتَكَلَّمُ، وهو علَى [رَدِّ][2] ما لم يقُل أقدَرُ منه علَى رَدِّ ما قد قال[3].

وذكَرَ ابنُ عبدِ البرِّ في كتابِ «بيان العلم وفضله» فقال [من البسيط]:

قالوا: نَراكَ طَويلَ الصّمتِ. قُلتُ لهم: ما طولُ صَمتي من عيٍّ ولا خَرَسِ
لَكِنّه أحمدُ الأشياءِ عاقِبةً عندي وأيسَرُه من مَنطِقٍ شَكِسِ[4][5]

ورويْنا في جزءِ ابنِ البنّاءِ، عن عُقبةَ بنِ عامرٍ، قال: قُلتُ: يا رسولَ الله! ما النّجاةُ؟ قال: «أملِك عليكَ لِسانَكَ، وليَسَعكَ بَيتُكَ، وابكِ على خَطيئَتِكَ»[6].

---

(1) في الأصل: اللسان، والمثبت من المصادر، وهو الجادة.

(2) ليست في الأصل، والمثبت من الرسالة المغنية.

(3) انتهى نقله من الرسالة المغنية في السكوت ولزوم البيوت (ص: 32- 34).

(4) الشكس: الكثير الخلاف. انظر: مقاييس اللغة؛ لابن فارس، كتاب الشين، باب الشين والراء وما يثلثهما، مادة: (شرس)، (ج3/ 259)، وتمامها:

أأنشر البز فيمن ليس يعرفه أم أنثر الدر بين العمي في الغلس

(5) انظر: جامع بيان العلم وفضله؛ لابن عبدالبر، (ج1/ 218).

(6) انظر: الرسالة المغنية؛ لابن البناء (ص: 35).

⊙ أخرجه: 1- ابن المبارك في الزهد، حديث (134) (ص:80)؛ من طريق: يحيى بن أيوب، عن عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن عقبة بن عامر الجهني... الحديث.

2- الإمام أحمد في مسنده، حديث (22235)، (ج36/ 570-571)؛ من طريق ابن المبارك.

3- الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حفظ اللسان، حديث (2583) - من طريق ابن المبارك -. وقال: هذا حديث حسنٌ. =

وقال الفُضيلُ بنُ عياضٍ[1] [52/ أ]: ليسَ هذا زمانَ الكلامِ، هذا زمانُ السُّكوتِ ولُزومِ البُيوتِ[2]. وقال بعضُ الحُكماءِ: العافيةُ في ثلاثٍ؛ في السُّكوتِ، ولُزومِ البُيوتِ، والرِّضَى بالقوتِ. وروينا في كتابِ «الزُّهدِ» للإمامِ أحمدَ، عن وهبِ بنِ مُنبِّهٍ[3]، عن حِكمةِ آلِ داوُدَ: حَقٌّ علَى العاقِلِ أن يكونَ له أربعُ ساعاتٍ: ساعةٌ يُحاسِبُ فيها نفسَه، وساعةٌ يُناجي فيها ربَّه، وساعةٌ يخلو فيها إلى إخوانِه الّذين يُخبرونه بعُيوبِ نفسِه، وساعة يخلّي بينَ نفسِه وشهَواتها الّتي لا قِوامَ له إلّا بها ممّا يحلُّ ويحسُنُ، فإنّ في هذه السّاعةِ عونًا له علَى السّاعاتِ الأُخرِ، وحَقٌّ علَى العاقلِ

= ۞ قال الطيبي في شرح المشكاة، (ج10/ 3123-3124): قوله: «أملك عليك لسانك»: أي لا تجره إلا بما يكون لك لا عليك، وعن بعضهم: أي اجعل لسانك مملوكا لك فيما عليك وباله وتبعته، وأمسكه عما يضرك، وأطلقه عما ينفعك، انتهى كلامه. وهذا الجواب من باب الأسلوب الحكيم، سأل عن حقيقة النجاة، فأجاب عن سببه؛ لأنه أهم بحاله وأولى، وكان من الظاهر أن يقول: حفظ اللسان، فأخرجه على سبيل الأمر الذي يقتضي الوجوب مزيدا للتقرير والاهتمام. وقوله: «وليسعك بيتك» الأمر في الظاهر وارد على البيت، وفي الحقيقة على المخاطب، أي تعرض لما هو سبب للزوم البيت من الاشتغال بالله والمؤانسة بطاعته والخلوة عن الأغيار. وضُمِّنَ «بكى» معنى الندامة، وعداه بـ «على» أي اندم على خطيئتك باكيا.

(1) تقدمت ترجمته.

(2) انظر: الرسالة المغنية؛ لابن البناء (ص:37).

۞ رواه: - ابن أبي الدنيا في العزلة والانفراد، ط دار الوطن، (ص:100)، رقم (94)؛ عن ابن سماك قال: قال رجل لسفيان الثوري: أوصني. قال: هذا زمان السكوت، ولزوم البيوت.

۞ الخطابي في العزلة، ط دار ابن كثير، باب ما جاء في العزلة، (ص:87)؛ عن سفيان الثوري أيضًا.

۞ عبد القادر الجيلاني في الغنية، فصل في دخول المنزل والكسب من الحلال والوحدة، ط دار إحياء التراث العربي، (ج1/ 58)، قال: وعن بعض السلف أنه قال: هذا زمان السكوت ولزوم البيوت؛ وهو بشر الحافي.

(3) تقدمت ترجمته.

أن يكون عارفًا بزمانِه، حافِظًا لِلسانِه، مُقبلًا علَى شانِهِ[1]. وقال عليٌّ بنُ أبي طالِبٍ: إنّ اللهَ تعالى عندَ لِسانِ كُلِّ قائِلٍ؛ فَلْيَنظُر قائِلٌ ما يقولُ[2].

---

(1) – لم أقف عليه في النسخة المطبوعة للزهد للإمام أحمد.

۞ رواه: ابن المبارك في الزهد (ص:105)، رقم (313)؛ من طريق: سفيان، عن رجل، عن وهب بن منبه. وفيه زيادة: وحق على العاقل أن لا يظعن إلا في إحدى ثلاث؛ زاد لمعاده، ومرمة لمعاشه، ولذة في غير محرم.

۞ هناد بن السري في الزهد، ط دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، باب العزلة ولزوم الرجل بيته، (ج2/ 580)؛ من طريق: المحاربي، عن عمرو بن عامر البجلي، عمن أخبره، عن وهب بن منبه. وفيه زيادة: وحق على العاقل أن لا يكون ظاعنا إلا في إحدى ثلاثة: يزود لمعاد، أو عزيمة لمعاش، أو لذة في غير محرم.

۞ ابن قتيبة في عيون الأخبار، ط دار الكتب العلمية، باب العقل، (ج1/ 393)؛ من طريق: عبد الرحمن، عن عبد المنعم، عن أبيه، عن وهب بن منبه. وفيه زيادة: وينبغي للعاقل أن لا يرى إلا في إحدى ثلاث خصال: تزود لمعاد، أو مرمة لمعاش، أو لذة في غير محرم.

۞ ابن أبي الدنيا في: العقل وفضله، ط مؤسسة الكتب الثقافية، (ص:21)، رقم (24). محاسبة النفس، ط دار الكتب العلمية، (ص:30)، رقم (12)؛ من طريق: سفيان بن سعيد، عن أبي الأغر، عن وهب بن منبه. بنحو زيادة هناد.

۞ الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه، ط دار ابن الجوزي، (ج2/ 220)؛ من طريق: عبد الله بن المبارك، عن رجل، عن وهب بن منبه. بدون زيادة.

۞ راجع: الرسالة المغنية لابن البناء، (ص38) بالزيادة التي رواها ابن المبارك.

(2) أخرجه: ابن أبي شيبة في الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ط دار التاج، (7/ 81) حديث (34354) من طريق وكيع، عن عمر بن ذر، قال: قال أبي: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عند لسان كل قائل، فلينظر عبد ماذا يقول».

۞ تابع وكيعًا: – ابن المبارك في الزهد حديث (367).

۞ أبو نعيم الفضل بن دكين وعبد الرحمن بن مهدي، كلاهما عند أبي نعيم في حلية الأولياء (8/ 352)، و(9/ 44).

۞ ورواه البيهقي في شعب الإيمان، (ج7/ 76-77)، حديث (4678)؛ من طريق أبو نعيم قال: حدثنا عمر بن ذر، قال: سمعت أبي يقول: الحديث. قال البيهقي: كذا قال وهو منقطع.=

وقال: يا مُعاذُ! أنت سالِمٌ ما سَكَتَّ، فإذا تكلَّمتَ فَعليكَ أو لَكَ[1].

وقال أيضًا: إيّاكَ وفُضولَ الكلامِ، فإنّه يُظهِرُ من عُيوبِكَ ما بطَنَ، ويُحرِّكُ من عَدوِّكَ ما سكَنَ، وفي الصّمتِ سلامةٌ مِنَ النّدامةِ[2].

وقال أيضًا: تعَلَّم حُسنَ الصّمتِ، كما تتَعَلَّمُ حُسنَ الأدبِ[3]. وقال: لِسانُ العاقِلِ في قلبِه، وقلبُ الأحمقِ في فمِه؛ ما خطِرَ في قلبِه نطَقَ بهِ[4].

قال الحافظُ شمسُ الدّينِ الذّهبيُّ[5]: سلامةُ العِباد مَبنيّة علَى ثلاثةِ أُصولٍ:

أوَّلُها: الصِّدقُ، وهو علَى العُقولِ.

= ۞ ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء (8/ 160) من طريق وهيب بن الورد، عن محمد بن زهير، عن ابن عمر، به مرفوعًا. وقال أبو نعيم: غريب، لم نكتبه متّصلًا مرفوعًا إلّا من حديث وهيب.

۞ وذر -والد عمر- هو ذَر -بذال معجمة مفتوحة- بن عبد الله بن زرارة الهمداني المرهبي، أبو عمر الكوفي، قال أحمد بن حنبل: (ما بحديثه بأس)، وقال يحيى بن معين: (ثقة)، روى له الجماعة. راجع: الإكمال لابن ماكولا، (ج3/ 333). تهذيب الكمال للمزي، (ج8/ 511-513).

(1) ذكره عنه الماوردي في أدب الدنيا والدين، ط دار اقرأ، الفصل الأول في الكلام والصمت، (ص:283) بلفظه.

(2) انظر: المستطرف في كلِّ فن مستظرف لشهاب الدين الأبشيهي، ط دار المعرفة، الباب الخامس في الآداب والحكم وما أشبه ذلك، (ص:40).

(3) انظر: - أمالي القالي (ج2/ 188)، بلفظ: «...وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الصمت».

۞ جامع بيان العلم وفضله، ط الأوقاف، باب جامع في آداب العالم والمتعلم، (ج1/ 256)، بلفظ أمالي القالي.

(4) انظر: العقد الفريد (ج2/ 104) عن الحسن البصري قال: لسان العاقل من وراء قلبه؛ فإذا أراد الكلام تفكّر، فإن كان له قال وإن كان عليه سكت؛ وقلب الأحمق من وراء لسانه، فإذا أراد أن يقول قال، فإن كان له سكت، وإن كان عليه قال.

(5) تقدمت ترجمته.

وثانيها: العدلُ، وهو علَى القُلوبِ.

وثالِثُها: الحقُّ، وهو علَى الجراحِ.

فمَتى تعذَّر أحَدُها وضَلَّ الخطرُ، فبعدَم الصِّدقِ يوجدُ الكذِبُ، وبعِدم العدل يقَعُ الجورُ، وبعَدم الحقِّ يقومُ الباطِلُ، فمَن أيقظَه الله وخاف مقامَ ربِّه رَزَقَه فُرقانًا في باطِنِه، فاستقام ونَجا من كثيرٍ مِنَ الآفاتِ.

فيجِبُ حفظُ اللِّسانِ ولجامُه بِلجام الشّرع، فإنّ اللِّسانَ رحبُ الميدانِ في الخيرِ والشّرِّ، فمَن أطلقَه ولم يضبِطه بالشّرع سلَك به الشّيطانُ في المهالِكِ، وكبَّه في النّار عندَ مالِك، فالكمالُ إمساكُه إلّا في ذكرِ الله، وما لا بُدَّ منه، فاللِّسانُ لا تُؤمن غائِلتُه، وهو أصلُ الأعضاءِ وأعصاها وأكثرها خطرًا، فلِسُهولة حركَتِه، وسُرعةِ إطلاقه قد بُلي أكثرُ النّاس في زمانِنا بآفاتِه، فأفسَدَهم [52/ ب] وأورَدَهُمُ النّارَ، وهو من أعظَم آلاتِ الشّيطانِ على الإنسان، ويحدُثُ منه آفاتٌ، الّتي هي فاكِهتُهم وسُرورُ مجالِسِهِم؛ فمنها: المِراءُ، والجِدالُ، والخوضُ في الباطِلِ، والخُصومةُ، والكذِبُ، والغيبةُ، والنّميمةُ، والرّياءُ، والنِّفاقُ، والفخرُ، وتزكيةُ النّفس، والفُضولُ، والتّحريفُ، والزّيادةُ، والنُّقصان، وهتكُ المستورات.

وآفاتُه مُهلكةٌ، ولها حلاوةٌ في القلب، وعلَيها بَواعِثُ مِنَ الطّبع، وقد ذكرنا هذا في مُصنّفٍ مُستقلٍ في ذمِّ الكلامِ(1)، فمَن رام النّظَر فيه فليطلُبه(2).

وقدِ اختلَف هلِ الأفضلُ الصّمتُ أوِ النُّطق علَى قولَينِ:

أحدُهما: أنّ الصّمت أفضلُ(3)، مُستدلّين بنحوِ ما تقدم لنا في هذا

---

(1) لم أقف على هذا المصنف ضمن مؤلفات الإمام الذهبي.

(2) لم أقف على هذا النقل عن الإمام الذهبي.

(3) قال القشيري في الرسالة، الباب الحادي عشر الصمت، (ص:226-228): الصمت=

الفصل، وإنّ الكلامَ لو كان من فِضّة لكان الصّمتُ من ذهَبٍ[1].

الثّاني: أنّ الكلامَ أفضلُ مِنَ الصّمتِ[2].

قال الأحنَفُ بنُ قيسٍ: فضلُ الصّمتِ لا يعدو صاحِبَه، وفَضلُ النُّطقِ[3] يَنتَفِعُ به صاحِبُه ومَن يَسمعهُ[4]. انتهى.

=سلامة، وهو الأصل، وعليه ندامة إذ ورد عنه الزجر، فالواجب أن يعتبر فيه الشرع والأمر والنهي، والسكوت في وقته صفة الرجال، كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال... فأما إيثار أرباب المجاهدة السكوت؛ فلما علموا في الكلام من الآفات، ثم ما فيه من حظ النفس، وإظهار صفات المدح، والميل إلى أن يتميز بين أشكاله بحسن النطق...

(1) روى هذا المثل: عن نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت، (ص:66-67) حديث (47)، و(ص:275) حديث (608)، قال: حدثنا الهيثم بن خارجة، حدثنا سهل بن هاشم، عن الأوزاعي، قال: «قال سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم: إن كان الكلام من فضة، فالصمت من ذهب».

۞ عن لقمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: 1- ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت، (ص:308) حديث (736)، قال: حدثني أبو عبد الرحمن الأزدي، عن خاقان بن عبد الله، قال: سمعت ابن المبارك، وسئل عن قول لقمان لابنه: «إن كان الكلام من فضة، فإن الصمت من ذهب». فقال عبد الله: «لو كان الكلام بطاعة الله من فضة، فإن الصمت عن معصية الله من ذهب».

2- أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج3/ 337)، قال: حدثنا الحسن، ثنا عبد الرحمن بن سعيد بن هارون، ثنا سلم بن جنادة، ثنا وكيع بن الجراح، ثنا سفيان، عن أبيه، عن عكرمة، قال: «قال لقمان لابنه: قد ذقت المرارة فليس شيء أمر من الفقر، وحملت الحمل الثقيل فليس شيء أثقل من جار السوء، ولو أن الكلام من فضة لكان الصمت من ذهب».

(2) قال السفاريني في غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، ط دار الكتب العلمية، مطلب هل الكلام أفضل من السكوت أم العكس؟، (ج1/ 57): المعتمد أن الكلام أفضل لأنه من باب التحلية، والسكوت من التخلية، والتحلية أفضل، ولأن المتكلم حصل له ما حصل للساكت وزيادة، وذلك أن غاية ما يحصل للساكت السلامة، وهي حاصلة لمن يتكلم بالخير مع ثواب الخير.

(3) في كتاب الصمت: المنطق.

(4) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (ص:303)، رقم (712) من طريق أبي محمد العمي، عن علي بن محمد القرشي، عن شيخ من غطفان، قال: تذاكروا الصمت والمنطق، فقال قوم:=

وتَذاكـرَ قـومٌ فـي مجلِسٍ لهـم فضـلَ الـكلامِ ونباهـة صاحبـه، وذُكِـر الصّمـتُ ومـا فيـه مـن الوقـارِ والمهابـة وقِلّـة الـوزرِ وكثـرةِ السّلامةِ، فقـال بعضُهُـم: كلّا إنّ النّجـم ليسَ كالقمـرِ إنّـك تصِـفُ الصّمـتَ بالـكلامِ، ولا تصِـفُ الـكلامَ بالصّمـتِ[1].

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ بعدَ أن قال: وثَبت في «الصّحيحَينِ» أنّه قال: **«مَن كان يُؤمِنُ بالله واليوم الآخِرِ؛ فَليَقُل خَيرًا أو ليَصمُت»**[2].

قال: فالتَكلُّمُ بالخيرِ خيرٌ مِنَ السُّكوتِ عنه، والصّمتُ عنِ الشّرِّ خيرٌ مِنَ التّكلُّم به، فأمّا الصّمتُ الدّائمُ فبِدعة منهيٌّ عنها، وخيرُ الهدي هَديُ محمّدٍ ﷺ[3]. انتَهى كلامُه.

ولهذا تجِدُ كثيرًا مِنَ المُتفقهة وغيرِهم ممَّن يُنسب إلى الدِّين والورع، ويتورَّعُ مِنَ الاستنادِ إلى وِسادة الحريرِ أو مِنَ القُعودِ على مقعدٍ أو بساطِ حريرٍ أو شُربٍ من آنيةٍ مموَّهةٍ بالذّهب ساعة واحِدةً في عرسٍ أو وليمةٍ معَ ما في ذلك مِنَ الخِلاف، ولا يتورَّعُ من إطلاقِ لِسانه مِنَ الكبائرِ مِنَ الذّنوب؛ كالغيبة، والنّميمة، والتّفكُّه في أعراض النّاس.

قال الإمامُ أحمدُ: الغيبةُ ربيعُ القُرّاءِ[4].

=الصمت أفضل، فقال الأحنف: المنطق أفضل؛ لأن فضل الصمت لا يعدو صاحبه، والمنطق الحسن ينتفع به من سمعه.

(1) انظر: عيون الأخبار؛ لابن قتيبة (ج2/ 175).

(2) تقدم تخريجه.

(3) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان؛ لابن تيمية، ت الأرناؤوط، (ص:61-62).

(4) أخرجه: - أبو علي التنوخي في نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ط دار صادر، (ج3/ 127)؛ من طريق: أبو إسحاق، قال: يقول: سمعت جعفرًا الخلدي، يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري السقطي، يقول: فاكهة القراء الغيبة. =

والمقصودُ: أنّ الآفاتِ الّتي اعتادَها الإنسانُ، ووردَ الشّرعُ بذمِّها: تركُها من أشقِّ الأشياء علَى النُّفوس، إلّا مَن وفَّقه الله تعالى لاجتنابِها. [53/ أ]

فَصْلٌ

ولا بُدَّ مِنَ الأدَب معَ الله تعالى، ومعَ رسولِه ﷺ، ومعَ عبادِه المُؤمنين أن يعطيَ كُلَّ ذي حقٍّ حقَّه مِنَ الأدَبِ.

فأدَبُ العبدِ معَ الله سبحانه؛ أنّ كُلَّ ما أمَرَ الله به يجتهدُ في الإتيان به علَى الوجه الّذي أراد، وعلَى أكمل الوُجوه وأتمِّها، وأنّ كُلَّ ما نَهى الله عنه يجتهِدُ في اجتِنابه وتركِه.

قال الشّيخ عبدُ القادِر الجيلاني(1): لا بُدَّ لكلِّ مُؤمنٍ في سائر أحوالِه من ثلاثة أشياءَ: أمرٍ يمتثلُه، ونهيٍ يجتَنِبُه، وقدَرٍ يرضَى بها، فيَنبغي أن يُلزِمَهما قلبه، ويحدِّثَ بها نفسَه(2).

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ: هذا كلامٌ شريفٌ جامِعٌ يحتاجُ إليه كُلُّ أحدٍ، وهو طاعةُ الله؛ لقولِه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ﴾ [يوسف: 90]، فإنّ التّقوى تتضمَّن فعلَ المأمورِ، وتركَ المحظورِ، والصّبرَ يَتضمَّن الصّبر علَى المقدور، فالثّلاثة ترجِعُ إلى هذَينِ الأصلَينِ، [والثلاثة في الحقيقة ترجع إلى امتثال الأمر](3) وهي طاعةُ الله ورسولِه، فهو محتاجٌ في كُلِّ وقتٍ إلى طاعةِ الله ورسولِه(4). انتهى.

= ۞ البيهقي في شعب الإيمان (ج9/ 121) رقم (6360)؛ من طريق: محمد بن الجنيد، قال: حدثنا محمد بن حماد الأبيوردي، قال: سمعت فضيل بن عياض، يقول: الغيبة فاكهة القراء.

(1) تقدمت ترجمته.

(2) انظر: فتوح الغيب؛ لعبدالقادر الجيلاني، المقالة الأولى، (ص:26)، وتمامه: «...ويؤاخذ الجوارح بها في سائر أحواله».

(3) الزيادة من مجموع الفتاوى لتتضح العبارة.

(4) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (ج10/ 456).

فإنّ الأدبَ عند أربابِ السُّلوكِ هو الدّينُ كلُّه؛ فسترُ العورةِ من الأدبِ، فإنّ سترَها داخِلَ الصّلاة وخارجَ الصّلاةِ واجبٌ، وبه أمَرَ الله، قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: 31] أنّه نزلَت في سترِ العورةِ في الصّلاةِ، قاله مُجاهِدٌ(1)، والزّجّاجُ(2).

وقيل: في الطّواف.

وقيل: أعَمّ من ذلك(3).

وكان لبعضِ السّلفِ حلّة بمبلَغ عَظيم مِنَ المالِ، وكان يَلبسُها وقتَ الصّلاةِ، ويقول: رَبّي أحَقُّ مَن تَجمَّلتُ له في صلاتي(4).

ومعلومٌ أنّ اللهَ تعالى يُحبُّ أن يَرَى أثَرَ نعمَته علَى عبدِه، لا سيَّما إذا وقَفَ بينَ يدَيه.

---

(1) أخرجه الطبري في تفسيره، ط هجر (10/ 152): - من طريق: ابن وكيع قال: حدثنا يحيى بن يمان، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾، قال: ما وارى العورة ولو عباءة.

۞ من طريق: عمرو، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، وأبو عاصم، وعبد الله بن داود، عن عثمان الأسود، عن مجاهد فق قوله: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ قال: ما يواري عورتك ولو عباءة. تقدمت ترجمته.

(2) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، (2/ 332)، قال: هذا أمر بالاستتار في الصلوات... فأمر الله بعد ذكره عقوبة آدم وحواء في أن بدت لهما سوءاتهما، بالاستتار في وقت كل صلاة.

۞ تقدمت ترجمته

(3) راجع: زاد المسير؛ لابن الجوزي، (ج2/ 187).

(4) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ 385).

۞ قال القرطبي في «البيان والتحصيل»، ط دار الغرب الإسلامي، (ج1/ 448): (وقال عبد الله بن عمر لنافع مولاه، وقد رآه يصلي في ثوب واحد: «إذا صليت فخذ عليك ثوبًا آخر، فإن الله أحق من تجملت له». هذا هو المختار المستحب عند أهل العلم كلهم).

ومِنَ الأدَبِ: الوضوءُ، وغُسلُ الجنابةِ، والتّطهيرُ مِنَ النّجاسةِ في البدنِ والثّيابِ والموضعِ، واستقبالُ القِبلةِ، كلُّ هذا مِنَ الأدبِ للوقوفِ بينَ يدَي اللهِ عَزَّوَجَلَّ في الصّلاةِ.

ومن أدَبِه أنّه إذا وقَفَ بينَ يدَيه أن لا يَرفَعَ بصَرَه إلى السّماء[1]؛ بل يكونُ خاشِعًا متذلِّلًا، واضِعًا يمينَه علَى شمالِه، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: 1-2].

ورَوى أبو سعيدٍ الخدريُّ عنِ النّبيِّ ﷺ أنّه قال: «إنّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ حاطَ حائطَ الجنّةِ لَبِنةً من ذَهَبٍ، ولَبِنةً من فِضّةٍ، وغَرَسَها بيدِه، وقال لَها: تكلَّمي، فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ فقال لَها: طوبَى لَكِ مَنزِلَ المُلوكِ»[2].

قال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الخُشوعُ في الصّلاةِ تركُ الالتِفاتِ[3].

وقال قتادةُ: هو النّظرُ إلى موضعِ سُجودِه[4].

---

(1) قال المرداوي في الإنصاف، (ج2/ 91): (قوله: «ورفع بصره إلى السماء»؛ يعني: يكره، وهو المذهب، وعليه الأصحاب. وقيل: تبطل به وحده، ذكره في الحاوي وغيره).

(2) رواه: 1- الطبراني في الأوسط، حديث (3701)، (ج4/ 99) بنحوه. وقال: لم يرو هذا الحديث عن الجريري إلا عدي بن الفضل.

2- أبو طاهر المخلص في المخلصيات، حديث (282-167)، (ج1/ 440) بلفظه.

3- ابن بشران في أماليه (1065) من طريق يونس العميري به.

4- الهيثمي في كشف الأستار عن زوائد البزار، (3507)، (ج4/ 189)؛ من طريق: سعيد الجريري به موقوفًا. وحديث (3508)، مرفوعًا من طريق عدي بن الفضل عن الجريري. قال البزار: لا نعلم أحدًا رفعه إلا عدي، وليس بالحافظ، وهو بصري متقدم الموت.

(3) ذكره عنه ابن الجوزي في المنتخب في النّوب (ص:246).

(4) ذكره عنه: - الماوردي في النكت والعيون (ج4/ 46). - ابن الجوزي في زاد المسير (ج5/ 459-460)، وقال: وإلى هذا المعنى ذهب مسلم بن يسار، وقتادة.

والصّلاة أفضلُ العِبادات؛ لأنّ بها يدخلُ الكافرُ في الإسلام، وبتركِها يخرُج المُسلِم مِنَ الإسلام[1].

[53/ب] وقد نُقِل عن عبدِ الله بنِ المُبارك[2] في قولِه: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣﴾ [المعارج: 23] أهُمُ الّذين يصلّونَ دائمًا؟ قال: لا؛ ولكنّه إذا صلَّى لم يلتفِت عن يمينِه، ولا عن شمالِه، ولا خلفِه[3].

قال بعض أصحابِنا: هذا هو الدّوامُ، فأمّا المُداومةُ ففي ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ

---

(1) قال ابن قدامة في المغني، ط دار عالم الكتب، (ج3/ 351): تارك الصلاة لا يخلو؛ إما أن يكون جاحدا لوجوبها، أو غير جاحد، فإن كان جاحدا لوجوبها نظر فيه:

۞ فإن كان جاهلا به، وهو ممن يجهل ذلك، كالحديث الإسلام، والناشئ ببادية، عُرِّف وجوبها، وعُلِّم ذلك، ولم يحكم بكفره؛ لأنه معذور.

۞ وإن لم يكن ممن يجهل ذلك، كالناشئ من المسلمين في الأمصار والقرى، لم يعذر، ولم يقبل منه ادعاء الجهل، وحكم بكفره؛ لأن أدلة الوجوب ظاهرة في الكتاب والسنة، والمسلمون يفعلونها على الدوام، فلا يخفى وجوبها على من هذا حاله، فلا يجحدها إلا تكذيبا لله تعالى ولرسوله وإجماع الأمة، وهذا يصير مرتدا عن الإسلام، وحكمه حكم سائر المرتدين، في الاستتابة والقتل، ولا أعلم في هذا خلافا.

۞ وإن تركها لمرض، أو عجز عن أركانها وشروطها، قيل له: إن ذلك لا يسقط الصلاة، وإنه يجب عليه أن يصلي على حسب طاقته.

۞ وإن تركها تهاونا أو كسلا، دُعي إلى فعلها، وقيل له: إن صليت، وإلا قتلناك. فإن صلى، وإلا وجب قتله. ولا يقتل حتى يحبس ثلاثا، ويضيق عليه فيها، ويدعى في وقت كل صلاة إلى فعلها، ويخوف بالقتل، فإن صلى، وإلا قتل بالسيف. وبهذا قال مالك، وحماد بن زيد، ووكيع والشافعي. وقال الزهري: يضرب ويسجن. وبه قال أبو حنيفة....

(2) تقدمت ترجمته.

(3) رواه ابن المبارك في الزهد، رقم (1189)، (ص:419)؛ قال: حدثنا ابن لهيعة قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب، أنّ أبا الخير أخبره قال: «سألنا عقبة بن عامر الجهني، عن قول الله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣﴾ أهم الذين يصلون أبدا؟ قال:...».

صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المعارج: 34](1).

ومن الأدَبِ: أن يحفظَ العبدُ قلبَه مِنَ الوسَواسِ، وليكُن كأنّه قائِمٌ بين يدي سُلطانٍ قاهِرٍ عظيم ذي عظَمةٍ وجَبروتٍ، فافهَم ما تقول ولِمن تُخاطب: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: 5]، واحفَظ قلبَك مِنَ الغفلة في الصّلاة مهما استطعتَ؛ تُرزق بذلك الفوزَ والإقبالَ من الله عَزَّوَجَلَّ إن شاءَ الله.

وأدَبُه في سماعِ القُرآن: أن يُلقيَ السّمعَ وهو شهيدٌ، وأن يعظِّمَ الربَّ عَزَّوَجَلَّ في ركوعِه وسجودِه، وبعد سلامه، وفي جميع أحوالِه حتّى لا يكونَ في قلبِه شيءٌ أعظَمَ مِنَ الله، ولا يكونُ عندَه شيءٌ أحقَرَ من نفسِه، فهو تواضعُكَ لِعظمةِ الله عَزَّوَجَلَّ في حركاتك وسكناتك.

ومِنَ الأدَبِ: أن لا يقرَأ كلامَ الله في ركوعِه، ولا في سُجودِه؛ لأنّهما حالتا ذُلٍّ وانخفاضٍ، فمِنَ الأدَبِ معَ كلامِ الله أن لا يقرَأ في هاتينِ الحالتَينِ شَيئًا(2).

فَصْلٌ

وأمّا أدَبُ العبدِ معَ الرّسولِ ﷺ؛ فقد نطَقَ به القُرآن في غيرِ موضعٍ، فرأسُ الأدَبِ معَه كمالُ التّسليم لَه، والانقيادُ لأمرِه، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيٓ أَنفُسِهِمْ

---

(1) قال ابن القيم في مدارج السالكين، (ج2/ 387): هما أمران؛ الدوام عليها، والمداومة عليها، فهذا الدوام -أي في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾-، والمداومة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾، وفسر الدوام بسكون الأطراف والطمأنينة.

(2) انظر: مدارج السالكين؛ لابن القيم (ج2/ 385-386). قال ابن قدامة في المغني، (ج2/ 181): ويكره أن يقرأ في الركوع والسجود.

﴿حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: 65][1]، فقد أقسمَ اللهُ بنفسِه المُعظمةِ أنّهم لا يكونوا مُؤمنين إلا بثلاثةِ أشياءَ[2].

وقالَ تعالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: 63][3].

مِنَ الأدبِ معَه أن لا يرفعَ صوتَه عندَه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ الآيةَ[4] [الحجرات: 2][5].

وقد حكَى القاضي عياضٌ[6]، عن محمّدِ بنِ حُميدٍ[7]، قال: ناظرَ

---

(1) قال الواحدي في أسباب النزول، (ص:163-165): نزلت في الزبير بن العوام وخصمه حاطب بن أبي بلتعة، وقيل: هو ثعلبة بن حاطب...

(2) وهي: 1- التحاكم إليه. 2- عدم الشك أو الضيق. 3- عدم معارضته.

(3) قال ابن الجوزي في زاد المسير، (ج6/ 69-70): معنى ﴿يُخَالِفُونَ﴾: يُعرِضون عن أمره. وفي الفتنة ها هنا ثلاثة أقوال: أحدها: الضلالة، قاله ابن عباس. والثاني: بلاء في الدّنيا، قاله مجاهد. والثالث: كفر، قاله السدي ومقاتل. قوله تعالى: ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾، فيه قولان: أحدهما: القتل في الدنيا. والثاني: عذاب جهنم في الآخرة.

(4) وتتمتها: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾.

(5) قال ابن عطية في المحرر الوجيز، (ج9/ 97-98): وقوله: «كجهر بعضكم لبعض»، أي: كحال جهركم في جفائه وكونه مخاطبة بالأسماء والألقاب...وكره العلماء رفع الصوت عند قبر النبي ﷺ، وبحضرة العالم، وفي المساجد...وقوله تعالى: ﴿أَن تَحْبَطَ﴾. مفعول من أجله، أي مخافة أن تحبط، والحبط: إفساد العمل بعد تقرره...وظاهر الآية أنها مخاطبة لفضلاء المؤمنين الذين لا يفعلون ذلك احتقارا، وذلك أنه لا يقال لمنافق يعمل ذلك جرأة: «وأنت لا تشعر»، لأنه ليس له عمل يعتقده هو عملا.

(6) تقدمت ترجمته.

(7) هو محمد بن حميد بن حيان الرازي، العلامة، الحافظ الكبير، أبو عبد الله الرازي، مولده: في حدود (160هـ)، وهو مع إمامته منكر الحديث، صاحب عجائب، مات سنة (248هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج11/ 503-506).

المنصورُ مالكًا في مسجدِ النّبيِّ ﷺ، فقال له مالكٌ: يا أميرَ المُؤمنينَ! لا ترفَع صوتَك في هذا المسجدِ، فإنّ اللهَ أدّبَ قومًا فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ ... الآيةَ.

ومدحَ قومًا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ [54/أ] لِلتَّقْوَىٰ﴾ الآيةَ[1] [الحجرات: 3].

وذمَّ قومًا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ [الحجرات: 4]، وإنّ حُرمتَه ميّتًا كحُرمتِه حيًّا، فاستكان لها أبو جعفر المنصور[2].

ومِنَ الأدَبِ معَه: أن لا يجعَلَ دُعاءَه كدُعاء غيرِه، قال اللهَ تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: 63].

وفيه قولانِ للمُفسِّرين:

أحدُهما: لا تدعونَهُ[3] باسمه كما يدعو بعضُكم بعضًا: يا محمَّدُ، يا أحمَدُ، بل يُعظِّموه كما عظَّمَه الله؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾، «يا رسولَ الله»، «يا نبيَّ الله»، فعَلى هذا: المصدرُ مُضافٌ إلى المفعولِ.

---

(1) وتتمتها: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾.

(2) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، ط دار الكتب العلمية، (ج2/ 41)، وقال قبلها: واعلم أن حرمة النبي ﷺ بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره ﷺ، وذكر حديثه وسنته، وسماع اسمه وسيرته، ومعاملة آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته...

۞ قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى، (ج1/ 228)، بعد أن نقل القصة: وهذه الحكاية منقطعة؛ فإن محمد بن حميد الرازي لم يدرك مالكا لا سيما في زمن أبي جعفر المنصور...ولم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه وهو مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث...وهذه الحكاية لم يذكرها أحد من أصحاب مالك المعروفين بالأخذ عنه...

(3) في الأصل: تدعوه، والمثبت من المصدر الآتي.

والثّاني: لا تجعَلوا دُعاءَه لكم بمنزلةِ دُعاء بعضِكُم بعضًا؛ إن شاءَ أجابَ، وإن شاءَ ترَكَ، بل إذا دعاكُم لم يكن لكُم بُدٌّ من إجابتِه، وعلى هذا: المصدرُ مُضافٌ إلى الفاعِل(1).

ومِنَ الأدَبِ: أن لا يتقدَّمَ بين يديه بأمرٍ ولا نَهيٍ ولا إذنٍ، ولا تصرُّفٍ، ولا يَستشكلُ قولَه.

واعلَم يا أخي: أنّ التّقدُّمَ بين يدي سُنّته، كالتّقدُّمِ بين يديه في حياته عندَ العارفينَ.

واعلَم: أنّ اللهَ تعالى أعلَمَ أُمّته تأدُّبه معَ الله تعالى كما في قولِه: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧﴾ [النجم: 17]؛ أي: ما عدلَ بصَرُ رسولِ الله ﷺ يمينًا، ولا شمالًا، ﴿وَمَا طَغَىٰ ١٧﴾؛ أي: ما زاد وما جاوزَ ما رأى. وهذا وصفُ أدبه ﷺ في هذا المقام(2).

هكذا حكاه غيرُ واحدٍ مِنَ المُفسِّرين، ومن عادةِ أربابِ السُّلوكِ العارفينَ أن يذكروا في هذا المقامِ هذه الآية، وما ذاكَ -والله أعلَم- إلّا لِتتعلَّمَ أُمّتُه من أدبِه.

---

(1) ذكرهما الإمام ابن الجوزي في زاد المسير، (ج6/ 68) وزاد قولاً ثالثًا، وهو: أنه نهى عن التعرض لإسخاط رسول الله ﷺ، فإنه إذا دعا على شخص فدعوته موجبة؛ قاله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

۞ قال الإمام الطبري في تفسير، (ج17/ 389-390): وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي التأويل الذي قاله ابن عباس، وذلك أن الذي قبل قوله: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ نهي من الله المؤمنين أن يأتوا من الانصراف عنه في الأمر الذي يجمع جميعهم ما يكرهه، والذي بعده وعيد للمنصرفين بغير إذنه، فالذي بينهما بأن يكون تحذيرًا لهم سخطه أن يضطره إلى الدعاء عليهم، أشبه من أن يكون أمرًا لهم بما لم يجر له ذكر؛ من تعظيمه وتوقيره بالقول والدعاء.

(2) انظر: زاد المسير؛ لابن الجوزي (ج8/ 70).

والقُشيريُّ[1] -وأظنُّ والحارثُ المُحاسبي وغيرُهما- صَدَّروا بابَ الأدَبِ بهذه الآية، فإنّ الالتفاتَ زيغٌ، والتّطلُّعَ إلى ما أمام المنظور طُغيانٌ ومُجاوزةٌ، فكمال الأدَبِ إقبالُ النّاظرِ علَى المنظور لا يصرفُ بصرَه عنه يمينًا ولا شمالًا، فهذا تعليمٌ للعبدِ إن وُفِّق لذلك.

فَصْلٌ

وأمّا الأدَب معَ عِبادِ الله؛ فهو أن يعامِلَهم علَى اختلافِ مراتبِهم علَى ما يليقُ بهم، فلِكُلِّ مرتبةٍ أدَبٌ. والمراتب فيها أدَبٌ خاصٌّ:

فالوالِدانِ لهُما أدَبٌ خاصٌّ، قال الله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: 24][2].

ومعَ العالِم أدَبٌ خاصٌّ، ومعَ السُّلطانِ أدَبٌ يليق به، بل معَ كُلِّ واحد من وُلاة الأُمور أدَبٌ يليقُ به. وله معَ الأصحاب أدَبٌ خاصٌّ يليق بكُلِّ واحِدٍ منهم على قدرِ منزلَته عندَه؛ مِنَ الدّين والصّلاح، وكذلك معَ أقاربه وذوي أرحامِه على قدرِ قُربهم منه ودينهم.

ومعَ الأجانبِ أدَبٌ غير أدَبه مع أصحابه وأقاربه، ومعَ الضّيف أدَبٌ غيرُ أدبه معَ أهل بيتِه، ولِكلِّ [54/ ب] حالٍ من أحواله أدَبٌ يليق به؛ فلِلأكلِ أدَبٌ، وللشُّرب أدَبٌ، وللدُّخول إلى المنزلِ أدَبٌ، وللخُروج منه أدَبٌ، وللرُّكوبِ أدَبٌ، وللبَول والنّومِ والسّفرِ والكلامِ والسُّكوتِ

---

(1) راجع: الرسالة القشيرية، الباب الرابع والأربعون الأدب، (ص: 473).

(2) قال ابن عطية في المحرر الوجيز، (ج6/ 185-186): وقوله: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ استعارة، أي: اقطعهما جانب الذل منك، ودمث لهما نفسك وخلقك... وينبغي بحكم هذه الآية أن يجعل الإنسان نفسه مع أبويه في خير ذلك في أقواله واستكانته ونظره، ولا يحد إليهما بصره... ثم أمر الله عباده بالترحم على آبائهم، وذكر منتهما على الإنسان في التربية؛ ليكون تذكر تلك الحالة مما يزيد الإنسان إشفاقًا لهما وحنانًا عليهما.

والاستِماعِ والجِماعِ آدابٌ شرعيّة وأحوالٌ مرضيّة، كلُّها مذكورةٌ في الفِقه في الآدابِ الشّرعيّة بأدلّتِها، فإنّا لو ذكرناها كما هيَ مذكورةٌ هناك لطالَ الكتابُ وخرَجَ عن موضوعِه، ولكن هذه تنبيهاتٌ لِمَن هو عارفٌ، قد وفَّقَه الله تعالى لِسُلوكِ هذه الطّرائق.

وهذه الآدابُ لا تختصُّ بأحدٍ مُعيَّنٍ؛ بل ينبغي لكُلِّ عبدٍ مُؤمنٍ من عبادِ الله أن يتأدَّبَ بآدابِ الشّريعةِ الّتي شرعَها الله ورسولُه، وأن يسلُكَ بأدَبِه طريقًا وسطًا، فلا يغلو فيها حتى تخرجَه إلى الوسوسةِ في عقدِ النّيّة، والإسراف في الماء، ورفع الصّوت بما شُرع من الأذكار سرًّا، وتطويل ما ورَدتِ السُّنّة بتخفيفه، وتخفيفِ ما ورَدَتِ السُّنّة بتطويلِه، ولا يُفرِطُ فيها بما لا يجوزُ في الشّرع، فلا يُفرط في إكرام عِبادِ الله، ولا يجفو عليهم ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات:11].

قال سهلُ بنُ عبدِ الله التّستري[1]: نظَرَ الأكياسُ إلى ذلك[2] فلم يجِدوا غيرَ هذا: أن تكونَ حركتُه وسكونُه في سِرِّه وعلانيتِه لله تعالى[3].

وليَجتهِدِ السّالكُ في المُداومةِ علَى الحياءِ مِنَ الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإنّه عينُ الأدبِ، ولو ساعةً من نَهار، ثُمّ عُد إلى أشغالِك مع نفسِك، ومع عبادِ الله، واحفَظ تلك السّاعةَ، واكتُم هذه السّاعةَ بينَك وبينَ مولاك، ولا تحدِّث بها أحدًا، فإنّه يُخشى أن يُطفأ نورُ المُراقبة من قلبِك، ولا تزال كذلك تتعوَّد هذا ساعةً بعدَ ساعةٍ حتّى يبقَى الحياءُ من الله عَزَّوَجَلَّ طبيعةً فيكَ، فيسكُنُ قلبَك حينئذٍ الخشيةُ والمُراقبةُ، والحياءُ والتّعظيمُ،

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) أي: في تفسير الإخلاص؛ كما في كتاب الأذكار للنووي.

(3) راجع: الأذكار؛ للنووي (ص:48)، وتمامها: ولا يمازجه نفس هوى ولا دنيا.

فإن صبَرت علَى ذلك مُدّة مِنَ الدّهر في قيامِك وقُعودِك، وحركاتِك وسكناتِك؛ أرجو أن تتَرَقَّى بذلك إلى درجة العارفين من أهل المُعاملةِ للـه عَزَّوَجَلَّ. هذا معنى كلام الواسطي[1].

(1) هذا المعنى ذكره في رسالة باسم «مفتاح طريق الأولياء»، طبع ضمن سلسلة لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، طبعة دار البشائر الإسلامية.

الباب الخامس

في آفات النفوس وعيوبها

وهذا بابٌ عظيمٌ، يجبُ الاعتناءُ به في معرفةِ آفاتِ النُّفوسِ وعُيوبِها وأخلاقِها، مِمّا يحتاجُ السّالكُ إلى معرفتِها؛ بل يحتاجُ إليه كُلُّ أحدٍ ليعرفَ عُيوبَ نفسِه وأخلاقَها؛ ليجتَنِبَها ويجتَنِبَ صفاتِها.

فإنّ القلبَ لا يصلُ إلى الله تعالى، وهو ملطَّخٌ برذيلة من رَذائلِ النُّفوس، ومُتخَلِّقٌ بخُلقٍ من أخلاقِها؛ لأنّه إن ماتَ علَى ذلك يحتاج إلى التّطهير والتّكفير؛ إمّا في ضَغطة القبر، أو في أحوال يوم القيامةِ، فإن عَظُمت عليه عيوبُ نفسِه، فيَحتاجُ إلى الدُّخول إلى نارِ جهنّمَ؛ ليتَطَهَّرَ قلبُه من أدناس عُيوبِها، وتخرُج ذهبتُه حمراءَ قد خلَصُت ونقَت من غِشِّها، فيَصلُح عند ذلك حينئذٍ أن يكونَ مُجاورًا لِربِّ العالَمين في دارِ السّلام، فعَلى السّالك الاعتِناءُ بها عِلمًا وعَملًا، فإنّما العمَلُ علَى طهارة القُلَوبِ، وصفاءِ الأسرارِ، فإنّ القلبَ هو بيتُ الرّبِّ[1]، وموضِعُ نظَرِه، فيَحتاجُ إلى تطهيرِه وتسكينِه، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: 9-10]، قال أبو الفرَج: ومعنَى زكّاها: أصلَحَها وطَهّرَها مِنَ الذُّنوبِ[2].

---

(1) يُروى في ذلك حديث «القلب بيت الرب»، قال السخاوي في المقاصد الحسنة، (ص:492): (ليس له أصل في المرفوع، والقلب بيت الإيمان ومعرفته ومحبته). قال الزركشي في التذكرة في الأحاديث المشتهرة، (ص:136): (...القلب بيت الإيمان بالله ومعرفته، وليس هذا من كلام النبي ﷺ).

(2) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (ج9/ 141).

ولا يجعَلُ السّالِكُ جُملةَ نظَرِه إلى أعمال جَوارِحِه، أعمالُ الجوارِحِ إنّما تَزكو وتَنمو إذا برَزت من قلبٍ طاهِرٍ غير مُدنّسٍ بخُلُقٍ من أخلاقِ النّفسِ وعُيوبِها، وكلُّ عمَلٍ صَدَرَ عن قلبٍ مُلطَّخٍ بما كَرِه الله عَزَّوَجَلَّ كان عمَلاً ناقِصًا لا يُعتدُّ به كلّ الاعتدادِ، فإذا علِمَ السّالِكُ في البدايات عُيوبَ النُّفوسِ الظّاهرةَ والباطِنةَ، ووَفّقَه [55/ ب] الله تعالى لاجتنابِها عَبدَ الله حينئذٍ على بصيرةٍ، وأسَّسَ بُنيانَه علَى أصلٍ؛ كما قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[1] [التوبة: 109].

فَصْلٌ

وأربابُ السُّلوكِ علَى قِسمَينِ

قِسمٌ رضوا من أنفُسِهم بتركِ العُيوبِ الظّاهرة، وخَفي عليهم العُيوبُ الباطنة، فرَضوا بأن عَبدوا اللهَ تعالى بالعِبادةِ الظّاهرةِ، وبقَوا علَى العُيوبِ الباطِنة، فقدموا علَى ربِّهم معَ العُيوبِ الّتي لا تُحصى غيرَ تائِبينَ منها؛ بل مُتّكِلين علَى أعمالهِمُ الظّاهرة الّتي عبَدوا اللهَ بها، فهم عندَ أنفُسِهم أصحابُ عِبادة، وسمتٍ، وخُشوعٍ، وزيٍّ حسَنٍ، وصلاةٍ، وصوم، وأعمالٍ، بل قد تَستَّروا بهذه الأعمالِ الظّاهرةِ، وتزَيّنوا عندَ هؤلاء الخَلقِ بها، فويحٌ لهم من مُغترّين مُتّكِلين، اغتَروا بهذه الأعمال الّتي اكتَسبوها بهذه

(1) قال الرازي في تفسيره، (ج16/ 202): قال أبو عبيدة: الشفا الشفير، وشفا الشيء حرفه... والجرف: هو ما إذا سال السيل وانحرف الوادي ويبقى على طرف السيل طين واه مشرف على السقوط ساعة فساعة. فذلك الشيء هو الجرف. وقوله: «هار» قال الليث: الهور مصدر هار الجرف يهور، إذا انصدع من خلفه، وهو ثابت بعد في مكانه، وهو جرف هار هائر، فإذا سقط فقد انهار وتهور.

الجوارحِ، ولـم تَصِل إلى الله تعالى قلوبُهُم؛ لأنّ كلّ قلبٍ عليه مثلُ هذه العُيوب الآتي ذكرُها، فما أبعدَه مِنَ الخالقِ الرّازق، فهم قومٌ نظروا إلى أنفُسِهم لَمّا تعلَّقَت قُلوبُهم بالآخرة، فعَمِلوا في الطّاعات؛ مثل: الصّلاة، والصّوم، وقِراءة القُرآن، والذِّكر، والجِهاد، والحجّ، والصّدقةِ، والعِتق، وعيادةِ المريض، وتشييعِ الجنائز، وأنواع البِرّ، ولم يخلصوا إلى عبادة القُلوب، وأفعالِه الصّالحة، [56/ أ] بل عبَدوا اللهَ تعالى بظاهِر الحالِ مِن الصّوم، والصّلاةِ، والحجّ، والجِهادِ، والصّدقةِ، وأفعالِ البِرّ، كما تقدَّم ذكرُه، بل وتَركوا العُيوبَ الظّاهِرةَ مِنَ الزِّنا، والسّرقةِ، وشُربِ المُسكرِ، والكذِبِ، والغيبةِ، والنّميمة، والسّعي بالفسادِ الظّاهِرِ، ومغالَبةِ النّاسِ بالظُّلم، فرَضوا بهذا من أنفُسِهم، ولم ينتَبِهوا إلى ذُنوب القلبِ وآفاتِه الآتي ذكرُها، نسألُ اللهَ السّلامةَ منها.

وذكر شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ في موضع استطرادًا، فقال: وقومٌ مِنَ الخائضينَ في أصولِ الفِقه، وتعليلِ الأحكام الشّرعيّة بالأوصافِ المُناسبة الّتي تَتضَمَّن تحصيلَ مصالِحِ العِباد، ودفعَ مضارِّهم، ورأوا أنّ المصلَحةَ نوعان: أُخرويّة، ودُنيويّة؛ جعَلوا الأُخرويّة ما في سياسةِ النّفس، وتَهذيبِ الأخلاقِ [مِنَ الحُكم](1)، وجعَلوا الدُّنيويّة ما تَضمَّنَ حِفظَ الدِّماءِ، والأموالِ، والفُروجِ، والعُقولِ، والدِّينِ الظّاهِر، وأعرَضوا عَنِ العِباداتِ الظّاهِرةِ والباطِنة من أنواع المعارِفِ بالله، وملائكتِه، وكتُبِه، ورسُلِه، وأحوالِ القُلوب وأعمالِها؛ كمحبّة الله، وخشيَتِه، وإخلاصِ الدّينِ لَه، والتّوكّل عليه، والرّجاءِ لِرحمتِه ودُعائِه، وغيرِ ذلك من مَصالِحِ في الدُّنيا والآخِرة(2)، انتهى.

(1) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، والمثبت من المصدر الآتي.

(2) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ج32/ 234).

فصل

في ذكرِ العُيوبِ الباطِنةِ الّتي لم يروضوا أنفُسَهم ولم يفطموها عنها

وهي آفات النّفس مثلُ: الغلِّ، والحسَدِ، والخُبثِ، والغِشِّ، والحِقدِ، وطلَبِ العُلوِّ، وطلَبِ المنزلةِ، وطلَبِ الحياةِ في الدّنيا، وحُبِّ الثّناءِ والمحمدةِ، وخوفِ الفقرِ، وقِلّة الأمنِ مِنَ الرِّزقِ، وسخَطِ المقدورِ، والأَنَفةِ مِنَ الفقرِ، والكِبرِ، والغضَبِ لِغيرِ الله، والحميّة للنّفس، وحُبِّ الرِّئاسة، والعداوةِ، والبغضاءِ، والطّمعِ، والرّغبة في النّاس، والرّهبة منهم، والتّعظيم للأغنياءِ بالقلب من أجلِ غِناهُم، والاستِهانة بالفُقراءِ من أجل فَقرِهم، والأشَرِ، والبطرِ[1]، والتّحبُّبِ إلى النّاسِ بما لا يُرضي اللهَ، وطلَبِ رِضاهم فيما يَكرَهه، والمُباهاةِ، والمُداهَنة[2]، والنِّفاق، وحُبِّ التّعظيم، وشَهوةِ الكلام، وغِلظِ القلبِ، وذَهابِ ملكِ النّفس إذا رُدَّ عليه قولُه، وافتِقادِ الحُزنِ، والانتِصارِ للنّفس إذا نالها الذُّلُّ، [56/ ب] والمُماراةِ، واللّجاجِ[3]، والطّيشِ، والعجَلة، والحِدّة، وقِلّة الحياءِ، وقِلّة الرّحمة،

---

(1) أشر: الهمزة والشين والراء، أصل واحد يدل على الحدة. من ذلك قولهم: هو أشر، أي: بطر متسرع ذو حدة. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج1/ 108). بطر: الباء والطاء والراء أصل واحد وهو الشق...ويحمل عليها البطر، وهو تجاوز الحد في المرح. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج1/ 262).

(2) دهن: الدال والهاء والنون أصل واحد يدل على لين وسهولة وقلة...ومن الباب الإدهان، من المداهنة، وهي المصانعة. داهنت الرجل، إذا واربته وأظهرت له خلاف ما تضمر له، وهو من الباب، كأنه إذا فعل ذلك فهو يدهنه ويسكن منه. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج2/ 308).

(3) المراء: الجدال، والتماري، والمماراة: المجادلة على مذهب الشك والريبة. ويقال للمناظرة: مماراة، لأن كل واحد منهما يستخرج ما عند صاحبه، ويمتريه، كما يمتري الحالب اللبن من=

وحُبِّ الدُّنيا، والبُخلِ بها، والنَّظَرِ إلى نَفسِه بعَينِ العُجبِ، والنَّظَرِ إلى غيره بعَينِ الاحتِقارِ، والنَّظرِ إلى أعمالِه، ورُؤيةِ نَفسِه خيرًا من غيره بأعماله وأقوالِه، ومُراءاةِ النّاسِ بكثرة العِبادةِ، وصفارِ الوجه، وحُسنِ السّمت، وانكِسارِ الأطرافِ، والخُشوعِ إذا رَآهم، والغفلةِ، وقيامِ الصّدرِ إذا غابَ عنهُم، -وهذا هو التّزَيُّنُ للمَخلوقينَ الّذي ذَمّه العُلَماءُ- والإعراضِ عنِ الحقِّ استِكبارًا؛ ويدَّعي أنّه لم يفهمه إذا لم يكُن له إليه ميلٌ، والخوضِ فيما لا يَعنيه، وفُضولِ الكلامِ، وفُضولِ الطّعامِ، وفُضولِ النّظر، ويُحبُّ أن يُمدحَ ويُحمدَ بما لا يفعلُ، والانشِغالِ بعُيوبِ الخلقِ عن عُيوبِ النّفس، ونِسيانِ النِّعمةِ، وتركِ ذِكرِ المُنعِم، والعمَى عن إحسانِ الله، وغفلة القلبِ عنِ الله، وتركِ الانتِصارِ للحَقِّ، والانتِصار للباطِلِ معَ العِلم به؛ لِنُصرة نفسِه، والسُّكوتِ عنِ الحقِّ؛ خَشيةَ سُقوطِ المنزلة، وتركِ الأمرِ بالمعروف والنّهي عنِ المُنكرِ، واستِعمالِ التّعنيفِ والغِلظةِ في إنكاره إذا أنكر، وتركِ استِعمالِ التّعريفِ والتّلَطُّفِ في إنكارِ المُنكر، واتِّخاذِ إخوانِ العلانيةِ على عداوةِ السِّرِّ، والأمنِ لِسلب ما أُعطي، والاتِّكالِ علَى الطّاعةِ، والهربِ مِنَ الذُّلِّ، والحِرصِ وطول الأمَلِ، والخيانة والمُخادعةِ والمكرِ، والتّجبُّرِ وعزِّ النّفس، والغفلة، والمنِّ وسوءِ الخُلُقِ، وسوءِ الظّنِّ، [57/ أ] والفرحِ بالدُّنيا، والحُزنِ علَى فَوتِها، والإيناسِ بالمخلوقينَ، والوحشةِ إذا عجَزَ عن رُؤيتِهم، والجفاءِ والمكرِ، واستحقارِ المُؤمن، وغيرِ ذلك ممّا لا أعلَمُه، ولا اطّلعت علَيه مِنَ العُيوبِ الباطنة المُحرَّمةِ والمكروهةِ.

فعِلمُ هذا ومعرِفتُه ومُجانَبتُه لا يَستغني عنه أحَدٌ مِنَ المُسلمينَ؛ حُرٍّ

=الضرع. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (مرا)، (ج8/ 3922).
اللجاج: هو التمادي في الأمر ولو تبين الخطأ. انظر: تاج العروس للزبيدي، مادة (لجج)، (ج6/ 179).

ولا عبدٍ، ذكَرٍ ولا أُنثى، عالِمٍ أو جاهِلٍ، في كُلِّ وقتٍ، فإنّ هذه ذُنوبُ القلوب ومَعاصيها، يجبُ علَى كُلِّ واحِدٍ اجتِنابُها.

فمَنِ اشتغَل بالأعمالِ الظّاهِرة، وغَفَل عن هذه العُيوبِ الباطنة حتَّى ماتَ، قدِمَ علَى ربِّه معَ هذه العُيوبِ غيرَ تائبٍ منها بأعيانِها؛ لأنَّه لم يتَنبَّه لها، وكانت هذه أخلاق النّفس فلَم يُؤدِّها، فحصَلَت له الغفلة عنها؛ بل قد لا يشعُرُ هو وأمثالُه أنّ فيهم عُيوبًا[1]، لأنّهم يُصلّون ويَصومونَ ويَحُجّون ويجتَهِدونَ في أنواع البرِّ كما تقدمَ.

فإذا جاءَت نَوائبُ[2] هذه الأخلاقِ الرّدِئيةِ؛ رأيتَهم مِنَ الجُهّالِ الكِبارِ، فإذا حانَت نَوائبُ الغضَب؛ ظهَرَت منهم أمورٌ تُنكر تلك الأُمورُ مِنَ السُّفهاءِ، وإذا جاءَ موضعُ الطّمع فكذلك.

وإذا جاءَ موضِعُ الذُّل تَراه يَكادُ يُشركُ بالله، وينخَلِع من دينِه هَرَبًا مِنَ الذُّلِّ، وإقامتُه لجاهِه وقدرِه، وإذا جاءَ موضِعُ الرِّزقِ فكأنّه لم يسمَع بوَعدِ الله قطُّ، وإذا جاءَ موضِعُ الفقرِ فتَراه أنِفًا[3] هارِبًا مُستكبرًا عنِ الفُقراءِ مُغتمًّا محزونَ القلبِ من خوفِ فَوتِ [57/ ب] الرِّزق.

فإذا جاءَ موضِعُ الرِّئاسة وجدتَه مُتملِّكًا مُتكلِّمًا بعِزِّ نفسِه، وإذا رُدَّ عليه قولُه بأيسرَ رَدٍّ سَما وغَضِبَ وتكبَّرَ، فإذا وعِظَ في ذلك قال: إنّما

---

(1) في الأصل: عيوب، والمثبت هو الجادة، إلا أن يُقدر ضمير الشأن أو القصّة.

(2) نوب: النون والواو والباء كلمة واحدة تدل على اعتياد مكان ورجوع إليه. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج5/ 367).

۞ النوائب: جمع نائبة، وهي ما ينوب الإنسان: أي ينزل به من المهمات والحوادث. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (نوب)، (ج9/ 4285).

(3) أنف من الشيء يأنف أنفًا، إذا كرهه، وشرفت نفسه عنه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (أنف)، (ج1/ 181).

غضبتُ؛ لأنّه ردَّ الحق، وإن ذمَّه إنسانٌ بما يعلَمُه من نفسِه؛ غضِبَ عليه وهَجَرَه وعاداه، وإن أثنى عليه إنسانٌ بما ليس فيه؛ فرِحَ به وصادَقَه وواخاهُ[1] كَثيرَ الكلام، كثيرَ الفُضولِ، صاحِبَ الشّهَواتِ، وهو معَ ذلك فرِحٌ مُستبشرٌ كأنّه قد جازَ الصِّراطَ، وأُعطي البراءةَ، وجاءَه البشير مِنَ الله تعالى بالفوزِ والخلاص، خوفُه من الخلقِ أكثَرُ من خوفِه مِنَ الله، كما قال تعالَى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: 13] يَشتهي الخلقَ كُلَّهم علَى رأيه، فإن خولف أقامَ القيامةَ علَى مُخالفتِه، قد خفي عليه هذه العُيوبُ الباطنة، ولم يتّقِ اللهَ في السِّرِّ، ولم تَسكن المُراقبةُ في قلبه، ويحًا لهؤلاءِ مُغترّين بأعمالهمُ الظّاهرةِ، وبواطِنهم مزابلُ، فيها مثلُ هذه العُيوبِ، فإذا كان الواحِدُ منهم بهذه المثابةِ، فبأيِّ مقام يَنطق، وعن أيِّ وجدٍ يُشير إذا كان القلبُ مَشغولًا بهذه العُيوبِ، فأيُّ قلبٍ كان فيه ذلك كان رديئًا يحتاج إلى تَطهيرٍ، وربما كان في الشّخصِ عُيوبٌ لا يَفطنُ لَها، فبمُقارنة النُّقادِ يظهر له زيفُ نفسِه، ويُشرق في أنوارهم ظلماتُه، فيَهتدي بأنوارِهم إلى نورِ النّبيِّ ﷺ.

وسُنبيِّن -إن شاء الله تعالى- علاجَ التّخلُّصِ من هذه الآفات في البابِ الآتي، ونسأل اللهَ المانّ بفَضله وكرَمِه وجوده ونِعَمِه أن يوفِّقَنا إلى التّخلُّصِ من هذه العُيوب.

كان الحسَنُ البصريُّ[2] يقول: طوبى لِمَن إذا ماتَ ماتَت ذُنوبُه[3].

---

(1) وواخاه: لغةٌ ضعيفةٌ في آخاه، تبنى على يواخي. وتَوَخَّيتُ مرضاتَك؛ أي: تحرَّيتُ وقصدتُ. وتقول: استوخِ لنا بَني فلانٍ ما خبَرُهُم؟ أي استخبرهم. انظر: الصحاح؛ للجوهري (ج6/ 2521).

(2) تقدمت ترجمته.

(3) قال أبو طالب المكي في قوت القلوب، الفصل الثاني والثلاثون، ذكر فروض التوبة، (ج2/ 511): (وقد قيل: طوبى لمن إذا مات ماتت ذنوبه معه ولم يؤخذ بها بعده وطوبى=

[58/أ] فصل

والقِسم الثّاني: من أرباب السُّلوك من أهل هذا الزّمان؛ يترسّمون برُسوم أهل المحبّة والولَه[1] والعِرفان، يدّعون المحبّة والاصطلامَ[2]، ويسلُكون غيرَ سبيلِ أولي الأحلام، نَبذوا كِتابَ الله جانِبًا اعتِناءً وعَملًا، وأقاموا تِلاوتَه رَسمًا وطَللًا، ليسَ للكِتاب العزيز ولا للنّبيِّ ﷺ عندهم عظمة، يُعظِّمون شُيوخَهُم، ويَعكُفون على مَحبَّتِهم عُكوفَ العابِدِ على معبوده، والمربوبِ علَى ربِّه، كما قال الأوّلون: ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:3]، وكما قال تعالى في حقِّ أهل الكِتاب: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [التوبة: 31].

يُتوّبون المُريدين، ولا يُطالِبونَهم بطلب العِلم الواجِب؛ من علم الفرائضِ والسُّننِ والاتِّباع، ولا يأمُرونَهم بحسم الأطراف والجوارح عنِ المحارم بالإقلاع، قد ماتَ الدّينُ في قُلوبهم، ومُحيتِ السُّنّة علمًا وعملًا عن سُلوكهم، يُصلّون بقُلوب غافِلةٍ وهِمَم راكِدةٍ، لا يُصدَّق الأكثرُ منهم متى ينفتِل عن صلاته إذا صلّى، ولا يفطِنُ لها عندَ المغنَى، إذا

=لمن لم يَعدُ ذنبُه غيرَه). وكذا نقل العبارة الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين، (ج2/ 74) و(ج4/ 33) و(ج4/ 369) ولم ينسبها لأحد.

(1) الوله: ذهاب العقل، والتحير من شدة الوجد. ورجل واله، وامرأة واله وواهة. انظر: الصحاح للجوهري، مادة (وله)، (ج6/ 2256).

(2) قال الكاشاني في كتاب اصطلاحات الصوفية، تحقيق عبد العال شاهين، ط دار المنار (ص:55): الاصطلام: هو الولَه الغالِب على القلبِ، وهو قريبٌ من الهيمانِ. وقال ابن عربي في «رسائل ابن عربي»، ط دار الكتب العلمية، كتاب اصطلاحات الصوفية (ص:413): الاصطلام: نَعتُ وَلَهٍ يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه.

غنّى، تَثور بواعثُهُم، وتظهَرُ كوامنُهم عندَ الضّرب بالدُّفوفِ، والنّفخ في الشّبّاباتِ[1]، والضّربِ علَى الأوطارِ؛ مثلُ القانونِ[2] والعود ونَحوِهِما، ممّا يُحرِّكُ الطِّباعَ ويُخرجها عنِ الاعتدال، وقد أخرجوا لهذه الأغاني ألحانًا مختلفة معَ المواصيلِ المعروفةِ في هذا الزّمان، تُخرج سامعَها عن حيِّز الاعتدالِ إن لم يكُن عندَه زاجِرٌ شرعيٌّ، فإنّ هذه الآلاتِ تصدُّ عن ذكرِ الله وعنِ الصّلاة، فإذا كان يحضرُ هذا السّماعَ الشّيخُ والمُريدونَ معَ طوائفَ مِنَ الجاهلينَ البطّالينَ الّذين يُبعِدون العبدَ عن طريقِ نَجاتِه، ويحجبونَه عن أسباب سعادَتِه في أولاه وآخِرتِه، ويخوضون به كثيرًا في قيلٍ وقال لا هِمّة لهم في التّقوى، ولا تَظهر عليهم أثَرُ المخافة مِنَ الله عَزَّوَجَلَّ، فمَن حضَر معَ هؤلاء البطّالينَ معَ هذه الآلاتِ المُحرَّمة، وربَّما كان المُغني أمرَدَ حسنًا، أو بين الحاضرين مُردان حِسانٌ، وأقبَح من هذا أن يكون بينَهم نِساءٌ أجانِب؛ فهل يستَريب [58/ ب] عاقِلٌ في تحريم هذا السّماعِ؟!

وبعضُهم يُريد: أن يجعَلَ السّماعَ جِنسًا واحِدًا، والتّأله جِنسًا واحِدًا، ولا يُميِّزون بينَ مشروعه ومُبتدعِه، ولا بينَ المأمورِ به والمنهي عنه، بل قد يكون حصَلَ للسّالك مِنَ الصّفاءِ والنّورِ في القلب، فإذا اجتمعَ بهؤلاءِ الطّوائفِ المُنحرفينَ؛ تَسوَّدَ[3] قلبُه، وانكسفَ قمَرُه بعدَ أن كان

---

(1) الشّبّابات: جمع شبّابة؛ قصبة يزمر بها الراعي، مولّدة، وتعرف أيضًا بالبراعة والقصبة. انظر: التلخيص في معرفة أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري، الباب التاسع والثلاثون في ذكر الملاهي وملاعب الصبيان، (ص:422).

(2) القانون: آلة موسيقية على شكل مربع توضع الأوتار على بسائطها مشدودة في رأسها ثم تقرع الأوتار إما بعود أو بوتر مشدود بين طرفي قوس. راجع: كتاب الأغاني للأصفهاني، مطبعة دار الكتب المصرية سنة 1952، مقدمة المحقق، فصل في صناعة الغناء، (ج1/ 9).

(3) كذا في الأصل.

نـورًا، فالحـذَرَ الحـذَرَ. ولا بُـدَّ أن نُبيِّـنَ السّـماعَ الّـذي شـرَعَه اللـه لِعبـادِه، وكـان سـلَفُ الأُمّـة مِـنَ الصّحابـةِ وتابعيهـم ومشـايخ أهـل الطّريقـةِ يجتَمِعـون عليـه لِصـلاحِ قُلوبِهِـم، فنَذكـرُه فيمـا بعـدُ إن شـاءَ اللـه.

وأمّـا هـؤلاءِ لـو فتّـش المُفتّـش عـن ذوق أحَدِهـم وحالِـه، لَوجَـدَه ذَوقًـا مُجمـلًا، وتألُّهًـا مطلقًـا، وحبًّـا لا مُتعلَّـق لَـه، بـل حـبٌّ نفسـاني يثـوره الطّـربُ والغِنـاءُ، ويميـلُ بصاحبِـه إلـى المِـلاح مِـنَ الصِّبيـان والنِّسـاء.

وقـد جـاءَ فـي الأثـرِ أنّ اللـهَ تعالـى لَمّـا خلَـقَ آدمَ وخلَـق فر-جَـه قـال: يـا آدمُ! هَـذا وديعَتـي عنـدَك، قـال اللـه تعالـى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧﴾ [1] [المؤمنون: 5- 7]، وبعـضُ هـؤُلاءِ المُتلبِّسـينَ بالفقـرِ لا يُعظِّمـون مـا نَهـى اللـه عنـه مِـنَ المحـارِم، ولا يُبالـون بالنّظـر والمُضاجعـة والمأثَـم، ولا يغضَبـون إذا انتُهِكـتِ المُحرَّمـات مِـنَ الميـلِ إلـى الأجنَبيّـاتِ والاجتِمـاعِ بهِـنّ مـعَ المؤاخـات، يُقـرّون أتباعَهـم علَـى أكـل الحيّـاتِ، ونُـزولٍ فـي النّـار فـي الاجتِماعـاتِ، فيعتَقِـدُ الغِـرُّ أنّ هـذا لهـم كَرامـة، ولـو كـان حقًّـا فـي نفسِـه كـان إظهـارُ ذلـك للخَلـق مـن غيـرِ ضَـرورةٍ موجبـةٍ يوجـب البُعـد مـنَ اللـه والملائكـةِ، فالصّـادِق منهـم إذا هـاج حالُـه المُجمـل يغيـبُ عقلُـه، فقـد يفعَـلُ ذلـك وهـو فيـه ملـومٌ غيرُ معـذورٍ، وغالِـبُ مـا يفعلونـه زوكـرة[2] وخُزعبلاتٌ، تـروج علـى أهـل البر فـي القُـرى، فالحـرام عندَهـم مـا عدِمـوه، والحـلال مـا وجَـدوه، اللهـم إلّا آحـادٌ شـواذٌّ معَهـم مسكـةٌ مِـنَ الدّيـن، وهـم فيهـم قَليلـون أفـرادٌ، وإنّمـا هـذا عندَهـم هـو الشِّعـارُ الظّاهـرُ، والمنهَـجُ المسلـوكُ العامِـرُ،

(1) انظر: مفتاح طريق الأولياء لابن شيخ الحزامين، ط دار البشائر، (ص: 34).

(2) الزوكرة: لفظٌ يستعمله المغاربة، ومعناه عندهم: المتلبِّسُ الّذي يُظهِرُ النُّسكَ والعبادة، ويُبطِنُ الفسقَ والفساد. انظر: نفح الطيب للمقري التلمساني، ط دار صادر، (ج6/ 12).

رَفَضوا الورَعَ وطَوَوا بساطَه، ونَبَذوا قواعِدَ الزُّهدِ وحلّوا رِباطَه، ورَغِبوا في فُتوحاتِ التُّركِ والتُّجّارِ الأغنياءِ والظَّلَمةِ مِنَ العُمّالِ، ولم يبالوا إذا جاءَ الفتوحُ حرامًا كان أو حلالًا، ليس فيهم مِنَ الدّينِ إلّا مسكةٌ هم فيها لِشُيوخِهم [59/ أ] مُقلِّدونَ ليسوا فيها علَى بصيرةٍ مُهتَدون، قد اتَّخَذوا قُبورَ مشايخهم أعيادًا، كما اتَّخذ السّالِفونَ من دون الله أندادًا، يَسجدون علَى أعتابِهم معَ كَشفِ الرُّءوسِ، ويتَضرَّعون إليهم عندَ نَوازلِهم وكُرُباتِهِم، ويفعَلون أمورًا بدعيّة عندَ قبرِ الشّيخ، كما كان يُفعَل عندَ الأصنام -يطول شرحُها- وقد نَهَى رسولُ الله ﷺ أن يُتَّخذَ قُبرُه عيدًا، وقال: «**لَعَنَ اللهُ اليهودَ والنّصارَى اتَّخذوا قُبورَ أنبيائِهم مَساجِدَ**»(1).

---

(1) متفق عليه: 1- صحيح البخاري: - كتاب الصلاة، حديث (435و436)، عن عائشة وعبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: «لعنة الله...» يحذر ما صنعوا.

۞ كتاب الصلاة، حديث (437)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله...».

۞ كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، حديث (1330)؛ عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه -الحديث-، قالت: ولولا ذلك لأبرزوا قبره غير أني أخشى أن يتخذ مسجدًا.

۞ كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، حديث (1390) كاللفظ السابق إلا في آخره: (غير أنه خشى أو خُشي أن يتخذ مسجدًا).

۞ كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث (3453و3454)، بلفظ حديث (435و436).

۞ كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، حديث (4441)، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه -الحديث- ولولا ذلك لأبرز قبره؛ خشي أن يتخذ مسجدًا.

۞ كتاب اللباس، باب الأكسية والخماص، بلفظ حديث (435و436). =

قال القاضي إسماعيلُ المالكيُّ في «المبسوط»[1]: وقد روي عن مالكٍ أنَّه سُئِل عمَّن نَذَر أن يأتيَ قبرَ النَّبيِّ ﷺ؟ فقال: إن كان أراد مسجِدَه فليأتِه وليُصلِّ فيه، وإن كان إنَّما أراد القبرَ فلا يفعَل، للحديثِ الَّذي جاءَ: «**لا تُعمَلُ المطيُّ إلَّا إلى ثلاثة مَساجِدَ: المسجِدِ الحرام، ومَسجِدِ الأقصى، ومَسجِدي هَذا**»[2].

وقال النَّواوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح مُسلم» في باب النَّهي عن بناءِ المساجدِ على القُبورِ، فقال في أثنائه: قال العُلماء: إنَّما نَهى النَّبيُّ ﷺ عنِ اتِّخاذِ قَبرِه وقبرِ غيرِه مَسجدًا؛ خوفًا مِنَ المُبالغةِ في تعظيمه والافتِتانِ

= 2- صحيح مسلم: حديث (19- 529)، كلفظ البخاري حديث (1444).

وحديث (21-530)؛ عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: الحديث. وحديث (22-531)؛ بلفظ حديث (435و436). قال ابن رجب في فتح الباري، (ج3/ 248): وقد اتفق أئمة الإسلام على هذا المعنى، قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأكره أن يعظم مخلوق حتى يتخذ قبره مسجدًا خشية الفتنة عليه وعلى من بعده...

(1) هو الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن محدث البصرة حماد بن زيد بن درهم الأزدي مولاهم، البصري، المالكي، قاضي بغداد، وصاحب التصانيف، ولد سنة (199هـ)، واعتنى بالعلم من الصغر، وفاق أهل عصره في الفقه، وتوفي سنة (282هـ). ويعدُّ كتابه المبسوط من أمهات كتب المالكية، وهو مفقود. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج13/ 339-341).

(2) أخرجه: 1- الإمام مالك في الموطأ، ت الأعظمي، كتاب الصلاة، ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة، (ج2/ 151)، ضمن حديث مطوَّل. 2- الإمام أحمد في مسنده (23848)، (ج39/ 267). 3- من طريق الإمام مالك أخرجه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ، ت أكرم العمري، (ج2/ 294). 4- الطحاوي في شرح مشكل الآثار، (ج2/ 53-59)، (578-593). 5- ابن حبان في صحيحه، ذكر البيان بأن في الجمعة ساعة يستجاب فيها دعاء كل داعي، حديث (118)، ضمن حديث مطول. 6- الضياء المقدسي في فضائل بيت المقدس حديث (3). راجع: مجموع الفتاوى؛ لابن تيمية، (ج1/ 304). الصارم المنكي في الرد على السبكي؛ لابن عبدالهادي، ط مؤسسة الريان، (ص:58).

بـه، فربَّمـا أدَّى ذلـك إلـى الكُفـر، كمـا جـرَى لِكثيـرٍ مِـنَ الأُمَـم الخاليـةِ[1]، انتَهـى كلامُـه.

فـإذا كان هـذا وهـو رسـولُ ربِّ العالَميـنَ، وخاتَـمُ النّبيّيـن، ولو جـازَ ذلك في قبـورِ المشـايخِ الفُقـراءِ، لـكان قبـرُه ﷺ أحـقَّ بذلـك ممَّـن هو لـه تبَعٌ.

قـال الشّيخُ العالِـمُ العـارِفُ عمـادُ الدّيـنِ الواسِـطيُّ[2]: ومـن صِفـاتِ هؤُلاءِ أنّهـم إذا جاءَهـم الأمـرُ والنّهـيُ تَراهـم عنـدَه كأنّهـم أمـواتٌ، وعنـدَ العزائـم الشّـرعيّة والحـلالِ والحـرام تجِدُهـم هَشيمًا كأنّهـم رُفـاتٌ، وعنـدَ الزّفـنِ[3] والمُـكاءِ[4] والتّصديـةِ[5] أحيـاء، لهـم [59/ ب] أجيـجٌ وضَجيـجٌ بالهمهَمـةِ والأصـواتِ.

أيُّهـا الغافِلـونَ! أيـنَ هـذا الدّيـنُ مـن ديـنِ الرّسـولِ؟! وأيـنَ هـذا النّهـجُ مـن نَهـجِ أصحابـه والتّابعيـنَ لـه فـي المعقـول والمنقـول؟! كلّا واللـه، ثُـمّ واللـه، ثُـمّ واللـه؛ مَـن حقَّـقَ الأمريـنِ، وأطـرَحَ العصبيّة والهـوَى؛ وجَـدَ بيـنَ الأمريـنِ أمَـدًا بعيـدًا، وبيـنَ لونَيهِما مخالفـة بيّنة، كمُخالفةِ الأبيَض للأبلَق[6] تقديـرًا وتجديـرًا[7].

والعجـبُ ممَّـن يغتَـرُّ بهـؤلاءِ وهـو يزعُـم أنّـه علَـى ديـنِ الرّسـولِ، وقـد

---

(1) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، (ج5/ 13).

(2) تقدمت ترجمته.

(3) الزاء والفاء والنون ليس عندي أصلا، ولا فيه ما يحتاج إليه. يقولون: الزفن: الرقص. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (زفن)، (ج3/ 14).

(4) أي: الصفير. انظر: جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي، (ج2/ 1084).

(5) أي: التصفيق باليدين. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (صدى)، (ج3/ 341).

(6) البلق: سواد وبياض. انظر: الصحاح لجوهري، مادة (بلق)، (ج4/ 1451).

(7) جـدَّره تجديـرًا: شَـيَّدَه. انظـر: القامـوس المحيـط، ط مؤسسـة الرسـالة، مـادة (الجـدر)، (ص: 363).

رأى أحوالهم تُخالِفُ سنّتَه، وحَذوَهم يُخالِف منهَجَه، إنّ هذا من الهوى والذُّهول، انتَهى كلامُه(1).

فصل

ومن آفاتِ النُّفوسِ: ما يفعلُه بعضُ مشايخ أهل زمانِنا هذا في قصدِ الخلوة والانقطاع في زاويتِه أو في بيتِه لأَجلِ العِبادةِ؛ كما رَوى ابنُ أبي الدّنيا بإسناده، قال: حَدَّثَنا محمَّدُ بنُ أبي منصورٍ(2): أنّ عابدًا من بَني إسرائيلَ عَبَدَ اللهَ في سِربٍ(3) أربَعينَ سنة، فَكانتِ الملائِكة تَرفَعُ عَمَلَه إلى السّماءِ فلا يُقبَلُ، فقالتِ الملائِكة: وعِزَّتِكَ رَبَّنا! ما رَفَعنا إليك إلّا خَفاءً. قال: صَدَقتُم [مَلائِكَتي](4)، ولَكِنّه يُحِبُّ أن يُعرَفَ مَكانُهُ(5).

وفي ذلك مِنَ الفسادِ ما يعلَمُه ربُّ العِباد من حُبِّ التّعظيم، ومشيِ النّاسِ إليه، وصرفِ وجوههم بالإقبال عليه، ومدحِهم لَه، وتقبيلِهم يدَيه، وتَشييعِ ذكرِه بذلك، فيكونُ غاية ما في البابِ أنّه قد ساعدَه القدرُ في صيتٍ قدِ انتَشَر، وجمعٍ ونفَرٍ وشوكةٍ في العاجِلة إلى أجلٍ مُستقرٍّ، وأحوالٍ نفسانيّة، ومَواجيد جمليةٍ لا لِمُعيّن، ولا إلى متعيّن، أتباع كلِّ ناعقٍ، وأعوان كلِّ جاهلٍ مهملٍ للدّين غيرِ موافقٍ، وهو وأمثالُه مع ذلك يستعمَلون جُملًا من مكارمِ الأَخلاقِ؛ مثل: البشاشة في اللِّقاءِ، وحُسنِ

---

(1) لم أقف عليه.

(2) لم أقف على ترجمته.

(3) أي: بيت في الأرض. انظر: الصحاح للجوهري، مادة (سرب)، (ج1/ 147).

(4) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، والمثبت من المصدر الآتي.

(5) انظر: الإخلاص والنية؛ لابن أبي الدنيا، ط دار البشائر، (ص: 48).

الوُدِّ، والرّحمةِ للخَلقِ، وجُلُّ ما يفعلونَه قِرى الأضيافِ[1]، [60/ أ] وهو أصلُ ما يعتمدُ عليه في الزّوايا اليوم.

ومنها: إغاثةُ الملهوفِ[2]، وإعطاءُ المُضطرِ، والتّآلُفُ معَ الأصحابِ، وحُسن الخُلُقِ معَهم، ومُجانبةُ الغِلظةِ عليهم في بعضِ الأحيانِ، وقد تظهَرُ أضدادُها في بعضِ الأحيانِ، وبعضُها قد يُستعمل ديانةً نادرًا، ومعظَمُها مُداراةٌ أو سياسةٌ؛ وهو العقلُ المعيشيُّ، والقدَر قد يُساعدُ الكافرينَ، وينصُر المُبطلينَ، ويُقوّي الكفّارَ علَى المسلمين، والأحوالُ النّفسانيّة للرُّهبانِ والقِسيسينَ، ومكارمُ الأخلاق كانت للجاهليّة القُرشيِّن، فإنّهم كانوا يفكّونَ العاني[3]، ويحمِلونَ الكلَّ[4]، ويَقرُونَ الضّيفَ، وغير ذلك ممّا نُقل إلينا عنهم مِنَ الأعمال الّتي قال الله تعالى فيها: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً[5] مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: 23].

معاشرَ الإخوانِ العُقلاءِ! إنّما الاعتبارُ بعقودِ الدّين وأعمالِه، والثّباتِ علَى الاستِقامةِ في الأمر والنّهي وأحكامه، أين هؤلاء من تَمسُّكِ أهل الدّين الّذين حقّقوا الإسلامَ والإيمانَ، وكانوا مِنَ الله خائفينَ، ومن محاسَبَتِه وجلينَ، فلا تغترّوا بكثرة الجُموعِ، فإنّ الواحِدَ مِنَ الصّادقين

---

(1) القِرَى: الإحسان إلى الضيف، قَراه يَقريه قِرى. انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد، (ج5/ 204).

(2) لهف: اللام والهاء والفاء كلمة تدل على تحسر...والملهوف: المظلوم يستغيث. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج5/ 217).

(3) أي: الأسير. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، مادة (عنا)، (ج7/ 2922).

(4) الكلّ: هو بالفتح: الثقل من كل ما يتكلف. والكل: العيال. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (كلل)، (ج8/ 3671).

(5) هبا الغبار يهبو؛ ثار وسطع، والهبوة كالغبرة، والهباء: دقاق التراب وما انبت في الهواء فلا يبدو إلا في أثناء ضوء الشمس في الكوة. انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، مادة (هبا)، (ص: 657).

كألفٍ مِنَ الهمَجِ الرِّعاعِ المُبطِلينَ، هل تجِدونَ فيهم ذا بصيرةٍ بالدِّينِ، أو ذا عقلٍ متينٍ، أو فقيهٍ في الدِّين، أو مَن يُرشد النّاسَ إلى الهُدَى المُستبينَ، أو مَن يأخذُ دينَه مِنَ القرنِ الأوَّلِ أهلِ الهُدى والتّمكين، غالبُهم أجلافٌ جهّالٌ [60/ ب] لا توبةٌ صحيحةٌ، ولا ورعٌ شافٍ، ولا خوفٌ مُزعِجٌ، ولا تمسكٌ مُرضي، ولا اتِّباعٌ جليٌّ، ولا كشفٌ صحيحٌ، ولا تفرُّدٌ تامٌّ، ولا معرفةٌ محقَّقةٌ، فهم يحسِبون ما لهُم، ويُهمِلون ما عليهِم، وهذا معنى ما ذكرَه الشّيخ العارِفُ الرّاسِخُ عمادُ الدّين الواسِطيُّ(1).

ثمَّ قال: والعُهدة في ذلك علَى الرءوسِ منَ العُلماءِ الرّاسخينَ والمشايخِ العارفينَ؛ لأنّهم أهمَلوا الأمرَ من أوّلِه فاتّسع بسَببِ ذلك الخرقُ، وابتَدعوا بدعًا صغارًا فاتّخذَها الأصحابُ سُننًا فصارت بدعًا كِبارًا، فلو أنّ المشايخَ طالبوا مُريديهم بمحاسبة الجوارحِ، والمُحافظةِ علَى الأوامرِ، واتِّباعِ الآثارِ، واجتنابِ البِدعِ، وما لم يشرعه الرّسولُ ﷺ في السُّننِ والأخبارِ؛ لكان الأمرُ محفوظًا، لكنّهم ضيَّعوا شبرًا، فضيَّعَ الأصحابُ باعًا، وابتَدعوا قبضةً، فابتدَع المُريدون قامةً، هذا أمرٌ واضِحٌ لا شكَّ فيه.

ثم ذكَر أُمورًا عن بعضِ المشايخِ والمُريدينَ وما أحدَثوا من البِدع، فما اجترأتُ أن أذكرَه لبشاعتِه، فإنّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان شديدًا في الدِّين، مُتّبِعًا للحقِّ المُبينِ، عندَه تألُّهٌ صادِقٌ، وكشفٌ صحيحٌ.

ثُمّ ذكر في أثناءِ كلامِه: ولو أنّهم ضيَّقوا على أصحابهم بلُزوم المُتابعة، واجتِنابِ الصّغائرِ من قليلِ المُؤانسةِ والمُحادَثةِ، ونَبذوا كُلَّ أمرٍ لا يدلُّ عليه الكتابُ والسُّنّة؛ كانوا آيةً راشِدينَ، لكنّهم أهل نَصيبٍ مِنَ المعرِفةِ،

(1) تقدمت ترجمته.

وأمّيين غيرَ عالِمينَ، فاقتدوا بهم في جميع أُمورهم في عباداتِهم [61/ أ] وبدَعِهم ومُناجاتِهم، ونبذوا الشّريعةَ وراءَ ظُهورِهم، فآلَ أمرُهم إلى ما تَرى في هذا الزّمان، وفي سائر النواحي والبلدان، وما يُفسِد النّاسَ إلّا حُسنُ الظّنِ بسلَفِهم.

ولَمّا كان الشّيخ القُدوةُ الإمامُ العالم عبدُ القادرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1] حقّق لزومَ المُتابعةِ، وحصَرَ أصحابَه بقُيود الشّريعةِ في الابتِداءِ، لم ينتشِر في طائفَتِه مثلُ هذه المُنكرات، ولا استعمَلوا هذه الفضائح الموبقات، بل تَراهم أهل تَمسُّكٍ وعَفافٍ في زَواياهُم، مضبوطينَ في أكثَر الأُمور عنِ الانحِرافِ والزّللِ الواقعِ منهم بحكم الحظوظِ النّفسانيّة لا بحُكم المُتابعةِ للشّيخ، فاستدِلَّ أيّها العاقِل بذلك علَى تضييع سلَفِ أولئك لِمَبادئِ الأُمورِ، انتَهى[2].

فَصْلٌ

ومن آفاتِ النُّفوسِ: عدَمُ الإخلاصِ في الدّين لله، فلا يكونُ مقصودُه أن يكونَ الدّينُ كلُّه لله، وإن كان مقصودُه فلا يكونُ مُتّبِعًا لشريعةِ الله، بل قصدُه نوعُ سُلطانٍ في العالم؛ إمّا سُلطانُ قُدرةٍ وتأثيرٍ، أو سُلطانُ كشفٍ واختيارٍ، أو قصدُه غالبُ ما يُريدُه، ودفعُ ما يكرَهُه بأيِّ طريقٍ كان، أو مقصودُه نوعُ عبادةٍ وتألُّهٍ بأيِّ وجهٍ كان، فيكونُ إمّا جاهلًا، وإمّا ظالِمًا تاركًا لبعضِ ما أمرَه الله، راكِبًا لبعضِ ما نَهى الله عنه، وهذه حالُ كثيرٍ ممَّن يتأَلّه ويتصوَّف ويتفقَّر، ويشهدُ قدرَ الله وقضاءَه، ولا يشهَدُ أمرَ الله ونَهيَه، ويشهَدُ قيامَ الأكوانِ بالله وفقرَها إليه وإقامَتَه لها، ولا يشهَدُ ما

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) لم أقف عليه.

أمَرَه به [وَما نَهى عنهُ][1]، وما الّذي يُحبُّه الله له، وما الّذي نهاه الله عنه، ولهذا يكثُرُ في هؤلاءِ مَن له كشفٌ وتأثيرٌ وخرقُ عادة معَ انحِلالٍ عن بعضِ الشّريعةِ، ومخالفةٍ لبعضِ الأمرِ، وإذا أوغَلَ الرّجلُ منهم دخَلَ في الإباحةِ[2] والانحِلالِ، ورُبّما صعدَ إلى فسادِ التّوحيدِ، نسألُ اللهَ العافيةَ.

هذا معنَى ما ذكرَه شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ[3].

فَصْلٌ

ومن آفاتِ النُّفوسِ: الدّاءُ الأكبَرُ؛ وهو حُبُّ الدّنيا والحياةِ الّذي هو منشَأ الآفاتِ فيها والرِّئاسة، وقد ذكرنا ذلك مُجملًا، وهلَ وقَعَ ما وقَع في الكونِ مِنَ الشّرِّ والظُّلمِ وسفكِ الدِّماء وقطيعةِ الأرحامِ إلّا من حُبِّ الدّنيا؟

وقدِ استحوَذَ هذا الدّاءُ علَى أكثر العُلماءِ، فبِسبَبِه تبذلُهم للأُمراء الجوَرةِ في زمانِنا، فيحمِلون أنفُسَهم ويمشون إلى أبوابهم ويُحسِّنون لهم ما يصنَعون، ويُفتونهم بما هم مسئولون عنه يوم القيامة، فلا ما عرفوه من العِلم راضَهم، ولا بلغوا القبيح ما يصنعوه أعراضَهم.

قال العابِدُ الكامِلُ يَحيى بنُ مُعاذٍ الرّازيُّ[4]: اجتَنب صُحبةَ العُلَماءِ الغافِلينَ والقرّاءِ المُداهِنينَ والصّوفيّة الجاهِلينَ[5].

وأعظمُ من هذا: أنّ من أهل العِلم والمشايخِ أربابِ الحلِّ والعقدِ

---

(1) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، والمثبت من المصدر الآتي.

(2) في مجموع الفتاوى: الإباحية.

(3) راجع: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (ج14/ 10-11).

(4) تقدمت ترجمته.

(5) انظر: طبقات الصّوفية؛ للسلمي (ص:102).

والولايات يرَونَ ويسمَعون من بعضِ الأُمراءِ وحواشيهم ما لا يرضاه الله ولا رسوله، فلا ينكرون عليهم شيئًا من ذلك، بل يدخل الرجل الكبير منهم إلى الدّار التي يسمونها دارَ السّعادة، فيَرَى عليهم لبس الحرير المصمت[1] -وليس هو وقت حرب- وأطران[2] الذهب وغير ذلك، فلا ينكره ولا ينهى عنه [61/ ب] بل قد يسمع منهم من الكلام الذي لو سمعه من مثله أو من أهل خرقته لسارع إلى تكفيره أو تعزيره، ويح لهؤلاء من الله تعالى.

قال الفُضيلُ بنُ عياضٍ[3]: وذُكِر عنده مُجالسة الفُقهاءِ، فقال: إنّ في مُجالسةِ بعضِهم لِفتنة تَزيدُ الجاهل، وتفتن العالم، وتزيد الفاجر فجوره، وتفسد قلب المؤمن[4].

قال مُقاتِلُ بنُ صالِحٍ: دخلتُ علَى حمّادِ بنِ سلَمة[5]، فإذا ليسَ في البيتِ إلّا حصيرٌ وهو جالِسٌ علَيه، ومُصحَفٌ يَقرَأُ فيه، وجِرابٌ فيه عِلمُه،

---

(1) هو الذي جميعه إبريسم، لا يخالطه فيه قطن، ولا غيره. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (صمت)، (ج6/ 2375).

۞ قال الرحيباني في مطالب أولي النهى، ط الأوقاف، (ج2/ 147-148): (ولا) يحرم (خز)، أي: ثوب يسمى الخز (وهو: ما سدي بإبريسم)؛ أي حرير (وألحم بنحو قطن) كوبر (وصوف) وكتان...والحاصل: أن ما نسج بالحرير وغيره فيه ثلاثة صور: إحداها: أن يسدى بالحرير وغيره، ويلحم كذلك. الثانية: أن يسدى بغير الحرير ويلحم به. الثالثة: أن يسدى بغير الحرير، ويلحم به وبغيره. فهذه الثلاث صور يعتبر فيها أغلبية الظهور؛ فإن كان الغالب ظهور الحرير حرم، وإلا فلا.

(2) الطرن والطاروني: ضرب من الخز. انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (طرن)، (ج13/ 265).

(3) تقدمت ترجمته.

(4) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر، ط دار الفكر، (ج48/ 417).

(5) تقدمت ترجمته.

ومِطهَرة يَتوَضَّأُ فيها، فَبينا أنا عنده إذ دُقَّ عليه البابُ، فقال: [يا][1] صَبيّة! اخرُجي فانظُري مَن هذا، قالت: هذا رَسولُ محمَّدِ بنِ سُليمانَ، قال: قولي له يدخُلُ وحدَه، فدَخَلَ، فسلَّمَ، وناوَلَه كِتابَه، فقال: اقرَأه، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من محمَّدِ بنِ سُليمانَ[2] إلى حمّادِ بنِ سلَمةَ، أمّا بعدُ؛ فَصبَّحَكَ الله بما صَبَّحَ به أولياءَه وأهلَ طاعَتِه، وقَعَت مسألة، فَأتِنا نسألُك عنها، قال: يا صَبيّة! هاتِ الدّواةَ، ثُمّ قال: اقلِبِ الكِتابَ، واكتُب: أمّا بعدُ؛ وأنت صبَّحَكَ الله بما صبَّحَ به أولياءَه، وأهلَ طاعَتِه، إنّا أدرَكنا العُلماءَ وهم لا يَأتونَ أحَدًا، فإن وقَعَت مسألة فَأتِنا فَسلنا عمّا بدا لكَ، وإن أتَيتَني فلا تأتِني إلّا وحدَكَ، ولا تأتِني بخَيلِكَ ورَجلِكَ، فلا أنصَحُكَ، ولا أنصَحُ نفسي، والسّلامُ.

فبَينا أنا عندَه جالِسٌ إذ دُقَّ عليه البابُ، فقال: يا صَبيّة! اخرُجي فانظُري مَن هَذا؟ قالت: محمَّدُ بنُ سُليمانَ، قال: قولي له يدخُلُ وحدَه.

قال: فدَخَلَ فسَلَّمَ، ثُمّ جلَسَ بينَ يدَيه، فقال: ما لي إذا نَظَرتُ إليك امتلأتُ رُعبًا، فقال حمّادُ: سمِعتُ ثابتًا البُنانيَّ[3] يقولُ: سمِعتُ أنَسًا،

---

(1) ليست في الأصل، والزيادة من المصادر ليستقيم المعنى.

(2) هو محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف الهاشمي ولد بالحميمة من أرض البلقاء وكان ذا جلالة وولي الكوفة والبصرة للمنصور ثم ولي البصرة للمهدي مرتين ووليها للهادي وللرشيد، ولد سنة (122هـ)، وتوفي سنة (173هـ). انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر، (ج53/ 128-140).

(3) هو ثابت بن أسلم البناني، أبو محمد البصري، روى عن: إسحاق بن عبدالله، وأنس بن مالك، وعبد الله نب الزبير، وعبد الله بن عمر... قال النسائي: (ثقة)، وقال أبو حاتم: (أثبت أصحاب أنس: الزهري، ثم ثابت، ثن قتادة)، وقال أبو أحمد بن عدي: (هو من تابعي أهل البصرة، وزهادهم، ومحدثيهم...وأحاديثه مستقيمة إذا روى عنه ثقة، وما وقع في حديثه من النكرة إنما هو من الراوي عنه، لأنه قد روى عنه جماعة مجهولون ضعفاء)، روى له الجماعة، وتوفي سنة (123هـ، وقيل: 127هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج4/ 342-349).

يقولُ: سمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إنّ العالم إذا أرادَ بعلمِه وجهَ الله هابَه كُلُّ شَيءٍ، وإذا أرادَ أن يُكثِرَ به الكُنوزَ هابَ من كُلِّ شَيءٍ**»[1].

فقال: ما تقولُ يرحَمُكَ الله في رجُلٍ له ابنانِ، وهو عن أحدِهما أرضى، فأرادَ أن يجعَلَ له في حَياتِه ثُلُثَي مالِه، فقال: لا تَفعَل رَحِمَكَ الله، فإنّي سمِعتُ ثابتًا البُنانيَّ يقولُ: سَمِعتُ أنَسَ بنَ مالِكٍ، يقولُ: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إنّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إذا أرادَ أن يُعَذِّبَ عبدا بمالِه، وفَّقَه عند مَوتِه لِوَصيّة جائِرة**»[2].

قال: هاتِ إليكَ، قال: هاتِ، ما لم تكُن رَزيّة في الدّين، قال: أربَعينَ ألف دِرهم تأخُذُها تَستَعينُ بها علَى ما أنت عليه، قال: اردُدها علَى مَن ظلَمتَه بها، قال: والله ما أُعطيكَ إلّا ما ورِثتُه، قال: لا حاجة لي فيها، ازوِها[3] عَنّي زَوَى الله عنكَ أوزارَكَ، قال: تأخُذُها فتَقسِمَها، قال: فلَعَلّي إن عدَلتُ في قِسمتِها أن يقولَ بعضُ مَن لم يُرزَق منها: لم يَعدِل في قسمَتِه فيها؛ فيَأثَم القائلُ، ازوِها عَنّي زَوَى الله عنكَ أوزارَكَ[4].

فهذا هو العالِمُ العامِلُ بعلمِه الموقِّر للعلم الّذي أعطاه حقَّه، الزّاهِدُ في الدّنيا الرّاغِبُ في الآخِرة، فينبَغي للعُلماءِ أن يقتَدوا بالسّلَفِ، وإلّا فقد

---

(1) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (ج3/ 71)، حديث (4201)، وقال المناوي: رواه الدّيلمي، عن أنس، وفيه الحسن بت عمرو القيسي، قال: الذهبي مجهول. انظر: فيض القدير (ج4/ 371)، حديث (5657).

(2) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (ج1/ 244)، حديث (944).

(3) زوي: الزاء والواو والياء أصل يدل على انضمام وتجمع. يقال زويت الشيء: جمعته... ويقال زوى الرجل ما بين عينيه، إذا قبضه. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج3/ 34).

(4) راجع: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي، ت: الطحان، (ج1/ 362-363). تاريخ دمشق لابن عساكر، (ج53/ 132-133). - صفة الصفوة لابن الجوزي.

ثَبت أنّ النّبيّ ﷺ قال: «أبعَدُ النّاس مِنَ الله يومَ القيامة رَجُلان: رَجُلٌ لا يُراقِبُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ في السِّرِّ، ورَجُلٌ يُجالِس الأمراءَ، كُلّما قالوا شيئًا، قال: صَدَق الأميرُ». رواه ابنُ أبي الدُّنيا(1).

وإنّما جُعِلَ العُلماءُ قادةً، وجعل مجالستُهم زيادةً لعلمِهم بما تعبَّدَ الله به خلقَه، وبما يعملُ له ويتقرَّب به إليه، كما قيل [من الطويل]:

وَلَو أنّ أهل العِلمِ صانوه صانَهُم وَلَو عَظَّموه في النُّفوسِ لَعُظِّما(2)

فلو أنّ العُلماءَ عظّموا العِلمَ، ووقّروه وأجلّوه، وأخذوا بأوامره، وانتهوا عن مناهيه وأعطوه حقَّه؛ لعَظَّمهُمُ الله تعالى، وصرَف قُلوبَ النّاسِ إليهم؛ لأنّ صلاحَ النّاسِ منوطٌ بصَلاح العُلماء؛ لأنّهم يدعون بالله إلى الله، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ ... الآيَة(3) [الأنبياء: 73].

فهم للعالَم كالقلبِ مِنَ الجسَدِ إذا صلَح صلحوا، وإذا فسَد فسَدوا، ويشركهم في زماننا هذا الأمراءُ، فصلاح العالَم؛ العلماء والأمراء؛ لأنّ أهل الأمرِ أهل ولايةٍ وسلطةٍ وقدرةٍ، والعلماء أهل علم وقلَم وحُجّة وبُرهانٍ، وكِلاهما ذو سلطان، ولهذا جاء في الأثَر: «صِنفانِ إذا صَلَحوا صَلَحَ النّاسُ: العُلَماءُ والأُمَراءُ»(4)، وكِلاهُما من أُولي الأمرِ الدّاخلينَ في

---

(1) وذكره أيضًا نجم الدين الغزي في كتابه (حسن التنبه لما ورد في التشبه)، (ج9/ 250)؛ لابن أبي الدنيا في «الإخلاص» عن أبي قلابة مرسلًا الحديث.

(2) نسبه الراغب الأصفهاني؛ للقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني في «محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء»، (ص:14).

(3) وتتمتها: ﴿... وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

(4) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج4/ 96) عن ابن عبّاس، قال: قال رَسولُ الله ﷺ: «اثنانِ مِنَ النّاسِ إذا صَلَحا صَلَحَ النّاسُ، وإذا فَسَدا فَسَدَ النّاسُ: العُلَماءُ والأُمَراءُ». قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس: القراء، والأمراء. انظر: المجالسة وجواهر العلم؛ لأبي بكر الدينوري، ط دار ابن حزم، (ج2/ 308).

قولِه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء: 59][1].

وروَى الإمام أحمد في «مُسنده» أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «**أحَبُّ الخلقِ إلى الله إمامٌ عادِلٌ، وأبغَضُ الخلقِ إلى الله إمامٌ جائرٌ**»[2].

وفي «مُسند الدّارمي» عَنِ النّبيِّ [62/ أ] ﷺ أنّه قال: «**خيارُ النّاسِ خيارُ العُلَماءِ، وشِرارُ النّاسِ شِرارُ العُلَماءِ**»[3].

فأمّا خيار العلماءِ فقد تقدَّم في هذه الأُمّة مَن لا يحصي عدَدَهم إلّا الله من أئمّة الهُدى ومصابيح الدُّجى، وكذلك مِنَ المُلوك والأُمراءِ والمشايخِ العارفينَ وغيرِهم من أهل الخيرِ المُساعدينَ عليه، وقد بقي في زمانِنا مِنَ العُلماءِ والأُمراءِ والمشايخ ما الله أعلَم بهم، وما هم مجبولون عليه، وقد تقدم صِفاتُهم في أوّلِ هذا الفصل فلا حاجةَ إلى تكراره وزيادتِه.

---

(1) قال ابن الجوزي في زاد المسير (ج2/ 116-117): وفي أولي الأمر أربعة أقوال: أحدها: أنهم الأمراء، قاله أبو هريرة، وابن عباس في رواية، وزيد بن أسلم، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنهم العلماء، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو قول جابر بن عبد الله، والحسن، وأبي العالية، وعطاء، والنخعي، والضحاك، ورواه خصيف عن مجاهد...

(2) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده: - (ج17/ 264)، حديث (11174). - (ج18/ 85)، حديث (11525).

2- الترمذي في سننه، أبواب الأحكام عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الإمام العادل، حديث (1386)، قال الترمذي: حديث أبي سعيد حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. كلاهما من طريق: الفضيل بن مرزوق، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحب الناس إلى الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا: إمام عادل، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشده عذابا: إمام جائر».

(3) رواه الدارمي في مسنده، تحقيق حسين سليم أسد، حديث (382)، عن الأحوص بن حكيم، عن أبيه قال: سأل رجل النبي ﷺ عن الشر فقال: «لا تسألوني عن الشر، واسألوني عن الخير، يقولها ثلاثا» ثم قال: «ألا إن شر الشر، شرار العلماء، وإن خير الخير، خيار العلماء».

وإنّما العِلم والفِقه النّافعُ؛ الفهمُ عنِ الله تعالى، واستِشعارُ القلبِ الخوفَ والوجلَ والخشيةَ [والحذرَ][1]، قال: [﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟][2] قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: 122] فلا يقَعُ الإنذارُ إلّا بالخشيةِ، ولا يقَعُ الحذرُ إلّا معَ قبولِ المُستمع وحُسنِ الاستجابةِ، فكُلُّ مَن لم يُثمر له علمُه كان وبالًا عليه، نسألُ اللهَ السّلامةَ.

فالعِلم آلةُ السّعادةِ والشّقاوة، فإن لم ينفَع ضَرَّ، وإن لم يرفَع وضَع، والموفَّق مَنِ انتفَعَ بعلمِه، وقد رُوِيَ: لَمِدادٌ جرَت به أقلامُ العُلماءِ أحبُّ إلى الله تعالى من دَمِ الشُّهداءِ[3].

قال بعضُ السّلفِ: وهذا حقٌّ لا شكَّ فيه؛ لأنّ دمَ الشُّهداءِ لهُم، ومِدادَ العُلماءِ [للعالَم][4][5].

وإذا أردتَ أن تعرفَ شرَفَ العِلم والعُلماءِ، فانظُر ما ثَبت في الحديثِ: «إنّ أوّلَ مَن يَشفَعُ يومَ القيامة المُرسَلونَ، ثُمّ الأنبياءُ، ثُمّ العُلَماءُ»[6].

---

(1) طمس بمقدار كلمة أو كلمتين، وتم التقدير لما سيأتي بعدها من ذكر (الحذر).

(2) ما بين المعكوفين طمس، وتم التقدير بما يناسب سياق الكلام والله أعلم.

(3) لم أقف له على إسنادٍ، وذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد (ج2/ 79).

(4) طمس بمقدار كلمة ويظهر منها: (للعا...) وقدرنا الكلمة بما يوفق الظاهر منها والسياق والله أعلم.

(5) قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة، ط دار ابن عفان، (ج1/ 297): وقد اختلف في تفضيل مداد العلماء على دم الشهداء وعكسه، وذكر لكل قول وجوه من التراجيح والأدلة، ونفس هذا النزاع دليل على تفضيل العلم ومرتبته؛ فإن الحاكم في هذه المسألة هو العلم...فإن جرى قلم العالم بالصديقية، وسال مداده بها كان أفضل من دم الشهيد الذي لم يلحقه في رتبة الصديقية، وإن سال دم الشهيد بالصديقية وقطر عليها كان أفضل من مداد العالم الذي قصر عنها، فأفضلهما صديقهما، فإن استويا في الصديقية استويا في المرتبة، والله أعلم.

(6) انظر: كتاب الأمالي -المعروفة بالأمالي الخميسية- ليحيى بن الحسين الشجري=

فَصْلٌ

وما ذكرناه في هذا الباب من آفاتِ النُّفوسِ فأصلُه الشّيطانُ ووسوسَتُه لابنِ آدمَ وقبوله منه، فإنّه يجري مِنِ ابنِ آدمَ مجرَى الدّم، ويوسوس له بما تميلُ نفسُه إليه وطبعُه، والعجَبُ مِنَ النّاسِ أنّهم قد علِموا أنّ اللهَ تعالى قد حذَّر منه في غير آيةٍ من كتابه، وطرَدَه ولعَنَه، وأخبَرَهم أنّه عدوٌّ لهم، فكيفَ يُطيع الشّخصُ لِعدوّه أو يقبَل منه، فإنّ العدوَّ يجتهدُ أن يصدَّ عنه ما ينفعه، وأن يغويَه فيما يضرُّه.

ورَوى الإمامُ أحمدُ في «المُسند» من حديثِ سَبرة بنِ أبي الفاكهِ[1] أنّه سمعَ النبيَّ ﷺ يقول: «**إنّ الشّيطانَ قَعَدَ لابنِ آدمَ بأطرُقِه[2]، فَقَعَدَ له بطَريقِ الإسلام، فقال: أتُسلِمُ وتَذَرُ دينَكَ ودينَ آبائِكَ؟! فَعَصاه وأسلَمَ، ثُمّ قَعَدَ له بطَريقِ الهِجرة، فقال: أتُهاجِرُ وتَذَرُ أرضَكَ؟! فَعَصاه وهاجَرَ، ثُمّ قَعَدَ له بطَريقِ الجِهادِ، فقال: تُقاتِلُ فتُقتَلُ؛ فتُنكَحُ المرأةُ، ويُقسَمُ المالُ؟! [فَعَصاه فَجاهَدَ][3]**»[4]. فالشّيطانُ [62/ ب] بالرّصدِ للإنسانِ علَى طريقِ كُلِّ خيرٍ.

=الجرجاني، رتب هذه الأمالي محمد بن أحمد بن علي القرشي، (ج1/ 71)، بلفظ: «أول من يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء».

(1) وقيل: سبرة بن الفاكه، قيل: إنّه مخزومي، وذكر ابن أبي عاصم أنّه أسدي، من أسد بن خزيمة، روى عنه: سالم بن أبي الجعد، وعمارة بن خزيمة، ويُعدّ في الكوفيين. انظر: أسد الغابة (ج2/ 172).

(2) جمع طريق على التأنيث؛ لأنّ الطريق تذكر وتؤنث؛ فجمعه على التذكير: أطرِقة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (طرق)، (ج6/ 2527).

(3) الزيادة من مصادر الحديث.

(4) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، (25/ 315-316)، حديث (15958) وتمام الحديث: «... فقال رسول الله ﷺ: «فمن فعل ذلك منهم فمات، كان حقا على الله أن يدخله الجنة، أو قتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته=

وقال مَخلَدُ بنُ الحُسَينِ[1]: ما نَدَبَ الله العِبادَ إلى شيءٍ إلّا اعتَرَضَ فيه إبليسُ بأمرَينِ -ما يُبالي بأيِّهما ظَفِرَ-: إمّا غُلوٌّ فيه، وإمّا تَقصيرٌ عنهُ[2].

والشّيطانُ يوسوس لابنِ آدمَ يدعوه إلى أُمورٍ، ويُحبِّبه فيها ويجتَهِدُ به فيها، وهي درجاتٌ:

الأولى: شرٌّ فيه الكفرُ والشِّركُ ومُعاداةُ الله ورسولِه، فإذا ظفِر بذلك مِنِ ابنِ آدمَ برَد أنينُه واستراحَ من تعبِه، وهذا أوّل ما يُريده اللّعينُ مِنِ ابنِ آدمَ.

=دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة».

2- النسائي في سننه، كتاب الجهاد، ما لمن أسلم وهاجر وجاهد، حديث (3134) بلفظ أحمد.

3- الطبراني في المعجم الكبير (ج7/ 117-118)، حديث (6558)، وفيه: «فمن فعل ذلك ضمن الله له الجنة».

4- البيهقي في شعب الإيمان، ط الرشد، (6/ 108-109)، حديث (3941) بلفظ أحمد.

۞ جميعًا من طريق: أبو عقيل عبد الله بن عقيل الثقفي، قال: حدثنا موسى بن المسيب، أخبرني سالم بن أبي الجعد، عن سبرة بن أبي فاكه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول... الحديث.

الحكم على الحديث: - صححه ابن حبان في صحيحه، ذكر إيجاب الجنة للمهاجر والغازي على أية حالة أدركتهما المنية في قصدهما، حديث (3651)، (ج4/ 394). قال العراقي في تخريج الإحياء (2/ 718): النسائي من حديث سبرة بن أبي فاكه بإسناد صحيح. حسَّنَه ابنُ حجر في الإصابة (ج3/ 31) وقال: إلّا أنّ في إسناده اختلافًا -ثم قال-: وصححه ابن حبان.

(1) هو مخلد بن الحسين الإمام، الكبير، شيخ الثغر، أبو محمد الأزدي، المهلبي، البصري، ثم المصيصي. قال أحمد العجلي: (هو ثقة، رجل صالح، عاقل)، وقال أبو داود: (كان أعقل أهل زمانه)، قيل توفي سنة (191هـ، وقيل:196هـ)، وله شيء في مقدمة (صحيح مسلم). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج9/ 236).

(2) انظر: حلية الأولياء؛ لأبي نعيم، (ج8/ 266). سير السلف الصالحين؛ لقوام السنة (ص:1048). سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج9/ 236).

الثّانية: البدعة[1]؛ وهي أحَبُّ إليه مِنَ الفُسوق والعِصيانِ؛ لأنّ ضرَرها في الدّين، قال سُفيانُ الثّوريُّ: البِدعة أحَبُّ إلى إبليسَ مِنَ المعصيةِ؛ لأنّ المعصيةَ يُتاب منها، والبِدعةَ لا يُتاب منها[2]. فإذا عَجزَ عن ذلك، انتَقَل إلى:

الدّرجة الثالثة: وهيَ الكبائرُ[3] علَى اختلافِ أنواعِها، فإذا عجزَ عن ذَلِك انتقَل إلى:

الدّرجة الرّابعة: وهي الصّغائرُ الّتي إذا اجتمَعت رُبّما أهلكَت صاحِبَها، كما قال النّبيُّ ﷺ: «**إيّاكم ومُحَقَّراتِ الذُّنوبِ؛ فإنّ مَثَلَ ذلك؛ كمَثَلِ قَوم نَزَلوا بفَلاةٍ مِنَ الأرضِ، فَجاءَ كُلُّ واحِدٍ بعودِ حَطَبٍ، حتّى أوقدوا نارًا عَظيمة، فَطَبَخوا واستَووا**»[4]، فإذا عجزَ عن ذلك انتَقَل إلى:

---

(1) قال الجرجاني في التعريفات، (ص:47): البدعة: هي الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة والتابعون، ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي.

(2) الأثر رواه: ابن الجعد في مسنده (1809). اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (ج1/ 132) رقم (238). أبو نعيم في الحلية (7/ 26)؛ من طريق: أبي سعيد الأشج، عن يحيى بن يمان، به.

(3) قال ابن قدامة في الكافي، ط هجر، كتاب الشهادات، باب من تقبل شهادته ومن ترد (ج6/ 195): الكبائر كل ما فيه حد، أو وعيد. قال ابن حجر في فتح الباري، (ج10/ 410): ما أوعد الله عليه بنار في الآخرة أو أوجب فيه حدا في الدنيا. قلت: وممن نص على هذا الأخير الإمام أحمد فيما نقله القاضي أبو يعلى

(4) الحديث من رواية: عمران القطان، عن قتادة، عن عبد ربه، عن أبي عياض، عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتَّى يهلكنه...».

رواه: 1- الإمام أحمد في المسند، (ج6/ 367)، (3818). 2- أبو داود الطّيالسيُّ في المسند، ط هجر (ج1/ 316-317)، حديث (400). 3- البيهقيّ في السنن الكبرى (ج10/ 316)، وقال: وروي في ذلك عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قوله غير مرفوع. 3- الطبراني في المعجم الكبير (10/ 361)، حديث (10500). قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج10/ 189-190): ورجالهما -أي الطّبرانيّ وأحمد- رجال الصّحيح، غير عمران بن داود القطان، وقد وثق... لكن للحديث شاهد من حديث: أنس بن عياض، عن أبي حازم،=

الدّرجة الخامِسةِ: أن يُشغلَه بالدّنيا وحبِّها وأخذها من أينَ ما لا حت لَه، ويُرغِّبَه في اكتِسابِها والحرصِ عليها والاستكثارِ منها، وهذا ما تميلُ إليه النُّفوسُ أشدّ الميلِ، قال يَحيَى بنُ مُعاذٍ الرّازيُّ(1): الدُّنيا خمرُ الشّيطانِ [63/ أ] مَن سَكرَ منها فلا يفيقُ منها إلّا في عسكرِ الموتَى(2). فإذا عجَزَ انتَقَل إلى:

الدّرجة السّادسة: وهو أن يُشغلَه بالمُباحاتِ(3) الّتي لا ثوابَ فيها ولا عِقابَ؛ بل عِقابُها فواتُ الثّوابِ الّذي فاتَ عليها باشتِغالِه بها(4)، فإن عجَزَ عن ذلك انتقَل إلى:

الدّرجة السّابِعة: وهو أن يَشغلَه بالعمَلِ المفضول عمّا هو أفضَلُ منه، ليربحَ(5) عليه الفضلة ويَفوتُه ثوابُ العمَلِ الفاضِلِ، وهو بالمِرصاد لابنِ

=عن سهل بن سعد مرفوعًا: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنّما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطن وادٍ فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فأنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب لموبقات»، وفي لفظ: «متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه»، رواه: 1- الإمام أحمد في المسند، (ج37/ 466-467)، (22808). 2- الطبراني في: المعجم الكبير (6/ 165-166)، حديث (5872). والمعجم الأوسط، (ج7/ 219-220)، حديث (7323). قال الطبراني: لا يروى هذا الحديث عن سهل بن سعد إلا بهذا الإسناد، تفرد به: عبد الوهاب. - المعجم الصّغير (2/ 49)، قال الطبراني: لم يروه عن أبي حازم إلا أنس تفرد به عبد الوهاب. قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج10/ 190): رواه أحمد ورجاله رجال الصّحيح، والطبراني من طريقين ورجال إحداهما رجال الصّحيح غير عبد الوهاب بن عبد الحكم وهو ثقة.

(1) تقدمت ترجمته. (2) تقدم تخريجه.

(3) قال ابن حجر في فتح الباري، (ج1/ 127):...ونقل ابن المُنير في مناقب شيخه القبّاري عنه أنه كان يقول:... والمباح: عقبةٌ بين العبدِ والمكروه، فمَنِ استكثر من المباح تطرَّق إلى المكروه.

(4) الدرجات الست ذكرها الشبلي في آكام المرجان في أحكام الجان، ط دار الكتب العلمية، الباب التاسع والثمانون فيما يدعو الشيطان إليه ابن آدم وينحصر في ست مراتب، (ص:163).

(5) كذا في الأصل، ويحتمل قراءتها: ليزيح. وهو ما ورد في بدائع الفوائد؛ لابن القيم، ط عالم الفوائد (ج2/ 801)، وغيره من المصادر.

آدَمَ فـي عمَـلِ الخيرِ والشّرِّ، فيصدُّه عن هـذا، ويُرغِّبُه في هـذا.

ورَوى سعيدُ بنُ منصور بإسنادِه إلى ابنِ عُمرَ[1] أنّه قال: إنّ إبليسَ موثوقٌ، فإذا تحرَّكَ؛ فكُلُّ شرٍّ يكونُ بينَ اثنينِ فصاعِدًا علَى وجه الأرضِ فهو من تحريكِه[2]، وعنِ النُّعمانِ بنِ بشيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ لِلشَّيطانِ مَصاليًا[3] وفُخوخًا، وإنّ من مَصاليه وفُخوخه: البطَرَ، والفخرَ، والكِبرَ، علَى عِبادِ الله، واتِّباعَ الهوَى في غير ذاتِ الله**»[4]، «ولَه لَعوقًا[5] ونَشوقًا[6] وكُحلًا؛ فَلَعوقُه الكذِبُ، ونَشوقُه الغضَبُ، وكُحلُه

---

(1) كذا في الأصل، وفي مكائد الشيطان؛ لابن أبي الدنيا: ابن عمرو.

(2) رواه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (ص:46)، رقم (26) من حديث عبد الله بن عمرو، وليس ابن عمر.

وأبو الشيخ في العظمة (ج4/ 1382-1383) بسنده قال: التقى عطاء بن يسار، والذماري، فسأله عطاء رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - في أثر طويل آخره- وسأله عن ساكن الأرض السابعة فقال: «تلك سجين، وبها إبليس موثوق يد هكذا، ورجل هكذا، ويخالف بين يديه ورجليه، وله أحايين يرسل فيها، فإذا أرسل لم يكن شيء أيسر عليه من فتنة الناس».

(3) المصالي: شبيهة بالشَرَك، وأحدها مصلاة، وأراد ما يستفز به الناس من زينة الدنيا، وشهواتها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (صلا)، (ج6/ 2373).

(4) رواه البخاري في الأدب المفرد، حديث (553)، عن علي بن حجر.

والخرائطي في مساوئ الأخلاق حديث (594) من طريق محمد بن كليب أبي عبد الله.

والبيهقي في شعب الإيمان، (ج10/ 478-479)، حديث (7831)، من طريق أبي اليمان. جميعًا عن إسماعيل بن عيّاش بسند موقوف. قال المناوي في فيض القدير (ج2/ 499): وفيه إسماعيل بن عيّاش، أورده الذهبي في الضعفاء، وقال: مختلف فيه.

(5) اللعوق بالفتح: اسم لما يلعق، أي: يؤكل بالملعقة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (لعق)، (ج8/ 3788).

(6) النّشوق بالفتح: اسمٌ لكلِّ دواءٍ يُصبُّ في الأنف، وقد أنشقتُه الدّواءَ إنشاقًا. يعني أنّ له وساوِسَ، مهما وجدت منفذًا دخلَت فيه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (نشق)، (ج9/ 4153).

النُّعاسُ»[1]، وفي لفظٍ: «وَإذا ألعقَه من لَعوقِه ذَرَبَ لِسانُه بالشّرِّ»[2]، وهو من حديثِ يزيدَ الرّقاشي[3]، وفيه كلامٌ معروفٌ.

---

(1) رواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق حديث (159). والبيهقي في شعب الإيمان، (ج6/ 460)، حديث (4478).

وأبو نعيم في الحلية (ج6/ 309)؛ من طريق: عاصم بن علي، قال: ثنا الربيع بن صبيح، عن يزيد الرقاشي، عن أنسٍ. إلا أبو نعيم فرواه من طريق: سفيان الثوري، عن الربيع بن صبيح، عن يزيد الرقاشي، عن أنس.

قال المناوي في فيض القدير، (ج2/ 499): وفيه عاصم بن علي شيخ البخاري، قال يحيى: لا شيء. وضعفه ابن معين. قال الذهبي: وذكر له ابن عدي أحاديث مناكير. والربيع بن صبيح ضعفه النسائي، وقواه أبو زرعة، ويزيد الرقاشي قال النسائي وغيره: متروك.

(2) رواه: البزار في مسنده، (ج10/ 431)، حديث (4583)؛ من طريق: الحسن، عن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إن للشيطان كحلا ولعوقا فإذا كحل الإنسان من كحله شغله عن الصلاة، وإذا ألعقه من لعوقه ذرب لسانه بالشر». والروياني في مسنده (ج2/ 49)، حديث (806). والطبراني في المعجم الكبير، (ج7/ 250)، حديث (6855). والبيهقي في شعب الإيمان، (ج7/ 36)، حديث (4609). جميعًا من طريق: الحكم بن عبد الملك، عن قتادة؛ به. والبيهقي في شعب الإيمان (ج4/ 477)، حديث (2836)؛ من طريق: سعيد بن بشير، عن قتادة، به. وقال ابن عديٍّ: وهذا وإن كان رواه عن قتادة غير سعيد بن بشير فإنّه عزيز. قال الهيثمي في المجمع (ج5/ 96): رواه البزار بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح خلا سعيد بن بشير، وقد وثّقه شعبة وغيره، وضعّفه ابن معين وغيره. وقال أيضًا في المجمع: (ج2/ 262): رواه الطبراني في الكبير، وفيه الحكم بن عبد الملك القرشي، وهو ضعيفٌ.

(3) هو يزيد بن أبان الرقاشي، أبو عمرو البصري القاص من زهاد أهل البصرة، روى عن: أبيه أبان الرقاشي، وأنس بن مالك، والحسن البصري... ذكره محمد بن سعد في الطبقة الثالثة من أهل البصرة، وقال: (كان ضعيفًا قدريًا)، كان يحيى بن سعيد لا يحدث عنه، وكان عبد الرحمن بن مهدي يحدث عنه، وقال البخاري: (تكلم فيه شعبة)، وقال أبو طالب: سمعت أحمد بن حنبل يقول: (لا يكتب حديث يزيد الرقاشي. قلت له: فلم ترك حديثه، لهوى كان فيه؟ قال: لا، ولكن كان منكر الحديث)، وقال النسائي، والحاكم أبو أحمد: (متروك الحديث). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج32/ 64-77) ترجمة (6958).

وآفاتُـه كثيـرةٌ، وقـد صنّـف العُلمـاءُ فـي مكائـده ومصائِـدِه ومكـرِه ووسوَسـتِه مُصنّفـاتٍ عَديـدةً ليس هـذا الكتاب موضـوع[1] لهـا وإنمـا هـذه إشـارةٌ للعارفيـن، وسـنذكُرُ إن شـاءَ اللـه فيمـا بعـد الاحتـراز من ذاتِـه وصِفاته، نسـأل اللـهَ العظيـمَ أن يعصِمَنـا منه بفضلِـه وكرَمِـه.

فَصْلٌ [63/ ب]

ومن آفاتِ النُّفوس

الرّيـاءُ الّـذي قـد عـمَّ غالـب أهـل زمانِنـا مِنَ الفُقهـاءِ والفُقـراءِ والمشـايخِ وغيرِهـم وقـد تقـدَّم مُجمـلًا؛ فالمُرائـي يُحـبُّ الحمـدَ علَـى الطّاعـةِ ويكـرَه الـذّمَّ عليهـا، وإذا عمِـلَ عمـلًا لـم يعلمـه بـه غيرُ الله لـم تقنَـع نفسُـه وثقُـلَ عليـه، فـإنِ اطّلـع عليـه النّـاسُ ارتـاح قلبُـه وسُـرَّ بحمدِهـم وعِلمِهِـم.

والرّياءُ على قسمين:

أحدهما: أن يعملَ الطّاعةَ لا يُريد بها إلّا النّاسَ.

والثّاني: أنّـه يُريـد بهـا الخالـق والمخلـوقَ، وكِلاهمـا مذمـومٌ شـرعًا؛ لأنّـه قـد ثبـت أنّ النّبـيَّ ﷺ قـال: «**يَقـولُ الله عَزَّوَجَلَّ: مَـن عَمِـلَ عَمَـلًا وأشـرَكَ فيـه غيـري، فَأنـا منـه بَـريءٌ، ولا أقبَـلُ اليـومَ إلّا خالِصًـا**»[2].

---

(1) كذا في صلب الأصل، وفي الهامش: (موضوعًا).

(2) رواه: الإمام أحمد ي مسنده، (ج13/ 377)، حديث (7999) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ يرويه عن ربه عَزَّوَجَلَّ أنه قال: «أنا خير الشركاء، فمن عمل عملا فأشرك فيه غيري، فأنا بريء منه، وهو للذي أشرك». ومسلم في صحيحه، حديث (46-2985) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه».

عن أبي هُريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تَعوَّذوا بالله من جُبِّ الحُزنِ»! قالوا: يا رَسولَ الله! وما جُبُّ الحُزنِ؟ قال: «وادٍ في جهنَّم تتعَوَّذُ منه جهنَّمُ كُلَّ يوم مائة مَرّة». قيلَ: يا رَسولَ! ومَن يَدخُلُه؟ قال: «القُرّاءُ المُراءونَ بأعمالِهم» رواه التِّرمذيُّ(1).

أسبابُ الرّياء ثلاثةٌ: التّعظيمُ عندَ النّاسِ، وتحصيلُ لذّة دُنيويّة، ودفعُ مضَرّة دُنيويّة. واعلَم -رحِمَكَ اللهُ-: أنّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يقبلُ يومَ القيامةِ إلّا ما كان خالِصًا لوجهه لا يشوبُه إرادةُ أحدٍ سِواه، ولأنّ النّاسَ في القيامةِ يُفتّشون علَى الحسناتِ أعظَمَ تفتيشٍ لِشدّة حاجَتِهم وفقرِهم إلى ما يرجحُ موازينهم حتّى تودّ الأمُّ أنّها حصَل لها علَى ولدِها حَقٌّ فتأخذه منه، فالمُرائي يحبطُ عملُه حينئذٍ فتتقَطّعُ نفسُه حسَراتٍ علَى ذلك، فيَرَى كثرة السّيّئاتِ وعدَمَ الحسَناتِ، وفي «صحيح مُسلم» عن أبي هريرةَ عَنِ

---

(1) رواه: الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الرياء والسمعة، حديث (2543) بلفظه، قال الترمذي: هذا حديث غريب.

۞ ابن ماجة في سننه، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، حديث (256)، عن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تعوذوا بالله من جب الحزن» قالوا: يا رسول الله! وما جب الحزن؟ قال: «واد في جهنم، يتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة»، قالوا: يا رسول الله! من يدخله؟ قال: «أعد للقراء المرائين بأعمالهم، وإن من أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء».

۞ كلاهما من طريق: عمار بن سيف الضبي، عن أبي معان البصري، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ ... الحديث.

۞ الحكم على الحديث: - قال العراقي في تخرج أحاديث الإحياء، (ج2/ 929): أخرجه الترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة وضعفه ابن عدي.

۞ قال ابن الجوزي في الموضوعات، (ج3/ 264): هذا حديثان لا يصحان عن رسول الله ﷺ.

۞ قوله: «من جب الحزن»: الجب بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة البئر التي لم تطو والحزن بفتحتين أو بضم فسكون ضد الفرح. انظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجة، (ج1/ 112).

النّبيِّ ﷺ -فيما يرويه عن ربِّه عَزَّوَجَلَّ- قال: «أنا خيرُ الشُّركاءِ عَنِ الشِّركِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا وأشرَكَ فيه غيري، فأنا بَريءٌ منه، وهو الّذي أشرَكَ»(1).

ورُوِي عن محمودِ بنِ لَبيدٍ عَنِ النّبيِّ ﷺ أنّه قال: «أخوَفُ ما أخافُ عليكُمُ الشِّركُ الأصغَرُ»؟ قالوا: وما الشِّركُ الأصغَرُ؟ قال: «الرِّياءُ؛ يَقولُ الله عَزَّوَجَلَّ لَهم يومَ القيامةِ إذا جَزَى الله النّاسَ بأعمالِهم: اذهَبوا إلى الّذينَ كُنتُم تُراءونَ في الدُّنيا؛ فانظُروا هل تَجِدونَ عندهم جَزاءً؟!»(2).

ورَوى ابنُ أبي الدُّنيا بإسنادِه رفعَه إلى النّبيِّ ﷺ قال: «إنّ المُرائي يُنادَى على رُءوسِ الخلائِقِ يومَ القيامةِ بأربَعةِ أسماءٍ: يا كافِرُ، يا فاجِرُ، يا خاسِرُ، يا غادِرُ، ضَلَّ عَمَلُكَ، وبَطَلَ أجرُكَ، فالتَمِس أجرَكَ مِمَّن كُنتَ تَعمَلُ لَه»(3).

وأعظمُ النّاسِ رياءً عندَ الله عَزَّوَجَلَّ مَن يُرائي بالإيمانِ، وذلك موجودٌ في زمَنِ الرّسولِ إلى زمانِنا، وهو الّذي يُسلم تقيّة فيُظهِرُ الإسلامَ ويُخفي الكُفرَ، وهو كثيرٌ في الدّواوينِ: القِبط ونحوهم، وكان السّلف يُسمّونَه المُنافِقَ. ثُمّ مَن يفعلُ العِباداتِ المفروضةَ عليه رياءً لأجلِ النّاسِ؛ مِنَ الصّلاةِ، والصّيامِ، والزكاةِ، والحجِّ ونحوِه، ولو خلا أو لم يعلَم به أحَدٌ لم يفعَل شيئًا مِن ذلك، هذا بخلافِ ما كان عليه السّلفُ.

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) رواه الإمام أحمد في مسنده: (ج39/ 39)، حديث (23630) بلفظه. و(ج39/ 40)، حديث (23631)، و(ج39/ 43)، حديث (23636) بنحوه.

(3) ذكره: أبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين (ص:33)، وقال: أخبرني الثقة بإسناده عن جبَلة اليحصبي، فذكره بلفظ قريب. والديلمي في مسند الفردوس (ج4/ 203) حديث (6619) من طريق حبلة النجش. قال العراقي: أخرجه ابن أبي الدُّنيا من رواية جَبَلة اليحصُبي عن صحابي لم يُسمَّ... وإسناده ضعيف، انظر: المغني عن حمل الأسفار للعراقي، اعتنى به/ أشرف عبد المقصود، ط مكتبة دار طبرية، (ج2/ 931).

قال عبدُ العزيزِ بنُ أبي رَوّادٍ[1]: أدركتُهم وهم يجتهدون في الأعمالِ، فإذا بلغوها أُلقي عليهم الحُزنُ والهمُّ؛ لا يَدرونَ أَقُبِلَت منهم أو رُدَّت عليهم؟!([2]).

فالعبدُ إذا تخلَّص رأيُه مِنَ الرّياءِ؛ استخرَجَ من قلبِه خُلاصةَ الإخلاصِ، فتبقى أعمالُه كلُّها خالِصةً مِنَ الرّدِّ.

وكان الفُضيلُ[3] رَحِمَهُ اللَّهُ يقولُ: يا لَيتَني أموتُ وأنا مُخَلِّطٌ[4]، أخافُ أن أموتَ وأنا مُرائي[5]، فيُقالُ لي: خُذ ثوابَ عَمَلِك ممَّن عمِلتَ لَه[6].

وقال الحافظُ الذّهبيُّ: اعلَموا أنّه قد وقَعَ الخلَلُ في العُلَماءِ والصّوفيّة مِنَ العُجبِ والرّياءِ، فإنّ اللهَ يقولُ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: 13] فالتّقوى أصلُ الآدابِ، [64/ أ]، والنّاس يُراءونَ في الدّينِ والدُّنيا[7].

والمُراءَى به أمور:

⊙ منها: الرّياءُ بالعمَلِ وقد تقدَّم.

---

(1) هو عبد العزيز بن أبي رواد، أبو عبد الرحمن: مولى الأزد، واسم أبي رواد: ميمون عم عمارة بن أبي حفصة، وأبو حفصة وأبو رواد أخوان مكيّان، سمع نافعا والضحاك، روى عنه الثوري. قال البخاري: حدثنا الحميدي، عن يحيى بن سليم، قال: كان يرى الإرجاء. قال الذهبي: (شيخ الحرم)، وقال ابن المبارك: (كان من أعبد الناس)، توفي في سنة (159هـ). انظر: الضعفاء الصغير؛ للبخاري، ترجمة (222)، (ص:78). وسير أعلام النبلاء للذهبي، (ج7/ 184-187).

(2) رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس والإزراء عليها (ص:108).

(3) تقدمت ترجمته.

(4) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة:102].

(5) كذا بالأصل بإثبات الياء، وهو جائز.

(6) انظر: تاريخ دمشق؛ لابن عساكر، (ج48/ 403).

(7) لم أقف على هذا النقل.

⊙ ومنها: ما يُرائي العبدُ ببدنِه؛ وهو ما يتَعانّاه بعضُ المُتعبِّدين بنُحولِ الجسمِ، واصفِرارِه، وضعفِ صوتِه؛ ليُستدلَّ به على اجتهادِه في العِبادةِ، وكثرةِ قيامِه باللّيلِ، وذُبولِ شفَتَيه؛ ليُستدلَّ بذلك على صيامِه، بخلافِ مُباهاةِ أهلِ الدُّنيا بالسِّمَنِ، وصفاءِ اللّونِ، وقيامِ الصّدرِ.

⊙ ومنها: الرِّياءُ بزيٍّ خارجٍ عن عادَتِه؛ بتَشعيثِ رأسِه، وحلقِ شاربِه، وغِلظِ الملبوسِ مِنَ الثّيابِ، وأَثَرِ السُّجودِ في جبهَتِه غرّةٍ سَوداءَ، وقِصرِ الأكمامِ ونحوِ هذا، بخلافِ مُباهاةِ أهلِ الدُّنيا لأمثالِهم؛ بالثِّيابِ الحسَنةِ الرّفيعةِ، وتَحسينِ الشّعرِ وتمشيطِه، وغيرِ ذلك ممّا يُخالِفُ زيَّ أهلِ الدّينِ.

⊙ ومنها: الرِّياءُ بالقولِ؛ كالمُناظرةِ والمُجادلةِ، وإقامةِ الحُجّةِ، كما يفعلُه غالبُ فُقهاءِ أهلِ زمانِنا، لم يُرد واحدٌ منهم بالمُباحثةِ إلّا المُغالبةَ، وقهرَ مَن يُناظِرُه، ولو كان معَه الحقُّ، خُصوصًا إذا كان المُتناظِرانِ في مجلسٍ عامٍ، أو في غيرِ ذلك مِنَ المدارِسِ، فيصولُ ويجولُ بعضُ الأخصامِ بكثرةِ النُّقولِ، ولا يقصِدُ كُلٌّ منهما أن يظهَرَ الحقُّ على لِسانِ صاحبِه، كما قال الشّافِعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واللهِ ما ناظَرتُ أحَدًا إلّا أحبَبتُ أن يُظهِرَ اللهُ الحقَّ على لِسانِ صاحبِه(1).

وإمّا أن يكونَ مِنَ الفُقراءِ؛ فيُظهِرُ ذكرَ اللهِ باللِّسانِ والصّوتِ العالي، والأمرَ بالمعروفِ والنّهيَ عنِ المُنكرِ، ورفعَ الصّوتِ بالقِراءةِ خُصوصًا إذا

---

(1) أخرجه: أبو نعيم في حلية الأولياء (ج9/ 118)، بلفظ: «ما ناظرت أحدًا قط إلا على النصيحة» و«ما ناظرت أحدًا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما ناظرت أحدًا إلا ولم أبال بين الله الحق على لساني أو لسانه». والبيهقي في مناقب الشافعي، (ج1/ 173-175)، بعدة ألفاظ: «ما ناظرت أحدًا قط على الغلبة...»، و«ما ناظرت أحدًا قط إلا على النصيحة»، و«ما ناظرت أحدًا فأحببت أن يخطئ...»، و«ما كلمت أحدًا قط إلا ولم أبال بين الله الحق على لساني أو لسانه». وابن الجوزي في صفة الصفوة (ج1/ 435)، بنحو الألفاظ السابقة.

كان باللّيلِ، ويُظهرُ التّأوّهَ عندَ القِراءة، فالرّياء ما يورث خيرًا علَى صاحبِه، فإنّ الرّياءَ يورِثُ حبَّ الرّئاسةِ والمُباهاةَ بالعِلم والعمَلِ، والتّفاخُرَ بالدّين والدّنيا، والكبرَ والعُجبَ، وآفاتُه مُهلكةٌ، ولها حلاوةٌ في القلبِ، وعليها بَواعِثُ مِنَ الطّبعِ، نسألُ اللهَ تعالى السّلامةَ منها.

وهذه نبذةٌ يسيرةٌ لينتَبِهَ بها الغافِلُ، ويستَرشِدَ بها العاقِلُ، وسنذكُرُ إن شاءَ الله فيما بعد الإخلاص.

وفي «الصّحيح» عن أبي هُريرةَ، قال: سمِعتُ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: «أوّلُ النّاسِ يُقضَى عليه يومَ القيامة: رَجُلٌ استُشهِدَ فأُتيَ به (اللهُ)(1) فعَرَّفَه نِعَمَه فعَرَفَها، قال: فَما عَمِلتَ فيها؟ قال: قاتَلتُ فيكَ حتّى استُشهِدتُ، قال: كَذَبتَ، ولَكِنّكَ قاتَلتَ ليُقالَ: جَريءٌ، فَقد قيلَ، ثُمّ أُمِرَ به فَسُحِبَ على وجهِه حتّى أُلقيَ في النّارِ. ورَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلمَ، وعَلَّمَه القرآنَ، فأُتيَ به فَعَرَّفَه نِعَمَه فعَرَفَها، قال: فَما عَمِلتَ [فيها](2)؟ قال: تَعَلَّمتَ العِلمَ، وعَلَّمتُه، وقَرأتُ القرآنَ، قال: كَذَبتَ، ولَكِنّكَ تَعَلَّمتَ ليُقالَ: عالِمٌ، وقَرأتَ [القرآنَ](3)؛ ليُقالَ: قارِئٌ، فَقد قيلَ، ثُمّ أُمِرَ به فَسُحِبَ على وجهِه حتّى أُلقيَ في النّارِ. ورَجُلٌ وسَّعَ الله عليه وأعطاه من أصنافِ المالِ كُلِّه، فأُتيَ به فَعَرَّفَه نِعَمَه فعَرَفَها، قال: فَما عَمِلتَ فيها؟ قال: ما تَرَكتُ من سَبيلٍ تُحِبُّ أن يُنفَقَ فيها إلّا أنفقتُ فيها لَكَ، قال: كَذَبتَ، ولَكِنّكَ فَعَلتَ؛ ليُقالَ: هو جَوادٌ، وقد قيلَ، ثُمّ أُمِرَ به فَسُحِبَ على وجهِه، حتّى أُلقيَ في النّارِ»(4)،

(1) ليست في الصحيح. (2) الزيادة من صحيح مسلم.

(3) الزيادة من صحيح مسلم. (4) رواه مسلم في صحيحه، حديث (152-1905).

۞ قال القرطبي في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، (ج3/ 746-747). وقوله: «إن أول الناس يُقضى عليه يوم القيامة رجل استُشهِد، ورجل تعلم العلم، ورجل أنفق ماله»؛ هذا يخالفُه: «أول ما يحاسب به العبد المسلم من عمله صلاته...»، الحديث، وقوله: «أول ما=

فهذا أصلٌ في تصحيحِ الأعمالِ وتَنقيتِها مِنَ الرِّياءِ، وطلبِ الإخلاصِ.

واعلَم يا أخي! أنّ هذه الثّلاثةَ في الحديثِ قد عَزّوا في زمانِنا: فأينَ البطلُ النّافع؟! فلا أكادُ أرَى إلا جَبانًا مرزوقًا[1] قد ألِفوا التّرفُّهَ والتُّرَّه[2].

وأينَ العالِمُ المُعلِّم لله بلا جامليه؟! فلا أكادُ أرَى [إلّا][3] تصاديرَ[4] تَأكُلُ أوقافَها بلا علم ينفَعُ. وأينَ الجوادُ المِفضالُ المُنفقُ في أنواعِ البرِّ؟! فلا يكادُ يُرى. وقد كان السّلفُ يعلمون ويعملون، فخلَفَ من بعدِهم قومٌ يعلَمون وما يعمَلون، أو يعمَلون علَى جهلٍ، فنَسألُ اللهَ العافيةَ.

وقد ذكَرَ أبو نُعيمٍ في «الحِليةِ» عن أبي عِمرانَ الجونيِّ[5] قال:

=يقضى فيه بين الناس في الدِّماء». قد يسبق إلى الوهم أن هذه الأحاديثَ متعارضة من حيث الأولية المذكورة في كل حديث منها؛ وليس كذلك؛ فإنه إنّما كان يلزم ذلك لو أريد بكل أول منها أنه أوَّلٌ بالنسبة إلى كل ما يُسأل عنه، ويقضى فيه، وليس في شيءٍ من تلك الأحاديث ما ينصُّ على ذلك، وإنما أراد- والله أعلم-: أن كل واحد من تلك الأوليات أوَّلٌ بالنسبة إلى التي في بابه، فأول ما يحاسبُ به من أركان الإسلام الصلاة، وأول ما يحاسب به من المظالم الدِّماء، وأول ما يحاسب به مما ينتشر فيه صيتُ فاعله تلك الأمور. وهذا أوَّلُ ما يقاربه ويناسبه، وهكذا تعتبر ما يردُ عليك من هذا الباب، والله تعالى أعلم.

(1) في الأصل: جبان مرزوق، والمثبت هو الجادة.

(2) تره: التاء والراء والهاء كلمة ليست بأصل متفرع منه. قالوا: الترهات، والتره الأباطيل من الأمور. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج1/ 346).

(3) زيادة ملحة؛ ليستقيم السياق.

(4) التّصدير: كلمة ترد بمعنى التدريس؛ لأنّ المُدرس حينما يُكَلَّف بتدريس الطلبة يتصدر المجلس في الجامع أو المجلس لهذه الغاية. راجع معجم المصطلحات والألقاب التاريخية؛ لمصطفى الخطيب (ص: 106).

(5) هو أبو عمران الجوني عبد الملك بن حبيب، الإمام، الثقة، عبد الملك بن حبيب البصري، رأى عمران بن حصين، وروى عن: جندب البجلي، وأنس بن مالك، وعبد الله بن الصامت، وأبي بكر بن أبي موسى، وطائفة. حدث عنه: شعبة، والحمادان، وأبان العطار، وآخرون. =

تصعَدُ الملائِكةُ بالأعمالِ، فيُنادي الملَكُ: ألقِ تلكَ الصّحيفةَ، ألقِ تلكَ الصّحيفةَ، قال: فتَقول الملائِكةُ: رَبّنا قالوا خيرًا، وحفِظناه عليهم، قال: فيقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: لم يُرد به وجهي، قال: فيُنادي الملَكُ: اكتُب لِفُلانٍ كذا وكذا مرّتَينِ، فيَقولُ: ربِّ إنّه لم يعمله، فيقول: إنّه نواه، إنّه نَواه[1].

= وثقه: يحيى بن معين، وغيره، وحديثه في الأصول الستة، قال أبو سعيد بن الأعرابي: (كان الغالب عليه الكلام في الحكم)، توفي في سنة (123هـ، وقيل: 128هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج5/ 255-256).

(1) أخرجه: أبو نعيم في حلية الأولياء (ج2/ 313). وابن أبي الدنيا في الإخلاص والنية، رقم (75).

[64/ ب] الباب السادس

في التخلص من آفات النفوس وعيوبها

واعلَم: أنّك إذا أردتَ التّخلُّصَ من آفاتِ النّفسِ وعُيوبِها؛ فاستعملِ التّقوَى في كُلِّ لحظةٍ من ساعاتِ عُمُرِكَ، واحفظِ الجوارحَ عن جميعِ ما حرَّمه الله عليكَ، والقيامَ بجميعِ ما أمَرَكَ الله به مِنَ الحُقوقِ المُدونة في كُتُبِ الفِقه مِنَ الحلالِ والحرامِ والحُدودِ والأحكام، بحيثُ لا يبقَى عليكَ في الشّريعة مُطالبةٌ، ولا تبقَى في ذمَّتِكَ صلاةٌ فائتةٌ، ولا صومٌ فائتٌ، ولا غِيبةٌ لِمُسلم بغيرِ حقٍّ، ولا مُخاصمة ولا شحناءُ[1] ولا بغضاءٌ بغيرِ حَقٍّ، لِتخلص مِنْ كُلِّ [ما][2] بينَك وبينَ الله عَزَّوَجَلَّ، ومن كُلِّ حقٍّ بينَك وبين العِبادِ. ثُمّ دُم علَى مُراقبة نظَرِ الله إلى قلبِك، والحياءِ منه في الخطراتِ، ودَوامِ الافتقارِ إليه في الحركاتِ والسّكَناتِ، والتّعلُّقِ به عندَ بدءِ الخطراتِ الّتي تخطرُ بالقلبِ من هذه الأنواع في أوقاتِ الغفلاتِ، وتُلزمُ نفسَك التّواضعَ معَ كافّة عبادِ الله، وهو أن لا تَرَى نفسَك إلّا أذَلَّ وأحقرَ وأصغَرَ من أحَدِهم، حتَّى عندَ أربابِ التّصوُّفِ العارفين أن لا تَرَى نفسَك خيرًا من أحَدٍ أصلًا[3] واعتَقد في النّاسِ الخيرَ، واعتَقِد في

(1) شحن: الشين والحاء والنون أصلان متباينان، أحدهما يدل على الملء، والآخر على البعد... ومن الباب: الشحناء، وهي العداوة. وعدو مشاحن، أي مباعد. والعداوة تباعد. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج3/ 251-252).

(2) زيادة ملحة؛ ليستقيم السياق.

(3) قال عبد القادر الجيلاني في كتابه الغنية، مجلس في قوله تعالى: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم»، (ج1/ 270): قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (التقوى ألا ترى نفسك خيرًا من أحد)، وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: (المتقي هو الذي يقول لكل من رآه: هذا خير مني).

نفسِكَ الشَّرَّ، مُفتقِرًا إلى ربِّكَ في حركاتِكَ وسكَناتِكَ ولحظاتِكَ. وأن تُخالِقَ النَّاسَ بخُلقٍ حسَنٍ، ومعناه: أن تَصِلَ مَن قطَعكَ بالسَّلامِ والإكرامِ والدُّعاءِ لَه والاستِغفارِ والثَّناءِ عليه والزِّيادةِ، وتُعطي مَن حرَمكَ مِنَ التَّعليمِ والمنفَعةِ والمالِ، وأن تعفوَ عمَّن ظلَمكَ في دَمٍ أو مالٍ أو عِرضٍ.

فإنَّ كُلَّ مُريدٍ، بَل وكُلَّ سالِكٍ، بَل وكُلَّ واحدٍ مِنَ النَّاسِ يأنَفُ ويهرَبُ من هذه العُيوبِ لو سَمِعَها، فضلًا أن يُقالَ لَه: أنت مُتخلِّقٌ بها أو ببعضِها، وأنت ما تشعُرُ ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: 8].

فالمُريدُ في ابتِدائه يطلُبُ معرِفةَ الحقِّ، فإذا علِم برذيلةٍ اجتنَبها، وإذا علِمَ بجوهرةٍ اتَّبَعها، فهو يحِنُّ إلى كُلِّ علمٍ يتَضمَّنُ السُّلوكَ والوصولَ والإرادةَ والتَّألُّهَ؛ إذ هو بُغيةٌ وسُؤلٌ، إذ ليس كُلُّ طالِبٍ أحكَمَ علمَ الشَّريعةِ وصار فيه راسِخًا، ولا كُلُّ مُريدٍ أحاطَ بقواعِدِ السُّنَّةِ؛ لأنَّه لا يدخُلُ في الطَّريقةِ إلَّا من بابِ التَّوبةِ النَّصوحِ.

قال عُمرُ بنُ الخطَّابِ وغيرُه مِنَ الصَّحابةِ [65/ أ] والتَّابعينَ، في قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: 8] التَّوبةُ النَّصوحُ: يتوبُ العبدُ مِنَ الذَّنبِ، ثُمَّ لا يعودُ إليه[1].

---

(1) رواه: أبو داود في الزهد، حديث (61)، (ص:76-77). والطبري في تفسيره (ج23/ 106-107)؛ بعدة ألفاظ. والحاكم في مستدركه (ج2/ 537)، حديث (967/ 3830)، قال الحاكم: (صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، قال الذهبي في التلخيص: (صحيح). والبيهقي في شعب الإيمان (ج9/ 264)، حديث (6634)؛ جميعًا من طريق: سفيان، عن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير، قال: سمعت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «توبوا إلى الله توبة نصوحًا»، قال: هو الرجل يعمل الذنب ثم يتوب، ولا يريد أن يعمل به ولا يعود. قال ابن حجر في المطالب العالية (15/ 364): هذا إسناد صحيح.

ورواه: ابن أبي شيبة في مصنفه، تحقيق/ كمال يوسف الحوت، (ج7/ 99)، حديث (34491). وهناد في الزهد، (ج2/ 453-454)، حديث (901). والطبري في تفسيره (ج23/ 106-107).=

ونصوحٌ[1]: صفةٌ للتَّوبةِ[2]، وهو مُشتَقٌّ من النُّصح والنّصيحةِ، فالتّوبةُ النّصوحُ: هيَ الخالِصُ من كُلِّ شيءٍ، وأصلُ ذلك هو الخلوصُ، ومنه قولُه تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: 91]؛ أي: أخلَصوا لله ورسولِه قصدَهم وحُبَّهُم[3]، فإنّ أصلَ الدّينَ: هو حُسنُ النّيّة، وإخلاصُ القصدِ، فإذا أخلَص المُريدُ ودَخَل في الطّريقة من بابِ التّوبةِ النّصوحِ، وأتى بشُروطِها: وهيَ النّدمُ علَى الماضي، والإقلاعُ في الحالِ، والعَزمُ في المُستقبلِ علَى ألّا يفعَلَ.

فيَنبغي أن يقولَ: يا ربِّ جئتُكَ هاربًا مِنَ الذُّنوبِ تائبًا إليك، نادِمًا علَى ما فرَّطتُ في جنبِكَ من تضييعِ حقوق، وارتِكابِ مَناهيك، عازِمًا علَى إصلاحِ الحالِ، والتّأهُّبِ للقُدومِ عليكَ، وليسَ لي رَبٌّ أرجوه سِواكَ، فتُب

= جميعًا من طريق: أبي الأحوص، عن سماك، عن النعمان بن بشير، قال: سئل عمر عن التوبة النصوح، فقال: «التوبة النصوح أن يتوب العبد من العمل السيئ، ثم لا يعود إليه أبدا».

(1) نصح: النون والصاد والحاء أصل يدل على ملاءمة بين شيئين وإصلاح لهما. أصل ذلك الناصح: الخياط... ومنه النصح والنصيحة: خلاف الغش. ونصحته أنصحه. وهو «ناصحُ الجيبِ» لمثلٍ، إذا وُصِف بخلوص العمل، والتوبة النصوح منه، كأنها صحيحة ليس فيها خرق ولا ثلمة... كأنه الخالص الذي لا يتخلله ما يشوبه. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج5/ 435).

(2) قال سمين الحلبي في الدر المصون، (ج10/ 371-372): وفي انتصابه أوجه، أحدها: أنه مفعول له أي: لأجل النصح الحاصل نفعه عليكم. والثاني: أنه مصدر مؤكد لفعل محذوف أي: ينصحهم نصحا. الثالث: أنه صفة لها: إما على المبالغة على أنها نفس المصدر أو على حذف مضاف أي ذات نصوح.

(3) قال الراغب في مفردات ألفاظ القرآن، (ص:639)، مادة (نصح): النصح: تحري فعل أو قول فيه صلاح صاحبه... وهو من قولهم: نصحت له الودّ. أي: أخلصته...

۞ قال ابن الجوزي في زاد المسير، (ج3/ 485): ومن النصح لله: حث المسلمين على الجهاد، والسعي في إصلاح ذات بينهم، وسائر ما يعود باستقامة الدين.

علَيَّ يا أرحَمَ الرّاحِمين. ويكونُ ذلك بعدَ أن توضَّأ، وصلَّى ركعَتَين[1]، ويُكثر مِنَ الاستغفارِ والدُّعاءِ بخُشوعٍ وحُضورٍ وخُضوعٍ، فإن وجِلَ قلبُه، واقشعرَّ جلدُه، ودَمِعت عيناه؛ فذَلِك علامةُ القبولِ إن شاءَ الله، فإذا أتَى بالتّوبةِ النّصوحِ علَى هذا الوجه؛ حَكَّمَ علَى نفسه التّقوى بعدَ أن علِمَ ما يتَّقي، فقد رَوى الحافِظُ ابنُ عساكرٍ بإسنادِه عن مُعاذِ بنِ جبَلٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أوصيكَ بتقوَى اللهِ العظيمِ، وصِدقِ الحديثِ، ووَفاءِ بالعهدِ، وأداءِ الأمانةِ، وتَركِ الخيانةِ، وحِفظِ الجارِ، ورَحمةِ اليتيمِ، ولينِ الكلامِ، وبَذلِ السّلامِ، وخَفضِ الجناحِ**»[2].

ورواه الخرائطيُّ أيضًا في «مكارمِ الأخلاقِ»[3]، وفي لفظٍ: «**قال: يا**

---

(1) لما روى أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، حديث (1521)؛ عن أسماء بن الحكم الفزاري، قال: سمعت عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، قال: وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يذنب ذنبا، فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله، إلا غفر الله له، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ [آل عمران: 135] إلى آخر الآية.

(2) رواه: ابن عساكر في تاريخه (ج18/ 194) من حديث ركن بن عبد الله الدمشقي، عن مكحول الشامي، عن معاذ بن جبل. والخطيب البغدادي في تاريخه (ج9/ 435) من نفس الطريق السابق. وقال ابن الجوزي في الموضوعات، (ج3/ 184-185)، بعد أن روى الحديث من نفس طريقهما: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، والمتهم به ركن... وتعقبه السيوطي في اللآلي (ج2/ 314)، فقال: قلت: له طريق آخر، قال البيهقي في الزهد -فذكر حديث المصنف وسنده-. قال ابن الجوزي في الضعفاء والمتروكين، (ج1/ 285-286): ركن بن عبد الله الشامي، يروي عن مكحول، قال ابن المبارك: (لأن أقطع الطريق أحب إلي من أن أروي عن عبد القدوس، وعبد القدوس خير من مائة مثل ركن)، وقال يحى: (ليس بشيء)، وقال النسائي وابن حماد والدارقطني والأزدي: (متروك)، وقال ابن حبان: (لا يجوز الاحتجاج به بحال). قال البخاري في التاريخ الكبير، (ج3/ 343): منكر الحديث.

(3) (ص: 65)، حديث (154)، باللفظ السابق.

مُعاذُ! اتَّقِ اللهَ حَيثُما كُنتَ، وأتبِعِ السّيِّئةَ الحسَنةَ تَمحُها، وخالِقِ النّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ»[1].

فعُلِم أنّ هذه الوصيّة جامِعةٌ، وهيَ مُفسِّرة لقولِه تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 131]، قال بعضُ السّلفُ: كيفَ يتّقي مَن لا يدري ما يتّقي[2]؟

فإذا علِم ما يَتّقِي، علِموا فعَمِلوا علَى تصحيح التّوبة بالمُحاسبة، وقاموا علَى القلوبِ بالتّعظيم لله والمُراقبةِ لَه، فرَعَوُا الجوارحَ السّبعَ ورَعَوها؛ وهيَ العينُ، والأُذُنُ، واللّسانُ، والبطنُ، والفرجُ، واليدُ، والرِّجلُ عن جميع المُحرَّماتِ، وقيّدوها عن جميع المكروهاتِ في الحركاتِ والسّكناتِ، فانتَهَت بهِمُ المُحاسبة إلى التّوبةِ عن فُضولِ الحركاتِ، وإن كانت في صورِ المباحاتِ، ثُمّ أدّتهم إلى الحياءِ مِنَ الله في الهموم

---

(1) رواه: الإمام أحمد في مسنده حديث (21354)، (ج35/ 284)، بلفظه، وحديث (21988)، (ج36/ 313)، بلفظ: «يا معاذ، اتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»، وحديث (22059)، (ج36/ 381)، بلفظ: (عن معاذ أنه قال: يا رسول الله أوصني. قال: «اتق الله حيثما كنت - أو أينما كنت-» قال: زدني. قال: «أتبع السيئة الحسنة تمحها» قال: زدني. قال: «خالق الناس بخلق حسن»). والترمذي في سننه، أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معاشرة الناس، (2116)، قال الترمذي: قال محمود - أي: ابن غيلان-: والصحيح حديث أبي ذر. والبيهقي في شعب الإيمان، حديث (7660)، (ج10/ 380)، بلفظ أحمد، (22059)، وحديث (7662)، بلفظ: (عن ميمون بن أبي شبيب، قال: لما بعث رسول الله ﷺ معاذا إلى اليمن، قال معاذ: فإذا رَكبٌ يوضِعون نحو النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله، ما أرى هؤلاء إلا شاغليك عني، فأوصني وأجمع، فقال: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالط الناس بخلق حسن»). وفي كتاب العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد، ط دار الخاني، (ج3/ 246): قال وكيع: وقال سفيان مرة عن معاذ؛ فوجدت في كتابي عن أبي ذر؛ وهو السماع الأول.

(2) هذا قول مأثورٌ عن بكر بن خُنيس، رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (9/ 316).

والخطراتِ، فاستقامَت جوارحُهم علَى الطّاعاتِ، واستقامَت قلوبُهم علَى حقيقةِ التّقوى في الخطراتِ، فأشرَقَ نورُ الإيمانِ في قُلوبهم، واستَنارَت به أسرارُهم، فصارَ الخبَرُ عندَهم خُبرًا، والعِلمُ في أسرارهم مُعاينة ونصرًا، فزَهِدوا في المالِ والجاه وسائرِ شهَواتِ الأرواح بعدَ رفضِهم لِمُعظم شهَواتِ الأشباح[1]، فصَفَت أسرارُهم، وتكامَلَت أنوارُهم، وتوحَّدَت [65/ ب] هِمَمُهُم، فتَوحَّدَ لهُمُ المطلوبُ في مُكاشفاتِ أنوارِ الغُيوب بملاطَفاتٍ يعجَزُ عن شرحِها المحجوبُ.

فانظُروا -رحِمَكمُ اللهُ- إلى الدّلالاتِ ما أبيَنَها! وإلى البِداياتِ ما أصحَّها وأقوَمَها! وإلى النّهاياتِ ما أتمَّهما وأكمَلَها!

وشرَطَ القاضي من أصحابِنا شرطًا رابِعًا وهو: مُفارقة قُرناءِ السّوءِ[2]، وهمُ الّذين كان يجتمِعُ معَهم علَى المعصيةِ[3].

وبعضُ أصحابِنا فرَّقَ بينَ أن يكونَ كبيرًا مُطاعًا، فإذا كان بهذه المثابة ربَّما دعاهم إلى التّوبةِ فقَبِلوا منه، بخلافِ ما إذا كان رُذالةً[4]، ربَّما إذا اجتمَع بهم أوقَعوه في المعصيةِ.

وذكَر بعضُ أصحابِنا شَرطًا رابعًا لا بُدَّ للتّائبِ منه: وهو العزمُ علَى

---

(1) شبح: الشين والباء والحاء أصل صحيح يدل على امتداد الشيء في عرض. من ذلك الشبح، وهو الشخص، سمي بذلك لأن فيه امتدادا وعرضا. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج3/ 240).

(2) انظر: كتاب التوكل للقاضي أبي يعلى الحنبلي، (ص:68).

(3) قال ابن مفلح في الآداب الشرعية، فصل فيما على التائب من قضاء العبادات ومفارقة قرين السوء ومواضع الذنوب، (ج1/ 119): مجانبة خلطاء السوء لا يشترط في صحة التوبة، وهو المشهور عند العلماء، وقطع به ابن عقيل، وجعله أصلا لأحد الوجهين.

(4) الرذل: الدون من كل شيء، وكذلك الرذال. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (رذل)، (ج2/ 509).

فعلِ المأمورِ والتزامِه، فلا يكونُ بمجرَّدِ الإقلاعِ والعزمِ والنّدَم تائبًا حتّى يوجدُ منه العزمُ علَى فعلِ المأمور والإتيانِ به، والله أعلَم[1].

وقال ابنُ عبد السّلامِ[2]: قولُه ﷺ: «النّدَمُ توبةٌ»[3] يُحملُ علَى مَن

(1) قال ابن القيم في مدارج السالكين، (ج1/ 305): فالتوبة في كلام الله ورسوله... تتضمن العزم على فعل المأمور والتزامه، فلا يكون بمجرد الإقلاع والعزم والندم تائبا، حتى يوجد منه العزم الجازم على فعل المأمور، والإتيان به، هذا حقيقة التوبة.

(2) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد ابن مهذب السلمي شيخ الإسلام والمسلمين وأحد الأئمة الأعلام سلطان العلماء إمام عصره بلا مدافعة القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها العارف بمقاصدها، ولد سنة (577هـ أو 578هـ)، درس بدمشق أيام مقامه بها بالزاوية الغزالية وغيرها، وولي الخطابة والإمامة بالجامع الأموي، وأزال كثيرًا من البدع التي كان الخطباء يفعلونها، وخرج إلى الديار المصرية في حدود سنة (639هـ)، وتولى التدريس بالمدرسة الصالحية بالقاهرة، ومن تصانيف الشيخ عز الدين: «القواعد الكبرى»، وكتاب «مجاز القرآن»، وهذان الكتابان شاهدان بإمامته وعظيم منزلته في علوم الشريعة، و«الغاية في اختصار النهاية»...توفي في العاشر من جمادى الأولى سنة (660هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ترجمة (1183)، (ج8/ 209-255).

(3) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، (ج6/ 37)، حديث (3568)، و(ج7/ 113)، حديث (4012)، و(ج7/ 115)، حديث (4014)، و(ج7/ 116)، حديث (4016)، و(ج7/ 193)، حديث (4124).

2- ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حديث (4252).

3- أبو داود الطيالسي في مسنده، حديث (380)، (ج1/ 298).

4- الحميدي في مسنده، حديث (105).

5- البخاري في التاريخ الكبير، حديث (1261)، (ج3/ 374)

6- البزار في مسنده، حديث (1926)، (ج5/ 310)، وحديث (1927)، (ج5/ 312).

7- أبو يعلى في مسنده، حديث (4969)، (ج8/ 382)، وحديث (5081)، (ج9/ 13)، وحديث (5129)، (ج9/ 64)، وحديث (5261)، (ج9/ 171)؛ قال مجاهد: في قتل النفس إن ندم.

=

تعَذَّرَ علَيه بَقيّة أركانِ التّوبةِ؛ كمَن كان يرى مُنقَطِع ذكره استحالَ منه الإقلاعُ [...][1] ولا فائِدةَ في العزم علَى ألّا يفعَلَ في المُستقبلِ؛ لأنّه غيرُ مُمكِنٍ. انتَهى[2].

= 8- الطبراني في المعجم الصغير، حديث (80)، (ج1/ 67) قال الطبراني: (لم يروه عن النضر بن عربي إلا ابن سوار). وفي المعجم الأوسط، حديث (5864)، (ج6/ 83) قال الطبراني: (لم يرو هذا الحديث عن ابن سعيد إلا أبو بكر بن عياش، تفرد به: أحمد بن يونس)، وحديث (6799)، (ج7/ 44) قال الطبراني: (لم يرو هذا الحديث عن ابن ثوبان إلا الوليد بن مسلم، تفرد به: الوليد بن عتبة).

۞ الحكم على الحديث:

۞ رواه ابن حبان في صحيحه، ذكر الخبر المصرح بصحة ما أسند للناس خبر أبي سعيد الذي ذكرناه، حديث (561).

۞ الحاكم في المستدرك، حديث (12/ 7612)، و(13/ 7613)، قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه اللفظة...) وقال الذهبي في التلخيص: (صحيح).

۞ قال العراقي في تخرج أحاديث الإحياء، كتاب التوبة، (ج2/ 938): أخرجه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن مسعود، ورواه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال: صحيح على شرط الشيخين.

۞ قال ابن حجر في فتح الباري، (ج13/ 471): جاء الحديث «الندم توبة» وهو حديث حسن من حديث ابن مسعود أخرجه بن ماجة وصححه الحاكم وأخرجه بن حبان من حديث أنس وصححه.

(1) كلمة غير مقروءة بالأصل؛ لأن نصفها متآكل.

(2) قال ابن عبد السلام في قواعد الأحكام، ط الأوقاف القطرية، فصل في تفريق النيات على الطاعات، (ج1/ 327): التوبة مركبة من ثلاثة أركان: العزم، والندم، والإقلاع، وقد تكون التوبة مجرد الندم في حق من عجز عن العزم والإقلاع، فلا يسقط المقدور عليه بالمعجوز عنه، كما لا يسقط ما قدر عليه من أركان الصلاة بما عجز عنه...

۞ قال ابن حجر في فتح الباري، (ج11/ 103): وقد تمسك من فسر التوبة بالندم بما أخرجه أحمد وبن ماجة وغيرهما من حديث بن مسعود رفعه «الندم توبة» ولا حجة فيه لأن المعنى الحض عليه وأنه الركن الأعظم في التوبة لا أنه التوبة نفسها.

فَصْلٌ

مُتعلِّقٌ بما قبلَهُ

فإنّ العبدَ إذا تابَ لا تستَقيمُ توبتُه في المُستقبَلِ إلّا بالمُحاسبة، وهو أن يقضيَ ما عليه من الفوائتِ من صوم أو صلاةٍ، ويُؤدّي ما في ذمَّته مِنَ الحقوقِ والمظالمِ الّتي لله ولعِبادِه، ثُمّ يحاسِبُ نفسَه في كُلِّ يومٍ وليلة في حرَكاتِ جَوارِحه؛ مِنَ العينِ والأُذُنِ واللِّسانِ والبطنِ والفرجِ واليدِ والرِّجلِ، فيحفَظُ لِسانَه عمّا لا يعنيه، ويحفظُ العينَ عنِ النّظرِ المُحرَّم، ويحفَظُ سمعَه مِنَ الغيبةِ، وما لا فائدةَ فيه، ويحفَظُ بطنه عنِ الحرامِ والشُّبُهاتِ، فكُلُّ جِسمٍ نبَتَ من حرامٍ فالنّارُ أولَى به، وأكلُ الشُّبُهاتِ يُظلِم القلبَ.

وقد رُوِيَ أنّ رجُلًا جاءَ إلى بشرِ بن الحارثِ[1]، فقال: يا أبا الحارثِ بما يطمَئِنُّ قلبي؟ قال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: 28]، ثُمّ جاءَ إلى الإمام أحمد، فقال: يا أبا عبد الله! بما يَطمَئِنُّ قلبي؟ قال: بأكلِ الحلالِ، فَرَجَعَ إلى بشرٍ، فقال لَه: قال أحمد كذا، فبَكى، وقال: والله أتاكَ بالذّهَبِ، أتاكَ بالأَصلِ؛ والله إذا أُكِل الحلالُ استنارَ قَلبُه لذكر الله[2]. أو كما قال، فإنّ هذه القِصّة لم أسمعها إلّا مِنَ المشايخ.

ويحفَظُ فرجَه إلّا علَى زوجتِه أو ما ملَكت يمينُه مِنَ الجواري، ويحفَظُ اليدَ مِنَ البطشِ الحرام، والرِّجلَ مِنَ السّعي إلى المُحرَّماتِ والمكروهاتِ، وأن ينصحَ لله ولِرسولِه ولِعبادِه المُؤمنينَ، ولا يَغِشُّ مسلمًا، ويأمُرُ بالمعروفِ

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) لم أقف على هذه القصة.

وينهى عن المُنكر، ويكونُ أمرُه برفقٍ وحُسنِ إرشادٍ وتلطُّفٍ، ويجتَنِبُ الغِلظةَ، وغيرَ ذلك مِنَ الأخلاقِ المذمومةِ. فإذا فعَل ذلك صارَ مِنَ الّذين يُبدِّلُ الله سيِّئاتِهم حَسناتٍ، ومِنَ الّذين أنعَم الله علَيهم مِنَ النّبيّينَ والصِّدّيقينَ والشُّهداءِ والصّالحينَ، وفّقَنا الله وإيّاكُم لِذلك.

فَصْلٌ

وهؤلاءِ لَمّا سلَكوا المنهَجَ الأحقَّ، وكانوا أهلَ البداياتِ والنِّهاياتِ، فنَظَروا في الابتِداءِ؛ فتَركوا العُيوبَ الظّاهِرة، ثُم فتَّشوا أنفسَهم فوَجَدوا العُيوبَ الباطِنة أضعافًا مُضاعفة، فقَصَدوا التّطهيرَ والتّكفيرَ منها، وراضوا أنفُسَهم وفطَموها عن تلكَ الأخلاقِ الدّنيّة، ونَظَروا إلى الأعمالِ الظّاهِرةِ الّتي عَبَدوا اللهَ بها، إنّما مَنَّ علَيهم ربُّهم بها، فثَقُلَت علَيهم أثقالُ المنّة، فانقَطَعوا وانكَسَروا، ولم يبقَ لهم مُعتمَدٌ لأخلاقِهم، ولو عمِلَ أحَدُهم أعمالَ الثّقَلَينِ كلَّها لم يَرَ ذلك علَيها مثقالَ ذرّة من خردَلةٍ[1]، فهم قومٌ تركوا العُيوبَ الظّاهِرةَ، ثُمّ انتَبَهوا لهذه العُيوبِ الباطِنة الّتي ذكرناها، وأقبَلوا علَى هذه النّفس الأمّارةِ بالسّوءِ فزَجَروها وراضوها حتّى تركَت هذه الأخلاقَ، وتَطهرَت من هذه الأقذارَ، وتعَلَّقَت بالخالقِ الغفّارِ، فأنِسوا بالله، وسَكَنوا إليه عندَ وعدِه بالرِّزقِ، وأمِنوه علَى أنفُسِهم ففوَّضوا إليه أُمورَهُم، وقطَعوا القُلوبَ عن كُلِّ شيءٍ يُشغِلُهم عنِ الله عَزَّوَجَلَّ، فلم تزَلِ المادّة من ربِّهم إليهم [66/ أ] واصِلة، وعلَيهم مِنَ الله الرّحمةُ

(1) الذر: هو النمل الصغير وذكر بعض نقلة الأخبار أن الذر الهباء الذي يطير في شعاع الشمس... عن ابن عباس إذا وضعت كفك على التراب ثم نفضتها فما سقط من التراب فهو ذرة وحكي أن الذرة جزء من خردلة وإن أربع ذرات خردلة. انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض، (ج1/ 269).

دائِمـةً نازِلـة، حتَّـى اسـتقَرَّت إليـه قلوبُهُـم، وعرَّفهـم مـن عظيـم معرفَتِـه مـا عبـدوه أيَّـامَ الدُّنيـا كأنَّهـم يرونَـه، كالّـذي قـال رسـول الله ﷺ: «**اعبُدِ اللـهَ كَأنّـكَ تَـراه، فَـإن لـم تكُـن تَـراه فإنّـه يَـراكَ**»(1)، ثُـمّ إنّهـم أبدَلـوا مـكان كُلِّ آفـة مـن آفـاتِ النُّفـوسِ بضِدِّهـا؛ فأبدَلـوا مـكان الكِبرِ التّواضُعَ، والعُجـب برُؤيـة المِنّـة، وخـوفِ الفقـرِ بالوُثـوقِ بالله عَزَّوَجَلَّ، وسـخَطِ المقـدورِ بالرِّضـا عـنِ الله، والأنَفـة مِـنَ الفقـر بإكـراه النّفـسِ علَـى مـا يظهَـرُ منه مـن زي الفُقـراءِ مـا لَـم يكُـن بدعـةً، والعـداوةِ بالأُلفـةِ، والبغضـاءِ بالمـودّة، والغِشّ بالنُّصـح، وعلَـى هـذا فَقِـس، فأبدَلـوا كُلَّ سـيِّئة بحسَـنة، حتَّـى صـارَ ذلـك عـادةً وطبعًـا لهـم مـن غيـرِ تكلُّـفٍ.

واسـتَعملوا بيـنَ يدَيـه الـورَعَ، والتّقـوَى، والزُّهـدَ، والفقـرَ، والرِّضـا، والقناعـة، والتّـوكُّلَ، والتّفويضَ، واليقينَ، وسلامةَ الصّدرِ، وسَـخاوةَ النّفسِ، ورُؤيةَ المِنّة، والإحسـانَ وحُسـنَ الظّنِّ، وحُسـنَ المعرفة، وحُسـنَ المُعاشَـرة، وحُسـنَ الطّاعـة، والصِّـدقَ، والإخـلاصَ، فلمّـا ماتـوا قدِمـوا علَـى ربِّهـم طاهِريـنَ مُطَّهريـنَ مُهتَديـنَ فارغيـنَ مِنَ العُيـوبِ الظّاهِـرةِ والباطنـة، نفوسُـهم مُطمئنّـة بخالِقِهـم قـد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورَضـوا عنـه، وقلوبُهـم مشـغولةٌ بحُبِّـه، مُتعلِّقةٌ بـه، مُشـتاقة إليـه، فأولئك خُلفـاءُ الله علَـى عبادِه وأوليائِه فـي أرضِـه، وفّقَنـا الله، وإيّاكُـم لحسـنِ هـذه الطّريقـة.

---

(1) أخرجـه نعيـم بـن حمـاد في زياداتـه على كتـاب الزهـد لابـن المبـارك، ط دار الكتـب العلميـة، الطبعـة الثانيـة 2004م/ 1425هـ (ص:482)، حديـث (222)؛ موقوفًـا عـن زيـد بـن أرقـم بهـذا اللفـظ، وتمامـه: «...واحسب نفسك مع الموتى، واجتنب دعوة المظلوم فإنها مستجابة». وأصل الحديـث في الصحيحين: البخـاري، كتـاب كيـف كان الإيـمان، بـاب سـؤال جبريـل النبـي ﷺ عـن الإيـمان والإسـلام والإحسـان وعلـم الساعة وبيـان النبـي ﷺ لـه، حديـث (50)، وكتـاب التفسـير، سـورة لقـمان، حديـث (4777). مسـلم (8) مرفوعًـا عـن النبـي ﷺ بلفـظ: «أن تَعبُدَ اللهَ كَأنّـكَ تَـراه، فَـإن لم تَكُـن تَـراه فإنّـه يَـراكَ».

قال العِمادُ الواسِطيُّ[1]: عليكَ بصُحبةِ أهلِ التّقوَى، والورعِ في الكلامِ والمأكَلِ والملبَسِ، وأهلِ الأخلاقِ المرضيّة في سائرِ أصنافِ العالَمِ؛ مِنَ الفُقهاءِ والفُقراءِ والصّوفيّة أهلِ السُّنّة الّذين يكونونَ علَى طريقةِ الحديثِ والأثرِ، وقليلٌ ما هُم، انتهَى[2].

فَصْلٌ

وهَؤلاءِ لم يحصل لهم ذلك إلّا بمتابعةِ الرسول ﷺ في أقوالِه وأفعالِه وحركاتِه وسَكَناتِه، فإنّ الطُّرُقَ كلَّها مسدودةٌ إلى الله تعالى إلّا من طريقِ اتِّباعِ الرسول ﷺ؛ لأنّ اللهَ تعالى تعرَّف إلى الخلقِ من جهتِه، وذكَّرَهم وشَرَّفَهم بشَريعَتِه، فكُلُّ طَريقٍ غير طريقِه زائغة، وكُلُّ نَهج غيرَ منهَجِه يُؤدّي إلى التّردّي في الهاوية، فهو سفيرٌ بينَ الله [66/ ب] وبينَ عِبادِه، وحُجَّتُه علَى خلقِه، فاهتدى الخلقُ إليه بعدَ الجهلِ والعمَى، وعرفوه وتألَّهوه بعد النّكرة والجفاءِ، فلمّا جعَلوا المتبوع نصب أعيُنِهم ومِرآةً في قلوبِهم يتَراءون فيها صحيحَ الإراداتِ والحركاتِ من سَقيمِها، وميزانًا يزِنون به ما اشتَبَه علَيهم مِنَ العُلوم لِتَصحيحِها وتقويمِها.

فلِذلك قلنا: ينبَغي الاعتِناءُ بأمرِه وسُنّتِه، ومعرفة أيّامِه وأحوالِه وأخلاقِه وآدابِه، فهذا ينبَغي لِكُلِّ سالِكٍ طالِبٍ للعِلمِ والمعرفةِ عاشِقًا لِذلك أن يعتَنيَ بذلك علمًا وعمَلًا، فإنّه يظفَرُ بالمطلوب إن شاءَ الله، والسِّرُّ في ذلك أنّه إذا كان التّعرُّفُ إنّما كان بواسطَتِه ﷺ فعلَى قدرِ تحقيقِ اتِّباعِه تتجَلَّى الحقائِقُ علَى القلوبِ، وعلَى قدر الانحِرافِ يقَعُ النّقصُ والانحِرافُ، فمتَى عرفتَ ذلك وحقّقتَه وُفِّقتَ لِسُلوكِ سبيلِها وطَريقِها، ووقَعتَ علَى المقصودِ، وعرفتَ الانحِرافَ في المُنحرِفِ من

(1) تقدمت ترجمته.

(2) مفتاح طريق الأولياء؛ للعماد الواسطي (ص: 35).

أينَ أتاه، والكمالَ في الكامِلِ من أينَ حصَلَ له ذلك، ومَن لم يجعَلِ الله له نورًا فما له من نورٍ، وليَحذرِ السّالكُ مِنَ الضّجَرِ في الأعمالِ، كما قال لُقمانُ لابنِه: يا بُنَيَّ! إيّاكَ والكسَلَ والضّجرَ، فإنّكَ إذا كسِلتَ لم تُؤدِّ حقًّا، وإذا ضَجِرتَ لم تصبر على حَقٍّ[1]. فقد ضمِنَ الله عَزَّوَجَلَّ لِمَن كانت هذه سَبيلُه أن لا تزيغَ[2] به الأهواءُ، ولا تجمَحَ[3] به الآراءُ، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: 54]، وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾... إلى آخر الآية[4] [الأعراف: 156-157]، نَهَضوا بالأوامرِ علَى النّهجِ الّذي أُمِروا به؛ فتوضّؤوا به كما أُمِروا، وقاموا إلى الصّلاة كما أُمِروا، واستَقبَلوا القِبلة كما أُمِروا، وناجوا ربّهم بالقِراءة بفَهمٍ وتدبُّرٍ وتَرتيلٍ وحُضورِ قلبٍ كما أُمِروا، وخشَعوا في صَلاتِهم كما أُمِروا، وتَواضَعوا وخضَعوا في ركوعِهم وسُجودِهم كما أُمِروا، وذكَروا اللهَ تعالى بالقلبِ واللّسانِ داخلَ الصّلاةِ وخارِجَها كما أُمِروا، وتناصَحوا

---

(1) رواه الشريف أبي الفضل ابن المهدي في جزء فيه ذكر شيوخ الشريف ابن المهدي، ط دار البشائر الإسلامية، (ص:34)، قال: أخبرنا أبو العباس، حدثنا ابن غلبون عن بعض أشياخه قال قال لقمان لابنه... وكذا ذكره بدون إسناد: أبو عمر بن عبد البر في بهجة المجالس، القسم الثاني، باب النوم وتصرف المعاني فيه، (ج2/ 87). ابن مفلح في الآداب الشرعية، فصل في استحباب القيلولة، والكلام في سائر نوم النهار، (ج3/ 292).

(2) زيغ: الزاء والياء والغين أصل يدل على ميل الشيء. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج3/ 40).

(3) جمح: الجيم والميم والحاء أصل واحد مطرد، وهو ذهاب الشيء قدما بغلبة وقوة. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج1/ 476).

(4) وتتمت الآية: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

بينَهم في المُعاملاتِ، وأداءِ الحقوقِ والأماناتِ كما أُمِروا، وتورَّعوا عنِ المحارِمِ كما أُمِروا، وأمَروا بالمعروف ونَهَوا عنِ المُنكرِ كما أُمِروا، [67/ أ] وجاهَدوا في سبيلِ الله باليدِ والسِّنانِ وبالقلبِ واللِّسانِ حسبَما يستَطِعُونَه كما أُمِروا، وتأدَّبوا بآدابِ الشّريعةِ دقيقِها وجَليلِها حسبَ الإمكانِ كما أُمِروا، والّذي أعانَهم علَى ذلك كونُهم اعتَنَوا في بداية أمرِهم بالقُرآنِ وتفسيرِه وتعَلُّمِه وتعليمِه، واهتمّوا أيضًا بمعرفة ما سَنّه الرسول ﷺ، ومعرفة سيرتِه وأيّامِه روايةً وفهمًا وإتقانًا احتسابًا لله عَزَّوَجَلَّ، حتّى صارت قلوبُهم من كثرة سماعِهم لأخبارِ الرسول ﷺ ووقائعِه وغزَواتِه وعُمَرِه وحَجِّه وحَضَرِه وسَفَرِه كأنّها لهم مُشاهدةٌ، ولهم مُصاحبة لا يغيبُ عنهُمُ النّبيُّ ﷺ في أمرٍ مِنَ الأُمورِ، وكيفَ يغيبُ عنهم وهم إلى سنَّتِه يرجِعونَ، وإلى طَريقَتِه حافِظون، وفي هُمومِهم وحركاتِهم وسائرِ تقَلُّباتِهم إليه مُنقلِبون، كلّما نابَ أحدَهم أمرٌ من أُمورِ حركاتِه، أو هَمٌّ من هُموم إراداتِه الباطنة، شخَصَ ببَصَرِ قلبِه إلى الرسول ﷺ، واستَمَعَ منه ما يقولُ، فيقومُ بحكمِ مَراسيمِه(1) في وظيفةِ الوقتِ كأنّه يراه؛ معَ المحبّة والتّعظيمِ لحرمتِه، فأدّاهم هذا الاعتِناءُ بأمرِ الرسول ﷺ إلى فهمِ كتابِ الله، واستِنباطِ الأدلّة منه علمًا وعملًا، وأشرَق حينئذٍ في البصيرة نورُ الجلالِ، وعظمةُ صاحبِ الكلام، فصاروا باليقينِ بينَ يدَيه قائمينَ بوظائفِ العُبوديّة مُكتّسبينَ خِلَعَ القبولِ والحبِّ والتّعظيم، وهم معَ ذلك مُتَّصِلين بالرسول [67/ ب] كالمُعانِقينَ له إعشاقًا، فلا هو عنهم نأيٌ ولا مفصولٌ، فيَرجوا بذلك وصولًا بثُلّة(2) الرسول ﷺ إلى

(1) الرسم: الأثر... وقد رَسَمَ يَرسِمُ بالكسر رَسماً. ولا يقال أرسم. انظر: الصحاح للجوهري، (ج5/ 1932-1933)، مادة (رسم).

(2) الثلة: الجماعة من الناس، قال الله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝٤٠﴾ [الواقعة: 39]. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج1/ 368)، مادة (ثل).

قلبِ مَن هذه صِفتُه، وأن يُرزَق محبَّتَه ومحبّةَ التّأسّي به، فذلك مصباحُ كلِّ خيرٍ، فعندَ ذلك حيوا بهذه الصُّحبةِ حياةَ الأبَدِ، وعاشوا بنورِ الحيِّ القيّومِ مدَى الأمَدِ، هذا لهم في الدُّنيا بنورِ الإيمانِ والإيقان والعِرفان، ولهم في الآخِرة من كرَم الله وفضلِه بمشيئَته وقُدرتِه، ذلك بالمُشاهدةِ والعيانِ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥﴾ [القمر: 54-55].

فهذه ثمرة المعرفةِ والاتِّباعِ لِكُلِّ سالِكٍ ومُرشِدٍ داعٍ، فنَسألُ اللهَ تعالى العظيمَ أن يوفِّقَنا لِما يُحبُّه ويرضاه.

فَصْلٌ

وكلُّ مَنِ اشتغَلَ في البداياتِ بإصلاحِ قلبِه ومُعالَجتِه وتنقيتِه من هذه الآفاتِ قبلَ تمكُّنِها دَخَلَ في طَريقِ الموقِنينَ؛ لأنّ الموجِبَ لِذلك قوّة اليقينِ باطِّلاعِ الله تعالى علَى قلبِه وعلمِه به فأكسبَه اليقينُ الحياءَ منه في الخطراتِ بعدَ تحقيقِ الخيانة في الحركاتِ، فيحفَظُ قلبَه عن خَواطِرِ الحرامِ كما حفِظَ جوارِحَه عن حركاتِ الآثام، فإنّ العمَلَ علَى طهارةِ القلبِ وصلاحِه، ولهذا ثبَت أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «**ألا وإنّ في الجسَدِ مُضغة إذا صَلَحَت صَلَحَ الجسَدُ كُلُّه، وإذا فَسَدَت فَسَدَ الجسَدُ كُلُّه، ألا وهي القلبُ**»(1)، فالقلبُ كالملِك، والجوارِحُ رعيّتُه، والسّمعُ والبصَرُ منهنّ

(1) متفق عليه: 1- صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث (52)، وأوله: عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس؛ فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراعٍ يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله أرضه ومحارمه...الحديث».

2- صحيح مسلم، حديث (107- 1599) بنحو لفظ البخاري.

بمنزلة الحِجابِ له أوِ الطّاقاتِ[1]، فمَتى استقام الملِكُ استقامَت رعيَّتُه، وصلاحُ القلبِ أن يُستعملَ فيما خُلِق لأجلِه، فإنّ القلبَ خُلِق ليعقِلَ عنِ اللهِ أمرَه ونَهيَه، وأعضاءُ الجسَدِ جنودُه، كلُّ عُضوٍ منها لِأمرٍ مِنَ الأُمورِ، فالعينُ للنّظرِ، والأُذُن للسَّمعِ، واليدُ للبطشِ، والرِّجلُ للمشيِ، واللِّسانُ للكلامِ والذّوقِ وما أشبه ذلك. وصلاحُ هذه الأعضاءِ هو استِعمالُها فيما خُلِقَت لأجلِه، ومَتى استُعمِلَت لغير ذلك دخلَها الفسادُ.

ثُمّ إنّ للقلبِ علمًا وعمَلًا[2]، فحقُّ القلبِ أن يعلَمَ الحقَّ، وأن يعمَلَ به، ويستَعمِلَ رعيَّتَه في الحقِّ بالحقِّ، ويصبرَ علَى ذلك معَ رحمةِ الخلقِ، فبِالعِلم يَحيَا القلبُ من موتِ الجهلِ، وبعمَلِ الحق تتَفجَّرُ ينابيعُ الحكمةِ منه، وباستِعمالِ رعيَّتِه في الحقِّ بالحقِّ تُحفظُ صِحَّتُه، ويجدُ حلاوةَ الذِّكرِ ويلينُ، ويسلَمُ مِنَ القساوة، وبِصَفائِه يسلَمُ من كدَرِ الطّبيعةِ.

فالقُلوبُ أوعيةٌ، فخَيرُها أوعاها للخَيرِ، فالوعاءُ الصّافي السّالِمُ مِنَ الآفاتِ ومن كدَرِ الشُّبُهاتِ يحفظُ ما يودَعُ فيه صاحِبه مِنَ الخيرِ لا يقبَلُ غيرَه، فمَتَى صَفا القلبُ ورَقَّ وسَلِمَ من مُخالفةِ الحقِّ وعمَلٍ بالحقِّ، واستعمَلَ رَعيَّتَه فيه وصَبَرَ علَى قولِ الحقِّ والعمَلِ به؛ فهذا هو العدلُ الّذي أمَر اللهُ به، وهو الشّرعُ الّذي أنزلَه، وهو الخُلُقُ الّذي كان عليه الرسول ﷺ، والطّريقةُ الّتي كان علَيها السّلَفُ الصّالِحُ.

فإذا صارَ القلبُ بهذه المثابةِ، واتّصفَ بهذه الصِّفةِ؛ صارَ إمامًا يُقتدَى به؛ لأنّه حَمَى قلبَه عنِ المُحرَّماتِ والمكروهاتِ، وعنِ الفُضولِ وحديثِ النّفسِ، فإذا أحكَمَ ذلك وتوطَّن فيه، وعلِمَ الحقَّ وعمِلَ به،

(1) كل ما استدار بشيء فهو طوق، وسمي البناء طاقا لاستدارته إذا عقد. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (طوق)، (ج3/ 433).

(2) في الأصل: علم وعمل، والمثبت هو الجادة.

واستعمَلَ جوارِحَه في الحقِّ بالحقِّ للحَقِّ؛ فعندَ ذلك استقرَّت مُراقبةُ الله عَزَّوَجَلَّ في قلبِه، ويبقَى القلبُ نورًا تتفَجَّرُ منه ينابيعُ الحِكمة، ويلزَمُ الذِّكرَ، ويجِدُ حلاوةَ طاعة الله ورَسولِه فيه، ويترَقَّى إلى صَفاءِ الفِكر في ملَكوتِ السّماواتِ والأرض، وبلَغَ قلبُه إلى معرفة علم اليقينِ[1] وعَينِ اليقينِ[2] وحَقِّ اليقينِ[3]. وإذا أرَدتَ أن تعرفَ علامة هذا القلبِ الصّحيح، فعلامَتُه حُبُّ ما أحبَّه الله ورسولُه، وبغضُ ما أبغضَه الله ورَسولُه مَعَ مُلازمةِ حفظِ صحّة التّوبةِ بالمُحاسبة، كما جاءَ: «حاسِبوا أنفُسَكم قَبلَ أن تُحاسَبوا، وزنوها قَبلَ أن توزَنوا، ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ١٨﴾ [الحاقة: 18]»[4]، وفَّقَنا الله وإيّاكَ لذلك.

---

(1) علم اليقين: ما أعطاه الدليل بتصور الأمور على ما هي عليه. انظر: التعريفات للجرجاني، (ص:158).

(2) عين اليقين: ما أعطته المشاهدة والكشف. انظر: التعريفات للجرجاني، (ص:161).

(3) حق اليقين: عبارة عن فناء العبد في الحق، والبقاء به علمًا وشهودًا، وحالاً لا علمًا فقط، فعلم كل عاقل الموت علم اليقين، فإذا عاين الملائكة فهو عين اليقين، فإذا ذاق الموت فهو حق اليقين، وقيل: علم اليقين: ظاهر الشريعة، وعين اليقين: الإخلاص فيها، وحق اليقين: المشاهدة فيها. انظر: التعريفات للجرجاني، (ص:95).

(4) أثر موقوف: على عمر بن الخطّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، رواه: 1- ابن المبارك في الزهد (ص:122)، حديث (306). 2- الإمام أحمد في الزهد، ط دار الكتب العلمية، حديث (633)، (ص:99)، بلفظ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإن أهون عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم وتزيَّنو للعرض الأكبر يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية». 3- الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، حديث (2641)، قال الترمذي: ويروى عن عمر بن الخطاب، قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا». 4- ابن أبي شيبة في مصنفه، حديث (24459)، بلفظ: عن عمر بن الخطاب، أنه قال في خطبته: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر، يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية». 5- ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس، حديث (2) بلفظ الإمام أحمد في الزهد. 6- أبو نعيم في حلية الأولياء (ج1/ 52)، بلفظ: «زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوها قبل أن تحاسبوا...-الأثر-».

فَصْلٌ

ومَن وفَّقَه الله تعالى، وتَخلَّصَ من آفاتِ النُّفوس وعُيوبِها، وخلَص إلى عِبادةِ القلبِ مِنَ الحلم، والجودِ، والسّخاءِ، وصنائعِ المعروفِ، وحُسنِ الخُلُقِ، والثِّقة بوعدِ الله في الرِّزقِ والرِّضا بقدَرِه، ورؤية المِنَّة لله، والتّوكُّلِ عليه، والتّفويضِ والتّسليمِ لأمره، وقطعِ القلبِ عن كُلِّ شيءٍ يُشغِلُه عنِ الله.

فإذا حصَل ذلك: ينبَغي أن يكونَ من صِفاتِه: أن يكونَ جوّالَ الفِكرِ، جوهَريَّ الذِّكرِ، كثيرَ علمٍ، عظيمَ حلمٍ، أوسَعَ النّاسِ صدرًا، وأذَلَّ النّاسِ نفسًا، ضَحِكُه تَبَسُّمًا، واستِفهامُه تعلُّمًا، مذكِّرٌ للغافِلِ، معَلِّمٌ للجاهِلِ، لا يُؤذي مَن يُؤذيه، ولا يَتَحدَّثُ فيما لا يعنيه، ولا يشمَت بمُصيبةٍ، ولا يذكُر أحَدًا بغيبةٍ، قد تَرَكَ المُحرَّماتِ، وتورَّعَ عنِ الشُّبُهاتِ والشّهَواتِ، كثيرُ العطاءِ، قليلُ الأذَى، عونٌ للغَريبِ، رُكنٌ لليَتيمِ، [67/ أ] بُشراه في وجهِه، حُزنُه في قلبِه، مَسرورٌ بفَقرِه، أليَنُ مِنَ الشّمعِ مع الخلقِ، وأصلَبُ مِنَ الحديدِ علَى دينِه، لا يهتِكُ سِترًا، ولا ينظُرُ عورة، لطيفُ الحركة، حلوُ المُشاهدةِ، حسَنُ الأخلاقِ، لَيِّنُ الجانِبِ، طويلُ الصّمتِ، حكيمٌ علَى مَن جهِلَ عليه، صَبورٌ علَى مَن أساءَ إليه، يُجِلُّ الكبيرَ، ويرحَمُ الصّغيرَ، كثيرُ الأمانة، بعيدٌ عنِ الخيانة، الفقرُ شِعارُهُ(1)، والصّبرُ دِثارُهُ(2)، قليلُ

(1) الشعار: ما ولي الجسد من الثياب؛ لأنه يمس الشعر الذي على البشرة.

انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (شعر)، (ج3/ 193).

(2) الدثار: ما تدثر به الإنسان، وهو فوق الشعار.

انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (دثر)، (ج2/ 328).

الهـزلِ، كثيـرُ الجـدِّ، حَركاتُـه أدبٌ، إذا قـدرَ عفـا، وإذا وعَـد وَفّـى، يَصـومُ رَغبـةً، ويُصلّـي رهبـةً، كأنّـه فـي صلاتـه ناظـرٌ إلـى ربِّـه عَزَّوَجَلَّ، يسـكُنُ الأرضَ بجسـمِه، والعُـلا بقلبـه، إذا أُعطـي آثَـرَ، وإذا مُنـع شـكَرَ، مُتمسِّـكًا باللـه، مُتَّبِعًـا شَـريعةَ رسـول الله ﷺ، فرحمـة اللـه علَـى مَـن هـذه صِفاتُـه.

فـإذا كمُلَـت هـذه الصِّفـاتُ أو بعضُهـا اسـتحَقَّ أن يكـونَ مِـنَ المشـايخِ العارفيـنَ، ومِـنَ الرِّجـالِ الصّادِقيـنَ الّذيـن صَدَقـوا مـا عاهَـدوا اللـهَ عليـه، فأثنَـى اللـه علَـى هـؤُلاءِ الّذيـن عاهَـدوا اللـهَ عهـدًا، وصدَقـوا فـي الوفـاءِ بـه، وإن كانـتِ الآيـةُ نَزَلَـت فـي غـزوة الخنـدَقِ، لَمّـا حاصَـرَ الكُفّـارُ المدينـة[1]، فأنـزَلَ اللـه تعالـى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: 23]، عاهَـدوا اللـهَ علَـى الإيمـانِ باللـه ورَسـولِه، والجِهـادِ فـي سَـبيلِه، وأنّهـم لا يفِـرّونَ مِـنَ العـدوِّ، بـل ينصُـرونَ اللـهَ ورسـولَه[2]، فحَصَـل لهـم هـذا الثّنـاءُ العظيـمُ قرآنًـا يُتلَـى إلـى يـوم القيامـة، ويدخُـلُ فـي هـذا الوفـاءِ بكُـلِّ مـا يُعاهِـدُ [68/ ب] العبدُ عليـه رَبَّـه؛ مـن طاعتِـه وطاعة رَسـولِه، فعلَيـه أن يوفي بذلك.

---

(1) روى الواحـدي في أسـباب النـزول، (ص:353)، عـن أنس بـن مالـك قـال: غـاب عمـي أنس بـن النـضر - وبـه سـميت أنسـا - عـن قتـال بـدر، فشـق عليـه لما قـدم وقـال: غبـت عـن أول مشـهد شـهده رسـول الله ﷺ والله لئـن أشـهدني الله سبحانه قتـالا ليرين الله مـا أصنع، فلما كان يـوم أحـد انكشـف المسـلمون فقـال: اللهـم إني أبـرأ إليـك مما جـاء بـه هـؤلاء المشركـون وأعتـذر إليـك ممـا صنـع هـؤلاء، يعنـي المسـلمين، ثـم مشـى بسـيفه فلقيـه سـعد بـن معـاذ فقـال: أي سـعد، والـذي نفسـي بيـده إني لأجـد ريـح الجنـة دون أحـد، فقاتلهـم حتـى قتـل، قـال أنـس: فوجدنـاه بيـن القتلـى بـه بضـع وثمانـون جراحـة مـن بـين ضربـة بالسـيف وطعنـة بالرمـح ورميـة بالسـهم، وقـد مثلـوا بـه، ومـا عرفنـاه حتـى عرفتـه أختـه ببنانـه، ونزلـت هـذه الآيـة: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ قـال: وكنـا نقـول: أُنزلـت هـذه الآيـة فيـه وفي أصحابـه.

(2) قـال الطـبري في تفسـيره، (ج19/ 61): أوفـوا بـما عاهـدوه عليـه؛ مـن الصـبر عـلى البأسـاء والـضراء وحـين البـأس.

وكُلُّ ما حصَلَ للعبدِ من هذه الإنعامِ الّتي وفّقه لها وللعَمَلِ بها؛ فهو بقُدرةِ اللهِ ومشيئَتِه وبفضلِه ورَحمتِه؛ لقولِه تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النور: 21].

فالنّفسُ لا تَزكو، ولا يكونُ الرّجُلُ مُتزكيًا إلّا إذا تَركَ الشّرَ، وعمِلَ صالحًا، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: 9- 10].

قال قتادة، وابنُ عُيينة، وغيرُهما: قد أفلَح مَن زَكّى نفسَه بطاعةِ اللهِ وصالحِ الأعمالِ(1).

وقال ابنُ قُتيبة: ومعنَى ﴿دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾؛ أي: دسَّ نفسَه -أي: أخفاها- بالفُجورِ والمعصيةِ، والأصلُ: دَسَّسَها(2).

وقال الفرّاءُ والزّجّاجُ: قد أفلحَت نفسٌ زكّاها اللهُ، وقد خابَت نفسٌ

---

(1) رواه: عبد الرزاق في مصنفه (5795). الطبري في تفسيره (ج24/ 444) من طريق معمر، عن قتادة، قال: قد أفلح من زكى نفسه بعمل صالح.

قال الطبري في تفسيره، (ج24/ 443): وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾، يقول: قد أفلح من نَمّى الله نفسه فكثرها بتطهيرها من الكفر والمعاصي، وأصلحها بالصالحات من الأعمال.

(2) راجع: غريب القرآن لابن قتيبة، ت السيد أحمد صقر، (ص:530)، -ولفظه في العبارة الأخيرة-: والأصل: من «دَسَّست»، فقلبتِ السّينُ ياءً؛ كما قالوا: قصَّيتُ أظفاري؛ أي: قصَّصتها.

قال الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن، مادة (دس)، (ص:259): الدس: إدخال الشيء في الشيء بضرب من الإكراه.

قال الطبري في تفسيره، (ج24/ 444): يقول تعالى ذكره: وقد خاب في طلبته، فلم يدرك ما طلب والتمس لنفسه من الصلاح، ﴿مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾، يعني: من دسس الله نفسه فأخملها، ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى، حتى ركب المعاصي، وترك طاعة الله.

دَسّاها اللهُ[1]، ونقَلَه الوالِبيُّ[2]، عنِ ابنِ عبّاسٍ[3]، لكنّه تفسيرٌ مُنقطِعٌ لا يثبتُ كثيرٌ منه.

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ: وليسَ هذا مُرادًا بالآية، بلِ المُرادُ بالآية: ما قاله ابنُ قُتيبةَ قطعًا لفظًا ومعنًى؛ أمّا اللّفظُ: فقولُه: ﴿مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ اسمُ موصولٍ فلا بُدَّ فيه من عائدٍ علَى (من)، فإذا قيلَ: قد أفلَحَ الشّخصُ الّذي زكّاها؛ كان ضَميرُ الفاعِلِ في ﴿زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ يعود علَى (مَن) وهذا وجه الكلامِ الّذي لا ريبَ في صِحَّتِه، كما يُقالُ: قد أفلَحَ مَنِ اتَّقَى، ونحوُه.

وأمّا إذا كان المعنَى: قد أفلَح مَن زكّاها الله لم يَبقَ في الجملةِ ضميرٌ يعود علَى (مَن)، فإنّ الضّمير في ﴿زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ يعودُ علَى الله، فهي على هذا القول: فليس هو مَن، وضَمير المفعول يعودُ علَى النّفسِ المُتقدِّمة، فلا يعودُ علَى (مَن) لا ضميرُ الفاعِلِ ولا ضَميرُ المفعولِ، فتَخلو الصِّلة عن عائدٍ، وهذا لا يجوزُ[4] [68/ أ].

---

(1) انظر: معاني القرآن؛ للفرّاء (ج3/ 267). معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (ج5/ 332).

(2) هو علي بن أبي طلحة، واسمه سالم، بن المخارق الهاشمي، أبو الحسن، ويقال: أبو محمد، ويقال: أبو طلحة مولى العباس بن عبد المطلب، أصله من الجزيرة، وانتقل إلى حمص. قال أحمد: (له أشياء منكرات)، وقال أبو داود: (هو إن شاء الله في الحديث مستقيم)، وقال النسائي: (ليس به بأس)، وقال أبو حاتم عن دحيم: (لم يسمع من ابن عباس التفسير)، وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات»، وقال: روى عن ابن عباس الناسخ والمنسوخ ولم يره)، توفي سنة (143 هـ)، روى له مسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجة.

انظر: تهذيب الكمال؛ للمزي (ج20/ 490-494).

(3) رواه الطبري في تفسيره (24/ 443- 445) من طريق علّي، عن ابن عباس ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ يقول: قد أفلح من زكّى الله نفسه. ومن طريق علّي أيضًا، عنِ ابنِ عبّاسٍ ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ يقول: وقد خاب من دَسَّى الله نَفسَه فأضلّه.

(4) انظر: مجموع الفتاوى (ج10/ 625-626).

فصل

وينبَغي للسّالِكِ أن ينظُرَ بعينِ بصيرَته مَن يسلكُه هذه الطّرائقَ الصّالِحةَ المُتقدِّمةَ، ويُحذِّرُه من آفاتِ النُّفوسِ وعُيوبِها المتقدّم ذكرُها مِنَ المشايخِ القائِمينَ بشريعة الله ورسولِه مِنَ العُلماءِ وأهلِ الحديثِ وصوفيَّتِهم وفُقرائِهم السّالِكينَ العارِفينَ منهم، لا المُترسِّمينَ اليابسينَ عن رطوبةِ الدّينِ، الباردين عن حرارة اليقينِ، ولا الفُقراءِ الرّاغِبينَ الحائِدينَ[1] عن مناهجِ السّالِكين، كما قيلَ [من الطويل]:

إذا المرءُ لم يَظفَر بشَيخٍ يَسوسُهُ ... وَلا هو ذو عِلمٍ بآفاتِ نَفسِهِ
فَذاكَ دَعيٌّ حائِرٌ في طَريقِهِ ... يَروحُ ويَغدو في عَمايةِ لَبسِهِ[2]

فإنّ مَن وفّقَه الله تعالى عن رُسوخ قواعِدِ الإيمانِ في قلبِه؛ يخلُق فيه نورًا يقبَلُ به الحقَّ، ويردُّ به الباطلَ، وإنّما نَخشَى علَى غِرٍّ لم ترسَخ في ذلك قدمُه، واحتَوَشَتهُ[3] إراداتُ السُّلوكِ وهممه، فهو خامٌ لم ينقَصِر[4]، ويجدُّ في تلك النّشوةِ وطلائعِ الإشراقِ، قد هجَمت عليه قومٌ يتكلّمون

---

(1) حيد: الحاء والياء والدال أصل واحد، وهو الميل والعدول عن طريق الاستواء. يقال حاد عن الشيء يحيد حيدة وحيودا.

انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج2/ 123).

(2) لم أقف على قائليها.

(3) حوش: الحاء والواو والشين كلمة واحدة، الحوش الوحش... أحاطت به، احتوش القومُ فُلانًا: جعلوه وسطهم، ويقال تحوش عني القوم: تنحوا. وما ينحاش فلان من شيء، إذا لم يتجمع له؛ لقلة اكتراثه به.

انظر: مقاييس اللغة (ج2/ 119).

(4) كذا في الأصل، وكأنها بمعنى: ينقص.

في السُّلوكِ والسّيرِ، والوُصولِ، والجمعِ والفرقِ[1]، والسُّكرِ[2] والصّحوِ، والفناءِ والبقاءِ[3]، وغيرِ ذلك من عُلومِ المشايخِ الواصلينَ والمُريدين

---

(1) مصطلحان من مصطلحات الصوفية؛ الجمع: وهو شهود الحق بلا خلق، وجمع الجمع: شهود الخلق قائمًا بالحق، ويُسمى الفرق بعدَ الجمع.

وأما الفرق فهي: الفرق الأول: هو الاحتجاب بالخلق عن الحق، وبقاء الرسوم الخلقية بحالها. الفرق الثاني: هو شهود قيام الخلق بالحق، ورؤية الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة من غير احتجاب صاحبه بأحدهما عن الآخر. فرق الجمع: هو تكثر الواحد بظهوره في المراتب التي هي ظهور شؤون الذات الأحدية وتلك الشؤون في الحقيقة اعتبارات محضة، لا تحقق لها إلا عند بروز الواحد الحق بصورها. فرق الوصف: ظهور الذات الأحدية بأوصافها في الحضرة الواحدية. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية؛ لعبد الرزاق الكاشاني، ط دار المنار (ص:67)، و(ص153).

۞ يقول الهجويري في كشف المحجوب، (ج2/ 494-500): («فالجمع ما جمع بأوصافه، والتفرقة ما فرق بأفعاله»، وهذا كله انقطاع للإرادة، وترك لتصرف الخلق في إثبات إرادة الحق، وفي هذا القدر الذي ذكرته في الجمع والتفرقة إجماع لكل أهل السنة والجماعة...وأيضًا مراد جمهور محققي المتصوفة في مجاري عباراتهم ورموزهم بلفظ التفرقة: المكاسب، وبلفظ الجمع: المواهب، أي المجاهدة والمشاهدة، فما يحصل عليه العبد في هذا الطريق عن طريق المجاهدة يكون كله تفرقة، وما يكون محض عناية الحق تعالى وهدايته، فهو جمع...يقول المزين الكبير رَحِمَهُ اللَّهُ: الجمع: الخصوصية، والتفرقة: العبودية، موصول أحدهما بالآخر غير مفصول عنه... اعلم أن الجمع على نوعين: يقال لأحدهما: جمع السلامة، وللآخر: جمع التكسير. وجمع السلامة: هو أنه في غلبة الحال، وقوة الوجد، وقلق الشوق التي يوجدها الحق تعالى في العبد، يكون الحق تعالى حافظًا له...وجمع التكسير: هو أن يكون العبد في الحكم، والهًا ومدهوشًا، ويكون حكمه حكم المجانين...)

(2) عند أهل الحق: السكر هو غيبة بواردٍ قوي، وهو يعطي الطرب والالتذاذ، وهو أقوى من الغيبة وأتم منها. انظر: التعريفات للجرجاني، (ص:123).

(3) الفناء: سقوط الأوصاف المذمومة، كما أن البقاء وجود الأوصاف المحمودة والفناء، فناءان: أحدهما ما ذكر، وهو بكثرة الرياضة، والثاني عدم الإحساس بعالم الملك والملكوت، وهو بالاستغراق في عظمة الباري ومشاهدة الحق، وإليه أشار المشايخ بقولهم: الفقر سواد الوجه في الدارين، يعني الفناء في العالمين. انظر: التعريفات للجرجاني، (ص:171).

الصّادِقيـنَ؛ فيتوهَّـمُ الغِرُّ أنّهـم علَـى المحجّـة، أو أنّ مـا ينطِقـونَ بـه لهـم حُجّة، فيركنُ إلى بعضِ ما يقولـون فيجرُّه ذلـك إلى الانسلاخِ مِنَ الدّيـن والخروج عن ملّة المُسلمينَ؛ إمّا إلى الحُلولِ، وإمّا إلى الاتّحادِ(1)، وإمّا إلى غيرِ ذلك من بدعِ المبتدِعينَ الّذينَ يقولونَ علَى الله ما لا يعلمون، ويختلِفون في أسمائه ونُعوته ما يشتَهونَ، وقد حرّمَ الله ذلك [69/ ب] في قولـه: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [الأعراف: 33].

وهؤلاءِ الطّوائفُ مِنَ المُبتدعة لم يجعَلوا كتابَ الله طَريقَهُم، ولا الاهتِداءَ بنُجومِ الشّريعة سبيلهم، لكنّهم سلَكوا إلى ما وجَدوه مِنَ الخيالاتِ الزّائغةِ، والأوهام الفاسدةِ، من وراءِ طُررِ النُّبوّة والرّسالة، ولِذلك تجدُهم يتكلّمون علَى مقامَاتِ الأنبياءِ، ويدّعون الإحاطةَ بعُلوم الأولياءِ، وفيهم مَن يُفضّلُ الولاية علَى النُّبوّة تحكُّمًا، ويُقرِّرُ ذلك بخرافاتٍ مِنَ القواعِدِ توهُّمًا، وما انتحَلوه نَشَأ عن فلسفة ورياضة وتألُّهٍ عقليٍّ لا تألُّهٍ شَرعيٍّ، ولهم أوهامٌ فاسِدةٌ يحسبونَها مُشاهدة صادِقة، وهم في بعضِ أحوالِهم يلتزِمون بالصّلاة والصّومِ معَ النّاسِ، لكنّهم لا يعتَقِدون وُجوبَ شَيءٍ من ذلك؛ لأنّهم بزعمِهم هم خاصّة الخاصّة، وثَمَّ طوائفُ أصلَحُ من هَؤلاءِ خلَطوا عمَلًا صالِحًا وآخرَ سَيِّئًا؛ لكونِهم يتقرَّبونَ بالسّماعِ

(1) الحلول والاتحاد ينقسم إلى نوعين:

1- حلول مطلق: وهو حلوله في كل شيء، أي ذات الله في كل مكان.

2- حلول مقيد: وهو حلوله في بعض الأشخاص.

3- اتحاد مطلق: وهو أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق.

4- اتحاد مقيد: وهو اتحاد عين الخالق في شيء بعينه من المخلوقات. راجع: مجمع الفتاوى لابن تيمية، (ج10/ 59)، بتصرف.

والرّقص، ويتّخِذونَه عبادة يواظِبونَ عليها في أيّام معلومةٍ لهُم، لا يُخِلّون بذلك، وقد تقدم الكلامُ علَى السّماعِ المُحرَّمِ مُختصرًا.

فَصْلٌ

وقد كثُر كلامُ العُلماءِ، والمشايخ العارفين، والفُقراءِ السّالِكينَ في السّماعِ، هل هو محرَّمٌ، أو مكروهٌ، أو مُباحٌ، ولا بُدَّ أن نذكرَه مُبيَّنًا موجَزًا إن شاءَ الله.

القِسمُ الأوّلُ: وهو أن يُعلَم أنّ أصحابَ السّماعِ منهم مَن يسمعُ بطبعِه ونفسِه وهواه؛ فهذا حظُّه من مسموعه، ومنهم مَن يسمَعُ بحالِه وإيمانِه ومعرفَتِه وعقلِه؛ فهذا يُفتحُ له مِنَ المسموع بحسبِ استعدادِه وقوّتِه ومادّتِه، ومنهم مَن يسمَعُ بالله لا يسمَعُ بغيرِه، كما في الحديثِ الإلهي: «**فَبي يَسمَعُ وبي يُبصِرُ**»[1] وهذا أعلَى سماعًا، وأصحُّ من كُلِّ أحَدٍ.

---

(1) جزء من حديثِ الأولياءِ؛ رواه البخاري في صحيحه، باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب التواضع، حديث (6502)، بلفظ: «إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته».

۞ وبدون لفظة: (فبي يسمع وبي يبصر)، وهذه اللّفظة الّتي ذكرها المصنف لم أقف عليها مُسندةً، وهي في نوادر الأصول؛ للحكيم الترمذي، بلفظ: «فإذا أحببت عبدي كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وفؤاده فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يأخذ وبي يبطش وبي يعقل»، (ج1/ 265)، و(ج1/ 382) (ج2/ 195).

الرسالة القشيرية، الباب الرابع في تفسير الألفاظ التي تدور بين هذه الطائفة وبيان ما يشكل منها، القرب والبعد، (ص:165)، بلفظ: «ما تقرب إلي المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى يحبني وأحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا فبي يبصر وبي يسمع الخير» وغيرهما دون إسناد. =

فالسّماع على ثلاثة أقسام:

⊙ قسمٌ ينتفعُ به في الدّين.

⊙ وقسمٌ يرخَّص فيه رفعًا للحرَج.

⊙ وقِسمٌ لأهل اللهوِ المُتلعِّبين.

فأمّا السّماعُ الّذي شرَعه الله لِعباده، وكان سلَفُ الأُمّة مِنَ الصّحابةِ والتّابعينَ وتابعيهم يجتمِعونَ عليه لِصلاحِ قلوبِهم، وزكاةِ [69/ أ] نفوسهم فهو سماعُ آياتِ الله، وهو سماعُ النّبيّين والمُؤمنين وأهل العِلم وأهل المعرفةِ؛ لأنّ الله تعالى لَمّا ذكر مَن ذكَر مِنَ الأنبياءِ إلى أن قال: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: 58]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: 2].

وقال في سماع أهل المعرفةِ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: 83]، وبهذا السّماع أمَرَ الله في قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ﴾ [الأعراف: 204]، وأثنى على أهله في قوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: 17 - 18]، ومدح أهل هذا السّماع بما يحصُلُ لهم من زيادةِ الإيمانِ، واقشعرارِ الجلدِ، ودمع العينِ، فقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: 23].

وقد ذمّ الله تعالى المُعرضينَ عن هذا السّماع وأخبَرَ أنّهم أعداؤُه، وأنّهم نُهوا عن هذا السّماعِ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ

= قال ابن حجر في فتح الباري، (ج11/ 344): (وقع في رواية: «فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي»)، ولم يذكر سند هذه الرواية.

⊙ قال الذهبي في تاريخ الإسلام (ج15/ 629): «لم أجد هذه اللفظة».

يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗا﴾[1] [لقمان: 7]، وقالوا: ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾[2] [فصلت: 26]، والآياتُ في هذا البّاب كثيرةٌ جدًّا.

والمقصود: أنّ هذا هو السّماعُ الّذي شرَعَه الله للمُسلمينَ في صلاتِهم وخُطَبِهم وفي غيرِ ذلك، وهو رسول الإيمانِ إلى القلب.

قال الشّيخُ العارفُ عِمادُ الدّينِ الواسِطيُّ[3]: السّماعُ المشروعُ الّذي نزَلَ مِنَ السّماءِ وشَرَعَه الرسول ﷺ للأتقياءِ وهو الّذي تَهرَبُ منه الشّياطينُ[4].

وقد ذكَرَ أبو الفرج ابنُ الجوزيِّ في «تفسيره»[5] في قولِه تعالَى: ﴿فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ۝١٥﴾ [الروم: 15]، فذكَر فيها أقوالًا، ثُم قال: والمُراد بالحبَرُ: السّماعُ في الجنّة، فإذا أهل الجنّة في السّماع لم تَبقَ شَجرةٌ إلّا ورَّدته، قاله يَحيى بن أبي كَثيرٍ[6].

---

(1) الوقر: الثقل في الأذن. انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب، (ص: 694).

(2) أي: عارضوه باللغو، وهو الكلام الخالي عن فائدة. انظر: زاد المسير لابن الجوزي، (ج7/ 252).

(3) تقدمت ترجمته.

(4) لم أقف عليه.

(5) زاد المسير في علم التفسير (ج6/ 293). ذكر ثلاثة أقوال في معنى «يحبرون»، وهي: 1- يكرمون، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. 2- ينعمون، قاله مجاهد، وقتادة، قال الزجاج: والحبرة في اللغة: كل نغمة حسنة. 3- يفرحون، قاله السدي، وقال ابن قتيبة: «يحبرون» يسرون، والحبرة: السرور. -والقول الرابع هو ما نقله المصنف-.

(6) رواه: ابن أبي شيبة في مصنفه (ج7/ 38)، حديث (34021)، وهناد في الزهد (ج1/ 50)، والطبري في تفسيره (ج18/ 15)، جميعًا عن يحيى بن أبي كثير قال: الحبرة السماع في الجنة.

۞ ورواه: تمام في فوائده (ج1/ 62)، حديث (135). ابن عساكر في تاريخ دمشق (ج70/ 55)، عن الأوزاعي قال: بلغني في قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ﴾ قال هو السماع في الجنة فإذا أخذ أهل الجنة في السماع لم تبق شجرة في الجنة إلا وَرَّدَت.

وسُئِلَ يَحيى بن مُعاذٍ[1]: أيُّ الأصواتِ أحسَنُ؟ فقال: مَزاميرُ أُنسٍ في مَقاصيرِ قُدسٍ، بألحانِ تحميدٍ، في رياضِ تمجيدٍ، في مَقعَدِ صِدقٍ عندَ مَليكٍ مُقتَدرٍ[2].

قلتُ: هذا في سماعِ الآخِرةِ، وكلامُنا إنّما هو في سماعِ الدّنيا، والمقصودُ أنّ هذا السّماعَ الّذي ذكرناه هو سَماعُ [الآياتِ][3]، لا سَماعُ الأبياتِ، وسَماعُ القُرآنِ، لا سَماعُ الشّيطانِ، وسماعُ [المراشِدِ][4] لا سماعُ القصائدِ، وسماعُ الأنبياءِ والمُرسلينَ، لا سماعُ المُغنين [والمُطربينَ][5].

فَهذا السّماع هو سائقُ [الأرواحِ][4] إلى أوطانِ الأفراحِ، [فَسَماعُ][4] القُرآنِ هُدًى، وشِفاء، [ونور][4]، وحياة القُلوب، [ويزداد][4] إيمانًا به، وقُربًا منه وكرامةً علَى الله. وعلَى هذا السّماع كان أصحابُ رسول الله ﷺ يجتَمِعون، وكانوا إذا اجتمَعوا أمَروا واحِدًا منهم يقرَأُ والباقي يستَمِعون، [وكان عمرُ يقولُ لأبي موسَى: ذكِّرنا ربَّنا، فيقرأُ، وهم يستمعون[6]][7].

وهذا هو السّماعُ الّذي كان النّبيُّ ﷺ يشهَدُه معَ أصحابه ويستدعيه

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (ج9/ 354) من طريق إبراهيم بن عبد الله الصّوفي قال: سئل ذو النون عن سماع العظة الحسنة والنغمة الطيبة فقال:....

(3) حرف التاء غير ظاهر في النسخة الخطية.

(4) قراءة اجتهادية، الكلمة واقعة في طرف حاشية النسخة الخطية ومتآكلة.

(5) يظهر من الكلمة نصفها فقط.

(6) رواه: - الدارمي في سننه، حديث (3536)، و(3539). وابن حبان في صحيحه، ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن الزهري لم يسمع هذا الخبر إلا من عمرة، حديث (3530). وعبد الرزاق في مصنفه، حديث (4179-4180-4181). وأبو عوانة في مستخرجه، حديث (3887)؛ جميعًا عن الزهري عن أبي سلمة.

(7) توجد علامة لحق على كلمة: (يستمعون) وكلام غير ظاهر، وأثبته من رسالة المنبجي في السماع والرقص ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (ج3/ 167).

منهم، كما في «الصّحيحَين» عن عبد الله بن مسعودٍ أنّ النبيَّ ﷺ قال لَه: «اقرَأ علَيَّ»، قال: قلتُ: أقرأُ علَيكَ وعلَيكَ أُنزِلَ؟ قال: «إنّي أُحِبُّ أن أسمَعَه من غيري» فقرَأتُ عليه سورةَ النِّساءِ، حتَّى وصلتُ إلى هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء: 41]، قال: «حَسبُكَ» فإذا عيناه تَذرِفان[1].

ومَرَّ النّبيُّ ﷺ علَى أبي موسَى الأشعَري وهو يقرأُ، فقال: «مَررتُ بكَ البارحة، وأنت تقرَأ، فجعَلتُ أستمعُ لِقراءَتكَ»، فقال: لو عَلمتُ أنّكَ تَستَمعُ لَحَبَّرتُه لَكَ تحبيرًا[2]، ومعناه: لحسَّنتُه لك تحسينًا[3]؛ كما قال ﷺ:

---

(1) متفق عليه: صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة النساء، حديث (4582). وفضائل القرآن، باب قول المقرئ للقارئ حسبك، حديث (5050). وفي صحيح مسلم، حديث (800).

(2) متفق عليه: 1- صحيح البخاري، فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقرآن، حديث (5048)؛ بلفظ: «يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود». 2- صحيح مسلم (236-793)، بلفظ: «لو رأيتني وأنا استمع لقراءتك البارحة! لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود». وليس عندهما زيادة قول أبي موسى في آخر الحديث. وقد روى هذه الزيادة: أبو يعلى في مسنده (ج13/ 266)، حديث (7279)، بلفظ: (عن أبي موسى أن النبي ﷺ وعائشة مرّا بأبي موسى وهو يقرأ في بيته، فقاما يستمعان لقراءته، ثم إنهما مضيا، فلما أصبح لقي أبا موسى رسولُ الله ﷺ، فقال: «يا أبا موسى، مررت بك البارحة ومعي عائشة، وأنت تقرأ في بيتك، فقمنا فاستمعنا»، فقال له أبو موسى: أما إني يا رسول الله لو علمت لحبرت لك تحبيرًا). وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد (7/ 171) لأبي يعلى بهذه الزيادة، وقال: فيه خالد بن نافع الأشعري، وهو ضعيف. وأبو نعيم في المستخرج على صحيح مسلم، حديث (1803)، بلفظ: («لو رأيتني يا أبا موسى وأنا أسمع قراءتك البارحة، لقد أعطيت مزمارًا من مزامير آل داود»، قال: قلت: أم والله يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لقراءتي؛ لحبرته لك تحبيرا) قال أبو نعيم: لفظ الدورقي، رواه مسلم عن داود بن رشيد، عن يحيى بن سعيد. قال البيهقي في شعب الإيمان، (ج4/ 184): وقد أخرجاه في الصحيح دون قول أبي موسى.

(3) راجع: كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي، ت علي حسين البواب، (ج1/ 415)، وقال: وفي هذا جواز تحسين الصوت وتجويد التلاوة لأجل انتفاع السامعين،=

«زَيِّنوا القرآنَ بأصواتِكُم»[1]، وقال: «لَلَه أشَدُّ أذَنًا[2]» -أي: استِماعًا- «إلى الرَّجُلِ الحسَنِ الصّوتِ بالقرآنِ من صاحِبِ القينة إلى قَينَتِه»[3]. وقال: «ليس مِنّا مَن لم يَتَغَنَّ بالقرآنِ»[4]، وقال: «زَيِّنوا القرآنَ بأصواتِكُم»[5].

وقال الإمامُ أحمد: يُحسِّنُه بصوتِه ما استطاعَ[6]، وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ

=ولا يقال إن زيادة التجويد في ذلك رياء لأجل الخلق إذا كان المقصود اجتذاب نفعهم: فأما الألحان التي يصنعها قراء هذا الزمان فمكروهة عند العلماء، لأنها مأخوذة من طرائق الغناء.

(1) علقه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، فقال: باب قول النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن مع سفرة الكرام البررة، وزيِّنوا القرآن بأصواتكم»، ورواه مسندًا في خلق أفعال العباد، (ص:49)، و(ص:50).

ورواه مسندًا أيضًا: الإمام أحمد في مسنده، حديث (18494)، وحديث (18516)، وحديث (18616)، وحديث (18704)، وحديث (18709). وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة، حديث (1468). والنسائي في المجتبى، كتاب الافتتاح، باب تزيين القرآن بالصوت، حديث (1014)، و(1015). وابن ماجه في سننه، أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب في حسن الصوت بالقرآن، حديث (1342).

وصححه: ابن خزيمة في صحيحه، باب التغليظ في ترك تسوية الصفوف تخوف لمخالفة الرب عَزَّوَجَلَّ بين القلوب، حديث (1551)، وباب ذكر صلوات الرب وملائكته على واصلي الصفوف الأول، حديث (1556). وابن حبان في صحيحه، ذكر إباحة تحسين المرء صوته بالقرآن، حديث (218)، قال أبو حاتم: (هذه اللفظة من ألفاظ الأضداد، يريد بقوله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»: زينوا أصواتكم بالقرآن)، وذكر الخبر المدحض قول من زعم أن هذا الخبر تفرد به عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء، حديث (219). والحاكم في المستدرك، حديث (2098/ 79)، إلى حديث (2129/ 110).

(2) أذَنًا بفتحتين: استماعًا.

(3) رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: 161)، والإمام أحمد في مسنده (23947)، والبخاري في خلق أفعال العباد (ص: 68)، وابن ماجه في سننه (1340).

(4) رواه البخاري، حديث (7527). (5) سبق تخريجه قريبًا.

(6) رواه الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص:73)، عن صالح أنه قال لأبيه: «زينوا القرآن بأصواتكم» من معناه؟ قال: التزيين أن يحسنه.

إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ (1) [ص: 87]، وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ (2) [يس: 69] [70/ ب].

وهذا السّماعُ له آثارٌ إيمانيّة مِنَ المعارفِ القُدسيّة بالأحوال الزكيّة ما يطولُ شرحُها ووصفُها، ولَه في الجسَدِ آثارٌ محمودةٌ من خُشوع القلبِ، ودُموعِ العينِ، وإقشعرارِ الجلدِ، وهذا مذكورٌ في القُرآنِ، وهذه الصِّفاتُ موجودةٌ في الصّحابةِ، ووُجِدت بعدَهم آثارٌ مِنَ الاضطِرابِ، والصُّراخِ، والاغتِماءِ والموتِ، وذلك في التّابعين.

وأنكرَ بعضُ السّلفِ ذلك، وسبَبُ ذلك قوّة الواردِ علَى قُلوبِهم، وضعفُ قُلوبِهم عن حملِه(3).

وأمّا جمهورُ الأُمّة مِنَ السّلَفِ والخلَفِ لا يُنكرون ذلك؛ إذا كان السّماعُ مشروعًا والسّامعُ صادقًا في وجدِه، كما هو منصوصُ الإمامِ أحمدَ(4)، وكان للحسنِ البصريِّ ولِأتباعه في سماعِ القُرآنِ أحوالٌ عَجيبةٌ.

---

(1) قال الطبري في تفسيره، (ج20/ 150): يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين من قومك: «إن هو» يعني: ما هذا القرآن، «إلا ذكر» يقول: إلا تذكير من الله «للعالمين» من الجن والإنس، ذكَّرهم ربهم؛ إرادة استنقاذ من آمن به منهم من الهلكة.

(2) قال الطبري في تفسيره، (19/ 480): يعني بقوله: «إن هو» أي: محمد ﷺ، «إلا ذكر» لكم أيها الناس، ذكركم الله بإرساله إياه إليكم، ونبهكم به على حظكم، ﴿وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ يقول: وهذا الذي جاءكم به محمد ﷺ قرآن مبين، يقول: يبين لمن تدبره بعقل ولب، أنه تنزيل من الله، أنزله إلى محمد ﷺ، وأنه ليس بشعر ولا سجع كاهن.

(3) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى، (ج22/ 522): وأما الاضطراب الشديد، والغشي والموت والصيحات، فهذا إن كان صاحبه مغلوبًا عليه، لم يلم عليه، كما قد كان يكون في التابعين ومن بعدهم، فإن منشأه قوة الوارد على القلب مع ضعف القلب، والقوة والتمكن أفضل، كما هو حال النبي ﷺ والصحابة، وأما السكون قسوةً وجفاءً فهذا مذموم لا خير فيه.

(4) كما رواه الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (ص: 81-82).

[فمن ذلك ما ذكره ابن عساكر، بإسناده، قال: سمعتُ مُضر أبا سعيدٍ... قال لي عبد الواحدِ[1] يومًا، اقرأ عليَّ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ [غافر: 18]، فقرأت عليه][2]، فجعَلَ عبد الواحدِ يشهَقُ حتَّى ظَننتُ أنّ نفسَه سَتخرُجُ، ثُمّ أفاقَ إفاقة، فقال: كيفَ بالقُلوب إذ ذاكَ وقد كظمت لدَى الحناجِرِ، ثُمّ غُشي عليه، فحُمِلَ إلى [أهله][3]،[4] فهؤلاءِ عبّادُ البصرةِ، وهَذه نبذة يسيرةٌ من سيرَتِهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وكذلك ذكَرَ أبو بكرِ بن أبي خَيثَمةَ[5]، عَن يَحيى بن أيّوبَ[6]، عن شَيخ لَه، قال: صلَّيتُ خَلفَ سُفيانَ الثّوريِّ[7] الغداةَ، فقَرَأ سورة مِنَ المُفَصَّلِ[8]،

---

(1) هو عبد الواحد بن زيد، أبو عبيدة البصري، العابد القدوة، شيخ الصوفية بالبصرة، روى عن: الحسن، وعطاء بن أبي رباح، وعبادة بن نسيّ، وعبد الله بن راشد، وجماعة سواهم. وعنه: وكيع، ومحمد ابن السماك، وزيد بن الحباب، وأبو سُلَيمان الداراني، ومسلم بن إبراهيم، وجماعة. وهو ضعيف الحديث؛ قال البخاري: (عبد الواحد بن زيد تركوه). وقال النسائي: (متروك الحديث). وقال ابن حبان: (كان ممن غلب عليه العبادة حتى غفل عن الإتقان فكثر المناكير في حديثه). توفي بعد سنة (150هـ)، وقبل سنة (170هـ). انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (ج4/ 139-142).

(2) ما بين المعكوفين زيادة ملحة؛ ليتم فهم السياق.

(3) زيادة من المرجع.

(4) انظر: تاريخ دمشق؛ لابن عساكر (ج37/ 230).

(5) أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة، قال الخطيب: (كان ثقة، عالما، متقنا، حافظا، بصيرا بأيام الناس، راوية للأدب... وله كتاب «التاريخ» الذي أحسن تصنيفه، وأكثر فائدته، فلا أعرف أغزر فوائد منه)، مات في شهر جمادى الأولى، سنة (279هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج11/ 492-493).

(6) يحيى بن أيوب أبو العباس الغافق، الإمام، المحدث، العالم الشهير، المصري، قال الذهبي: (له غرائب ومناكير يتجنبها أرباب الصحاح، وينقون حديثه، وهو حسن الحديث)، وهو من فقهاء مصر وعلمائهم، احتج به الأئمة الستة في كتبهم، لكن أخرج له البخاري مقرونا بغيره حديثين، توفي سنة (168هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج8/ 5-10).

(7) تقدمت ترجمته.

(8) المفصل من سورة «ق» إلى سورة «الناس» كما رواه الإمام أحمد في مسنده، (ج26/ 89)،=

فَسَقَطَ مَغشيًّا عليه، قال: فَحُمِلَ إلى ناحيةٍ مِنَ المسجِدِ، ثُمّ صَلَّينا، ثُمّ رَجَعنا إليه، وهو على حالِه لم يُفِق، قال: فَحَمَلناه إلى منزِلِه، ولا يُدرَى مَتى أفاقَ[1].

وكان سُفيانُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرَ البُكاءِ، حتَّى رُبَّما يحولُ بكاؤُه بينَه وبينَ القِراءةِ [في الصّلاةِ][2]، ورُبَّما قطَعَ قِراءةَ الفاتحةِ مِرارًا مُتعدِّدة في بعضِ الصّلَواتِ لغلبةِ البُكاءِ علَيه، وكذلك كان الإمامُ أحمدُ كثيرَ البُكاءِ عندَ سماعِ القرآنِ[3].

فإنّ السّبب إذا لم يكُن محظورًا كان صاحِبُه فيما تولّد عنه معذورًا، لكِنّ الواقِعَ منه حالَ الغلَبةِ، وهيجانَ الحالِ؛ لا يُقتَدى به فيما صدَرَ منه؛ لأنّه وقَعَ منه هذا بغير اختيارِه، فهو معذورٌ في ذلك.

فالسّماعُ الشّرعيُّ أصلُ العقلِ، وأساسُ الإيمانِ، وحقيقة السّماعِ تَنبيه القلبِ علَى معاني المسموعِ، وتحريكُه عندَها طلبًا وحبًّا فهو حادٍ يحدو بكُلِّ أحَدٍ إلى وطَنِه ومألَفِه، كما سنُبيِّنُه إن شاءَ الله.

وهذا السّماعُ ثلاثةُ أنواعٍ لا يخرُج أحَدٌ مِنَ السّامِعينَ عنها:

أحدها: سَماعُ إدراكٍ بحاسّة الأُذُنِ.

=حديث (16166)، عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي، عن جده أوس بن حذيفة، قال: كنت في الوفد الذين أتوا النبي ﷺ أسلموا من ثقيف... قال: فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ حين أصبحنا، قال: قلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة سورة، وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل من قاف حتى يختم. راجع: البرهان في علوم القرآن للزركشي، (ج1/ 250).

(1) رواه ابن الجعد في مسنده (ص:267)، حديث (1772).

(2) الكلمة غير واضحة في حاشية النسخة الخطية، والمثبت قراءة اجتهادية.

(3) لم أقف عليه.

الثّاني: سَماعُ فهمٍ وتَدبُّرٍ.

الثّالث: سَماعُ إجابةٍ وقَبولٍ، والجميعُ في القُرآنِ، والكلامُ علَى ذلك يطولُ.

وقد رُوي عن جماعة أنّهم كان يحصُلُ لهم إنزِعاجٌ عندَ سَماعِ القرآنِ؛ منها ما رَوى ابنُ أبي الدُّنيا بإسنادِه، عن هِشام بن حَسّانَ[1]، قال: انطَلَقتُ أنا ومالِكُ بن دينارٍ[2] إلى الحسَنِ[3]، فانتَهَينا إليه، وعنده رَجُلٌ يقرَأُ، فلَمّا بلَغَ هذه الآيةَ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ [الطور: 7-8] بَكَى الحسَنُ، وبَكَى أصحابُه، وجَعَلَ مالِكٌ يَضطَرِبُ حتّى غُشيَ عليه[4].

ورَوى بإسناده عنِ الحارثِ بن سَعيدٍ، قال: كُنّا عند مالِكِ بن دينارٍ، وعندنا[5] قارِئٌ يقرَأُ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزلزلة: 1]، فَجعَلَ مالِكٌ يَنتَفِضُ، وأهلُ المجلِسُ يَبكونَ ويَصرُخونَ، حتّى انتَهَى إلى هذه الآيةِ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الزلزلة: 7]، فَجعَلَ مالِكٌ -والله- يَبكي ويَشهَقُ حتّى غُشيَ عليه، ثُمّ حُمِلَ صَريعًا[6].

وأمّا القِسمُ الثّاني مِنَ السّماعِ المُباحِ: فهو ما رَخَّصَ فيه النّبيُّ ﷺ في العرسِ وغيره للنِّساءِ خاصّةً؛ لأنّه قد عُلِمَ بالاضطرارِ من دينِ الإسلامِ؛ أنّ النّبيَّ ﷺ لم يشرع لِصالحي أُمّتِه وعُبّادِهم وزُهّادِهم أن يجتَمِعوا علَى استِماعِ الأبياتِ المُلحَّنةِ، معَ ضربٍ بالأكُفِّ أو بالدُّفوفِ، معَ النّفخِ في

---

(1) تقدمت ترجمته. (2) تقدمت ترجمته.

(3) أي: الحسن البصري؛ وتقدمت ترجمته.

(4) رواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (ص:89)، حديث (92)؛ وفيه زهدم بن الحارث المكي، قال ابن حجر في لسان الميزان، ت أبو غدة، (ج3/ 525): متكلَّم فيه.

(5) كذا في الأصل، وفي كتاب الرقة: وعنده.

(6) رواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (ص:88)، حديث (90).

الشَّبَّاباتِ[1] أو معَ الضّربِ علَى الأوتارِ، كما لم يُبح لأحَدٍ أن يخرجَ عن مُتابعَتِه واتّباع ما جاء به من الكتابِ والحِكمةِ، لا للعامّةِ ولا للخاصّةِ، فإنّ السّماعَ النّافعَ هو رسول الإيمانِ إلى القلبِ، وداعيه ومُعلِّمُه، ولكنّ الشّأنَ كُلَّ الشّأنِ في المسموعِ، وفيه وقَعَ خبطُ النّاسِ واختِلافُهُم، وغلطَ مَن غلطَ منهم.

كما قد حكاه غير واحدٍ مِنَ العُلماءِ المُحقِّقينَ [70/ أ]، ولكن رخَّص رسول الله ﷺ في أنواعٍ مِنَ اللهوِ للنِّساءِ، كما رخَّصَ لهُنّ أن يضرِبنَ بالدُّفِّ في الأعراسِ والأفراحِ؛ من حديثِ محمَّدِ بنِ حاطِبٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**فَصلُ ما بين الحلالِ والحرام الدُّفُّ والصّوتُ في النِّكاحِ**»[2]، رَواه التِّرمذيُّ والنّسائيُّ وغيرهُما، وكان رسول الله ﷺ يكرَه نِكاحَ السِّرِّ حتّى يُضربَ علَيه بالدُّفِّ[3].

---

(1) جمع شبّابة؛ مزمار من القصب.

(2) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، (ج24/ 189)، حديث (15451). 2- الترمذي في سننه، أبواب النكاح عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في إعلان النكاح، حديث (1119)، -بدون زيادة «في النكاح». وقال الترمذي: وحديث محمد بن حاطب حديث حسن.

3- النّسائيُّ في المجتبى، كتاب النكاح، إعلان النكاح بالصوت وضرب الدف، حديث (3369). وفي السنن الكبرى، كتاب النكاح، إعلان النكاح بالصوت وضرب الدف، حديث (5537).

4- ابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب إعلان النكاح، حديث (1896).

(3) قال ابن قدامة في المغني، (ج9/ 469): (فإن عقده بولي وشاهدين، فأسروه، أو تواصوا بكتمانه، كره ذلك، وصح النكاح).

۞ قال عبد الله بن الإمام أحمد: سألت أبي عن نكاح السر هل ترى هذا نكاحا وإذا كان بشاهدين وولي وهل يكون سرا؟، فقال: يستحب أن يظهر النكاح ولا يكون سرا يكون بولي ويضرب فيه بالدف حتى يشهر ويعرف. انظر: مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله، ط المكتب الإسلامي، (ص:320)، مسألة: (1183).

القِسمُ الثّالِثُ: سَماعُ اللهوِ للرِّجالِ علَى عهدِه، فمِنَ المعلومِ أنّه لم يكُن أحَدٌ منهم يضرِب بدُفٍّ ولا يُصفِّقُ بكَفٍّ، بل قد ثَبت عنه في «الصّحيح» أنّه قال: «**إنّما التّصفيقُ لِلنِّساءِ، والتّسبيحُ لِلرِّجالِ**»[1]، ولَعَن المُتشبِّهاتِ مِنَ النِّساءِ بالرِّجالِ، والمُتشَبِّهينَ مِنَ الرِّجالِ بالنِّساءِ[2].

ولَمّا كان الغِناءُ والضّربُ بالدُّفِّ والكفِّ من عمَلِ النِّساءِ؛ كان السّلَفُ يُسَمّونَ مَن يفعَلُ ذلك مُخنّثًا[3]، ويُسمّونَ الرِّجالَ المُغنّينَ مَخانيثَ، وهذا مشهورٌ في كلامِهم، هذا معنَى ما ذكَره شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4].

---

(1) متفق عليه: 1- صحيح البخاري، كتاب العمل في الصلاة، باب التصفيق للنساء، حديث (1203)، و(1204).

2- صحيح مسلم، حديث (422)، وقال: زاد حرملة في روايته: قال ابن شهاب: وقد رأيت رجالًا من أهل العلم يسبحون ويشيرون.

ورواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، (ج16/ 160)، حديث (10213).

2- الترمذي في سننه، أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن التسبيح للرجال والتصفيق للنساء، حديث (370). قال أبو عيسى الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح، والعمل عليه عند أهل العلم، وبه يقول أحمد، وإسحاق.

3- أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب التصفيق في الصلاة، حديث (939).

4- النسائي في سننه، كتاب السهو، باب التصفيق في الصلاة، حديث (1206)، وقال: زاد ابن المثنى: «في الصلاة»، وحديث (1207)، وباب التسبيح في الصلاة، حديث (1208)، و(1209).

5- ابن ماجة في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب التسبيح للرجال في الصلاة والتصفيق للنساء، حديث (1034)، و(1035)، و(1036).

(2) حديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال، حديث (5885) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال».

(3) في حاشية الأصل عنوان: المخنث عند السلف.

(4) راجع: مجموع الفتاوى، (ج11/ 565-566). وقال ابن قدامة في المغني، (14/ 159):=

ومن هذا البابِ حديثُ عائِشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَمّا دخَلَ عليها أبو بكرٍ في أيّام العيدِ، وعندها جاريتانِ مِنَ الأنصارِ تُغنّيانِ بما تَقاوَلَت به الأنصارُ يومَ بُعاثٍ[1]، فقال أبو بَكرٍ: أبِمَزمورِ[2] الشّيطانِ في بَيتِ رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ مُعرِضًا عنه، مُقبِلًا بوَجهِه إلى الحائِطِ، فقال: «دَعهما يا أبا بَكرٍ! فإنّ لِكُلِّ قَومٍ عيدًا، وهَذا عيدُنا أهلَ الإسلامِ»[3].

=وأما الضرب به للرجال فمكروه على كل حال؛ لأنه إنما كان يضرب به للنساء، والمخنثون المتشبهون بهن، ففي ضرب الرجال به تشبه بالنساء، وقد لعن النبي ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء.

(1) بضم الباء؛ يوم مشهور كان فيه حرب بين الأوس والخزرج، وبُعاث: اسم حصن للأوس. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر؛ لابن الأثير، (ج2/ 336)، مادة (بعث).

(2) كذا في الأصل، وهي رواية مسلم، وهي بضم الميم الأولى، وقد تفتح، وأصله: صوت تصفير، والزمير: الصوت الحسن، يطلق على الغناء أيضًا. انظر: التوضيح، لابن الملقن، ط الأوقاف، (ج8/ 60).

۞ والجار المجرور «أبِمَزمورِ الشّيطانِ» مُتعلّقٌ بمحذوفٍ، والتقدير: أتلعَبن بمزمور الشّيطان؟ وأضافَه إلى الشيطان من حيث إنه يلهي ويشغل القلب عن ذكر الله. راجع: فتح المنعم شرح صحيح مسلم؛ لموسى شاهين، ط الشروق، (ج4/ 124).

۞ قال المهلب: وهذا الذي أنكره أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كثرة التنغيم وإخراج الإنشاد عن وجهه إلى معنى التطريب بالألحان؛ ألا ترى أنه لم ينكر الإنشاد وإنما أنكر مشابهة الزمير، فما كان من الغناء الذي يجري هذا المجرى من اختلاف النغمات وطلب الإطراب فهو الذي تخشى فتنته واستهواؤه للنفوس، وقطع الذريعة فيه أحسن، وما كان دون ذلك من الإنشاد ورفع الصوت حتى لا يخفى معنى البيت وما أراده الشاعر بشعره فغير منهي عنه. انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال، (ج2/ 550).

(3) متفق عليه: 1- صحيح البخاري: كتاب العيدين، باب سنة العيدين لأهل الإسلام، حديث (952).

۞ كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، حديث (3931).

2- صحيح مسلم، حديث (16- 892).

ففي هذا الحديثِ بَيانٌ أنّ هذا لم يَكُن من عادتِه ولا عادة أصحابه الاجتِماعُ عليه، ولهَذا سَمّاه الصِّدّيقُ: «مَزمور الشّيطانِ»، وأقرّ رسول الله ﷺ الجواريَ مُعلِّلًا بأنّ ذلك يومُ عيدٍ، والرُّخصة في هذا؛ حتّى يُعلَمَ أنّ في دينِنا فسحًا[1]، والأمرُ والنّهيُ إنّما يتَعلَّقُ بالاستِماع [71/ ب] لا بمجرَّدِ السّماع، والنّبيُّ ﷺ لم يستَمِع إلى شَيءٍ من ذلك، وكذلك في اشتِمام الطِّيبِ للمُحرِم، إنّما يُنهَى عن قصدِ الشّمِّ، لا علَى شَمِّ ما لا يقصِدُه، وكذلك الرُّؤيةُ إنّما يُنهَى عن قصدِ النّظَرِ المُحرَّم وما أشبَه ذلك. فأمّا ما يحصُلُ بغير اختيارِه؛ فلا أمرٌ فيه ولا نَهيٌ؛ كحديثِ ابنِ عُمرَ أنّه كان معَ النّبيِّ ﷺ يَسمَعُ صوتَ زُمّارةِ راعٍ، فعَدَلَ عَنِ الطّريقِ، وقال: «هل تَسمَعُ؟» حتّى انقَطَعَ الصّوتُ. رواه أبو داود[2]. فإن قيلَ: لم يأمُرِ ابنَ عُمرَ بسدِّ أُذُنَيه؟![3]

---

(1) قال المهلب: وفيه دليل أن العيد موضوع للراحات وبسط النفوس إلى ما يحل من الدنيا والأخذ بطيبات الرزق وما أحل الله من اللعب والأكل والشراب والجماع؛ ألا ترى أنه أباح الغناء من أجل عذر العيد. انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال، (ج2/ 549).

(2) رواه: أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب كراهية الغناء والزمر، حديث (4924). والإمام أحمد في مسنده، (ج8/ 132)، حديث (4535)، و(ج9/ 24)، حديث (4965)؛ من طريق سليمان بن موسى، عن نافع، قال: سمع ابن عمر مزمارًا، قال: فوضع إصبعيه على أذنيه، ونأى عن الطريق، وقال لي: يا نافع هل تسمع شيئًا؟ قال: فقلت: لا، قال: فرفع إصبعَيه من أُذُنيه، وقال: «كنت معَ النّبيِّ ﷺ فسمِعَ مثلَ هذا فصنَعَ مثلَ هذا». قال أبو علي اللؤلؤي: سمعت أبا داود يقول: وهو حديث منكر. ورواه أبو داود أيضًا، حديث (4925) من طريق مطعم بن المقدام، قال حدثنا نافع، قال: كنت ردف ابن عمر إذ مر براع يزمر، فذكر نحوه. وحديث (4926) من طريق ميمون، عن نافع، قال: كنا مع ابن عمر فسمع صوت زامر، فذكر نحوه. ومن طريق سليمان بن موسى رواه الإمام أحمد في مسنده (4535)، والخلال في الأمر بالمعروف (ص: 68)، والآجري في تحريم النرد والشطرنج (ص: 205)، حديث (65).

(3) وأجاب عن هذا الإشكال ابن رسلان في شرحه لسنن أبي داود، (ج18/ 697):...إنما لم يأمر ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بسند أذنيه؛ لأنه قد تقرر أن أفعاله ﷺ حجة كما أقواله، فلذلك بادر ابن عمر إلى سد أذنيه تأسيًا به ﷺ؛ إذ هو أشد الصحابة تأسيًا به.

قيلَ: بأنّ ابنَ عُمرَ لم يستَمِع، وإنّما كان سامِعًا، وهذا لا إثمَ فيه، فإنّ المحظورَ هو قصدُ الاستِماع، لا مُجرَّدُ إدراكِ الصّوتِ، فإنّ هذا لا يدخُلُ تحتَ التّكليفِ، كما قدّمتُه لَكَ قريبًا، والمقصودُ أنّ أولياءَ الله العارفينَ به يعلَمون أنّ للشّيطانِ في هذا السّماعِ نصيبًا وافِرًا، قال ابنُ أبي الدُّنيا في كِتابِ «ذَمِّ الملاهي»[1]: حَدَّثنا أبو خَيثَمة[2]، قال: حَدَّثنا بشرُ بن السّريِّ[3]، عن عبد العزيزِ الماجشونِ[4]، عن عبد الله بن دينارٍ[5]، قال: مَرَّ ابنُ عُمَرَ بجاريةٍ صَغيرةٍ تُغَنّي، فقال: لو تَرَكَ الشّيطانُ أحَدًا؛ تَرَكَ هذه. بل قُرآنُ الشّيطانِ هذه الأشعارُ المُلحّنةُ، وعِبادَتُه بأذانه هي الشّبّابةُ،

---

(1) ذم الملاهي؛ لابن أبي الدنيا (ص:48)، حديث (45).

ورواه البخاري في الأدب المفرد، حديث (784)، والبيهقي في الكبرى (ج10/ 378)، حديث (21009)، وفي الشعب، (ج7/ 109)، حديث (5102) من طريق عبد العزيز الماجشون به.

(2) زهير بن حرب بن شداد الحرشي، أبو خيثمة النسائي، نزيل بغداد، قال معاوية بن صالح، عن يحيى بن معين: (ثقة)، وقال أبو حاتم: (صدوق)، وقال النسائي: (ثقة مأمون)، توفي سنة (234هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج9/ 402-406).

(3) بشر بن السري البصري، أبو عمرو الافوه، سكن مكة، وسمي الأفوه، لأنه كان يتكلم بالمواعظ، وقال أحمد بن حنبل: (حدثنا بشر بن السري - وكان متقنا للحديث عجبا، عن سفيان، فذكر عنه حديثا)، وقال عثمان بن سعيد الدارمي: (سألت يحيى بن معين عن بشر ابن السري فقال: ثقة)، وقال أبو حاتم: (ثبت صالح)، توفي سنة (195هـ وقيل: 196هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج4/ 122-126).

(4) عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون، المدني أبو عبد الله، الفقيه، نزيل بغداد، وهو والد عبد الملك بن الماجشون، قال أبو زرعة، وأبو حاتم، وأبو داود، والنسائي: (ثقة)، وقال محمد بن سعد: (كان ثقة كثير الحديث، وأهل العراق أروى عنه من أهل المدينة)، وكان قدم بغداد وأقام بها إلى أن توفي سنة (164هـ)، وصلى عليه المهدي، ودفن في مقابر قريش. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج18/ 152-158).

(5) عبد الله بن دينار البهراني، أبو محمد الشامي الحمصي، قال يحيى بن معين: (شامي ضعيف)، وقال أبو حاتم: (شيخ ليس بالقوي في الحديث)، وقال الدارقطني: (لا يعتبر به). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج14/ 474-476).

كما ثَبت في «معجم الطّبَراني»(1) بإسناده رفعَه إلى النّبيِّ ﷺ قال: «إنّ الشّيطانَ، قال: يا رَبِّ! اجعَل لي قرآنًا، قال: قرآنُكَ الشِّعرُ، قال: يا رَبِّ! اجعَل لي كِتابًا، قال: كِتابُكَ الوشمُ، قال: يا رَبِّ! اجعَل لي مُؤَذِّنًا، قال: مُؤَذِّنُكَ المِزمارُ، قال: اجعَل لي بَيتًا، قال: بَيتُكَ الحمّامُ، قال: اجعَل لي مَصائِدَ، قال: مَصائِدُكَ النِّساءُ، قال: اجعَل لي طَعامًا، قال: طَعامُكَ ما لم يُذكَرِ اسمُ الله عليه».

وَقد أثنَى الله تعالى علَى المُعرضينَ عنِ اللّغوِ في قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۝٧٢﴾ [الفرقان: 72](2)، قال مُحمَّدُ ابنُ الحنفِيّة: هو الغِناءُ(3).

---

(1) معجم الطبراني الكبير (ج11/ 103)، حديث (11181)، بلفظ: «قال إبليس لربه: يا رب قد أهبط آدم وقد علمت أنه سيكون كتاب ورسل، فما كتابهم ورسلهم؟ قال: رسلهم: الملائكة والنبيون منهم، وكتبهم: التوراة والزبور والإنجيل والفرقان، قال: فما كتابي؟ قال: كتابك: الوشم، وقرآنك: الشعر، ورسلك: الكهنة، وطعامك: ما لا يذكر اسم الله عليه، وشرابك: كل مسكر، وصدقك: الكذب، وبيتك: الحمام، ومصائدك: النساء، ومؤذنك: المزمار، ومسجدك: الأسواق». ومن طريقه رواه: - أبو نعيم في الحلية (ج3/ 278)، وقال: هذا حديث غريب من حديث عبيد بن عمير وإسماعيل بن أمية، تفرد به عنه يحيى بن صالح الأيلي. والضياء المقدسي في المختارة (ج11/ 185)، وقال: لا أعرفه إلا بهذا الإسناد. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج1/ 114): رواه الطبراني في الكبير، وفيه يحيى بن صالح الأيلي؛ ضعفه العقيلي.

(2) قال أبو جعفر الطبري في تفسيره (ج17/ 525-526) بعد أن ذكر أقوال السلف في الآية: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إن الله أخبر عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم بأنهم إذا مروا باللغو مروا كراما، واللغو في كلام العرب هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل، أو ما يستقبح؛ فَسَبُّ الإنسان الإنسان بالباطل الذي لا حقيقة له من اللغو. وذكر النكاح بصريح اسمه مما يستقبح في بعض الأماكن، فهو من اللغو، وكذلك تعظيم المشركين آلهتهم من الباطل الذي لا حقيقة لما عظموه على نحو ما عظموه، وسماع الغناء مما هو مستقبح في أهل الدين، فكل ذلك يدخل في معنى اللغو، فلا وجه إذ كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو أن يقال: عني به بعض ذلك دون بعض، إذ لم يكن لخصوص ذلك دلالة من خبر أو عقل.

(3) ذكره: الواحدي في التفسير الوسيط (ج3/ 348). والسمعاني في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾، (ج4/ 35). والبغوي في معالم التنزيل، عند قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ (ج6/ 98).

وقال الحسنُ: أكرِموا نُفوسَهم عن سَماعِهِ(1). وقال ابنُ مسعودٍ: الغِناءُ يُنبِتُ النِّفاقَ في القلبِ، كما يُنبِتُ الماءُ البقلَ(2).

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ: تكلَّمَ في السّماعِ كثيرٌ مِنَ المُتأخِّرين: هل هو محظورٌ؟ أو مكروهٌ؟ أو مُباحٌ؟ وليس المقصودُ رفعَ الحرجِ، بل مقصودُهم بذلك أن يتَّخذوه طريقًا إلى الله يجتَمِعونَ عليه لِصلاحِ القُلوبِ والتّشويقِ إلى المحبوبِ والتّخويفِ مِنَ المرهوبِ، والتّحزينِ على فواتِ المطلوبِ، فتُستَنزَلُ به الرّحمةُ وتُستَجلَبُ به النِّعمةُ، وتُحرَّكُ به مواجيدُ أهلِ الإيمانِ، وتُستَجلَى به مشاهِدُ أهلِ العِرفانِ، حتَّى يقولَ بعضُهُم: إنّه

۞ روى ابن أبي حاتم في تفسيره، حديث (15465)، (ج8/ 2739)؛ عن ابن الحنفية قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغۡوِ مَرُّوا۟ كِرَامٗا﴾، قال: (اللغو). قال ابن الجوزي في زاد المسير، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾، (ج6/ 109): فيه ثمانية أقوال: أحدها: أنه الصنم، روى الضحاك عن ابن عباس: أن الزور صنم كان للمشركين. والثاني: أنه الغناء، قاله محمد ابن الحنفية، ومكحول وروى ليث عن مجاهد قال: لا يسمعون الغناء. والثالث: الشرك، قاله الضحاك، وأبو مالك. والرابع: لعب كان لهم في الجاهلية، قاله عكرمة. والخامس: الكذب، قاله قتادة، وابن جريج. والسادس: شهادة الزور، قاله علي بن أبي طلحة. والسابع: أعياد المشركين، قاله الربيع بن أنس. والثامن: مجالس الخنا، قاله عمرو بن قيس.

(1) ذكره عنه ابن القيم في مدارج السالكين (ج1/ 487).

(2) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي (ص:41)، حديث (30) عن ابن الجعد به، ومن طريق ابن أبي الدنيا رواه البيهقي في السنن الكبرى (ج10/ 377)، حديث (21007)، قال ابن الملقن في البدر المنير (ج9/ 633): سعيد هذا مجهول، وما أعرف روى عنه غير محمد بن طلحة اليامي، ويغلب على ظني أنه منقطع أيضًا.

وحكَمَ بانقطاعه الذهبيُّ في المهذب في اختصار السنن الكبير (ج8/ 4236).

۞ بقل: الباء والقاف واللام أصل واحد، وهو من النبات، وإليه ترجع فروع الباب كله. قال الخليل: البقل من النبات ما ليس بشجر دق ولا جل. وفرق ما بين البقل ودق الشجر بغلظ العود وجلته، فإن الأمطار والرياح لا تكسر عيدانها، تراها قائمة أكل ما أكل وبقي ما بقي. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج1/).

أفضلُ لبعضِ النّاسِ أو للخاصّة من سماعِ القرآن من عِدّة وجوهٍ، حتّى يجعلونَه قوتًا للقُلوبِ، وغِذاءً للأرواحِ، وحاديًا للنّفوس، يَحدوها علَى المسيرِ إلى الله عَزَّوَجَلَّ[1]، ويحثُّها علَى الإقبالِ عليه.

ولهذا يوجَدُ مَنِ اعتادَه واغتذَى به لا يُحبُّ القرآنَ[2]، ولا يفرَحُ به، ولا يجِدُ في سماعِ الآياتِ ما يجِدُ في سماعِ الأبياتِ؛ بل إذا سمِعوا القُرآن سمِعوه بقُلوبٍ لاهية، [71/ أ] وألسُنٍ لاغية، وإذا سمِعوا [سَماعَ][3] أهل[4] المُكاءِ والتّصديةِ؛ خشعَتِ الأصواتُ، وسكنَتِ الحركاتُ، وأصغَتِ القُلوبُ، وتعاطَتِ المشروبُ.

فمَن تكلَّم في هذا: هل هو مَكروهٌ أو مُباحٌ؟ وشَبَّهَه بما كان النِّساء يُغَنّينَ به في الأعيادِ والأفراحِ [لم يكن قد اهتدى إلى الفرق بين طريق أهل الخسارة والفلاح][5].

ثُم قال بعدَ ذلك بكلام كثيرٍ: واعلَم أنّه لم يكن في القُرونِ الثّلاثةِ المُفضَّلةِ، لا بالحجازِ، ولا بالشّام، ولا اليمنِ، ولا بمصرَ والمغرب والعراق وخُراسانَ من أهل الدّينِ والصّلاح والزُّهدِ والعبادة مَن يجتمعُ علَى مثلِ سَماعِ المُكاءِ والتّصديةِ لا بدُفٍّ ولا بكفٍّ ولا بقَضيبٍ، وإنما حدَثَ هذا بعدَ ذلك في أواخرَ المائة [الثانية][6]، فلمّا رَآه الأئمّة أنكَروه.

---

(1) كذا في الأصل، وفي مجموع الفتاوى: إلى السير إلى الله.

(2) كذا في الأصل، وفي مجموع الفتاوى: لا يحنُّ إلى القرآن.

(3) ليست في الأصل، والمثبت من مجموع الفتاوى.

(4) ليست في مجموع الفتاوى.

(5) مجموع الفتاوى لابن تيمية، (ج11/ 568). وما بين المعكوفين زيادة ضرورية ليتم الكلام.

(6) في الأصل: «الثالثة»، والمثبت من مجموع الفتاوى لابن تيمية، وهو الصواب -والله أعلم- فقد نقل بعدها كلامًا للإمام الشافعي وأحمد وقد عاشا في أواخر القرن الثاني، وأوائل القرن الثالث.

قال الشّافِعيُّ: خلَّفتُ ببغداد شَيئًا أحدَثَته الزّنادِقة يُسَمّونَه التّغبيرَ[1] يصُدّونَ به النّاسَ عَنِ القرآنِ.

وقال يَزيدُ بن هارونَ[2]: ما يُغَبِّرُ إلّا فاسِقٌ[3].

فإذا كان قولُ الشّافِعي وغيرُه مِنَ الأئمّة يقول عنِ التّغبيرِ؛ وهو الضّربُ بالقضيبِ على الجُلودِ، فكيفَ لو رَأوا أهل زَمانِنا؟! وقد أحدَثوا الضّربَ علَى الدُّفوفِ بالصُّنوجِ[4] والنّفخِ في المواصيلِ[5]، والضّربِ علَى الأوتارِ كالقانونِ والعودِ والأرغُلِ[6] وما أشبَه ذلك، وأحدَثوا لهذه الضُّروب ألحانًا مُختلِفةً؛ لَكانوا بالَغوا في تحريمِه وذمِّه وذمِّ أهلِه، وكذلك سائرُ أئمّة الدّين كرِهوه.

ثُمّ قال: وكذلك أكابِرُ الشُّيوخ الصّالحين لم يحضروه، فلَم يحضره مِثلُ: إبراهيم بن أدهَمَ[7]، ولا الفُضَيلُ بن عياضٍ[8]، ولا معروفٌ

---

(1) قال ابن دريد في جمهرة اللغة، (ج1/ 321): «التغبير: صوت يردد بقراءة وغيرها».

وقال الأزهري في تهذيب اللغة، (ج8/ 122): «وقد يسمى ما يقرأ بالتطريب من الشعر في ذكر الله تعالى تغبيرا كأنهم إذا تناشدوها بالألحان طربوا فرقصوا وأرهجوا فسموا مغبرة بهذا المعنى».

(2) تقدمت ترجمته.

(3) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، (ج11/ 569).

(4) الصُّنوج: جمع: صَنج، والصنج: شيءٌ يُتخذ من صفر يُضرب أحدُهما على الآخر، وهو أيضًا ذو أوتار يُضرب بها. انظر: تاج العروس، مادة: (ص ن ج).

(5) ماصول: آلة موسيقية هوائية...وتطلق على الزمارة، والشبابة، والناي. انظر: تكملة المعاجم العربية، (ج10/ 76).

(6) ويسمّى الأرغول: مِزمار ذو قصبتين مُثقّبَتَين إحداهما أطول من الأُخرى. انظر: المعجم الوسيط (ص:14).

(7) تقدمت ترجمته.

(8) تقدمت ترجمته.

الكرخيُّ[1]، ولا أبو سُليمانَ الدّارانيُّ[2]، ولا أحمد بن أبي الحواريِّ[3]، والسّريُّ السّقَطي[4]، ولا مِثلُ: الشّيخِ عبد القادرِ الكيلانيّ[5]، والشّيخِ عديٍّ[6]، والشّيخِ أبي البيانِ[7]، والشّيخِ حَياةَ[8]، وأمثالِهم، والّذينَ حضروه مِنَ الشُّيوخ المحمودينَ تركوه في آخِرِ أمرِهم.

وأعيانُ المشايخ عابوا أهله، كما فعَلَ ذلك عبد القادرِ، والشّيخُ أبو البيانِ وغيرُهما مِنَ الشُّيوخِ مِنَ المُتقدِّمينَ والمُتأخِّرينَ نَهَوا وشَدَّدوا فيه وعَدّوه مِنَ البِدَعِ المذمومةِ -كما قدَّمت ذكرَه عنِ الشّافعيِّ-. ولم يرغب

---

(1) تقدمت ترجمته. (2) تقدمت ترجمته.

(3) تقدمت ترجمته. (4) تقدمت ترجمته.

(5) تقدمت ترجمته.

(6) عَدي بنِ مسافر بن إسماعيل بن موسَى، الزّاهد الشّاميّ، ثُمّ الهكّاريّ سَكَنًا. قال القاضي ابن خِلّكان: أصله من قرية بيت فار من بلاد بَعلَبَك، وذكره الحافظ عبد القادر فسمّاه عَدي بن صخر الشّاميّ، وقال: ساح سِنين كثيرة، وصحِب المشايخ، وجاهد أنواعًا من المجاهدات. كان معلّمًا للخير ناصحًا، متشرّعًا، شديدًا في أمر الله، لا تأخذه في الله لومةُ لائم. صحب الشيخ عقيلًا المنبجي، والشيخ حمادًا الدّبّاس، وغيرهما، وقُبِر بزاويته، وقبرُه من كِبار المزارات عندهم. وعاش تسعين سنة. وتوفيّ سنة سبعٍ، وقيل: سنة خمسٍ وخمسين. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، (ج12/ 128).

(7) نبأ بن محمّد بن محفوظ، الشّيخ أبو البيان، شيخ الطّائفة البيانيّة بدمشق. كان كبير القدر، عالمًا، عاملًا، زاهدًا، قانتًا، عابدًا، إمامًا في اللّغة، فقيهًا، شافعي المذهب، سَلَفيَّ المعتَقد، داعية إلى السُّنة. له تواليف ومجاميع، وشعر كثير، وأذكار مسجوعة مطبوعة، وقبره يُزار بمقابر باب الصّغير. توفّي سنة (551هـ) وقت الظُّهر يوم الثلاثاء ثاني ربيع الأوّل، ودُفِن من الغد، وشيّعه خلقٌ عظيم. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، (ج12/ 37).

(8) حياة بن قيس بن رجّال بن سلطان الأنصاري الحرّاني، الشيخ القدوة ذو الأحوال والكرامات، شيخ حرّان وزاهدها، زاره السلطان نور الدين الزنكي فقوى عزمه على جهاد الصليبين، وزاره القائد صلاح الدين الأيوبي وسأله النصيحة والدعاء. توفي سنة (581هـ)، وله ثمانون سنة، رَحِمَهُ اللَّهُ، ولم يخلف بحران بعده مثله. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، (ج12/ 725).

فيه ويدعُ إليه في الأصلِ إلّا مَن هو مُتَّهمٌ بالزّندقةِ: -كابنِ الرّاوندي[1]، والفارابي[2]، وابنِ سينا[3]، وأمثالِهم- كما ذكَرَ أبو عبد الرّحمَن السُّلَمي -في مسألة السّماع- عَن ابنِ الرّاوَندي.

قال: إنّه اختلَفَ الفُقهاءُ في السّماع: فأباحَه قومٌ وكَرِهَه قومٌ، وأنا أوجِبُه -أو قال-: وأنا آمُرُ به، فَخالف إجماعَ العُلَماءِ في الأمرِ به. انتهى كلامُه[4].

---

(1) الريوندي أبو الحسن أحمد بن يحيى بن إسحاق، الملحد، عدو الدين، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن إسحاق الريوندي، صاحب التصانيف في الحط على الملة، وكان يلازم الرافضة والملاحدة، فإذا عوتب، قال: إنما أريد أن أعرف أقوالهم، ثم إنه كاشف، وناظر، وأبرز الشبه والشكوك، قال ابن الجوزي: (كنت أسمع عنه بالعظائم، حتى رأيت له ما لم يخطر على قلب، ورأيت له كتاب (نعت الحكمة)، وكتاب (قضيب الذهب)، وكتاب (الزمردة)، وكتاب (الدامغ)؛ الذي نقضه عليه الجبائي)، ونقض عبد الرحمن بن محمد الخياط عليه كتابه (الزمردة). قال ابن النجار: (أبو الحسين ابن الراوندي المتكلم من أهل مرو الروذ، سكن بغداد، وكان معتزليا، ثم تزندق)، مات سنة (298هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج14/ 59-62).

(2) الفارابي أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان، شيخ الفلسفة، الحكيم، أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ التركي الفارابي المنطقي، أحد الأذكياء. له تصانيف مشهورة، من ابتغى الهدى منها ضل وحار، منها تخرج ابن سينا، وقد أحكم أبو نصر العربية بالعراق، ولقي متى بن يونس صاحب المنطق، فأخذ عنه، وسار إلى حران، فلزم بها يوحنا بن جيلان النصراني، وسار إلى مصر، وسكن دمشق. وكان يحب الوحدة، ويصنف في المواضع النزهة، وقل ما يبيض منها، وكان يتزهد زهد الفلاسفة، ولا يحتفل بملبس ولا منزل، مات سنة (339هـ) عن نحو من ثمانين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج15/ 416-418).

(3) العلامة الشهير، الفيلسوف، أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي، ثم البخاري، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق، كان أبوه كاتبا من دعاة الإسماعيلية، وصنف بأرض الجبل كتبًا كثيرة، وله كتاب «الشفاء» وغيره، وأشياء لا تحتمل، وقد كفره الغزالي في كتاب «المنقذ من الضلال»، وكفر الفارابي، مات سنة (428هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج17/ 531-537).

(4) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، (ج11/ 569-570).

ولهذا يقرِّر ابنُ سينا في «الإشاراتِ»[1] وغيره مِنَ المُتفلسفة تأمرُ بسماع الألحانِ وعِشقِ الصّورِ، ويجعلونَه من جُملةِ الطّريقِ الّتي توصِّلُ إلى اللّه تعالى وتُزكّي النُّفوسَ [72/ ب].

والمقصودُ أنّ مَن كان له خِبرة بحَقائقِ الدّين وأحوالِ القُلوبِ ومعارِفِها وأذواقِها ومَواجيدِها؛ عرَفَ أنّ سماعَ أهلِ زَمانِنا علَى الدُّفوفِ والمواصيلِ والأوتارِ ونَحوِها، لا يجلِبُ للقلبِ منفَعةً ولا مصلَحةً، بل مضرَّتُه علَى الرّوحِ كالخمرِ للجَسدِ، فإنّ خمرَ الجسَدِ هيَ الشّرابُ تُسكِرُ صاحبَها، وخمرُ الرّوحِ الطّرَبُ وسماعُه، وهو يُسكر صاحبَه، وخمرُ النّفسِ هي الصّورُ والعِشقُ، وهي تُسكرُ صاحبَها، ولهذا يحصُلُ لأهله بينَهم مِنَ العداوةِ والبغضاءِ ما هو معروفٌ مُشاهَدٌ لا يحتاجُ أن نَتكلَّمَ عليه.

وذكَرَ **شيخُ الإسلامِ في موضِعٍ**: أنّ سماعَ الكفِّ والدُّفِّ والقضيبِ يُؤثِّرُ في النُّفوسِ أعظَمَ من تأثيرِ الخمرِ[2]، هذا قولُ الشّيخِ في الدُّفِّ والكفِّ، فكيفَ بالمواصيلِ والأوتارِ والدُّفوفِ بالصُّنوجِ فإنّها تصُدُّ عنِ اللهِ أعظَمَ الصّدِّ، فإنّهم يقَعُ منهم مِنَ البُكاءِ والوجدِ والحركةِ الظّاهِرةِ والباطنةِ والسّماحةِ بالأثمانِ والثّيابِ، وطيبِ السّهَرِ، وتَمنّي طولِ اللّيلِ علَى سماعِهم الأبياتِ علَى صَفيرِ الآلاتِ ما هو مشهورٌ فيا للهِ العجَب، كيفَ يكونُ السّماعُ الّذي يسمَعُه العبدُ بطَبعِه وهواه أنفَعَ له من الّذي يسمَعُه باللهِ ولله وعنِ اللهِ؟!

---

(1) يقول ابن سينا في كتب «الإشارات» القسم الرابع التصوف، (ص: 82-85)، ط مؤسسة النعمان: (...ثم الألحان المستخدمة لقوى النفس الموقعة لما لحن به من الكلام موقع القبول من الأوهام. ثم نفس الكلام الواعظ، من قائل ذكي بعبارة بليغة، ونغمة رخيمة، وسمت رشيد... والعشق العفيف الذي يأمر فيه شمائل المعشوق، ليس سلطان الشهوة...)

(2) راجع: مجموع الفتاوى لابت تيمية، (ج11/ 298).

ورأيتُ شيخَ الإسلامِ ذكَر أنّ الشّخصَ إذا كان حالُه [...] عندَ الغِناء والرّقصِ ومَزامير الشّيطانِ، لا سيّما معَ النّساءِ الأجانِبِ والمُردانِ، فيرقُصُ ليلًا طويلًا، وحالُه وخَوارِقُه تَنقُصُ عندَ سماعِ القرآنِ، وإذا جاءتِ الصّلاةُ صلَّى قاعِدًا أو ينقُرُ الصّلاةَ نقرَ الدّيكِ، وهو يَبغَضُ سماعَ القرآنِ، وينفِرُ عنه، أو يتكَلَّفُه ليسَ له فيه محبّة ولا ذوقٌ ولا لذّة عندَ وجدِه، ويُحِبُّ سماعَ المُكاءِ والتّصدية، وتَجِدُ عندَه مَواجيدَ.

فهذه أحوالُ شيطانيّة؛ وهو ممّن تناوَلَه قولُه تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ[1] عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: 36]، فالقرآن هو ذكرُ الرّحمن، قال تعالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا[2] وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾... الآيةَ [طه: 124]، قال ابنُ عبّاس: تكفَّلَ الله لِمَن قَرَأ كتابَه وعمِلَ بما فيه أن لا يَضِلَّ في الدُّنيا ولا يشقَى في الآخِرة، ثُمّ قرَأ هذه الآية[3]. انتهَى كلامُه[4].

ولقد شاهَدتُ غير مرّة إذا حضَرنا في ختمة ويكون بعدَها [...] ولا نَشعُر بهم أنّهم [...] يَثقُلُ علَيهم القُرآنُ، ويقولونَ للقُرّاءِ حينَ يقرَؤونَ علَى الجماعة: أسرِعوا، ثُمّ أُمورٌ أبشَعُ من هذه ما أصِفُها لِبشاعَتِها.

بَل تصُدُّ عن ذكرِ الله وعَنِ الصّلاةِ أعظَمُ من صَدِّ الخمرِ؛ لأنّه يورِثُ أصحابَه سُكرًا أعظَمَ من سُكرِ الخمرِ، ومَن دخَلَ زَواياهُم، وشاهدَ سَماعَهم رَأى ذلك عيانًا، فإنّه يحصُلُ لهم في سُكرِهم بالسّماعِ مِنَ الأحوالِ الشّيطانيّة ما يطولُ شرحُه، فمنهم مَن يُصَعَّدُ به في الهواءِ،

---

(1) العشا: ظلمة تعترض في العين، يقال: رجل أعشَى، وامرأة عَشواء... عشي عن كذا نحو: عمي عنه. انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب، مادة (عشا)، (ص:455).

(2) أي: ضيقًا. انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب، مادة (ضنك)، (ص:413).

(3) رواه الطبري في تفسيره (ج16/ 191). (4) مجموع الفتاوى (ج11/ 302).

ومنهم مَن يدخُلُ النّارَ، ويأخُذُ الحديدَ المحميَّ بالنّارِ يضعُه علَى بدَنه، فإنّ الشّيطانَ يلبسُ أحَدَهم بحيثُ يسقُط إحساسُ بدنِه، بل قد يتكلَّم علَى لسانِه بالفارسيّ أو بالتُّركيِّ، ويكونُ ذلك عَربيًّا لا يحسِنُ أن يَتكلَّم بذلك.

وقال لي شخصٌ: أنتم يا حَنابِلةُ ما تُثبِتوا لهؤلاء شَيءً. فقُلتُ لَه: والله ما نُنكِرُ أحوالَ أولياءِ الرّحمنِ ولكِن -يا أخي- انظُر هؤلاءِ ما يحصُلُ لهم ذلك عندَ الصّلاةِ، ولا عندَ ذكرِ الله، ولا عندَ قِراءةِ القرآنِ؛ لأنّ هذه عِبادات شرعيّة إيمانيّة إسلاميّة نبويّة محمديّة تطرُدُ الشّياطينَ، وإنّما يحصُلُ لهم ذلك عندَ المواصيلِ والدُّفوفِ والأصواتِ بالأبياتِ؛ لأنّ هذه بدعةٌ شركيّة شيطانيّة تستَجلِبُ الشّياطينَ، وبالجُملةِ فعلى العبدِ أن يعلَمَ أنّ النّبيَّ ﷺ لم يترُك شَيئًا يُقرِّب [72/ أ] إلى الجنّة؛ إلّا وقد حدَّثَ به، ولا شَيئًا يُبعدُ عنِ النّار؛ إلّا وقد حدَّث به، وإنّ هذا السّماعَ لو كان مصلَحةً لَشرَعَه الله ورسولُه، والله تعالى يقولُ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: 3]، فلَو كان هذا من كمالِ الدّينِ لَذكَرَه الله.

فإذا قال أحَدٌ من هؤلاءِ الجهلة: السّماعُ طاعة وقُربةٌ؛ يُقال لَه: لا بُدَّ من دليلٍ شرعيٍّ يدُلُّ علَيه، كما إذا قيلَ: السّماعُ حرامٌ أو مكروهٌ، فلا بُدَّ من دليلٍ يدُلُّ عليه؛ إذ لا حرامٌ إلّا ما حرَّمَه الله ورَسولُه، ولا دينٌ إلّا ما شَرَعَه الله ورَسولُه.

قال سهلُ بن عبد الله التّستري(1): كُلُّ وَجدٍ لا يَشهَدُ له الكِتابُ والسُّنة فَهو باطِلٌ(2).

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) ذكره عنه الغزالي في إحياء علوم الدين (ج2/ 302).

وقال أبو سُليمانَ الدّاراني[1]: إنّه لَيَمُرُّ بي[2] النُّكتة من نُكَتِ القومِ؛ فلا أقبلُها إلّا بشاهِدَينِ مِنَ الكتابِ والسُّنّة[3].

وقال أيضًا: ليس لِمَن أُلهِمَ شيئًا مِنَ الخيرِ أن يفعَلَه، حتَّى يسمَعَ فيه بأثَرٍ، فإذا سَمِعَ بأثَرٍ كان نورًا علَى نورٍ[4].

وقال الجُنَيدُ[5]: عِلمُنا هذا مُقَيَّدٌ بالكتابِ والسُّنّة، فمَن لم يقرَأ القرآنَ ويكتُب الحديثَ؛ لا يصلُحُ أن يَتَكلَّمَ في عِلمِنا[6].

وقال أبو عُثمانَ النّيسابوريُّ[7]: مَن أمَّر السُّنّة علَى نفسِه قولًا وفعلًا؛ نطَقَ بالحِكمةِ، ومَن أمَّرَ الهوَى علَى نفسِه قولًا وفعلًا؛ نطَقَ بالبدعة[8].

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) في مجموع الفتاوى لابن تيمية، (ج10/ 694): بقلبي.

(3) راجع قول الداراني في الرسالة القشيرية (ج1/ 67).

(4) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية عنه في الاستقامة (ج2/ 95).

(5) تقدمت ترجمته.

(6) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج10/ 255) بلفظ: «عِلمُنا مَضبوطٌ الكِتابِ والسُّنّة مَن لم يَحفَظِ القرآنَ ولَم يَكتُبِ الحديثَ ولَم يَتَفَقّه لا يُقتَدَى به». وانظر: الرسالة القشيرية (ص:80)، بلفظ: «من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة».

(7) هو سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الأستاذ، أبو عثمان الحيري النيسابوري الواعظ، شيخ الصّوفية، وعلم الأولياء بخراسان، ولد سنة (203هـ) بالري، ولم يختلف مشايخنا أن أبا عثمان كان مجاب الدعوة، ومجمع العباد والزهاد بنيسابور، ولم يزل يسمع الحديث، ويجل العلماء، ويعظم قدرهم، وعن أبي عثمان أخذ صوفية نيسابور، وهو لهم كالجنيد للعراقيين، توفي سنة (298هـ). انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، (ج6/ 944-947).

(8) رواه: - أبو نعيم في حلية الأولياء (ج10/ 244) عن أبي عمرو بن حمدان قال: سمعت أبا عثمان الحيري، يقول فذكره. والبيهقي في الزهد الكبير، ط الأوقاف، فصل في ترك الدنيا ومخالفة النفس والهوى، (ص:239) (327) عن أبي عبد الرحمن السلمي عن جده -وهو إسماعيل بن نجيد- عن أبي عثمان الحيري فذكره، و(ص:257)، (382)، من طريق أبو عبد الله الحافظ، عن إسماعيل بن نجيد فذكره.

وقال أحمدُ بن أبي الحواريّ[1]: مَن عمِلَ بلا اتِّباعِ سُنّة؛ فباطلٌ عمَلُه[2].

وقال إبراهيمُ بن محمَّدٍ النّصرباذي[3]: أصلُ هذا الحديثِ مُلازمةُ الكتابِ، وتركُ الأهواءِ والبِدعِ، والتّمسُّكُ بالأئمّة، والاقتِداءُ بالسّلَفِ، وتركُ ما أحدَثَه الآخَرون، والمَقامُ علَى ما سلَكَه الأوّلونَ[4].

فهؤلاءِ مشايخُ القومِ لَمّا رَأوا أنّ ما ثَمَّ تَمسُّكٌ إلّا بكتابِ الله وسُنّة رسولِه، وأنّ السّماعَ ووجدَه لا يُعطي بنفسِه ما يُحبُّه الله ورَسولُه من الأحوالِ والمعارفِ؛ اتَّفَقوا أنّ ما خرَجَ عنِ الكتابِ والسُّنّة؛ فهو باطِلٌ، فإن أنت تبعتَ هؤلاءِ العارفينَ، ومَن كان علَى نَهجِهم من عُلماءِ أهلِ الحديثِ وسالِكيهم وفُقَرائِهم العامِلينَ المُقتَفينَ للسُّنَنِ والآثارِ بعِلمِهم، الزّاهِدينَ في الدُّنيا، الرّاغِبينَ في الآخِرة [73/ ب]. [كنت على الجادة][5].

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) راجع: طبقات الصوفية؛ للسلمي (ص:92). تاريخ دمشق؛ لابن عساكر (ج71/ 250).

(3) أبو القاسم إبراهيم بن مُحَمَّد بن أحمد بن محمويه الخراساني النصرآباذي النيسابوري، -ونصر آباذ: محلة من نيسابور- كان عالِمًا في السير والتاريخ وعلوم التصوف ورواية الحديث، قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي: «شيخ خُراسان في وقته، وكان أوحد المشايخ في وقته علمًا وحالًا»، وقال عنه الذهبي: «الإمام المحدث القدوة الواعظ شيخ الصوفية»، ووصفه الحاكم النيسابوري بأنّه: «هو لسان أهل الحقائق في عصره وصاحب الأحوال الصحيحة». توفّي سنة (367هـ)، ودُفن عند الفضيل بن عياض. انظر: طبقات الصوفية؛ للسلمي (ص: 362- 365). سير أعلام النبلاء، للذهبي (ج16/ 263- 267).

(4) راجع: - الرسالة القشيرية، (ص:125)، بلفظ: «أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعذار الخلق والمداومة على الأوراد وترك ارتكاب الرخص والتأويلات»، وكذا الشاطبي في الاعتصام، ت الهلالي، (ج1/ 131).

۞ الذهبي في سير أعلام النبلاء، (ج16/ 265)، بلفظ: «أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع».

(5) زيادة ضرورية لوجود سقط بالأصل.

فَصْلٌ

والمُؤمِنُ إذا فعَلَ سيِّئةً، وأرادَ التّخلُّصَ منها؛ فإنّ عُقوبتَها تندَفِعُ بعشرة أسبابٍ:

أحدُها: أن يتوبَ توبة نصوحًا، والتّائِبُ مِنَ الذّنبِ كمَن لا ذَنبَ لَه، كما ثَبَتَ ذلك في الحديثِ[1].

---

(1) رواه: ابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، باب ذكر الذنوب، حديث (4250). والقضاعي في مسند الشهاب، حديث (108). والبيهقي في السنن الكبرى، حديث (20561)، (ج10/ 259). قال الدارقطني في العلل، (ج5/ 297): يرويه عبد الكريم الجزري واختلف عنه؛ فرواه وهيب بن خالد، عن معمر، عن عبد الكريم، عن أبي عبيدة، عن عبد الله، مرفوعا. قاله محمد بن عبد الله الرقاشي، عن وهيب. وغيره لا يرفعه. حدثنا النيسابوري، حدثنا أبو الأزهر، حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي بذلك. وعند عبد الكريم فيه إسناد آخر، عن زياد بن الجراح، عن عبد الله بن معقل، عن ابن مسعود مرفوعا. وهو أصح من حديث أبي عبيدة، قاله ابن عيينة، والثوري، وغيرهما عن عبد الكريم. جميعًا عن محمَّد بن عبد الله الرقاشي عن وهيب بهذا الإسناد مرفوعًا.

وتابعه عليه مُعلَّى بن أسد؛ فرواه عن وهيب به مرفوعًا: الطبراني في المعجم الكبير، حديث (10281)، (ج10/ 185). وأبو نعيم في حلية الأولياء (ج4/ 210)، وقال أبو نعيم: غريب من حديث عبد الكريم، لم يصله عن معمر إلا وهيب. ورواه البيهقي في السنن الكبرى، حديث (20560)، (ج10/ 259)؛ من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن زياد بن أبي مريم، عن ابن مسعود موقوفًا. قال البيهقي: كذا رواه عبد الرزاق عن معمر منقطعًا موقوفًا بزيادته. وله شاهدٌ من حديث ابن عباس عند البيهقي في السُّنن، حديث (20563)، (ج10/ 260). وقال البيهقي: هذا إسناد فيه ضعف. وقال السخاوي: سنده ضعيف، فيه مَن لا يُعرف، وروي موقوفًا، قال المنذري: ولعله أشبه، بل هو الراجح. وشاهد آخر من حديث أبي سعيد الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال: «الندم توبة، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له» رواه: الطبراني في المعجم الكبير، حديث (775)، (ج22/ 306). أبو نعيم في الحلية، (ج10/ 398). وشاهد من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «الموت غنيمة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له» رواه البيهقي في شعب الإيمان، حديث=

الثَّاني: أن يستَغفِرَ اللهَ؛ فيَغفِرُ الله تعالى لَه، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل: 20]، وقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [نوح: 10]، والآياتُ كثيرةٌ في هذا الباب.

والثَّالث: أن يعملَ حسَناتٍ تمحوها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: 114].

والرّابع: أن يدعو له إخوانُه المُؤمنونَ، ويشفَعون له حيًّا وميّتًا، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: 10]، وقولُه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في دُعاء الميِّتِ: «اللهم اغفِر لِحَيِّنا ومَيِّتِنا»... الحديث(1).

=(6640)، وقال: تفرد به هذا النهرواني وهو مجهول، وقد سمعته من وجه آخر عن روح وليس بمحفوظ. وشاهد من حديث أبي عتبة الخولاني؛ رواه البيهقي في السنن الكبرى، حديث (20562)، (ج10/ 259).

۞ ورواه البيهقي أيضًا في شعب الإيمان، حديث (6799) موقوفًا على الشعبي. وكذا أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج4/ 318).

۞ قال الخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق، (ج1/ 257): وقد رواه معمر بن راشد عن عبد الكريم الجزري واختلف عليه فقال عبد الرزاق عنه عن زياد بن أبي مريم عن عبد الله موقوفا فلم يقم إسناده ولم يرفعه... وقال عبد الله بن المبارك عنه عن عبد الكريم عن أبي عبيدة عن أبيه قال: «الندم توبة» فجعل مكان زياد أبا عبيدة ووقفه أيضا وروى وهيب بن خالد عن معمر عن عبد الكريم عن أبي عبيدة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» تفرد بروايته محمد بن عبد الله الرقاشي عن وهيب بهذا الإسناد مرفوعا ولم يتابع عليه...

(1) رواه: الإمام أحمد في مسنده، حديث (8809)، (ج14/ 406)، وحديث (17543)، (ج29/ 86)، وحديث (17544)، (ج29/ 87)، وحديث (17545)، (ج29/ 87)، وحديث (17546)، (ج29/ 88)، وحديث (22554)، (ج37/ 248)، وحديث (22619)، (ج37/ 306)، وحديث (23495)، (ج38/ 480).

2- أبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت، حديث (3201). =

الخامس: أن يُهدوا له إخوانُه المُؤمنونَ من ثَوابِ أعمالِهم ما ينفَعُه الله بهِ[1].

السّادس: أن يشفَعَ فيه نَبيُّنا محمَّدٌ ﷺ.

= 3- الترمذي في سننه، أبواب الجنائز عن رسول الله ﷺ، باب ما يقول في الصلاة على الميت، حديث (1048). قال الترمذي: حديث والد أبي إبراهيم حديث حسن صحيح، وروى هشام الدستوائي، وعلي بن المبارك هذا الحديث، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن النبي ﷺ مرسل، وروى عكرمة بن عمار، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن عائشة، عن النبي ﷺ. وحديث عكرمة بن عمار غير محفوظ، وعكرمة ربما يهم في حديث يحيى، وروى عن يحيى بن أبي كثير، عن عبد الله بن أبي قتادة، عن أبيه، عن النبي ﷺ. وسمعت محمدا يقول: (أصح الروايات في هذا حديث يحيى بن أبي كثير، عن أبي إبراهيم الأشهلي، عن أبيه)، وسألته عن اسم أبي إبراهيم الأشهلي فلم يعرفه.

4- ابن ماجه في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الدعاء في الصلاة على الجنازة، حديث (1498).

5- النسائي في المجتبى، كتاب الجنائز، الدعاء، حديث (1986).

6- الحاكم في المستدرك، كاب الجنائز، حديث (62/ 1326)، (ج1/ 511). وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح على شرط مسلم. -ثم ذكر حديث (63/ 1327). ووافقه الذهبي.

۞ قال ابن حجر في تلخيص الحبير، (ج2/ 248): وله شاهد صحيح، فرواه من حديث أبي سلمة عن عائشة نحوه، وأعله الترمذي بعكرمة بن عمار، وقال: إنه في حديثه، وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن حديث يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة عن أبي هريرة، فقال: الحفاظ لا يذكرون أبا هريرة، إنما يقولون: أبو سلمة عن النبي ﷺ مرسلًا، ولا يوصله بذكر أبي هريرة إلا غير متقن، والصحيح أنه مرسل.

(1) قال المرداوي في الإنصاف، (ج2/ 558-560): قوله: «وأي قربة فعلها وجعلها للميت المسلم نفعه ذلك» وهو المذهب مطلقًا، وعليه جماهير الأصحاب، وقطع به كثير منهم، وهو من المفردات... وكذا لو أهدى بعضه -كنصفه، أو ثلثه- ونحو ذلك... الحي في كل ما تقدم كالميت في انتفاعه بالدعاء ونحوه، وكذا القراءة ونحوها، قال القاضي: «لا نعرف رواية بالفرق بين الحي والميت»، قال المجد: «هذا أصح»...

السّابع: أن يبتَليه الله في الدُّنيا بمصائِبَ في نفسِه ومالِه وأولادِه وأقاربِه ومَن يُحبُّ، ونحوِ ذلك، وفي التِّرمذيِّ مرفوعًا: «**إنّ اللهَ لَيبتَلي المُؤمِنَ في نَفسِه وأهلِه ومالِه ووَلَدِه، حتّى يَمشي على الأرضِ وليس عليه خَطيئة**»(1).

الثّامن: أن يَبتليَه الله في البرزخِ بفِتنة القبرِ وعصرَتِه -أعاذنا الله من ذلك- فتكونُ مُكفِّرةً لَه.

التّاسع: أن يبتَليَه الله في عَرَصاتِ القيامة، فيَنالُه من أهوالِها بما يُكفِّرُ الله بها عنه.

---

(1) لم أقف عليه عند الترمذي، ورواه:

1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (1481)، (ج3/ 78)؛ عن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل، فالأمثل من الناس، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خفف عنه، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة».

2- الإمام مالك في الموطأ، ت الأعظمي، حديث (807/ 267)، (ج2/ 331)؛ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «ما يزال المؤمن يصاب في ولده وحامَّته، حتى يلقى الله وليست له خطيئة».

3- الحاكم في المستدرك، حديث (121/ 121)، (ج1/ 100) بنحو لفظ أحمد.

4- أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج3/ 265)؛ عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «ما يزال العبد المؤمن يصاب في ماله وحشاشته حتى يلقى الله عَزَّ وَجَلَّ وليس عليه خطيئة» قال أبو نعيم: هذا حديث صحيح ثابت من حديث أبي هريرة.

5- البيهقي في السنن الكبرى، حديث (6534)، (ج3/ 522)، بنحو لفظ أحمد.

6- ضياء الدين المقدسي في الأحاديث المختارة، حديث (1056)، (ج3/ 252)، بنحو لفظ أحمد. قال ضياء الدين المقدسي: رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» عن وكيع.

العاشر: أن يرحمَه أرحمُ الرّاحمينَ.

فمَن أخطأته هذه العشرة؛ فلا يَلومَنّ إلّا نفسَه، كما قال تعالى في الحديثِ الإلهي: «**إنّما هي أعمالُكم أُحصيها لكُم، فمَن وجَدَ خيرًا؛ فليَحمَدِ اللهَ، ومَن وجَدَ غير ذلك؛ فلا يَلومَنّ إلّا نَفسَه**»[1].

وقال بعضُ السّلَف -وأظنُّه عنِ الحسنِ- قال: ينبَغي لكُلِّ مَن عمِلَ سَيِّئةً أن يحزَنَ ويندَمَ علَيها، ولِكُلِّ مَن عمِلَ حسَنة أن يفرَحَ بها ويستَقلَّها، فإنّ حُزنَه وندمَه علَى السّيِّئةِ يقودُه إلى اجتِنابِها، وإذا فرِحَ بالحسَنة عادَ إليها، وإذا استقَلَّها زاد علَيها. وهذا كلامٌ حسَنٌ لِمَن تدبَّرَه.

وذَكَر خُيثَمةُ بن سُليمانَ[2]، عن يَزيدَ بن هارونَ[3]، عن حَمّادِ بن

---

(1) جزء من حديث طويل رواه الإمام مسلم في صحيحه، (55-2577)؛ عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، فيما روى عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع، إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار، إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي... الحديث. قال سعيد: كان أبو إدريس الخولاني، إذا حدث بهذا الحديث، جثا على ركبتيه.

(2) الإمام الثقة المعمر، محدث الشام، أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة بن سليمان القرشي الشامي الأطرابلسي، مصنف (فضائل الصحابة)، ولد سنة (250هـ) كان رحالا جوالا صاحب حديث، وعمّر ورحل إليه من الآفاق، وقدم إلى دمشق في آخر عمره، فحدث بها، توفي في ذي القعدة سنة (343هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج15/ 412-416).

(3) تقدمت ترجمته.

سلَمة[1]، عن عليٍّ بن زَيدٍ[2]، عن أبي عُثمانَ النّهديِّ[3]، عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ يقولُ: «**اللهم اجعَلني مِنَ الّذينَ إذا أحسَنوا استَبشَروا، وإذا أساءوا استَغفَروا**»[4].

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) علي بن زيد بن عبد الله بن زهير بن عبد الله بن جدعان القرشي التيمي، أبو الحسن البصري المكفوف، مكي الأصل قال ابن سعد: (ولد وهو أعمى، وكان كثير الحديث، وفيه ضعف، ولا يحتج به)، وقال أحمد بن حنبل: (ليس بالقوي، وقد روى الناس عنه)، وقال يحيى بن معين والنسائي: (ضعيف)، روى له البخاري في «الأدب»، ومسلم مقرونًا بثابت البناني، والباقون، توفي سنة (129هـ، وقيل: 131هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج20/ 434-445).

(3) عبد الرحمن بن مل بن عمرو بن عدي بن وهب بن ربيعة بن سعد، أبو عثمان النهدي الكوفي، سكن البصرة، أدرك الجاهلية وأسلم على عهد النبي ﷺ، وصدق إليه، ولم يلقه، قال علي بن المديني: (كان ثقة، لقي عمر وابن مسعود، وقد أدرك النبي ﷺ)، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: (سمعت أبي يقول: أبو عثمان النهدي ثقة، كان عريف قومه، سئل أبو زرعة عن أبي عثمان النهدي، فقال: بصري ثقة)، روى له الجماعة، توفي سنة (95هـ، وقيل: 100هـ، وقيل بعد المئة). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج17/ 424-430).

(4) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (25980)، (ج41/ 446)، وحديث (25120)، (ج42/ 54)، وحديث (25550)، (ج42/ 354-355)، وحديث (26021)، (ج43/ 148) بلفظه.

2- ابن ماجه في سننه، أبواب الأدب، باب الاستغفار، حديث (3820) بلفظه.

3- أبو داود الطيالسي في مسنده، حديث (1637) بلفظه.

4- إسحاق بن راهويه في مسنده، حديث (793-1336)، (ج3/ 731).

5- أبو يعلى في مسنده، حديث (116-4472)، (ج7/ 446).

6- الطبراني في الدعاء، باب ما كان النبي ﷺ يدعو به في سائر نهاره، حديث (1401)، (ص: 414).

7- البيهقي في: الدعوات الكبير، حديث (211)، (ج1/ 299). وفي شعب الإيمان، حديث (6596)، (ج9/ 233)، وحديث (6600)، (ج9/ 234). قال البيهقي: (قال الحليمي رَحِمَهُ اللَّهُ: =

فإنّ العبدَ ينبَغي له التّفكُّرُ في عاقبة السّيِّئة والحسَنةِ، ويحكم قبلَ أن يُحكم عليه في يوم يَشيبُ فيه الوليدُ، وتَضعُ كُلُّ ذاتِ حَملٍ حمْلَها، وترَى النّاسَ سُكارَى وما هم بسُكارَى ولَكنّ عذابَ الله شَديدٌ، يومَ تظهَرُ فيه المخبَّآتُ، وتبدو فيه المُكتَماتُ، هُنالك -واللهِ- يُسألُ العبدُ عن عُمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أينَ اكتَسَبه وفيما أنفَقه، فعند ذلك تُسعَّرُ جهَنّمُ لأهل الوعيدِ ﴿وَأُزْلِفَتِ (1) ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ (2) حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾(3) ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: 31 - 35].

هُنالك -واللهِ- يفرَحُ العامِلونَ، ويخيبُ فيه المُبطلونَ، وتُوفَّى كُلُّ نفسٍ ما كسَبَت وهم لا يُظلَمون.

=ومعنى هذا - الله أعلم- أن من عمل حسنة فسره أن وفقه الله لها، ويسرها له، حتى حصلت في ميزانه، فجلس كما يجلس المهنأ فرحا مسرورًا بما يرجوه من رحمة الله وفضله، أو عمل سيئة فَسَاءَه أن خلاه الله تعالى ونفسه، حتى عمل بما سوله له الشيطان، وجلس كما يجلس المصاب مهمومًا كئيبًا حزينًا حياء من الله تعالى، وخوفًا من مؤاخذته، فذلك دليل على صدق إيمانه، وخلوص اعتقاده، فإن الثقة بالوعد والوعيد لا تكون إلا من قوة التصديق بالله تعالى ورسوله).

۞ قال السندي في حاشيته على سنن ابن ماجه، ط دار الجيل، (ج2/ 426): في إسناده علي بن زيد بن جدعان؛ وهو ضعيف.

(1) الزلفة: المنزلة والحظوة...والمزالف: المراقي، وأزلفته: جعلت له زلفى. انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب، مادة (زلف)، (ص:312).

(2) الأوب: ضرب من الرجوع، وذلك أن الأوب لا يقال إلا في الحيوان الذي له إرادة، والرجوع يقال فيه وفي غيره...والأواب كالتواب، وهو الراجع إلى الله تعالى بترك المعاصي وفعل الطاعات. انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب، مادة (أوب)، (ص:88).

(3) قوله: «منيب» أي مخلص مقبل على طاعة الله تعالى. والباء في «بقلب» إما للتعدية، وإما للمصاحبة، وإما للسببية. والقلب المنيب كالقلب السليم في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصافات: 84] أي سليم من الشرك. انظر: اللباب في علوم الكتاب لعمر بن علي بن عادل الحنبلي، ط دار الكتب العلمية، (ج18/ 41-42).

أرشَدوك حينَئِذٍ إلى هدي نَبيِّكَ وسُنّتِه وطَريقَتِه وكيفيةِ الدُّخولِ في هذا الأمرِ علَى الحقيقة، فإذا أنت فعلتَ ذلك ورَسَخَت محبّة الرسول ﷺ وصارَ رسول الله ﷺ في القلبِ حقيقةً بعدَ أن كان مَجازًا، فعند ذلك عرَفتَ نَبيَّكَ وما أمَركَ به وما نَهاكَ عنه، وعرَفتَ أيّامَه وسُنَنَه وآدابَه في عِباداتِه ومَغازيه وقيامِه وقُعودِه وحَرَكتِه وسُكونِه وأكلِه وشُربِه ونومِه وضَحِكِه ومُعاشَرتِه لِأهله ولِأصحابِه ولِينِه وشِدَّتِه وخُلُقِه وكرَمِه وغَضَبِه ورِضاه؛ صِرتَ حينَئِذٍ مسلمًا محمديًّا، وحَبَبتَه حُبًّا لا تُحبُّ أحَدًا مِنَ الخلقِ مثلَه، كما قال: «**لا يُؤمِنُ أحدُكم بالله، حتّى أكونَ أحَبَّ إليه من نَفسِه، ومالِه، ووَلَدِه، والنّاسِ أجمَعينَ**»(1).

وعلامة ذلك أن يَتحرَّكَ قلبُكَ عندَ ذكرِه أكثَرَ من حرَكَتِه عند ذكرِ غيرِه، ويَهيجُ قلبُك بالوجدِ والتّعظيمِ عندَ تَخيُّلِه؛ فعند ذلك صارَ هو النّبيُّ، وهو الشّيخُ، وهو الإمامُ، وهو القُدوةُ، وهو شيخُ الطّريقة، وإمامُ الحقَيقة بلا واسِطةٍ بينَك وبينه، إلّا مَن دلَّكَ عليه وأوقَفَكَ بينَ يدَيه، يفيضُ إلى القلبِ

---

(1) متفق عليه: 1- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، حديث (15)؛ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين». 2- صحيح مسلم، حديث (70-44) بلفظ البخاري.

۞ هذا من جوامع الكلم الذى أوتيه ﷺ، لأنه قد جمع فى هذه الألفاظ اليسيرة معانى كثيرة؛ لأن أقسام المحبة ثلاثة: محبة إجلال وعظمة كمحبة الوالد، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد، ومحبة استحسان ومشاكلة كمحبة سائر الناس، فحصر صنوف المحبة. انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال، (ج1/ 280).

۞ فعلامة تقديم محبة الرسول على محبة كل مخلوق: أنه إذا تعارض طاعة الرسول ﷺ في أوامره وداع آخر يدعو إلى غيرها من هذه الأشياء المحبوبة؛ فإن قدم المرء طاعة الرسول وامتثال أوامره على ذلك الداعي: كان دليلا على صحة محبته للرسول وتقديمها على كل شيء، وإن قدم على طاعته وامتثال أوامره شيئا من هذه الأشياء المحبوبة طبعا: دل ذلك على عدم إتيانه بالإيمان التام الواجب عليه. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب، (ج1/ 49).

منه دينُك وطريقتُك، وسُلوكُك وحالُك، وسُكرُكَ وصَحوُكَ، وفَناؤُكَ، وبَقاؤُكَ، وجمعُكَ، وتفريقُك، وتمكينُكَ، وحينَئذٍ تترَقّى -إن شاءَ الله بحمدِ اللهِ- مِنَ البداياتِ إلى مقاماتِ النّهاياتِ، وفّقنا الله لذلك[1].

فَصْلٌ

قد عُلم أنّ السّيّئاتِ من آفاتِ النُّفوسِ وعُيوبِها، وتركَ السّيّئاتِ من أعمالِ النّفسِ، وهيَ مذمومةٌ في جانبِ الفِعلِ، محمودةٌ في جانبِ التّركِ، وقد تقدمَ لنا أنّ التّوبةَ النّصوحَ هيَ أُمُّ هذا البابِ، وأنّ فعلَ السّيّئاتِ له تأثيرٌ في البدنِ، كما أنّ فعلَ الحسَناتِ له تأثيرٌ في البدَنِ.

قال ابنُ عبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: إنّ للحَسنة لَنورًا في القلبِ، وضياءً في الوجه، وقوّة في البدَنِ، وسِعة في الرِّزقِ، ومحبّة في قلوبِ الخلقِ، وإنّ لِلسّيّئة لَظُلمةً في القلبِ، وسَوادًا في الوجه، ووَهَنًا في البدَنِ، وضيقًا في الرِّزقِ، وبُغضًا في قلوبِ الخلقِ[2]. قال تعالَى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾... الآية[3] [الأنعام: 122]، يعني: أو مَن كان ضالًّا فهَديناه، وجاهِلًا فعلَّمناه، وعاصيًا فاصطَفَيناهُ[4]. فإن قيلَ[5] [74/ أ]: هلِ الأفضلُ مَن كان يفعَلُ السّيّئاتِ، ثُمّ تابَ إلى الله توبة نَصوحًا، أوِ الطّائعُ الّذي لم يقَع منه سَيّئات، ولم يعصِ اللهَ أفضلُ؟[6]

---

(1) كتب هنا على هامش النسخة الخطية: بلغ.

(2) راجع: مجموع الفتاوى لابن تيمية، (ج10/ 630).

(3) وتتمتها: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

(4) قال ابن الجوزي في زاد المسير، (ج3/ 116-117): وفي قوله: ﴿كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ قولان: أحدهما: كان ضالًّا فهديناه؛ قاله مجاهد. الثاني: كان جاهلًا فعلمناه؛ قاله الماوردي.

(5) في حاشية الأصل عنوان: هل الأفضل المطيع، أو العاصي التّائب.

(6) راجع هذه المسألة في مدراج السالكين لابن القيم، (ج1/ 294-304).

اختلَفَ العُلماءُ في ذلك: فذهبَت طائفةٌ مِنَ العُلماءِ والمُفسِّرينَ والصّوفيّة وأربابِ السُّلوكِ والعُبّادِ إلى أنّ مَن لم يعصِ ولَم يقَع منه سَيّئات أفضَلُ ممّن عصَى، ثُمّ تابَ، واحتَجّوا بوُجوهٍ:

أحدُها: أنّ أكمَلَ الخلقِ وأفضَلَهم أطوَعُهم لله عَزَّوَجَلَّ، وهذا الّذي لم يعصِ أطوَعُ، فيكونُ أفضَلَ.

ولهذا رَوى الإمامُ أحمد في «مسنده» أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «**عَجِبَ رَبُّكَ من شابٍّ ليست له صَبوة**»[1]، وفي «الصّحيح» من حديثِ أبي هُريرة أنّ

---

(1) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (17371)، (ج28/ 600)؛ عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليعجب من الشاب ليست له صبوة».

2- ابن المبارك في الزهد، حديث (346)، عن عقبة بن عامر قال: «يعجب ربك تعالى للشاب ليست له صبوة» موقوفًا.

3- ابن أبي عاصم في كتاب السنة، حديث (571)، بنحو لفظ أحمد.

4- أبو يعلى في مسنده، حديث (16-1749)، (ج3/ 288)، بلفظ: «عجب ربنا من الشاب الذي ليست له صبوة».

5- الطبراني في المعجم الكبير، حديث (853)، (ج17/ 309) بنحو لفظ أحمد.

۞ الصبوة: أي: ميل إلى الهوى، وهي المرة منه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (صبا)، (ج5/ 2280).

۞ الحكم على الحديث: - قال أبو محمد بن أبي حاتم في علل الحديث، (ج5/ 109): (قال أبي: إنما هو موقوف).

۞ قال العراقي في تخرج أحاديث الإحياء، كتاب التوبة، حديث (3655)، (ج2/ 1004-1005): (أخرجه أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة).

۞ قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج10/ 270): (رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني، وإسناده حسن).

۞ قال ابن بطة الحنبلي في الإبانة، باب الإيمان بالتعجب، الكتاب الثالث: الرد على الجهمية،=

النَّبيَّ ﷺ قال: «سَبعة يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلّا ظِلُّه»... فذكر منهم: «وَشابٌّ نَشَأ في عِبادة الله»(1)، وذكروا منه قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٢١﴾(2) [الجاثية: 21].

الثّاني: أنّ في زمَنِ اشتِغالِ العاصي بالمعاصي يَسبِقُه المُطيعُ بعَدّة مَراحِلَ، والتّائِبُ إذا تابَ يستَقبِلُ السّيرَ.

=(ج3/ 131-132): والتعجب على وجهين: أحدهما: المحبة بتعظيم قدر الطاعة، والسخط بتعظيم قدر الذنب، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «عجب ربك من شاب ليس له صبوة»؛ أي: إن الله محب له، راض عنه، عظيم قدره عنده. والثاني: التعجب على معنى الاستنكار للشيء: وتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

(1) متفق عليه: 1- صحيح البخاري: - كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، حديث (660)؛ عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه».

۞ كتاب وجوب الزكاة، باب الصدقة باليمين، حديث (1423) بنحو الحديث السابق.

۞ كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب فضل من ترك الفواحش، حديث (6806) بنحو الحديث الأول.

2- صحيح مسلم، حديث (91-1031) بنحو لفظ البخاري.

(2) - الاستفهام ها هنا استفهام إنكار، و«اجترحوا» بمعنى: اكتسبوا. انظر: زاد المسير لابن الجوزي، (ج7/ 391).

۞ قال الطبري في تفسيره، (ج21/ 87-88): أم ظن الذين اجترحوا السيئات من الأعمال في الدنيا، وكذبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أن نجعلهم في الآخرة، كالذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا الصالحات، فأطاعوا الله، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والآلهة؟! كلا ما كان الله ليفعل ذلك، لقد ميز بين الفريقين، فجعل حزب الإيمان في الجنة، وحزب الكفر في السعير

الثّالث: أنّ غاية التّوبةِ أن تَمحوَ عنِ التّائِبِ سَيّئاتِه، فَيكونُ سَيرُه في مُدّة فعلِ المعاصي، لا له ولا عليه، فأينَ هذا ممّن هو كاسِبٌ رابِحٌ؟!

الرّابع: أنّ اللهَ تعالى يمقُتُ علَى فاعِلِ المعاصي المُتلبِّسِ بها، فَفي مُدّة اشتغالِه بالمعصيةِ؛ كان حَظُّه المقتَ، وحَظُّ المُطيعِ الرِّضا، ومَن لم يزَلِ الله عنه راضيًا، أعظمَ ممّن كان قد مقتَه، ثُمّ رَضيَ عنه.

الخامِس: أنّ الذّنبَ بمنزلة شُربِ السُّمِّ، والتّوبةَ تِرياقُه، والطّاعة هي الصِّحّة، والمعصيةَ هيَ المرَضُ، وصِحّةٌ مُستَمِرّة خَيرٌ من صِحّة تَخلَّلَها مَرَضٌ وشُربُ سُمٍّ.

السّادس: أنّ العاصيَ علَى خطَرٍ شَديدٍ، وأنّه بينَ ثلاثة أشياءَ:

- العطَبُ.
- والنُّقصانُ منَ القوّة.
- وعَودُ قوّتِه إليه مثلُ ما كانت أو أكثَرُ.

والقِسمانِ الأوّلانِ هُمُ الغالِبانِ، والثّالثُ نادرٌ جدًّا [74/ ب].

السّابع: أنّ المُطيعَ بُستانُ طاعتِه محوطٌ محفوظٌ، ثمَرُه وزَهرُه وبهجَتُه لم يدخُل إليه عدوٌّ، والعاصي قد فتَحَ فيه ثَغرةً، ودخَلَ العدوُّ فأفسَدَ البُستانَ، فأحرقَ بعضَه، وقَطَع بعضَه، وشَعَثَ بعضَه، ثُمّ إنّه بدَأ في إصلاحِ حيطانِه وسياجِه.

الثّامن: أنّ الطّائِعَ كلّما ازدادت أعمالُه؛ ازدادَ رِبحُه فهو بمنزِلةِ مَن سافَرَ بمالِه، فكسَبَ عشرة أضعافِه، ثُم سافَرَ بالمال والرِّبحِ فرَبِحَ عشرةَ أضعافِ ذلك، ثُمّ سافَرَ ثالثًا فكان كذلك وهَلُم جرًّا، فإذا فتَرَ عنِ السّفرِ في آخِرِ عُمرِه مرّة؛ فاتَه مِنَ الرِّبحِ أمرٌ عظيمٌ، رُبّما كان بقدرِ جميعِ ما

رَبحَه، وهذا معنَى قولِ بعضِ العارفينَ: لو أقبَلَ عبد علَى الله كذا كذا[1] سنة، ثُمّ أعرضَ عنه لحظة فاتَه أكثَرُ ممّا حصَلَ لَه[2]. فإذا كان هذا حال مَن أعرَض، فكيفَ حالُ مَن عَصَى؟!

التّاسِع: أنّ الطّائعَ لا يَزالُ مُصالحًا لِمحبوبه، ومَحبوبُه راضيًا عنه، والعاصي لا يزالُ في الهجرانِ.

العاشِر: أنّ الطّائعَ اتَّصَفَ بصِفاتِ الأنبياءِ، والعاصي اتُّصِفَ بصِفاتِ الأشقياءِ.

وذهبَت طائِفةٌ مِنَ العُلماءِ والمُفسِّرينَ وأربابِ السُّلوكِ والعُبّادِ إلى أنّ العاصي التّائِبَ توبةً نصوحًا أفضَلُ، واحتَجّت بوُجوهٍ:

الأوّلُ: أنّ عُبوديَة التّوبةِ من أحَبِّ العُبوديّاتِ إلى الله تعالى وأكرمِها علَيه، فإنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبَرَ في كتابه العزيز أنّه يُحبُّ التّوّابينَ [74/ أ]، ويُحبُّ المُتطهِّرينَ[3]، ولهذا ابتُليَ بالذّنبِ مِمّن هو عندَه كريمٌ عظيمٌ.

وفي التِّرمِذيِّ عن أنَسٍ أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «**كُلُّ ابنِ آدمَ خَطّاءٌ، وخَيرُ الخطّائينَ التّوّابونَ**»[4].

---

(1) كذا في الأصل، وفي الوابل الصيب؛ لابن القيم (ص:39): وكذا. ولها وجه بدون الواو.

(2) وهو قول أبي القاسم الجنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، كما في: حلية الأولياء لأبي نعيم، (ج10/ 278)، بلفظ: لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة، كان ما فاته أكثر مما ناله.

۞ الرسالة القشيرية، (ص:80)، بلفظ أبي نعيم.

۞ تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر؛ لابن الجوزي (ص:49)، بلفظ: لو أقبل عبد على الله عَزَّوَجَلَّ ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة واحدة، كان الذي فاته أكثر مما حصل له.

(3) قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [سورة البقرة: 222].

(4) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (13049)، (ج20/ 344)، بلفظ: «كل ابن آدم خطاء، فخير الخطائين التوابون، ولو أن لابن آدم واديين من مال، لابتغى لهما ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب». =

قال داودُ الطّائيُّ[1]: ما أخرَجَ الله عبدًا من ذُلِّ المعصيةِ إلى عزِّ الطّاعة، إلّا أغناه بلا مالٍ، وأعَزَّه بلا عَشيرةٍ، وآنَسَه بلا بشرٍ[2].

الثّاني: أنّ للتَّوبةِ عندَه منزلةً ليسَت لِغيرها مِنَ الطّاعاتِ، ولهذا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يفرَحُ بتَوبةِ عبدِه أشَدَّ من فرَحِ الواجِدِ لِراحلَتِه الّتي عليها طَعامُه وشَرابُه في الأرضِ المُهلكةِ، بعدَ ما فَقدَها، وأيِسَ من أسبابِ الحياةِ، وهذا من أسرارِ تقديرِ الذُّنوبِ علَى العِبادِ.

= 2- الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، حديث (2680) -بلفظه-. قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة، عن قتادة.

3- ابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، باب ذكر التوبة، حديث (4251)، بلفظ: «كل بني آدم خطاء...».

4- الدارمي في سننه، ومن كتاب الرقاق، باب في التوبة، حديث (2769) -بلفظ ابن ماجة-.

5- الحاكم في المستدرك، (ج4/ 273)، حديث (7617/ 17) -بلفظ ابن ماجة-. قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). وتعقبه الذهبي في التخليص، فقال: (علي بن مسعدة لين).

6- البيهقي في شعب الإيمان، حديث (6725)، (ج9/ 332) -بلفظه-. قال البيهقي: (تفرد به علي بن مسعدة).

۞ قال الإمام أحمد: (هذا حديث منكر). انظر: المنتخب من العلل للخلال؛ لابن قدامة المقدسي، ط دار الراية، (ص:92).

۞ قال ابن حبان في كتاب المجروحين، (ج2/ 111): علي بن مسعدة الباهلي، يروي عن قتادة، كان ممن يخطئ على قلة روايته، وينفرد بما لا يتابع عليه، فاستحق ترك الاحتجاج به بما لا يوافق الثقات من الأخبار، روى عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ -الحديث-.

(1) تقدمت ترجمته.

(2) رواه: أبو نعيم في الحلية (ج7/ 356). البيهقي في الزهد الكبير، ط الأوقاف، الجزء الخامس، (ص:449) عن داود الطّائي، قال: «ما أخرَجَ الله عبدا مِن ذُلِّ المعاصي إلى عِزِّ التّقوَى إلّا أغناه بلا مالٍ، وأعَزَّه بلا عَشيرة، وآنَسَه بلا أنيسٍ».

كما رُوّينا في «جامع التِّرمذيِّ»[1]: قال: قال رسول الله ﷺ: «للّه أفرَحُ بتَوبة أحَدِكُم، من رَجُلٍ بأرض فلاةٍ دَوية مُهلَكة[2]، مَعَه راحِلَتُه عليها زادُه وطَعامُه وشَرابُه وما يُصلِحُه، فأَضَلَّها، فخَرَجَ في طَلَبِها، حتّى إذا أدرَكه الموتُ، قال: أرجِعُ إلى مَكاني الّذي أضلَلتُها فيه، فأموتُ فيه، فرَجَعَ إلى مَكانِه، فغَلَبَته عَيناه، فاستَيقَظَ، فإذا راحِلَتُه عند رَأسِه عليها طعامُه وشَرابُه، وما يُصلِحُه»، قال التِّرمِذيُّ: حديثٌ صحيحٌ. زادَ مسلِمٌ[3]: «فأخَذَ بخُطامِها، ثُمّ قال من شِدّة الفرَحِ: اللهم أنت عبدي، وأنا رَبُّكَ، أخطَأ من شِدّة الفرَحِ»[4].

الثّالث: أنّ في التّوبة مِنَ الذُّلِّ والانكِسارِ والخُضوعِ، والتّملُّقِ[5] لله تعالى، ما هو أحَبُّ إليه من كثيرٍ مِنَ الطّاعاتِ الظّاهِرة، وإن زادَت في الكميّة والقدرِ علَى عُبوديّة التّوبة، فإنّ الذُّلّ والانكِسارَ روحُ العُبوديّة ومُخُّها ولُبُّها، يوضِّحُه:

الوجه الرّابِعُ: أنّ حصولَ مراتِبِ الذُّلِّ، والانكسارِ، والخضوعِ، والتّملُّقِ

---

(1) رواه: الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، حديث رقم (2679). البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب التوبة، حديث (6309)، مختصرًا بلفظ: «الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة».

(2) قوله: «دوية»: كذا مشددة الواو والياء...وهي القفر، والفلاة اسم لا جمع...وقوله: «دوية مهلكة»: بفتح الميم واللام؛ أي أنها تهلك سالكها بغير زاد ولا ماء ولا راحلة. انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض، (ج8/ 242-243).

(3) صحيح مسلم (7- 2747).

(4) قال القاضي عياض في إكمال المعلم، (ج8/ 242): والتوبة فرض لازم على كل من علم من نفسه مخالفة لله تعالى صغرت أو كبرت، وهى من جملة أمهات الفرائض اللازمة. ووجوبها عند أهل السنة شرعا لا عقلا، خلافا للمعتزلة، وليس بواجب قبولها على الله عقلا، وإنما علمنا ذلك بالشرع والإجماع، خلافا للمعتزلة في حتمهم ذلك على الله عقلا، على أصلهم الفاسد في التحسين والتقبيح، وإيجاب العقل ما يوجب من ذلك.

(5) أي: تجرد لله عَزَّوَجَلَّ. قال ابن فارس في مقاييس اللغة، (ج5/ 351): (ملق) الميم واللام والقاف أصل صحيح يدل على [تجرد] في الشيء ولين.

لله عَزَّوَجَلَّ، والتّذلُّلِ لَه، هيَ للتّائِبِ أكمَلُ منها لِغيرِه، فإنّه شارَكَ مَن لم يُذنِب في ذُلِّ الفقرِ، والعُبوديّة، والمحبّة، وامتازَ عنه بانكِسارِ المعصيةِ، والله سبحانه أقرَبُ ما يكونُ إلى عبدِه عندَ ذُلِّه وانكِسارِ قلبِه، كما رَوى عبد الله بن الإمام أحمد[1] من حديثِ عِمرانَ القصيرِ[2] في الأثَرِ الإلَهي: «**يا رَبِّ! أينَ أجِدُكَ؟ قال: عند المُنكَسِرة قُلوبُهم من أجلي**»[3]، ولِأجلِ هذا: «**أقرَبُ ما يكونُ العبدُ من رَبِّه وهو ساجِدٌ**»[4]؛ لأنّ السُّجودَ هو غايةُ مقامِ الذُّلِّ والانكِسارِ والعُبوديّة بينَ يدَيه.

---

(1) أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد، ولد في جمادى الأولى سنة (213هـ)، وكان رجلًا صالحًا صادق اللهجة، كثير الحياء، ولم يكن في الدنيا أحد روى عن أبيه أكثر منه، ولي القضاء بطريق خراسان في خلافة المكتفي، وتوفي في جمادى الآخرة سنة (290هـ). طبقات الحنابلة للقاضي محمد بن أبي يعلى، (ج1/ 180-188).

(2) عمران بن مسلم المنقري، أبو بكر البصري القصير، رأى أنس بن مالك جالسا على سرير واضعا إحدى رجليه على الأخرى، قال البخاري عن علي بن المديني: (له نحو عشرين حديثا)، وقال أبو حاتم: سمعت أبا زياد يقول: سمعت يحيى بن سعيد وذكر عنده عمران بن مسلم، فقال: (كان مستقيم الحديث)، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه، وعباس الدوري عن يحيى بن معين، وأبو داود: (ثقة)، وقال النسائي: (ليس به بأس)، وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات»، وقال أبو أحمد بن عدي: (حسن الحديث)، وإنما ذكرته لأنه يروي أشياء لا يرويها غيره، ويتفرد عنه قوم بتلك الأحاديث، روى له الجماعة سوى ابن ماجة. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج22/ 351-353)

(3) رواه: 1- عبد الله في زوائد الزهد، حديث (391)، (ص:64). 2- أبو نعيم في الحلية (ج6/ 177) عن سيار، قال: حدثنا جعفر، حدثنا عمران القصير، قال: «قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا رب أين أبغيك؟ قال: ابغني عند المنكسرة قلوبهم فإني أدنو منهم كل يوما باعا لولا ذلك لتهدموا»، وهو حديث ضعيف. انظر: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة؛ للملّا علي القاري (ص:137-138). قال ابن رجب في اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، ضمن مجموع رسائل ابن رجب، (ج4/ 72): وروي عن عبد الله بن سلام أنه فسره، فقال: هم المنكسرة قلوبهم بحب الله عن حب غيره.

(4) حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه، حديث (215-482)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: الحديث، وتمامه: «فأكثروا الدعاء».

وتأمَّل قولَ النَّبيِّ ﷺ فيما يرويه عن ربِّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أنه يَقولُ [75/ ب] الله تعالى يومَ القيامة: «يا ابنَ آدمَ! استَطعَمتُكَ فلم تُطعِمني، قال: يا رَبِّ! كيف أُطعِمُكَ وأنت رَبُّ العالَمينَ؟ قال: استَطعَمَكَ عبدي فُلانٌ فلم تُطعِمه، أما لو أطعَمتَه لَوَجَدتَ ذلك عندي»، وكَذا: «استَسقيتُكَ فلم تَسقِني، قال: [يا ربِّ][1]! كيف أسقيكَ، وأنت رَبُّ العالَمينَ؟ قال: استَسقاكَ عبدي [فُلانٌ][2] فلم تَسقِه، أما لو أسقَيتَه لَوَجَدتَ ذلك عندي، وكَذا مَرِضتُ فلم تَعُدني»، وقال لَه: «ولَو عُدتَه لَوَجَدتَني عنده»[3]. وفي الإطعام، والاستِسقاءِ: «لَوَجَدتَ ذلك عندي»؛ وذلك لأنّ المريضَ مكسورُ القلبِ، فيحصُلُ جَبرُه بعُوّادِه، وهذا -والله أعلَمُ- هو السِّرُّ في استِجابة دعوة الثّلاثة: المظلومِ، والمُسافِرِ، والصّائِمِ[4]؛ لأنّ المظلومَ قد أقبَلَ علَى الله

---

(1) المثبت من مصدر الحديث. (2) المثبت من مصدر الحديث.

(3) الحديث رواه مسلم في صحيحه، حديث (43-2569) من حديث أبي هريرة.

(4) دعوة المظلوم والصائم، فرواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (8043)، (ج13/ 410) ضمن حديث طويل عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام، وتفتح لها أبواب السماوات، ويقول الرب عَزَّ وَجَلَّ: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين». 2- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، حديث (3933)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين». قال الترمذي: هذا حديث حسن، وسعدان القمي هو: سعدان بن بشير، وقد روى عنه عيسى بن يونس، وأبو عاصم، وغير واحد من كبار أهل الحديث، وأبو مجاهد هو: سعد الطائي، وأبو مدلة هو: مولى أم المؤمنين، وإنما نعرفه بهذا الحديث، ويروى عنه هذا الحديث أطول من هذا وأتم. 3- ابن ماجة في سننه، أبواب ما جاء في الصيام، باب في الصائم لا ترد دعوته، حديث (1752) بنحو لفظ الترمذي.

4- ابن خزيمة في صحيحه، باب ذكر استجابة الله عَزَّ وَجَلَّ دعاء الصوام إلى فطرهم من صيامهم جعلنا الله منهم، حديث (1901)، (ج3/ 199) بنحو لفظ الترمذي. =

بقلبٍ مكسورٍ وبعدَ إعراضِ وُلاةِ الأُمورِ عن نُصرتِه أو عدَمِ وصولِه إليهم، والمُسافِرُ انكسارُه لِغُربتِه عن وطَنِه وأولادِه، والصّائِمُ لِتعَبُّدِه بالجوعِ الّذي معَه ضعفُ القوَى.

والمقصودُ: أنّ سِعةَ الفضلِ والخيرِ والعطايا، إنّما تَنزِلُ في مَيادينِ الذِّلّةِ والانكِسارِ، وللتّائِبِ من ذلك وافِرٌ، يوضِّحُه:

الوجه الخامِسُ: أنّ الذّنبَ قد يكونُ أنفَعَ للعبدِ إذا اقترَنَت به التّوبةُ من كثيرٍ مِنَ الطّاعاتِ.

قال الحسَنُ: اهتِمامُ العبدِ بذَنبِه داعيةٌ[1] إلى تركِه وندَمِه علَيه، مِفتاحُ لِتوبَتِه، ولا يَزالُ العبدُ يهتَمُّ بالذّنبِ حتّى يكونَ أنفَعَ له من بعضِ حسَناتِه[2].

= 5- ابن حبان في صحيحه: ذكر رجاء استجابة دعاء الصائم عند إفطاره، حديث (158)، مختصرًا بلفظ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم». قال أبو حاتم: أبو المدله اسمه: عبيد الله بن عبد الله، مدني ثقة. - ذكر الإخبار عن وصف بناء الجنة التي أعدها الله جَلَّوَعَلَا لأوليائه وأهل طاعته، حديث (5179) بنحو لفظ أحمد.

۞ أما المظلوم والمسافر، فرواه 1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (7510)، (ج12/ 479)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، يقول: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات، لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده». وحديث (8581)، (ج14/ 243). وحديث (10196)، (ج16/ 153). وحديث (10708)، (ج16/ 414). وحديث (10771)، (ج16/ 450). 2- الترمذي في سننه: - أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في دعاء الوالدين، حديث (2030) بنحو لفظ أحمد. - أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما ذكر في دعوة المسافر، حديث (3767) بنحو لفظ أحمد. قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن. 3- أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الدعاء بظهر الغيب، حديث (1536) بنحو لفظ أحمد.

(1) كذا في الأصل، وفي كتاب التوبة؛ لابن أبي الدنيا: داعٍ.

(2) رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب التوبة، حديث (186) من طريق محمد بن الحسين، قال: حدَّثني عيّاش بن عصامٍ الكلبي، قال: حدَّثنا مسلم الأعورُ، عن عون بن عبد الله بن عتبة،=

قال داودُ الطّائيُّ[1]: ما أخرَج الله عبدا من ذُلِّ المعاصي إلى عِزِّ التّقوَى، إلّا أغناه بلا مالٍ، وأعَزَّه بلا عَشيرةٍ، وآنَسَه بلا بشرٍ[2].

وهذا معنَى قولِ بعضِ السّلَفِ: قد يعمَلُ العبدُ الذّنبَ فيدخُلُ به الجنّة، ويعمَلُ الطّاعةَ فيَدخُلُ بها النّارَ، فيُقالُ: لِماذا؟ قال: يعمَلُ الذّنبَ فيصير نُصُبَ عينَيه إن قامَ وإن قعَدَ وإن غدا وإن [75/ أ] راحَ، كلَّما ذكَرَه تابَ واستَغفَر، ويعمَلُ الطّاعةَ فيَصيرُ[3] نُصبَ عينَيه كلَّما ذَكَرها أورَثَته عُجبًا وكِبرًا وفخرًا، ورُبّما عادَى مَن لا يُعظِّمُه ولا يوقِّرُه ولا يخضَعُ له لأجلِ طاعتِه، وفي أثَرٍ إلَهي: «**إنّ من عِبادي المُؤمِنينَ مَن يُريدُ البابَ مِنَ العِبادة، فأكُفُّه عنه؛ مخافةَ أن يَفسَد**»[4].

=قال: اهتِمامُ العبدِ بذَنبِه داعٍ إلى تَركِه، ونَدَمُه عليه مِفتاحٌ لِتَوبتِه، ولا يَزالُ العبدُ يَهتَمُّ بالذّنبِ يُصيبُه، حتّى يَكونَ أنفَعَ له مِن بعضِ حَسَناتِه.

ورواه: أبو نعيم في حلية الأولياء (ج4/ 251). ابن عساكر في تاريخ دمشق (ج47/ 78) بسنديهما من نفس طريق ابن أبي الدنيا.

۞ مسلم بن كيسان الضبي الملائي البراد، أبو عبد الله الكوفي الأعور، كان يحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي لا يحدثان عن مسلم الأعور، وكان شعبة، وسفيان يحدثان عنه؛ وهو منكر الحديث جدًّا، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: (كان وكيع لا يسميه. قلت: لم؟ قال: لضعفه) روى له الترمذي، وابن ماجة. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج27/ 530-535).

(1) تقدمت ترجمته. (2) سبق تخريجه قريبًا.

(3) في الأصل: فتصير، والمثبت أولى بدلالة السياق السابق.

(4) جزء من حديث مطول، رواه: ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء، حديث (1). أبو نعيم في حلية الأولياء، (ج8/ 318-319). قال أبو نعيم: (غريب من حديث أنس لم يروه عنه بهذا السياق إلا هشام الكتاني، وعنه صدقة بن عبد الله أبو معاوية الدمشقي، تفرد به الحسن بن يحيى الحسني). البيهقي في الأسماء والصفات، حديث (231)، (ج1/ 307-308). قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج10/ 270): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عمر بن سعيد أبو حفص الدمشقي؛ وهو ضعيف.

فإذا أرادَ الله بهذا خيرًا ألقاه في ذنبٍ وتابَ عليه؛ ليكسرَه بذلك، وإلّا هو في ذنبٍ عظيمٍ هو سببُ هلاكِه، وما يشعُرُ به، فإذا انكسر بفعلِ الذّنبِ عرَّفه قدرَه، واستخرجَ منه داءَ العُجبِ والكِبرِ.

السّادس: تبديلُ سيّئاتِ المُذنبِ التّائبِ حسناتٍ، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: 70]، وهذا من أعظمِ البشارة للتّائبِ، إذا اقترَنَ بتوبتِه إيمانٌ وعَمَلٌ صالحٌ، وهو حقيقة التّوبة، قال ابن عباس: ما رأيتُ رسول الله ﷺ فرِحَ بشيءٍ قطُّ فرَحَه بهذه الآية لَمّا أُنزلَت، وفرَحُه بـ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: 1- 2][1].

وقدِ اختلَفَ المُفسِّرونَ في صِفة هذا التّبديلِ، هل هو في الدُّنيا، أو في الآخِرة؟ على قولَين:

أحدُهما: ما قاله ابنُ عبّاسٍ وأصحابُه -منهم مجاهِدٌ[2]، وسَعيدُ بن جُبيرٍ[3]، وقتادة[4]، والضّحّاكُ[5]، وابنُ زيدٍ[6]-: أنّ التّبديلَ في الدُّنيا، وهو تبديلُ قَبيحِ أعمالِهم بمحاسِنِها، فيُبدِّلُهم بالشِّركِ إيمانًا، وبِقتلِهم إمساكًا،

---

(1) انظر: تفسير الوسيط للواحدي، (ج3/ 347). تفسير البغوي، (ج6/ 96). زاد المسير لابن الجوزي، (ج6/ 106).

(2) تقدمت ترجمته. (3) تقدمت ترجمته. (4) تقدمت ترجمته.

(5) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي، صاحب التفسير، كان من أوعية العلم، حدث عن ابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وابن عمر، وأنس بن مالك، وطائفة. وثقة أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهما، وحديثه في السنن لا في الصحيحن، وقد ضعفه يحيى بن سعيد، وقيل: (كان يدلس)، وروى شعبة عن عبد الملك بن ميسرة، قال: (لم يلق الضحاك ابن عباس، إنما لقي سعيد بن جبير بالري فأخذ عنه التفسير)، توفي سنة: (102هـ، وقيل: 105هـ، وقيل: 106هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج4/ 598-600).

(6) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (17/ 516- 519).

وبالزِّنـا عِفّـة وإحصانًـا، وبالكـذِب صِدقًـا، وبالخيانـة أمانـةً. ذكـرَه أبـو الفـرَجِ ابنُ الجـوزيِّ(1).

وقـال غيـرُه: السّـيِّئةُ لا تنقلِبُ حسـنة، بـل تُمحَـى وتُكفَّـر، فإنّهـا بغيضـةٌ مكروهـةٌ للـرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ، فكيـفَ تنقَلِبُ محبوبـةً مُرضيـةً لـه؟ ويـدلُّ علَـى ذلك قولُـه تعالـى: ﴿رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ [آل عمران: 193]، وقولُـه: ﴿وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: 25]، وقولُـه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: 53]، فالقـرآنُ يَـدلُّ علَـى تكفيرِ السّـيِّئاتِ، ومغفـرةِ الذّنـوبِ، لا انقِـلاب السّـيِّئاتِ حَسَـناتٍ(2).

ويـدلُّ علَـى ذلـك مـا ثَبَت في «الصّحيـح»(3): أنّ اللـهَ تعالـى يُدني المُؤمِنَ

---

(1) انظر: زاد المسير لابن الجوزي، (ج6/ 107).

(2) قـال أبـو جعفـر الطـبري في تفسـيره، (ج17/ 520): وأولى التأويلـين بالصـواب في ذلـك تأويـل مـن تأولـه: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾: أعمالهم في الشرك «حسنات» في الإسلام؛ بنقلهم عما يسخطه الله من الأعمال إلى ما يرضى. وإنما قلنا: ذلك أولى بتأويل الآية، لأن الأعمال السيئة قد كانت مضت على ما كانت عليه من القبح، وغير جائز تحويل عين قد مضت بصفة إلى خلاف ما كانت عليه، إلا بتغيرها عما كانت عليه من صفتها في حال أخرى، فيجب إن فعل ذلك كذلك، أن يصير شرك الكافر الذي كان شركا في الكفر بعينه إيمانا يوم القيامة بالإسلام، ومعاصيه كلها بأعيانها طاعة، وذلك ما لا يقوله ذو حِجًى.

(3) متفق عليه: 1- صحيح البخاري: - كتاب المظالم، باب قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾، حديث (2441)؛ عن صفوان بن محرز المازني، قال: بينما أنا أمشي، مع ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا آخذ بيده، إذ عرض رجل، فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون، فيقول الأشهاد: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾

وفي كتاب التفسير، سورة هود، حديث (4685)؛ عن صفوان بن محرز، قال: بينا ابن عمر يطوف إذ عرض رجل، فقال: يا أبا عبد الرحمن -أو قال: يا ابن عمر- سمعتَ النبي ﷺ في=

ويَضَعُ علَيه كَنَفَهُ[1]، ويُقرِّرُه بذُنوبه، ويَرَى أنّه قد هلَكَ، فيَقولُ الله: «سَتَرتُها عليكَ في الدُّنيا وأنا أغفِرُها لَكَ اليومَ» فيُعطَى صَحيفةَ حَسناتِه[2].

=النجوى؟ فقال سمعت النبي ﷺ يقول: «يدنى المؤمن من ربه -وقال هشام: يدنو المؤمن- حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف، يقول: رب أعرف مرتين، فيقول: سترتها في الدنيا، وأغفرها لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسناته، وأما الآخرون -أو الكفار- فينادى على رءوس الأشهاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾».

۞ كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، حديث (6070)؛ عن صفوان بن محرز: أن رجلا سأل ابن عمر: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: «يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه، فيقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول: عملت كذا وكذا، فيقول: نعم، فيقرره، ثم يقول: إني سترت عليك في الدنيا، فأنا أغفرها لك اليوم».

۞ كتاب التوحيد، باب كلام الرب عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، حديث (7514)؛ عن صفوان بن محرز، أن رجلا سأل ابن عمر، كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: «يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه، فيقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرره، ثم يقول: إني سترت عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم».

2- صحيح مسلم، حديث (52- 2768) بنحو لفظ كتاب التفسير من صحيح البخاري.

(1) أي: يستره، وقيل: يرحمه، ويلطف به. والكنف بالتحريك: الجانب والناحية. وهذا تمثيل لجعله تحت ظل رحمته يوم القيامة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (كنف)، (ج8/ 3687).

(2) انظر: طريق الهجرتين؛ لابن القيم، ط الأوقاف، (ج2/ 534-544) وختم ابن القيم المسألة بقوله: فالصواب إن شاءَ الله في هذه المسألة أن يقال: لا ريب أن الذنب نفسه لا ينقلب حسنة، والحسنة إنما هي أمر وجودي يقتضى ثوابًا، ولهذا كان تارك المنهيات إنما يثاب على كف نفسه وحبسها عن مواقعة المنهي، وذلك الكف والحبس أمر وجودي وهو متعلق الثواب. وأما من لم يخطر بباله الذنب أصلًا، ولم يحدث به نفسه، فهذا كيف يثاب على تركه؟ ولو أُثيب مثل هذا على ترك هذا الذنب لكان مثابًا على ترك ذنوب العالم التي لا تخطر بباله، وذلك أضعاف حسناته بما لا يحصى، فإن التَّرك مستصحب معه، والمتروك لا ينحصر ولا ينضبط، فهل يثاب على ذلك كله؟ هذا مما لا يتوهم. وإذا كانت الحسنة لا بد أن تكون أمرًا وجوديًا، فالتائب من الذنوب التي عملها قد قارن كلَّ ذنب منها ندمًا عليه، وكف نفسه عنه، وعزمه على ترك=

وأمَّا الكافرُ والمُنافِقُ، فيقول ﴿ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود: 18]، وقال تعالى في حقِّ الصّادقينَ: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٥﴾ [الزمر: 35]، فأخبرَ عنهم أنّه يُكفِّر عنهم سَيِّئاتِ أعمالِهم، ويجزيهم بأحسَنِ أعمالِهم، وهيَ الحسَناتُ.

وذكَرَ القُرطبيُّ في «تفسيرِه»(1) عنِ النّحّاسِ(2) أنّه قال: أحسنُ ما قيلَ في التّبديلِ: أنّه يُكتَبُ [76/ ب] موضِعَ كافرٍ مُؤمِنٌ، وموضِعَ عاصٍ طائِعٌ.

قال الحسَنُ(3): قومٌ يقولونَ: إنّ التّبديلَ في الآخِرةِ، وليسَ بشيءٍ إنّما التّبديلُ في الدُّنيا يُبدِّلُهُمُ الله إيمانًا مِنَ الشِّركِ، وإخلاصًا مِنَ الشّكِّ، وإحصانًا مِنَ الفُجورِ(4). انتهى كلامُه.

=معاودته. وهذه حسنات بلا ريب، وقد محت التوبة أثر الذنب، وخلفه هذا الندم والعزم، وهو حسنة، فقد بدلت تلك السيئة حسنة. وهذا معنى قول بعض المفسرين: «يجعل مكان السيئة التوبة، والحسنة مع التوبة». فإذا كانت كل سيئة من سيئاته قد تاب منها، فتوبته منها حسنة حلت مكانها، فهذا معنى التبديل، لا أن السيئة نفسها تنقلب حسنة..

(1) انظر: تفسير القرطبي، (ج15/ 481-482).

(2) انظر: إعراب القرآن؛ للنحاس، ط دار المعرفة، (ص:672).

۞ والنحاس هو: العلامة، إمام العربية، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري النحوي، صاحب التصانيف، ارتحل إلى بغداد، وأخذ عن الزجاج، وكان يُنَظَّر في زمانه بابن الأنباري، وبنفطويه للمصريين، ومن كتبه (إعراب القرآن)، (اشتقاق الأسماء الحسنى)، (تفسير أبيات سيبويه)، وكان من أذكياء العالم. توفي سنة (338هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج15/ 401-402).

(3) هو الحسن البصري، تقدمت ترجمته.

(4) أخرجه: ابن أبي حاتم في التفسير، (ج8/ 2734)، (15433)، بلفظ: التبديل في الدنيا؛ أبدلهم الله بالعمل السيء العمل الصالح، وأبدلهم بالشرك إخلاصًا، وأبدلهم بالفجور إحصانًا، وبالكفر إيمانًا وإسلامًا.

۞ انظر: تفسير القرطبي (ج15/ 482).

وقال غيره: هو تبديلُ الأعمالِ الصّالحة، والإراداتِ الفاسدةِ بأضدادِها، وهيَ حسَناتٌ، وذلك لا يكونُ إلّا في الدُّنيا(1).

وقال بعضُ العُلماءِ: لوِ انقَلَبتِ السّيِّئة نفسُها حسَنة في حقِّ التّائبِ لَكان أحسنَ حالًا ممَّن لم يرتكِب سيِّئة، وأكثَرَ حسَناتٍ منه؛ لأنّه إذا شارَكه في حسَناتِه الّتي يَعمَلُها، وامتازَ عنه بتلكَ المُنقلبةِ حسَناتٍ ترجَحُ، فكيفَ يكونُ صاحِبُ السّيِّئاتِ أرجَحَ ممَّن لا سيِّئة لَه؟

الثّاني: أنّ هذا التّبديلَ يكونُ في الآخِرةِ، قاله سلمانُ الفارسيُّ(2)، وذَهَبَ إليه سعيدُ بن المُسيِّب(3)، وعليُّ بن الحُسينِ(4).

قال عمرو بن ميمون(5): تُبدَّلُ سَيِّئاتُ المُؤمِنِ إذا غفَرَها له حَسَناتٍ،

---

(1) انظر: طريق الهجرتين (ج2/ 536).

(2) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (ج8/ 2734)، (15439) عن سلمان، قال: يُعطى رجلٌ يومَ القيامة صحيفةً، فيقرأ أعلاها؛ فإذا سيئاته، فإذا كاد يسوء ظنه، ينظر في أسفلها؛ فإذا حسنات، ثم ينظر في أعلاها؛ فإذا هي قد بدلت حسنات.

(3) رواه الطبري في تفسيره (ج17/ 519) عن عطاء الخراساني، عن سعيد بن المسيب: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾ قال: «تصير سيئاتهم حسنات لهم يوم القيامة». وتقدمت ترجمة سعيد بن المسيب.

(4) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (ج8/ 3735)، (15440)، من حديث علي بن الحسين: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾، قال: في الآخرة.

۞ وعلي بن الحسين هو: علي بن الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب، السيد الإمام، زين العابدين، الهاشمي العلوي، المدني ولد في سنة (38هـ) ظنًا، وحدث عن أبيه الحسين الشهيد، وكان معه يوم كائنة كربلاء، وله ثلاث وعشرون سنة، وكان يومئذ موعكًا فلم يقاتل، ولا تعرضوا له، وحدث أيضًا عن جده مرسلًا، وعن صفية أم المؤمنين، وأبي هريرة، وعائشة، وكان ثقة، مأمونًا، كثير الحديث عاليًا، رفيعًا، ورعًا، قال العجلي: «علي بن الحسين مدني تابعي ثقة»، وكان يسمى زين العابدين لعبادته، توفي سنة (94هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج4/ 386-401)

(5) عمرو بن ميمون الأودي المذحجي الكوفي، الإمام الحجة، أبو عبد الله، أدرك الجاهلية،=

حتَّى إنّ العبدَ يتمنّى أن تكونَ سيئاته أكثَرَ ممّا هيَ[1]، وعنِ الحسَنِ كالقولَينِ، حتَّى قال الحسَنُ: ودَّ قومٌ يومَ القيامة أنّهم كانوا في الدُّنيا استَكثَروا مِنَ الذُّنوبِ، فقيلَ له: مَن هُم؟ فقال: الّذينَ قال الله فيهم: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾[2] [الفرقان: 70].

ويُؤيِّدُ هذا حديثُ أبي ذرٍّ عنِ النّبيِّ ﷺ قال: «**يُؤتَى بالرَّجُلِ يومَ القيامة، فيُقالُ: اعرِضوا عليه صِغارَ ذُنوبِه، ويُخَبَّأُ عنه كِبارُها، فيُقالُ: عَملتَ يومَ كَذا وكَذا، وهو مُقِرٌّ، لا يُنكِرُ، وهو مُشفِقٌ مِنَ الكِبارِ، فيُقالُ: أعطوها مَكانَ كُلِّ سَيِّئة عَمَلَها حَسنة**»، رواه مُسلِمٌ[3].

ورُوِّيناه في التِّرمذيِّ[4]، ولفظُه: قال أبو ذَرٍّ: قال رسول الله ﷺ: «إنّي

=وأسلم في الأيام النبوية، وقدم الشام مع معاذ بن جبل، ثم سكن الكوفة، قال يونس بن إسحاق، عن أبيه: «كان عمرو بن ميمون إذا رُئي؛ ذُكِرَ الله» توفي سنة (75هـ، وقيل: 76هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج4/ 158-161).

(1) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (ج16/ 598)، بلفظ: «يتمنى العبد أن سيئاته أكثر مما هي».

(2) راجع: زاد المسير لابن الجوزي، (ج6/ 107).

(3) صحيح مسلم، حديث (314- 190)، بلفظ: («إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة، وآخر أهل النار خروجا منها، رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا؛ كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا؛ كذا وكذا، فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: رب! قد عملت أشياء لا أراها ها هنا» فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه).

(4) رواها الترمذي في سننه، أبواب صفة جهنم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن للنار نفسين وما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد، حديث (2792) بلفظ: («إني لأعرف آخر أهل النار خروجًا من النار، وآخر أهل الجنة دخولًا الجنة، يؤتى برجل فيقول: سلوا عن صغار ذنوبه، وأخبئوا كبارها، فيقال له: عملت كذا وكذا يوم كذا وكذا، عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا، قال: فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، قال: فيقول: يا رب لقد=

لَأعرِفُ آخِرَ أهلِ النّارِ خُروجًا مِنَ النّارِ، وآخِرَ أهلِ الجنّةِ دُخولًا الجنّةَ، يُؤتَى برَجُلٍ يومَ القيامةِ، فيَقولُ: اعرِضوا عليه صِغارَ ذُنوبِه، واخبَئوا عنه كِبارَها [76/ أ]، فيُقالُ له: عَمِلتَ كَذا وكَذا، وعَمِلتَ كَذا في يوم كَذا، فيَقولُ: نَعَم! لا يَستَطيعُ أن يُنكِرَ، وهو مُشفِقٌ من كِبارِ ذُنوبِه أن تُعرَضَ عليه، فيُقالُ له: فإنّ لكَ مَكان كُلِّ سَيِّئة حَسَنة، قال: فيَقولُ: يا رَبِّ! لَقد عَمِلتُ أشياءَ ما أراها هاهُنا»، فَلَقد رَأيتُ رسول الله ﷺ ضَحِكَ حتّى بَدَت نَواجِذُه.

ورواه الإمام أحمد في «مُسنَدِه»[1]، ورواه الإمامُ مُسلِمٌ[2] إلّا أنّه أخصَر منه.

قال التِّرمذيُّ: «هذا حديثٌ حسَنٌ صحيحٌ». أمّا ما رواه مُسلِمٌ: فهو دالٌّ علَى المسألة، وما رواه التِّرمذيُّ ففي الاستِدلالِ به نظَرٌ؛ لِكونِه عُذِّب بسيِّئاتِه، فدَلَّ علَى أنّه ماتَ من غيرِ توبة.

=عملت أشياء ما أراها هاهنا» قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(1) الإمام أحمد: حديث (21393)، (ج35/ 313) بلفظ: («يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه. قال: فتعرض عليه، ويخبأ عنه كبارها، فيقال: عملت يوم كذا وكذا؛ كذا وكذا، وهو مقر لا ينكر، وهو مشفق من الكبار، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة. قال: فيقول: إن لي ذنوبًا ما أراها» قال: قال أبو ذر: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه).

وحديث (21492)، (ج35/ 388)، بلفظ: («إني لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار، وآخر أهل الجنة دخولا الجنة، يؤتى برجل فيقول: نَحُّوا كبار ذنوبه وسلوه عن صغارها. قال: فيقال له: عملت كذا يوم كذا وكذا، وعملت كذا يوم كذا وكذا. قال: «فيقول: يا رب، لقد عملت أشياء لم أرها هنا» -قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه-. قال: «فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة»)

(2) سبق تخريجها.

لكِن هُنا نُكتة لطيفةٌ يَتوجَّه بها الاستدلالُ مِنَ الحديثِ: وهو أنّ أثَرَ الذّنبِ يُمحَى تارّة بالتّوبة، وتارّة بالحسَناتِ، كما قال تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: 114]، وتارّة بالمصائِبِ المُكفِّرةِ، وتارّة بدُخولِ النّارِ؛ لأنّ الجنّة لا يدخلُها إلّا مَن طابَ ونقي وأُخرِج خَبثُه، فيَصلُحُ حينَئذٍ لدارِ الملكِ، فإذا كان مَن تطَهَّرَ بالنّارِ أُعطي مكان كُلِّ سَيِّئة حسَنة، فمَن تطَهّرَ بالتّوبة بطَريقِ الأولَى؛ لأنّ إزالة التّوبةِ أعظَمُ من إزالة النّارِ وأحَبُّ إلى الله.

وممّا يُستأنَس به ما رواه الإمامُ أحمد في كتابِ «الزُّهدِ»(1) بإسنادِه: «أنّ اللهَ تعالى أوحَى إلى موسَى ﷺ: يا موسَى(2)! أنذِر الصِّدّيقينَ، فإنّي لا أضَعُ عدلي علَى أحَدٍ إلّا عَذَّبتَه من غير أن أظلِمَه، وبَشِّرِ الخطّائينَ فإنّه لا يَتعاظَمُني ذَنبٌ أن أغفِرَه»(3).

وذكَرَ النّقّاشُ في «تفسيرِه»(4) كلامًا ضعيفًا، فقال: لم يُردِ الله تعالى أنّ السّيِّئة بعَينِها تصيرُ حسَنة، لكِنِ السّيِّئة تُمحَى بالتّوبةِ، وتُكتَبُ الحسَنة معَ التّوبةِ.

وفيما قاله نظرٌ؛ لأنّه أوّلًا يُقالُ لَه: هذا ظاهِرُ القرآنِ، ويُؤكِّد ذلك ما ورَدَ في هذَينِ الحديثَينِ الصّحيحَينِ، ولا يبعدُ في كرَمِ الله تعالى إذا علِم صحّة توبةِ العبدِ أن يضَعَ مكانَ كُلِّ سَيِّئة حسَنة، والله تعالى أعلَم.

وقد رَوى أبو حفصٍ المُستملي، عن محمَّدِ بن عبد العزيزِ بن أبي

---

(1) الزهد للإمام أحمد، ط دار الكتب العلمية، حديث (376).

(2) كذا في الأصل، وفي جميع مصادر الرواية: داود.

(3) رواه أبو نعيم في الحلية (ج6/ 57) من طريق عبد الله بن الإمام أحمد عن أبيه.

(4) القائل الزجاج؛ انظر: معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (ج4/ 76).

رزمة[1]، عن الفضل بن موسَى[2]، عن أبي العنبَس[3]، عن أبيه[4]، عن أبي هريرة -رفعَه إلى النّبيِّ ﷺ- أنّه قال: «**لَيَتَمَنَّيَنّ أقوامٌ يومَ القيامة [77/ ب] أنّهم كانوا استكثَروا مِنَ السّيِّئاتِ**» قيلَ: مَن هُم؟ قال: «**هُمُ الّذينَ يُبَدِّلُ الله سَيِّئاتِهم حَسَناتٍ**»[5]، وفي صِحَّته نَظَرٌ.

وقال ابنُ أبي الحواريِّ[6]: سمِعتُ عُتبةَ أبا الوليدِ[7] يُحدِّث، قال:

(1) محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة، واسمه غزوان اليشكري، مولاهم، أبو عمرو المروزي، قدم بغداد حاجا وحدث بها سنة أربعين ومئتين قال أبو حاتم: (صدوق)، وقال النسائي، والدارقطني: (ثقة)، وروى له البخاري، توفي سنة (241هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج26/ 8-11).

(2) الفضل بن موسى السيناني، أبو عبد الله المروزي، وسينان قرية من قرى مرو، ولد سنة (115هـ)، قال يحيى بن معين، ومحمد بن سعد: (ثقة)، وقال أبو حاتم: (صدوق صالح)، وقال علي بن خشرم: سألت وكيعًا عنه، فقال: (أعرفه ثقة صاحب سنة)، روى له الجماعة، توفي سنة (191هـ أو 192هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج23/ 254-258).

(3) سعيد بن كثير بن عبيد القرشي التيمي، أبو العنبس الملائي، الكوفي، مولى أبي بكر الصديق، وهو والد عنبسة بن سعيد، قال يحيى بن معين: (ثقة)، وقال أبو حاتم: (صالح الحديث)، روى له البخاري في «الأدب» حديثًا، وأبو داود في «المراسيل» آخر. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج11/ 35-36).

(4) كثير بن عبيد القرشي التيمي، أبو سعيد الكوفي، مولى أبي بكر الصديق، رضيع عائشة أم المؤمنين، وهو والد أبي العنبس سعيد بن كثير بن عبيد، وجد عنبسة بن سعيد الحاسب، روى عن: زيد بن ثابت، وأبي هريرة، وأسماء بنت أبي بكر، وأختها عائشة أم المؤمنين، روى عنه: ابنه أبو العنبس، ذكره ابن حبان في كتاب «الثقات»، روى له البخاري في «الأدب»، وأبو داود. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج24/ 143-144).

(5) رواه: 1- ابن أبي حاتم في تفسيره، حديث (15429)، (ج8/ 2733).

2- الحاكم في المستدرك (ج4/ 281) (7643/ 43)، قال الحاكم: (أبو العنبس هذا سعيد بن كثير، وإسناده صحيح ولم يخرجاه). قال الذهبي في التلخيص: (صحيح).

(6) تقدمت ترجمته.

(7) كذا في الأصل، وفي هامش كتاب العظمة قال المحقق: (في جميع النسخ: عتبة أبو الوليد...)، وضبط في المغني عن حمل الأسفار: (عتبة بن الوليد)؛ ولم أقف له على ترجمة.

سَمِعَ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إبراهيمَ الخليلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو يقولُ: يا كَريمَ العفوِ. قال: وتدري يا إبراهيمُ ما كَرَمُ عفوِهِ؟ قال: لا. قال: إذا عفا عَنِ السّيِّئةِ جَعَلَها حَسَنةً[1].

وذكَرَ جماعةٌ مِنَ العُلماءِ والمُفسِّرينَ ممَّن ذَهَبَ إلى هذا القولِ ونَصَرَه، قالوا: حقيقةُ التّبديلِ إثباتُ الحسَنة مكان السّيِّئة[2]، وهذا إنّما يكونُ في السّيِّئة المُحقَّقةِ، وهيَ الّتي فُعلَت ووَقَعَت، فإذا بُدِّلَت حسَنة كان معناها: أنّها مُحيت وأُثبِت مكانها حسَنة، وهذا لا يكونُ إلّا في الآخرةِ.

قالوا: ولهذا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ﴾ [الفرقان: 70]، فأضافَ السّيِّئاتِ إليهم؛ لِكونِهم باشَروها والتَمسوها، وذَكَرَ الحسَناتِ بلفظِ التّنكيرِ ولم يُضفها إليهم؛ لأنّها من غير صُنعِهم وكَسبِهم، وإنّما هيَ من فضلِه وكرَمِه، وسِعة رحمَتِه، وأضافَ التّبديلَ إليه سُبحانَه؛ لأنّه فعلُ الله سُبحانَه، لا فعلُهم، فإنّه أخبَرَ أنّه هو الّذي يُبدِّلُ سَيِّئاتِهم حسَناتٍ، ولو كان المُرادُ ما ذكَرُه أصحابُ القولِ الأوّلِ لأضافَ التّبديلَ إليهِم؛ لأنّهم هُمُ الّذينَ بدّلوا سَيِّئاتِهم حسَناتٍ، والأعمالُ إنّما تُضافُ إلى فاعِلِها وكاسِبِها.

---

(1) - رواه: 1- أبو الشيخ في العظمة (ج2/ 527). 2- البيهقي في شعب الإيمان (ج9/ 268-269)، (6643) عن أحمد بن أبي الحواري. - ورواه الغزالي في إحياء علوم الدين، (ج4/ 148) عن النبي ﷺ. قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار، (ج2/ 1051-1052): لم أجده عن النبي ﷺ، والموجود أن هذا كان بين إبراهيم الخليل وبين جبريل، هكذا رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة من قول عتبة بن الوليد. ورواه البيهقي في الشعب من رواية عتبة بن الوليد قال: حدثني بعض الزهاد... فذكره.

(2) قال الواحدي في البسيط، (ج6/ 529-530): وحقيقته أن التبديل تغيير صورة إلى صورة أخرى، والجوهرة بعينها، والإبدال تنحية الجوهرة واستئناف جوهرة أخرى... قد جعلت العرب بدلت بمعنى أبدلت، وهو قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ﴾ ألا ترى أنه قد أزال السيئات، وجعل مكانها الحسنات.

كما قال تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ [البقرة: 59]، وأمّا ما كان من غيرِ الفاعِلِ؛ فإنّه يُضيفُه إليه؛ كما قال: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ﴾ [سبأ: 16].

فلَمّا أخبَرَ أنّه هو الّذي يُبدِّلُ سَيِّئاتِهم حسَناتٍ؛ دلَّ علَى أنّه شيءٌ فعَلَه هو سُبحانه بسيِّئاتِهم لا أنّهم فَعَلوه من تلقاءِ أنفُسِهِم، وإن كان سبَبُه منهم؛ وهو التّوبةُ والإيمانُ والعمَلُ الصّالِحُ(1).

السّابعُ: أنّ التّائِبَ قد بدَّلَ كُلَّ سيِّئة بحسَنة، والتّوبة هيَ ندَمُه علَى فعلِ السّيِّئة؛ إذ هيَ توبةُ كُلِّ سيِّئة، فالنّدَمُ توبة، والتّوبة من كُلِّ ذنبٍ حَسَنةٌ، فتَأمَّل هذا فإنّه من ألطَفِ ما تَقدم مِنَ الوجوه.

الثّامن: أنّ التّائِبَ مِنَ المعاصي توبة نصوحًا، لا يَزالُ الخوفُ مُلازمًا له في توبتِه، هل قُبلَت أم لا؟ بل يقولُ: خالفتُ وفعلتُ الذّنبَ، فاستحقيتُ العُقوبةَ عليه، فندمتُ وتبت، وما لي طريق أتحقَّقُ بها قبولَ توبَتي، فالعُقوبة محقّقةٌ، والتّوبة مظنونةٌ، فالخوفُ مُلازمه، وفي التِّرمذيِّ(2) عنِ النّبيِّ ﷺ أنّه قال: «إنّ المُؤمنَ يَرى ذُنوبَه كأنّها في أصلِ جبَلٍ، يَخافُ أن تَقَعَ عليه، وإنّ الفاجِرَ يَرى ذُنوبَه كذُبابٍ وقَعَ على أنفِه».

---

(1) راجع: طريق الهجرتين لابن القيم، (2/ 538).

(2) – رواه: 1- الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، حديث (2679)، عن وتمامه: «قال به هكذا». 2- الإمام أحمد في مسنده، حديث (2627)، (ج6/ 131)، وتمامه: «فقال له هكذا، فطار»؛ كلاهما موقوف على عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. – ورواه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب التوبة، حديث (6308)، عن الحارث بن سويد، قال: حدثنا عبد الله بن مسعود، حديثين: أحدهما عن النبي ﷺ، والآخر عن نفسه، قال: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه» فقال به هكذا، قال أبو شهاب: بيده فوق أنفه...

وأمَّا الطَّائِعُ: فالغالِبُ عليه الأمنُ، ولهذا قد يصدُرُ منه لأمنه ما يُخافُ علَيه من إحباطِ العمَلِ من وسوسة النّفسِ والشّيطانِ، فالله المُستعانُ.

فَصْلٌ

في التّحرُّزِ مِنَ الشّيطانِ الرّجيم، والتّحفُّظِ منه بما ورَدَ في الكتاب والسُّنّة، فإنّ اللهَ تعالى أعلَمَ ابنَ آدَمَ أنّ الشّيطانَ له عدوٌّ مُبينٌ، وأنّ له تسلُّطًا[1] عليه بالإغراء والإضلالِ ليُخرجَه عن طاعة ربِّه، كما أخرَجَ أبوَيه مِنَ الجنّة، وحذَّرَ من شيءٍ لا يُعذرُ الواقِعُ فيه، ألّا تَرى أنّ آدَمَ وحوّاءَ حَذَّرَهما [77/ أ] ربُّهُما من أكلِ الشّجرةِ، فوَسوَسَ لهما الشّيطانُ، فقَبلا منه فأخرَجَهُما مِنَ الجنّة، ووَبَّخَهما، ونودي عليهما بما يُقرأ ويُدرس إلى يوم القيامة: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢﴾ [الأعراف: 22]، وهُما أقرَبُ إلى العُذرِ منكَ؛ لأنّهما لم يسبق قبلهما مَن يعتَبرانِ به، وأنت قد سمِعتَ قِصّتَهُما، وحذَّرَكَ ربُّكَ منه في غيرِ آية، فلا تَغتَرَّ بوَسوَستِه، فإنّ اللهَ أعلَمَكَ أنّه ﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الأعراف: 20]، وأقسَمَ لأبيكَ آدَمَ أنّه ﴿لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١﴾ له، ثُمّ سعَى في إخراجِه مِنَ الجنّة، وأقسَمَ في حقّكَ أنّه يُضلُّكَ ويُغويكَ، قال تعالى: ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ١١٧[2] لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ١١٨ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ﴾... الآية[3] [النساء: 117- 119]، وحكَى الله تعالى عنه بأنّه قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢﴾

(1) في الأصل: تسلط، والمثبت هو الجادة.

(2) المارد والمريد من شياطين الجن والإنس: المتعري من الخيرات. انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب، مادة (مرد)، (ص:605).

(3) وتمامها:...﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ١١٩﴾.

[ص: 82]. فإذا كانت هذه مُعاملته مع مَن أقسَم بأنه ينصحُه، فكيفَ تكونُ معاملَتُه مع مَن أقسَم أنّه يُضلُّه ويُغويه وهو متمكّنٌ من أذاه مُتسلِّطٌ عليه، يجري منه مجرَى الدّمِ؟! فهو أشَدُّ اجتِهادًا علَى إضلالِ بني آدَمَ، وعلَى ما فاتَه مِنَ الجِوارِ في دارِ القرارِ، فإنّه شاهَدَ الحُكمَ عليه بالطّردِ والهلاكِ الأبَدي، فتحقّق الشّقاوةَ الأبديّة، وعندَه سَببها أبونا آدَمُ؛ لِعدمِ امتِثالِه أمرَ الله تعالى بالسُّجودِ لَه، فهذا هو الحامِلُ له ولِذُريّتِه في اجتِهادِهم وبذلِ وُسعِهم في أنواع الشّرِّ والفسادِ في إضلالِ بَني آدَمَ، فوَقعَتِ العداوةُ بيننا.

وقد روي أنّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: إنّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أعطَى أُمّة محمَّدٍ ﷺ أربَعَ كراماتٍ، ما أعطاني إيّاها:

أحدُها: قبولُ توبَتي بمكّة، وهم يتوبونَ في كُلِّ مكانٍ فتُقبَلُ توبتُهُم.

والثّانيةُ: أنّي كنتُ لابِسًا فلمّا عصَيتُ جعَلَني عريانًا، وهم يعصونَ عرايا فيُلبِسُهُم.

والثّالثة: أنّي لَمّا عصيتُ فُرِّقَ بيني وبين زَوجَتي وهم يعصونَ، فلا يُفرَّق بينَهم وبينَ أزواجِهم.

الرّابعة: أنّي عصَيتُ في الجنّة فأُخرجتُ منها، وهم يعصونَ خارجَ الجنّة فيُدخلونَها(1).

---

(1) ذكره: السمرقندي في تنبيه الغافلين (ص:510- 511)؛ بلا سند، ولم أقف له على سند، والحديث ظاهر النكارة والتصنُّع، وملامح الوضع ظاهرة عليه، وما ذكر من كرامات ليست خاصة بأمة محمد ﷺ. والسيوطي في أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب ﷺ، (ص:109)، بلا سند أيضًا، بلفظ: (وروي أن آدم قال: إن الله أعطى أمة محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أربع كرامات لم يعطينيها: كانت توبتي بمكة، وأحدهم يتوب في كل مكان، وسلبت ثوبي حين عصيت، وهم لا يسلبون، وفُرِّق بيني وبين زوجتي، وأخرجت من الجنة). والسفيري في المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ، (ج2/ 277)، بلا سند أيضًا بنحو لفظ السيوطي.

فلا يمكنُ صلحٌ أصلًا، كما قيلَ [من البسيط]:

كُلُّ العداوة قد تُرجَى مَوَدَّتُها إلّا عَداوة مَن عاداكَ في الدِّينِ[1]

[78/ ب] واعلَم أنّ القلبَ هو أشرَفُ بقاع الجسدِ، وهو بيتُ الرّبِّ، وليسَ في الجسَدِ عُضوٌ -إذا صلَح صلَحَ الجسَدُ، وإذا فسَدَ فسَدَ الجسَدُ- إلا القلب[2]، ولِهذا لَمّا علِمَ الشّيطانُ ذلك لم يقصِد من أعضاءِ الإنسانِ سِواه.

---

(1) ورد هذا البيت منسوبًا إلى الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بروايتين هما:

كل العداوة قد ترجى مودتها إلا عداوة من عاداك عن حسد

الأخرى:

كل العداوة قد ترجى إماتتها إلا عداوة من عاداك عن حسد

۞ انظر: ديوان الشافعي، ت محمد خفاجي، (ص:70). مناقب الشافعي؛ للبيهقي (ج2/ 74).

۞ وفي العقد الفريد، ط دار الكتب العلمية، (ج2/ 171)، قال: (علي بن بشر المروزي قال: كتب إليّ ابن المبارك هذه الأبيات:

كل العداوة قد ترجى إماتتها إلا عداوة من عاداك من حسد

فإن في القلب منها عقدة عقدت وليس يفتحها راق إلى الأبد

إلا الإله فإن يَرحَم تَحُلّ به وإن أباه فلا ترجوه من أحد).

۞ وفي عيون الأخبار (ج2/ 13)، بلا نسبه.

(2) يشير إلى الحديث المتفق عليه: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث (52).

۞ وصحيح مسلم، حديث (107-1599)؛ عن النعمان بن بشير، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات: كراع يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» واللفظ للبخاري.

قال ابنُ عبّاسٍ: الوسواسُ الخنّاس، قال: مَثَلُ الشّيطانِ مَثَلُ ابنِ عِرسٍ[1]، واضِعٌ فَمَه على فَمِ القلبِ، يوسّوسُ إليه، فإذا ذُكِر الله خنَسَ[2].

ورَوَى ابنُ أبي الدُّنيا مرفوعًا: واضِعٌ خطمَهُ[3] علَى قلبِ ابنِ آدمَ[4]، وقد ورَدَ في هذا المعنَى عدّة آثارٍ.

فإذا عُلِم أنّ الشّيطانَ لم يقصد إلّا بيتَ الطّاعة؛ لأنّ سائِرَ الأعضاءِ طائِعةٌ للقلبِ، فإذا حصَلَ له حظُّه من هذا العُضوِ؛ تداعَت سائِرُ الأعضاءِ من غيرِ أن يدعوها، فكأنّ اللهَ تعالى يقولُ: عبدي ما أنصَفتَني، أنا أخرَجتُ

---

(1) كنيته أبو الحكم وأبو الوثاب، وهي بكسر العين وإسكان الراء المهملتين، تجمع على بنات عرس وبني عرس، حكاه الأخفش. قال القزويني: هو حيوان دقيق يعادي الفأر. انظر: حياة الحيوان الكبرى للدميري، (ج2/ 232).

(2) رواه: الشبلي في آكام المرجان في أحكام الجان (ص:159). وعزاه السيوطي في الدر المنثور (ج15/ 807) إلى ابن أبي داود عن ابن عباس.

(3) (خطم) الخاء والطاء والميم يدل على تقدم شيء في نُتُوٍّ يكون فيه. فالمخاطم الأنوف، واحدها مخطم. ورجل أخطم: طويل الأنف. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج2/ 198).

(4) رواه: ابن أبي الدنيا في: مكائد الشيطان (ص:19)، حديث (23). التوبة، (89-90)، حديث (92) من طريق عديّ بن أبي عمارة، عن زياد النميري، عن أنس، مرفوعًا: «إن الشيطان واضع خطمه في قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خنس وإن نسي الله التقم قلبه». وأبو يعلى في مسنده، حديث (4301-1546)، (7/ 278-279)، بنفس طريق ابن أبي الدنيا، وفيه زيادة: «...فذلك الوسواس الخناس». وابن عدي في الكامل (ج4/ 129) في ترجمة زياد النميري، من طريق ابن أبي الشوارب به. - بلفظ ابن أبي الدنيا- وابن شاهين في كتابه الترغيب في فضائل الأعمال (ص:56)، حديث (154)؛ قال: حدثنا أمية بن محمد بن إبراهيم الباهلي به. - بلفظ ابن أبي الدنيا-. ورواه البيهقي في شعب الإيمان (ج2/ 74)، حديث (536) - بلفظ ابن أبي الدنيا-. والواحدي في تفسير الوسيط (ج4/ 575) - بزيادة أبي يعلى-. في إسناده: زياد بن النميري، وهو زياد بن عبد الله النميري البصري، قال يحيى بن معين: (ضعيف الحديث)، وقال أبو عبيد الآجري: (سألت أبا داود عنه فضعفه) روى له الترمذي حديثًا واحدًا. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج9/ 492-493). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج7/ 149): رواه أبو يعلى، وفيه عدي بن أبي عمارة، وهو ضعيف. وقال ابن كثير في تفسيره (ج8/ 539): غريب.

عَدوَّكَ من جنّتي قَبلَ أن تدخُلَها، وأنا بعدَ نُزولي في بيتِ طاعَتِكَ، كيفَ يليقُ بكَ أن لا تخرجَ عدوِّيَ، فعندَ ذلك يقولُ العبدُ: إلَهي أنت قادِرٌ على إخراجِه، وأمّا أنا فعاجِزٌ ضعيفٌ.

فالإنسانُ عاجِزٌ أن يدفعَ عن نفسه هذا الشّرَّ والفسادَ، بل هو عاجِزٌ أن يدفَعَ عن نفسِه ذرّة منه، وعاجِزٌ أن يجلِبَ لِنفسِه منفَعةً واحِدةً، فإذا كان الإنسانُ فقيرًا مُحتاجًا إلى جلبِ ما ينفَعُه ودفعِ ما يضرُّه وجَبَ عليه أن يطلُبَ مِنَ الله تعالى أن يُعيذَه من شرِّ عدوِّه، وقد أرشدَنا الله تعالى ورَسولُه ﷺ إلى أن يحترزَ منه بحروزٍ تدفَع عنّا شرَّه وأذاه [78/ أ].

الحِرزُ الأوَّلُ: بالاستِعاذة

قال الله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾... الآية(1) [الأعراف: 200]، قال السُّدّيُّ(2): النّزغُ: الوسوسة وحَديثُ النّفس(3).

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾... الآية(4) [النحل: 98].

---

(1) وتمامها: ...﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾.

(2) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي أبو محمد القرشي الكوفي الأعور، وكان يقعد في سدة باب الجامع بالكوفة، فسمي السدي، وهو السدي الكبير، روى عن: أنس بن مالك، وعبد الله بن عباس، وعطاء ين أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس. روى عنه: أسباط بن نصر الهمداني، وإسرائيل بن يونس، وسفيان الثوري، وسماك بن حرب، وشعبة بن الحجاج. قال يحيى بن معين: (السدي صاحب التفسير اسمه إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة) وقال علي بن المديني، عن يحيى بن سعيد: (لا بأس به، ما سمعت أحدًا يذكره إلا بخير، وما تركه أحد)، وقال أحمد بن حنبل: (السدي ثقة)، روى له الجماعة سوى البخاري، توفي سنة (127هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج3/ 132-138).

(3) رواه الطبري في تفسيره (ج5/ 138) عن السدي.

(4) والآية التي تليها: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾.

ومعنَى الاستِعاذةِ[1]: أنّ العبدَ يَستَغيثُ ويستَجيرُ ويمتَنِعُ ويعتَصِمُ بالله ويلجَأُ إليه من شرِّ الشّيطانِ.

وذكَرَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ في بعضِ كلامِه، قالَ: معنَى أعوذُ بالله: أمتَنِعُ بجنابِ اللهِ، وأستَجيرُ به مِنَ الشّيطانِ أن يضرَّني في ديني ودُنياي، أو يصُدَّني عن فعلِ ما أُمرتُ به، أو يَحُثَّني علَى فعلِ ما نُهيتُ عنه، فإنّ الشّيطانَ لا يصدُّه عنِ الإنسانِ إلّا اللهُ تعالى. انتَهَى كلامُه[2].

فالاستعاذةُ مُذهِبةٌ لِما يُلقيه الشّيطانُ في النّفسِ مِنَ الوسواسِ والشّهَواتِ والإراداتِ الفاسِدةِ، فأُمِرَ الإنسانُ بها لِيَطرُدَه مِنَ القلبِ ويُخلّيه منه ليصادِفَ أمرُ اللهِ ونَهيُه محلًّا خاليًا فيتَمَكّنَ منه، كما قيلَ [من الطويل]:

أتاني هَواها قَبلَ أن أعرِفَ الهوَى   فَصادَفَ قَلبًا خاليًا فَتَمَكَّنا[3]

فإذا خلا القلبُ من مُزاحمٍ ومُضادٍّ لَه؛ تَشرَّبَ الهُدَى واليقينَ، واستَنار قلبُه لِكُلِّ خيرٍ أمَرَ اللهُ به، وكُلِّ شَرٍّ نَهَى اللهُ عنه، كما أنّ البِدعَ

---

(1) (عوذ) العين والواو والذال أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الالتجاء إلى الشيء، ثم يحمل عليه كل شيء لصق بشيء أو لازمه، قال الخليل: تقول أعوذ بالله - جل ثناؤه - أي ألجأ إليه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، عوذا أو عياذا. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج4/ 183-184).

۞ ومعنى أعوذ: الاستعاذة والاستجارة والالتجاء، والمعاذ: الملجأ... فكأن العبد يعوذ بالله ليقيه من شر الشيطان، والتعوذ بالقرآن هو التشفي به، وقيل: معنى الاستعاذة الاحتراز بالله عَزَّوَجَلَّ. انظر: الغنية لعبد القادر الجيلاني، فصل ومعنى أعوذ، (ص:135).

(2) انظر: تفسير ابن كثير، ط مؤسسة قرطبة ومكتبة أولاد الشيخ للتراث، (ج1/ 175).

(3) البيت: 1- مجنون ليلى في: ديوانه، ط دار مصر للطباعة، (ص:219). البيان والتبين (ج2/ 42)، بلفظ: «فصادف قلبي فارغا فتمكنا». كتاب الحيوان، (ج1/ 111).

2- يزيد بن الطثرية في: ديوانه (ص: 109)، والحماسة؛ لابن الشجري (ص: 145).

3- عمر بن أبي ربيعة في: عيون الأخبار (ج3/ 13)، بلفظ: «فصادف قلبًا فارغًا فتمكنا».

والضّلالاتِ [...][1] تمكَنَت منه، ويعسرُ تخلّصُها منه إلّا مَن وفّقه الله وأنقَذَه منها.

فمواظبة الاستعاذة بالله تُنبت كُلَّ خيرٍ في القلبِ، والشّيطانُ يحرِقُ نباتَ الخيرِ، ويُسقي نَباتَ الشّرِّ ويُربّيه بالوسوسة والاستِدراجِ، فأُمِرَ الإنسانُ بالاستِعاذةِ منه؛ لئلّا يُفسدَ عليه نباته.

الحِرزُ الثّاني منه: بآية الكُرسيّ

عن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وكّلني رسول الله ﷺ بحِفظِ [79/ ب] زَكاةِ رَمضانَ فَأتاني آتٍ، فَجَعَلَ يَحثو مِنَ الصّدَقة[2]، فلَمّا كان في اللّيلة؛ قُلتُ: لأرفَعَنّكَ إلى رسول الله ﷺ فقال: دَعني أُعَلِّمكَ كَلِماتٍ يَنفَعُكَ الله بهِنّ، وكان أحرَصَ شَيءٍ على الخيرِ، فقال: إذا أوَيتَ إلى فِراشِكَ، فاقرَأ آيةَ الكُرسيِّ حتّى تَختِمَها، فإنّه لَن يَزالَ عليكَ مِنَ الله حافِظٌ، ولا يَقرَبُكَ شَيطانٌ حتّى تُصبِحَ، فَأخبَرتُ النّبيَّ ﷺ بذلك، فقال: «صَدَقَكَ وهو كَذوبٌ»... الحديثَ. رواه البُخاري[3]، ورواه أحمد من حديثِ أبي

---

(1) كلام غير ظاهر في النسخة الخطية.

(2) أي فطفق ينثر الطعام في الوعاء أي في ذيله، انظر: شرح المشكاة للطيبي، (ج5/ 1644).

(3) رواه البخاري في صحيحه: - كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئًا فأجازه الموكل فهو جائز وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز، حديث (2311)، بلفظ: (وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته، وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج، وعلي عيال، ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبي ﷺ: «يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة»، قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة، وعيالا، فرحمته، فخليت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبك، وسيعود»، فعرفت أنه سيعود، لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال، لا أعود، فرحمته، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك»، قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة، وعيالا، فرحمته، فخليت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبك وسيعود»، فرصدته الثالثة، فجاء يحثو=

الدّرداءِ وأنّ القِصّة لَه[1]، ورواه الطّبرانيُّ من حديثِ أُبيٍّ بن كعبٍ وأنّ الواقعة لَه[2]، ورواه أحمدُ والتّرمذيُّ من حديثِ أبي أيّوبَ الأنصاريِّ[3].

= من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات، أنك تزعم لا تعود، ثم تعود قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: 255]، حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة»، قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخليت سبيله، قال: «ما هي»، قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا أحرص شيء على الخير - فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة»، قال: لا، قال: «ذاك شيطان»). وكتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، حديث (3275)، مختصرًا. وكتاب فضائل القرآن، فضل البقرة، حديث (5010) مختصرًا.

(1) لم أقف على قصة أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(2) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة، حديث (960)، عن ابن أبي أن أباه أخبره أنه كان لهم جرن فيه تمر، وكان أبي يتعاهده فوجده ينقص فحرسه، فإذا هو بدابة تشبه الغلام المحتلم، قال: فسلمت فرد السلام، فقلت: من أنت أجن أن إنس؟ قال: جن، قال: فناولني يدك، فناولني يده، فإذا يد كلب، وشعر كلب، قال: هكذا خلق الجن، قال: لقد علمت الجن ما فيهم أشد مني، قال له أبي: ما حملك على ما صنعت، قال: بلغنا أنك رجل تحب الصدقة، فأحببنا أن نصيب من طعامك، قال أبي: فما الذي يجيرنا منكم، قال: هذه الآية؛ آية الكرسي، ثم غدا أبي إلى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «صدق الخبيث». وابن حبان في صحيحه، ذكر الاحتراز من الشياطين نعوذ بالله منهم بقراءة آية الكرسي، حديث (417)، بنحو لفظ النسائي. قال أبو حاتم: (اسم ابن أبي بن كعب هو: الطفيل بن أبي بن كعب).

(3) رواه: الإمام أحمد في مسنده، حديث (23592)، (ج38/ 563)، عن أبي أيوب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنه كان في سهوة له، فكانت الغول تجيء فتأخذ، فشكاها إلى النبي ﷺ فقال: «إذا رأيتها فقل: بسم الله، أجيبي رسول الله» قال: فجاءت، فقال لها، فأخذها، فقالت له: إني لا أعود، فأرسلها، فجاء فقال له النبي ﷺ: «ما فعل أسيرك؟» قال: أخذتها، فقالت لي: إني لا أعود، فأرسلتها، فقال: «إنها عائدة» فأخذتها مرتين أو ثلاثا، كل ذلك تقول: لا أعود، ويجيء إلى النبي ﷺ، فيقول: «ما فعل أسيرك؟» فيقول: أخذتها، فتقول: لا أعود، فيقول: «إنها عائدة» فأخذها فقالت:=

=أرسلني وأعلمك شيئا تقوله فلا يقربك شيء: آية الكرسي، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «صدقت وهي كذوب»). والترمذي في سننه، أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي، حديث (3112)، بنحو لفظ أحمد. قال أبو عيسى الترمذي: (هذا حديث حسن غريب. وفي الباب عن أبي بن كعب). الطبراني في المعجم الكبير، حديث (4011)، (ج4/ 162)، وحديث (4012)، (ج4/ 162-163)، وحديث (4013)، (ج4/ 163)، وحديث (4014)، (ج4/ 163)؛ عن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

۞ ورواه الطبراني في المعجم الكبير، حديث (8826)، (ج9/ 183-184)؛ عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (لقي رجل من أصحاب النبي ﷺ رجلا من الجن فصارعه فصرعه الإنسي، فقال له الجني: عاودني، فعاوده فصرعه، فقال له الإنسي: إني لأراك ضئيلا شحيبا كأن ذريعتيك ذريعتا كلب، فكذلك أنتم معشر الجن -أو أنت منهم كذلك-؟ قال: لا والله إني منهم لضليع، ولكن عاودني الثالثة فإن صرعتني علمتك شيئا ينفعك، فعاوده فصرعه، قال: هات علمني، قال: هل تقرأ آية الكرسي؟ قال: نعم، قال: إنك لن تقرأها في بيت إلا خرج منه الشيطان له خبج كخبج الحمار لا يدخله حتى يصبح) قال رجل من القوم: يا أبا عبد الرحمن، من ذاك الرجل من أصحاب محمد ﷺ؟، قال: فعبس عبد الله، وأقبل عليه، وقال: من يكون هو إلا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

۞ ورواه الطبراني في المعجم الكبير، حديث (585)، (ج19/ 263-264)؛ عن أبي أسيد الساعدي الخزرجي قال: وله بئر بالمدينة يقال لها بئر بضاعة قد بصق فيها النبي ﷺ، فهو يبشر بها ويتيمن بها، قال: فلما قطع أبو أسيد ثمرة حائطه جعلها في غرفة له، فكانت الغول تخالفه إلى مشربته فتسرق تمره وتفسده عليه، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ، فقال: «تلك الغول يا أبا أسيد فاستمع عليها، فإذا سمعت اقتحامها، يعني وجبتها، فقل: بسم الله، حبسني رسول الله»، فقالت الغول: يا أبا أسيد اعفني أن تكلفني أذهب إلى رسول الله ﷺ، وأعطيك موثقا من الله أن لا أخالفك إلى بيتك ولا أسرق تمرك، فأدلك على آية من كتاب الله فتقرأ بها على بيتك فلا تخالف إلى أهلك، ولا تكشف غطاءه، فأعطته الموثق الذي رضي به منها، فقالت: الآية التي أدلك عليها هي آية الكرسي، ثم حكت استها تضرط، فقال النبي ﷺ: «صدقت وهي كذوب».

۞ ورواه الطبراني في المعجم الكبير، حديث (89)، (ج20/ 51)؛ (عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: بلغني أن معاذ بن جبل، أخذ الشيطان على عهد رسول الله ﷺ، فأتيته فقلت: بلغني أنك أخذت الشيطان على عهد رسول الله ﷺ، فقال: نعم، ضم إلي رسول الله ﷺ تمر=

الحرز الثالث: خواتيم سورة البقرة

عن أبي مسعودٍ البدريِّ أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «الآيتانِ من آخرِ البقرة، مَن قَرَأهما في لَيلة كَفَتاهُ(1)»، رواه البخاري(2).

=الصدقة فجعلته في غرفة لي، فكنت أجد فيه كل يوم نقصانا، فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال لي: «هو عمل الشيطان، فارصده» فرصدته ليلا، فلما ذهب هوي من الليل أقبل على صورة الفيل، فلما انتهى إلى الباب دخل من خلل الباب على غير صورته، فدنا من التمر فجعل يلتقمه، فشددت علي ثيابي فتوسطته، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله يا عدو الله، وثبت إلى تمر الصدقة فأخذته، وكانوا أحق به منك، لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فيفضحك، فعاهدني أن لا يعود، فغدوت على رسول الله ﷺ فقال لي: «ما فعل أسيرك؟» قلت: عاهدني أن لا يعود، قال: «إنه عائد فارصده» فرصدته الليلة الثانية، فصنع مثل ذلك وصنعت مثل ذلك، وعاهدني أن لا يعود فخليت سبيله، ثم غدوت إلى رسول الله ﷺ لأخبره فإذا مناديه ينادي: أين معاذ؟ فقال لي: «يا معاذ ما فعل أسيرك؟» فأخبرته، فقال: «إنه عائد فارصده» فرصدته الليلة الثالثة، فصنع مثل ذلك وصنعت به مثل ذلك، وقلت: يا عدو الله عاهدتني مرتين، وهذه الثالثة، لأرفعنك إلى رسول الله فيفضحك، فقال: إني شيطان ذو عيال، وما أتيتك إلا من نصيبين، ولو أصبت شيئا دونه ما أتيتك، ولقد كنا في مدينتكم هذه حتى بعث صاحبكم، فلما نزلت عليه آيتان أنفرتنا منها، فوقعنا بنصيبين لا تقرآن في بيت إلا لم يلج فيه الشيطان ثلاثا، فإن خليت سبيلي علمتكهما، قلت: نعم، قال: آية الكرسي، وآخر سورة البقرة من قوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ﴾ [البقرة 285] إلى آخرها، فخليت سبيله ثم غدوت إلى رسول الله ﷺ لأخبره، فإذا مناديه ينادي: أين معاذ بن جبل؟ فلما دخلت عليه قال لي: «ما فعل أسيرك؟» فقلت: عاهدني أن لا يعود، فأخبرته بما قال، فقال لي رسول الله ﷺ: «صدق الخبيث وهو كذوب» قال: فكنت اقرأهما عليه بعد ذلك فلا أجد فيه نقصانا). وبنحوه عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه الطبراني في المعجم الكبير، حديث (197)، (ج20/ 101).

(1) محتمل أن يريد كفتاه؛ من قيام الليل، أو من أن يكون ممن توسد القرآن، أو من أذى الشياطين...أو بما حصل له بقراءتهما من الأجر. انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض، (ج3/ 175).

(2) متفق عليه: 1- صحيح البخاري: - كتاب المغازي، حديث (4008)، وتمامه: (قال عبد الرحمن فلقيت أبا مسعود وهو يطوف بالبيت فسألته؛ فحدثنيه). - كتاب فضائل القرآن، فضل البقرة، حديث (5009)، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه». - كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن وقول الله تعالى: «فاقرؤا ما تيسر منه، حديث (5051)، عن عبد الرحمن بن=

وعن النُّعمانِ بن بَشيرٍ أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «إنّ اللهَ كَتَبَ كِتابًا قَبلَ أن يَخلُقَ السّماواتِ والأرضَ بألفي عامٍ، وأنزَلَ منه آيَتينِ خَتَمَ بهِما سورة البقرة، ولا تُقرَآنِ في دارٍ ثلاثة أيّام فيَقرَبُها شَيطانٌ»، رواه التّرمذي وحسّنه، والنّسائيُّ، والحاكِمُ، وقال: علَى شرطِ مسلِمٍ وابنِ حبّانٍ[1].

الحِرزُ الرّابعُ: المُعوِّذَتانِ

عَنِ ابنِ عابسٍ الجُهنيِّ أنّ النّبيَّ ﷺ قال لَه: «يا ابنَ عابسٍ! ألا أُخبِرُكَ بأفضَلِ ما يَتَعوَّذُ بهِ المُتَعوِّذونَ»، قال: قُلتُ: بَلَى يا رسول اللهِ! قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾، رواه النّسائيُّ[2].

= يزيد، أخبره علقمة، عن أبي مسعود ولقيته وهو يطوف بالبيت، فذكر النبي ﷺ: «أن من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» -2 صحيح مسلم، حديث (255- 807) عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: لقيت أبا مسعود عند البيت، فقلت: حديث بلغني عنك في الآيتين في سورة البقرة، فقال: نعم، قال رسول الله ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه».

(1) رواه: الترمذي في سننه، أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في آخر سورة البقرة، حديث (3116). قال أبو عيسى: (هذا حديث حسن غريب). والنسائي في السنن الكبرى، (ج9/ 354) (10736). والنسائي في عمل اليوم والليلة، حديث (967). وابن حبان في صحيحه، ذكر البيان بأن آخر سورة البقرة إذا قرئ في دار ثلاث ليال أمن أهل الدار دخول الشيطان عليهم، حديث (421)، مختصرًا بلفظ: «الآيتان ختم بهما سورة البقرة لا تقرأ في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان». والحاكم في المستدرك على الصحيحين (ج1/ 750)، حديث (2065 / 46)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص صحيح، و(ج2/ 286)، حديث (3031/ 160)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم.

(2) رواه: 1- أحمد في مسنده: حديث (15448)، (ج24/ 183). وحديث (17297)، (ج28/ 530). وحديث (17389)، (ج28/ 612).

2- ابن أبي شيبة في مسنده، حديث (558)، (ج2/ 51).

3- النسائي في السنن الكبرى: (ج7/ 196)، حديث (7792). و(ج7/ 198)، حديث (7798).

4- النسائي في المجتبى، كتاب الاستعاذة، حديث (5432). =

وروي من حديثِ عُقبةَ بن عامرٍ، وعن عبد الله بن خُبَيب، قال: خَرَجنا [79/ أ] في لَيلة مَطيرة شَديدة، نَطلُبُ رسول الله ﷺ يُصَلّي لَنا، قال: فَأدرَكتُه، فقال: «قُل» فلم أقُل شَيئًا، قال: «قُل» فلم أقُل شَيئًا، قال: «قُل» فَقُلتُ: يا رسول الله! ما أقولُ؟ قال: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، والمُعوِّذَتينِ حين تُمسي وحينَ تُصبح ثَلاثَ مرّاتٍ تَكفيكَ من كُلِّ شَيءٍ». رواه أبو داودَ، والنَّسائيُّ، والتِّرمذيُّ(1).

فسورةُ الفلقِ تضَمَّنتِ الاستعاذة مِنَ الشَّرِّ الّذي هو ظلمُ الغيرِ له

= ۞ قال أبي: يقال: إن ابن عابس هو عقبة بن عامر بن عابس. انظر: كتاب العلل، لعبد الرحمن بن أبي حاتم، (ج4/ 666).

(1) حديث عقبة بن عامر؛ رواه: 1- أبو داود في سننه، كتاب الوتر، باب في المعوذتين، حديث (1462).

2- الترمذي في سننه، أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في المعوذتين، حديث (3142). وقال الترمذي: هذا حديث حسنٌ صحيحٌ.

3- النسائي في الكبرى، كتاب الاستعاذة، ذكر فضل ما يتعوذ به المتعوذون، (ج7/ 195)، حديث (7789) بدون «قل هو الله أحد».

4- النسائي في المجتبى، كتاب الاستعاذة، حديث (5438) بدون «قل هو الله أحد».

حديث عبد الله بن خُبيب؛ رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (22664)، (ج 37/ 335).

2- أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، حديث (5082).

3- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، أحاديث شتى من أبواب الدعوات، حديث (3876). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

4- النسائي في الكبرى، كتاب الاستعاذة، ذكر فضل ما يتعوذ به المتعوذون، (ج7/ 202)، حديث (7811).

5- النسائي في المجتبى، كتاب الاستعاذة، حديث (5428).

6- ابن السني في عمل اليوم والليلة، ت: بشير محمد عيون، (ص:41)، حديث (81).

بالسِّحرِ والحسَدِ، وهو شرٌّ من خارجٍ، وسورةُ النّاسِ تضمَّنتِ الاستعاذةَ مِنَ الشّرِّ الّذي هو سببُ الذُّنوبِ والمعاصي كلِّها، وهو الشّرُّ الدّاخِلُ في الإنسانِ الّذي هو منشَأُ العُقوباتِ في الدُّنيا والآخِرةِ، وكِلاهُما من وسوسةِ الشّيطانِ، وكان رسول الله ﷺ شديدَ المواظبةِ علَى قِراءتِهما عِندَ النّوم كُلَّ ليلةٍ، يتفلُ في كفَّيه ويمسَحُ بهما رأسَه، وما استطاعَ من جسَده حتَّى في مرضِ موته كانت تفعَلُ به ذلك عائِشةُ؛ كما ثَبَتَ ذلك في «الصّحيح»[1] وكان ﷺ يتَعَوَّذُ بتعاويذَ كثيرةٍ، فلمّا نزلَتِ المعوّذاتانِ أخذَ بهما وترَكَ ما سِواهُما[2]، وفيهما مِنَ الفضائلِ ما لا يُحصيه إلّا الله تعالَى.

الحِرزُ الخامِسُ: فاتِحة الكِتابِ، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾

عن أنَسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا وضَعتَ جَنبَكَ على الفِراشِ، وقَرَأتَ فاتِحةَ الكِتابِ، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾؛ فقد أمنتَ من كُلِّ شَيءٍ إلّا الموتَ**»، رواه البزّارُ بإسنادٍ حسَنٍ[3].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب المغازي، حديث (4451) عن ابن أبي مليكة، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: توفي النبي ﷺ في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وكانت إحدانا تعوذه بدعاء إذا مرض، فذهبت أعوذه، فرفع رأسه إلى السماء، وقال: «في الرفيق الأعلى، في الرفيق الأعلى».

(2) كما رواه: - الترمذي في سننه، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقية بالمعوذتين، حديث (2197)؛ عن أبي سعيد قال: «كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان، وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلت أخذ بهما، وترك ما سواهما». قال أبو عيسى: (هذا حديث حسن غريب). والنسائي في المجتبى، كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من عين الجان، حديث (5494)، بنحو لفظ الترمذي.

(3) رواه البزار في مسنده، كما في البحر الزخار (ج14/ 11)، حديث (7393)، من طريق غسان بن عبيد، عن أبي عمران الجوني، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فقد أمنت من كل شيء إلا الموت». وقال: وهذا الحديث لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا عن أنس من هذا الوجه، ولم نسمعه إلا من إبراهيم بن سعيد. =

ورواه الحافِظُ أبو موسَى المديني[1]، ولفظُه: «إذا وضَعَ العبدُ جَنبَه على فِراشِه، وقَرَأَ فاتِحةَ الكِتاب؛ أمِن من شَرِّ الجِنِّ والإنسِ ومن كُلِّ شَيءٍ»[2]، لم يذكُر: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [80/ ب].

الحِرزُ السَّادِسُ: سورةٌ من كِتابِ اللهِ

عن شَدّادِ بن أوسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلِمٍ يأخُذُ مَضجَعَه، يقرَأُ سورةً من كِتابِ الله، إلّا وكَّلَ الله به مَلَكًا فلا يَقرَبُه شَيءٌ يُؤذيه حتّى يَهُبَّ مَتَى هَبَّ»، رواه الإمامُ أحمد، والتِّرمذيُّ، والنّسائي[3].

يَهُبَّ: يَعني: ينتَبِهُ[4].

الحِرزُ السَّابِعُ: ذِكرُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ

عَنِ الحارِثِ الأشعَرِيِّ أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «إنّ اللهَ أمَرَ يَحيَى بن زكَريّا

= قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج10/ 121): رواه البزار، وفيه غسان بن عبيد، وهو ضعيف، ووثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(1) هو الإمام العلامة، الحافظ الكبير، الثقة، شيخ المحدثين، أبو موسى محمد بن أبي بكر عمر بن أبي عيسى المديني الأصفهاني الشافعي، صاحب التصانيف، ولد سنة (501هـ)، وتوفي سنة (581هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج21/ 152-159).

(2) ذكره ابن قيم الجوزية في الوابل الصيب، ط عالم الفوائد، (ص:207)، وعزاه إلى الحافظ أبي موسى في كتابه.

(3) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (17132)، (ج28/ 355).

2- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، حديث (3692). قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه.

3- النسائي في عمل اليوم والليلة، ثواب من يأوي إلى فراشه فيقرأ سورة من كتاب الله حين يأخذ مضجعه، حديث (812).

4- ابن السني في عمل اليوم والليلة، حديث (746).

(4) هبَّ النائم هبًّا، وهُبوبًا: استيقظ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (هبب)، (ج10/ 4519).

عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ بخَمسِ كَلِماتٍ أن يَعمَلَ بها، ويَأمُرَ بَني إسرائيلَ أن يَعمَلوا بها»... وذكَرَ الحديثَ[1] إلى أن قال: «وَآمُرُكم بذِكرِ الله فإنّ مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره، حتّى إذا أتَى على حِصنٍ حَصينٍ فأحرَزَ[2] نَفسَه منهُم، كذلك العبدُ لا يُحرِزُ نَفسَه مِنَ الشّيطانِ إلّا بذِكرِ الله تعالى»[3]، رواه التِّرمذيُّ، وحسَّنَه وصَحَّحَهُ[4].

(1) والحديث: «... وإنه كاد أن يبطئ بها، فقال عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم، وإما أنا آمرهم، فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعذب، فجمع الناس في بيت المقدس، فامتلأ المسجد، وقعدوا على الشرف، فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن: أولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب أو ورق، فقال: هذه داري وهذا عملي، فاعمل وأد إلي، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله أمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا؛ فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت، وآمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة، معه صرة فيها مسك، فكلهم يعجب، أو يعجبه ريحها، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وآمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فأوثقوا يده إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفديه منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم...»

(2) حرز: الحاء والراء والزاء أصل واحد، وهو من الحفظ والتحفظ يقال حرزته واحترز هو، أي تحفظ. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج2/ 38).

(3) وتمام الحديث: «... قال النبي ﷺ: «وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن، السمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة؛ فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جثا جهنم»، فقال رجل: يا رسول الله وإن صلى وصام؟ فقال: «وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله»».

(4) رواه الترمذي في سننه، كتاب الأمثال عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، حديث (3095). قال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح غريب. قال محمد بن إسماعيل: الحارث الأشعري له صحبة، وله غير هذا الحديث).

الحِرزُ الثّامنُ: فيما يُقالُ في دُخولِ البيتِ

عن جابرِ بنِ عبدِ الله قال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إذا دَخَلَ الرّجُلُ بَيتَه، فَذَكَرَ اللهَ عند دُخولِه وعند طَعامِه؛ قال الشّيطانُ: لا مَبيتَ لكم ولا عَشاءَ، وإذا دَخَلَ بَيتَه فلم يَذكُرِ اللهَ عند طَعامِه، قال: أدرَكتُمُ المبيتَ والعشاءَ»، رَواه مُسلِمٌ، وأبو داودَ، والنّسائيُّ(1).

الحِرزُ التّاسِعُ: فيما يُقالُ في الخُروجِ مِنَ البيتِ

عن أنَسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن قال حينَ يَخرُجُ من بَيتِه: بسمِ الله، تَوَكّلتُ على الله، لا حَولَ ولا قوّةَ إلّا بالله؛ يُقالُ: كُفيتَ، وهُديتَ، ووُقيتَ، وتَنَحّى عنه الشّيطانُ، فَيَقولُ لِشَيطانٍ آخَرَ: كيف [80/ أ] لي برَجُلٍ قد هُديَ وكُفيَ ووُقيَ»، رواه أبو داودَ، والتِّرمِذيُّ، والنّسائيُّ(2).

---

(1) رواه: 1- مسلم في صحيحه، حديث (103- 2018).

2- الإمام أحمد في مسنده: - حديث (14729)، (ج23/ 69). - حديث (15108)، (ج 23/ 325).

3- البخاري في الأدب المفرد، ت محمد فؤاد عبد الباقي، باب إذا لم يذكر الله عند دخوله البيت يبيت فيه الشيطان، حديث (1096).

4- أبو داود في سننه، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام، حديث (3765).

5- النسائي في: - السنن الكبرى (6/ 262)، (6724). - عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا دخل بيته، حديث (178).

(2) رواه: 1- أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا خرج من بيته، حديث (5095) عن إبراهيم بن الحسن الخثعمي.

2- النسائي في اليوم والليلة، حديث (89) عن عبد الله بن محمد بن تميم؛ كلاهما عن حجاج بن محمد.

3- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما يقول إذا خرج من بيته، حديث (3710) عن سعيد بن يحيي بن سعيد الأموي، عن أبيه، عن ابن جريج. قال أبو عيسى الترمذي: (هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه). =

الحِرزُ العاشِرُ: في التّسمية

عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا استَجنَحَ -أو كان جُنحُ اللّيلِ-[1] فَكُفّوا صِبيانَكُم؛ فإنّ الشّياطينَ تَنتَشِرُ، فإذا ذَهَبَ ساعة مِنَ العِشاءِ فَخَلّوهُم[2]، وأغلِق بابَكَ واذكُرِ اسمَ الله، وأطفِئ مِصباحَكَ، واذكُرِ اسمَ الله، وأوكِ[3] سِقاءَكَ، واذكُرِ اسمَ الله، وخَمِّر[4] إناءَكَ واذكُرِ اسمَ الله، ولَو أن تَعرُضَ عليه شَيئًا، فإنّ الشّيطانَ لا يَفتَحُ بابًا مُغلَقًا»، رواه البُخاريُّ، ومُسلِمٌ[5].

= ۞ «هديت»: أي طريق الحق «وكفيت»: أي: همك «ووقيت»: أي: حفظت من الأعداء. انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا علي القاري، ط الكتب العلمية، (ج5/ 354).

(1) جُنحُ الليل، وجِنحُه: أوّله. وقيل: قطعة منه نحو النصف، والأول أشبه، وهو المراد في الحديث. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، (ج2/ 731).

(2) في الأصل: فحلّوهم، والمثبت من مصادر الحديث.

(3) (وكا) الواو والكاف والحرف المعتل: أصيل يدل على شد شيء وشدة. منه الوكاء: الذي يشد به. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج6/ 137).

(4) التخمير: التغطية. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (خمر)، (ج3/ 1269).

(5) متفق عليه: 1- صحيح البخاري: - كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، حديث (3280)، بلفظ: «إذا استجنح -أو كان جنح الليل- فكفوا صبيانكم؛ فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم، وأغلق بابك واذكر اسم الله، وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله، وأوك سقاءك واذكر اسم الله، وخمر إناءك واذكر اسم الله، ولو تعرض عليه شيئًا».

۞ كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، حديث (3304)، بلفظ: «إذا كان جنح الليل -أو أمسيتم- فكفوا صبيانكم؛ فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم، وأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله؛ فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا».

۞ كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم، حديث (3316)، بلفظ: «خمروا الآنية، وأوكوا الأسقية، وأجيفوا الأبواب، وأكفتوا صبيانكم عند العشاء، فإن للجن انتشارًا وخطفة، وأطفؤا المصابيح عند الرقاد؛ فإن الفويسقة ربما اجترت الفتيلة فأحرقت أهل البيت» قال ابن جريج وحبيب عن عطاء: «فإن الشيطان». =

وفي لَفظٍ: «فإنّ الشّيطانَ لا يَفتَحُ بابًا مُجافًا، ولا يَكشِفُ غِطاءً، ولا يَحِلُّ وِكاءً، وإنّ الفوَيسِقة[1] تُضرِمُ على أهلِ البيتِ بَيتَهم بالنّارِ»[2].

= ۞ كتاب الأشربة، باب تغطية الإناء، حديث (5623)، بلفظ: «إذا كان جنح الليل -أو أمسيتم- فكفوا صبيانكم؛ فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فحلوهم، فأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا، وأوكوا قربكم واذكروا اسم الله، وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئًا، وأطفؤوا مصابيحكم».

۞ كتاب الاستئذان، باب لا تترك النار في البيت عند النوم، حديث (6295)، بلفظ: «خمروا الآنية، وأجيفوا الأبواب، وأطفؤوا المصابيح؛ فإن الفويسقة ربما جرَّت الفتيلة فأحرقت أهل البيت».

۞ كتاب الاستئذان، باب إغلاق الأبواب بالليل، حديث (6296)، بلفظ: أطفؤوا المصابيح بالليل إذا رقدتم، وغلقوا الأبواب، وأوكوا الأسقية، وخمروا الطعام والشراب» قال همام، وأحسبه قال: «ولو بعود».

2- صحيح مسلم: - حديث (96-2012)، بلفظ: «غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، وأغلقوا الباب، وأطفئوا السراج؛ فإن الشيطان لا يحل سقاء، ولا يفتح بابًا، ولا يكشف إناء، فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض على إنائه عودًا، ويذكر اسم الله، فليفعل، فإن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيتهم». =

=۞ حديث (97- 2012)، بلفظ: «إذا كان جنح الليل -أو أمسيتم- فكفوا صبيانكم؛ فإن الشيطان ينتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم، وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله؛ فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا، وأوكوا قربكم واذكروا اسم الله، وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئًا، وأطفئوا مصابيحكم».

(1) سميت هذه الحيوانات فواسق، على الاستعارة لخبثهن. وقيل: لخروجهن من الحرمة في الحل والحرم، أي: لا حرمة لهن بحال. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (فسق)، (ج7/ 3185).

(2) رواه الطبراني في المعجم الصغير (1148) من طريق الحسين بن حفص، قال: حدثنا أبو مسلم عبيد الله بن سعيد: قائد الأعمش، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «خمروا آنيتكم، وأوكوا أسقيتكم، وأجيفوا أبوابكم، وأطفئوا سرجكم؛ فإن الشيطان لا يفتح بابا مجافا، ولا يكشف غطاء، ولا يحل وكاء، وإن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيتهم في النار» وقال: لم يروه عن قائد الأعمش إلا الحسين بن حفص. =

عـن أبـي هريـرة، أنّ أبـا بَكـرٍ الصِّدّيقَ، قال: يا رسـول الله! مُرنـي بكَلِماتٍ أقولُهُـنّ إذا أصبحتُ، وإذا أمسَيتُ، وإذا أخَذتُ مَضجَعي، قال: «**قُلِ: اللهم فاطِرَ[1] السّماواتِ والأرضِ عالمِ الغيبِ والشّهادة، رَبَّ كُلِّ شَيءٍ ومَليكَه، أشهَدُ أن لا إله إلّا أنت، أعوذُ بكَ من شَرِّ نَفسي، وشَرِّ الشّيطانِ وشِركِه، قُلها إذا أصبَحتَ، وإذا أمسَيتَ، وإذا أخَذتَ مَضجَعَكَ**»، رواه أحمد، وأبو داودَ، والنّسائيُّ، والتِّرمذيُّ وصحَّحَهُ[2].

= ۞ الحسين بن حفص بن الفضل بن يحيى بن ذكوان الهمداني، أبو محمد الأصبهاني، وهو الذي نقل علم الكوفيين إلى أصبهان، وأفتى بمذهبهم، كان إليه القضاء والرياسة والفتوى والعدالة بأصبهان، قال عبد الرحمن بن أبي حاتم، عن أبيه: (محله الصدق)، روى له مسلم، وابن ماجة، قال أبو حاتم بن حبان: مات سنة (210، أو 211هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج6/ 369-372).

۞ عبيد الله بن سعيد بن مسلم الجعفي، أبو مسلم الكوفي قائد الأعمش، قال البخاري: (في حديثه نظر)، وقال أبو عبيد الآجري، عن أبي داود: (قائد الأعمش عنده أحاديث موضوعة)، وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات»، وقال: (يخطئ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج19/ 49-50).

(1) الفطرُ: الابتداء والاختراع. انظر: الصحاح للجوهري، مادة (فطر)، (ج2/ 781).

(2) رواه: 1- أحمد في مسنده: - حديث (51)، (ج1/ 220)؛ من طريق: بهز، قال: حدثنا شعبة، أخبرني يعلى بن عطاء، قال: سمعت عمرو بن عاصم، يقول: سمعت أبا هريرة، يقول: الحديث.

۞ حديث (63)، (ج1/ 227)؛ من طريق: عفّان، قال: حدثنا شعبة، به.

۞ حديث (7961)، (ج13/ 341)؛ من طريق: محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، به.

2- ابن أبي شيبة في مصنفه، ط دار التاج، حديث (29274)؛ من طريق: غندر، عن شعبة، به.

3- البخاري في خلق أفعال العباد، ط دار اطلس الخضراء، حديث (146)، (ج2/ 76-77)؛ من طريق: محمد بن بشار، قال: حدثنا غندر، قال: حدثنا شعبة به. =

الحِرزُ الثّاني عَشَرَ: في الفَزَع

عن عبد الله بن عمرو[1]، قال: كان الوليدُ رَجُلًا يَفزَعُ في مَنامه، فَذَكَرَ ذلك لِلنَّبيِّ [81/ب] ﷺ فقال له النَّبيُّ ﷺ: «إذا أخَذتَ مَضجَعَكَ؛ فَقُل: بسم الله، أعوذُ بكَلِماتِ الله التّامّة، من غَضَبه، وعِقابه، وشَرِّ عِباده، ومن هَمَزاتِ الشّياطين، وأن يَحضُرونَ، فإنّه لا يُضرُّكَ، وبالحريِّ أن لا يَقرَبكَ»، فقالها، فذَهَبَ ذلك عنه. رواه أحمد، والنّسائيُّ، وغيرُهُما[2].

= 4- النسائي في عمل اليوم والليلة، حديث (11)؛ كالسابق

5- الطيالسي في مسنده، حديث (9)، (ج1/ 11)، وحديث (2705)، (ج4/ 308)؛ من طريق: شعبة به.

6- الدارمي في سننه، كتاب الاستئذان، باب ما يقول إذا أصبح، حديث (2731)؛ من طريق: سعيد بن عامر، عن شعبة به.

7- البخاري في الأدب المفرد، باب ما يقول إذا أمسى، حديث (1202)، وخلق أفعال العباد، حديث (147)، (ج2/ 77)؛ من طريق: سعيد بن الربيع، قال: حدثنا شعبة به.

8- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، حديث (3676)؛ من طريق: محمود بن غيلان، قال: حدثنا أبو داود -أي:الطيالسي-، قال: أنبأنا شعبة به. قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

9- النسائي في عمل اليوم والليلة، حديث (795)؛ من طريق: عبد الله بن محمد بن تميم، قال: حدثنا حجاج وهو ابن محمد، قال: حدثنا شعبة به.

10- ابن حبان في صحيحه، ذكر ما يقول المرء عند الصباح والمساء، حديث (1733)؛ من طرق: عبد الله بن محمد الأزدي، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال أخبرنا النضر بن شميل، قال: حدثنا شعبة، به.

11- الحاكم في المستدرك، حديث (1892/ 92)؛ من طريق: محمد بن إسحاق الفقيه، قال: حدثنا الفضل بن محمد الشعراني، قال: حدثنا عمرو بن عون الواسطي، قال: حدثنا هشيم به. قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). قال الذهبي في التلخيص: صحيح.

(1) في الأصل: عبد الله بن عمر، والمثبت هو الصواب.

(2) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده: - حديث (6696)، (ج11/ 295-296)؛ من طريق=

عـن بُريـدة، قـال: شَـكا خالِدُ بـن الوليـدِ إلـى النّبـيِّ ﷺ فقـال: يـا

=يزيد بن هارون، قال: أخبرنا محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه، قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع: «بسم الله، أعوذ بكلمات الله التامة، من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون»، قال: فكان عبد الله بن عمرو: يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه، ومن كان منهم صغيرًا لا يعقل أن يحفظها، كتبها له، فعلقها في عنقه.

۞ حديث (16573)، (ج27/ 108)؛ من طريق محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن حبان، عن الوليد بن الوليد، أنه قال: يا رسول الله، إني أجد وحشة، قال: الحديث.

2- البخاري في خلق أفعال العباد، باب ما كان النبي ﷺ يستعيذ بكلمات الله لا بكلام غيره، حديث (454)، (ج2/ 232-233)؛ من طريق: أحمد بن خالد، قال: حدثنا محمد بن إسحاق به. وفيه: (كان الوليد بن الوليد رجلًا يفزع في منامه...)، وفيه زيادة: (فكان عبد الله بن عمرو من بلغ من بنيه...).

3- أبو داود في سننه، كتاب الطب، باب كيف الرقى، حديث (3893)؛ من طريق: موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا حماد، عن محمد بن إسحاق به.

4- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، حديث (3817)؛ من طريق: علي بن حجر، قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن محمد بن إسحاق به. قال الترمذي: (هذا حديث حسن غريب).

5- النسائي في عمل اليوم والليلة: حديث (765)؛ من طريق: عمرو بن علي، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا محمد بن إسحاق به. - دون زيادة: فكان عبد الله بن عمرو...

۞ حديث (766)؛ من طريق: عمران بن بكار، قال: حدثنا أحمد بن خالد، قال: حدثنا ابن إسحاق به. وفيه: كان خالد بن الوليد بن المغيرة رجلًا يفزع في منامه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ... الحديث. وليس فيه: فكان عبد الله بن عمرو...

6- الحاكم في المستدرك، حديث (2010/ 210)، (ج1/ 733) من طريق جرير بن عبد الحميد، عن محمد بن إسحاق به. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، متصل في موضع الخلاف.

رسول الله! ما أنامُ الليلَ مِنَ الأرقِ[1]، فقال النبيُّ ﷺ: «إذا أويتَ إلى فِراشِكَ، فَقُلِ: اللهم رَبَّ السّماواتِ السّبعِ وما أظَلَّت، ورَبَّ الأرَضينَ السّبعِ وما أقَلَّت، ورَبَّ الشّياطينِ وما أضَلَّت؛ كُن لي جارًا[2] من شَرِّ خَلقِكَ كُلِّهم جَميعًا أن يَفرُطَ[3] عَلَيَّ أحَدٌ منهم وأن يَبغيَ[4] عَلَيَّ، عَزَّ جارُكَ[5]، وجَلَّ ثَناؤُكَ، ولا إلَهَ إلّا أنتَ»، رواه التِّرمِذيُّ[6].

---

(1) «من الأرق»: الأرق هو السهر، ورجل أرق، إذا سهر لعلة...فـ «من» ابتدائية للتعليل، أي لأجل هذه العلة. انظر: شرح المشكاة للطيبي، (ج6/ 1888).

(2) أي: كن لي معينًا ومانعًا ومجيرًا وحافظًا. انظر: مرقاة المفاتيح لملا علي قاري، (ج5/ 322).

(3) «أن يفرُط»: بضم الراء، أي: من أن يفرط، على أنه بدل اشتمال من شرهم، أو لئلا يفرط، أو كراهة أن يفرط، أي: يسبق. انظر: مرقاة المفاتيح لملا علي قاري، (ج5/ 322).

(4) «أو أن يبغي» بكسر الغين، أي: يظلم علّي أحد. انظر: مرقاة المفاتيح لملا علي قاري، (ج5/ 322).

(5) «عز جارك» أي: غلب مستجيرك وصار عزيزًا كل من التجأ إليك وعز لديك. انظر: مرقاة المفاتيح لملا علي قاري، (ج5/ 322).

(6) رواه: 1- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، حديث (3816) من طريق: الحكم بن ظهير، قال: حدثنا علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه، قال: شكا خالد بن الوليد المخزومي... -الحديث-. قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث ليس إسناده بالقوي، والحكم بن ظهير قد ترك حديثه بعض أهل الحديث، ويروى هذا الحديث عن النبي ﷺ مرسلًا من غير هذا الوجه. وكذا في الدعاء للطبراني، حديث (1085). وضعفه النووي في الأذكار، ط الأوقاف، باب ما يقول إذا قلق في فراشه فلم ينم، حديث (258)، (ص:178).

2- الطبراني في: - المعجم الكبير، حديث (3839)، (ج4/ 115)، من طريق: محمد بن جابر، عن مسعر، عن ابن سابط، عن خالد بن الوليد قال: الحديث.

۞ المعجم الصغير، حديث (984)، من طريق: سليمان بن عبد الرحمن بن بنت شرحبيل الدمشقي، قال: حدثنا شعيب بن إسحاق، قال: حدثنا مسعر بن كدام، عن علقمة بن زيد، عن عبد الرحمن بن سابط، عن خالد بن الوليد أنه أصابه أرق -الحديث-. قال الطبراني: لم يروه عن مسعر إلا شعيب بن إسحاق، تفرد به ابن بنت شرحبيل. وكذا في الدعاء للطبراني، حديث (1084).

=

الحِرزُ الرّابِعَ عَشَرَ: في التّهليلِ

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قال: لا إله إلّا الله وحدَه لا شَريكَ لَه، له المُلكُ، ولَه الحمدُ، وهو على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ، في يوم مِائة مَرّة؛ كانت له عَدلَ عَشرِ رِقابٍ، وكُتِبَت له مِائة حَسَنة، ومُحيت عنهُ مِائة سَيِّئة، وكانت له حِرزًا مِنَ الشّيطانِ، يومَه ذلك، حتّى يُمسي، ولَم يَأتِ أحَدٌ بأفضَلَ مِمّا جاءَ به، إلّا رَجُلٌ عَمِلَ أكثَرَ منه»، رواه البُخاريُّ، ومُسلِمٌ(1).

وعن أبي أيّوبَ الأنصاريِّ أنّه، قال -وَهو في أرضِ الرّوم-: إنّ رسول الله [81/أ] ﷺ قال: «مَن قال غُدوة: لا إله إلّا الله، وحدَه لا شَريكَ لَه، له المُلكُ، ولَه الحمدُ، وهو على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ، عَشرَ مَرّاتٍ؛ كُتِبَ له عَشرُ حَسَناتٍ، ومُحيَت عنه عَشرُ سَيِّئاتٍ، وكُنّ له قدرَ عَشرِ رِقابٍ، وأجارَه الله مِنَ الشّيطانِ، ومَن قالها عَشيّة مِثلَ ذلك»، رواه النّسائيُّ، وابنُ حِبّانَ وصحّحَهُ(2).

= ۞ قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج10/ 126): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح إلا أن عبد الرحمن بن سابط لم يسمع من خالد بن الوليد، ورواه في الكبير بسند ضعيف.

(1) متفق عليه: 1- صحيح البخاري: - كتاب بدء الخلق، حديث (3293). -كتاب الدعوات، باب فضل التهليل، حديث (6403). 2- صحيح مسلم (28- 2691).

۞ قال النووي في شرح مسلم، (ج17/ 17): هذا فيه دليل على أنه لو قال هذا التهليل أكثر من مائة مرة في اليوم كان له هذا الأجر المذكور في الحديث على المائة، ويكون له ثواب آخر على الزيادة، وليس هذا من الحدود التي نهى عن اعتدائها ومجاوزة أعدادها... ويحتمل أن يكون المراد الزيادة من أعمال الخير لا من نفس التهليل، ويحتمل أن يكون المراد مطلق الزيادة سواء كانت من التهليل أو من غيره أو منه ومن غيره؛ وهذا الاحتمال أظهر، والله أعلم.

(2) رواه: 1- النسائي في: - السنن الكبرى (ج9/ 16)، حديث (9768). - عمل اليوم والليلة، حديث (24). 2- الطبراني في: - الدعاء، حديث (340). - المعجم الكبير (ج4/ 187)، (4093)؛ جميعًا من طريق: القاسم أبي عبد الرحمن، عن أبي أيوب الأنصاري. =

وروواه النّسائيُّ -أيضًا- وأبو داودَ، وابنُ ماجَه من حديثِ أبي عيّاشٍ[1]، وفيه: «وَكان في حِرزٍ مِنَ الشّيطانِ حتّى يُمسي، وكذا إن قالها حينَ يُمسي؛ فلَه مِثلُ ذلك حتّى يُصبِحَ»[2].

= ۞ القاسم أبي عبد الرحمن هو: القاسم بن عبد الرحمن الشامي، أبو عبد الرحمن الدمشقي مولى آل أبي سفيان بن حرب الأموي، ذكره محمد بن سعد، وأبو زرعة الدمشقي في الطبقة الثانية من أهل الشام، قال ابن سعد: (وله حديث كثير في بعض حديث الشاميين أنه أدرك أربعين بدريًا)، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي، وذكر القاسم أبا عبد الرحمن، فقال: (...في حديث القاسم مناكير مما يرويها الثقات يقولون: من قبل القاسم)، وقال الإمام أحمد أيضًا: (وما أرى البلاء إلا من القاسم)، وقال العجلي: (يكتب حديثه، وليس بالقوي)، وقال أبو حاتم: (حديث الثقات عنه مستقيم، لا بأس به، وإنما ينكر عنه الضعفاء)، روى له البخاري في «الأدب»، والباقون سوى مسلم، توفي سنة (112هـ، وقيل: 118هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج23/ 383-391).

3- ابن حبان في صحيحه، ذكر الشيء الذي يعدل لمن قاله بعد صلاة الغداة والمغرب عتاقة أربع رقاب مع احتراسه من الشيطان به، حديث (495): - من طريق: القاسم بن مخيمرة، عن عبد الله بن يعيش، عن أبي أيوب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال إذا أصبح لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات، كتب له بهن عشر حسنات، ومحي بهن عنه عشر سيئات، ورفع له بهن عشر درجات، وكن له عدل عتاقة أربع رقاب، وكن له حرسا من الشيطان حتى يمسي، ومن قالهن إذا صلى المغرب دبر صلاته فمثل ذلك حتى يصبح».

۞ ومن طريق: مكحول، عن عبد الله بن يعيش، عن أبي أيوب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال دبر صلاته إذا صلى -الحديث-».

۞ قال أبو حاتم: سمع هذا الخبر يزيد بن يزيد بن جابر، عن مكحول، والقاسم بن مخيمرة جميعًا؛ وهما طريقان محفوظان.

(1) في الأصل: ابن عبّاس، والمثبت هو الصواب؛ فهو أبو عيّاش الزُّرَقي.

(2) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، (ج27/ 123-124)، حديث (16583).

2- النسائي في: - السنن الكبرى، (ج9/ 17)، حديث (9771). - عمل اليوم والليلة، حديث (27).

3- أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، حديث (5077). قال أبو=

الحرزُ الخامسَ عَشَرَ: في التّحَرُّزِ عند الصّباحِ

عن أنسٍ، عَنِ النّبيِّ ﷺ قال: «مَن قال حينَ يُصبِحُ عَشَرَ مَرّاتٍ: أعوذُ بالله السّميع العليم مِنَ الشّيطانِ الرّجيم؛ أُجيرَ مِنَ الشّيطانِ إلى أن يُمسي، ويأتي مَلَكٌ فَيَعتَرِضُ بينه وبين الشّيطانِ، فَيَذودُ عنه، كما يَذودُ غَريبةَ الإبلِ»، رواه ابنُ أبي عاصِمٍ، ورواه ابنُ السُّنّي[1]، ولَم يذكُر عَدَدًا.

الحرزُ السّادِسَ عَشَرَ: في التّحَرُّزِ عند الصّباحِ والمساءِ

عن أبانَ بن عَفّانَ، قال: سَمِعتُ عُثمانَ، يَقولُ: سَمِعتُ رسول الله ﷺ يَقولُ: «مَن قال في صَباحِ كُلِّ يومٍ، ومَساءِ كُلِّ لَيلةٍ: بسم الله الّذي لا يَضُرُّ مع اسمِه شَيءٌ في الأرضِ ولا في السّماءِ وهو السّميعُ العليمُ، ثَلاثَ مَرّاتٍ؛ لم يَضُرُّه شَيءٌ»، رواه أبو داودَ، والنّسائيُّ، وابنُ ماجَه، والتّرمِذيُّ وصَحَّحَهُ[2].

=داود: رواه إسماعيل بن جعفر، وموسى الزمعي، وعبد الله بن جعفر، عن سهيل، عن أبيه، عن ابن عائش.

4- ابن ماجة في سننه، أبواب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى، حديث (3867).

5- ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الدعاء، (ج6/ 37)، (29290).

(1) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة، حديث (49)؛ من طريق: يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «من قال حين يصبح: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، أجير من الشيطان حتى يمسي». ولم أقف عليه إلا عند ابن السني، وفي إسناده يزيد الرقاشي وهو: يزيد بن أبان الرقاشي، أبو عمرو البصري القاص من زهاد أهل البصرة، روى عن: أبيه أبان الرقاشي، وأنس بن مالك، والحسن البصري. ذكره محمد بن سعد في الطبقة الثالثة من أهل البصرة، وقال: (كان ضعيفًا قدريًا)، وقال البخاري: (تكلم فيه شعبة)، وقال أبو طالب: سمعت أحمد بن حنبل يقول: (لا يكتب حديث يزيد الرقاشي...كان منكر الحديث)، وقال النسائي، والحاكم أبو أحمد: (متروك الحديث)، روى له البخاري في «الأدب»، والترمذي، وابن ماجة. انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج32/ 64-77).

(2) رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (446)، (ج1/ 498)؛ من طريق: ابن أبي الزناد،=

الحِرزُ السّابعَ عَشَرَ: في آية الكُرسيّ

عـن أبـي هريـرة، قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «مَـن قَـرأ: ﴿حمٓ ۝١﴾

=عن أبيه، عن أبان بن عثمان، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، لم يضره شيء».

2- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، حديث (3672)، كالطريق السابق، وبلفظ: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم، ومساء كل ليلة: بسم الله... ثلاث مرات، فيضره شيء». وكان أبان قد أصابه طرف فالج، فجعل الرجل ينظر إليه، فقال له أبان: ما تنظر؟ أما إن الحديث كما حدثتك، ولكني لم أقله يومئذ؛ ليمضي الله عليّ قدره. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح.

3- النسائي في: - السنن الكبرى، حديث (9759)؛ من طريق: محمد بن كعب، عن أبان بن عثمان، عن عثمان، عن النبي ﷺ قال: «من قال: باسم الله... فقالها حين يمسي، لم تفجأه فاجئة بلاء حتى يصبح، وإن قالها حين يصبح، لم تفجأه فاجئة بلاء حتى يمسي». وحديث (10106)؛ من طريق: عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن أبان بن عثمان، قال: سمعت عثمان بن عفان يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: -الحديث بلفظ الترمذي-. وحديث (10107)؛ من طريق: ابن أبي فديك، قال: حدثني يزيد بن فراس، عن أبان بن عثمان، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «من قال حين يصبح: باسم الله... لم يصبه في يومه فجأة بلاء، ومن قالها حين يمسي لم -يعني- يصبه في ليلته فجأة بلاء». - عمل اليوم والليلة، حديث (15)؛ كطريق السنن الكبرى حديث (9759) ولفظه. قال النسائي: خالفه عبد الله بن مسلمة، رواه عن أبي مودود، عن رجل عمن سمع أبان بن عثمان. وحديث (346)؛ كطريق الترمذي ولفظه. قال أبو عبد الرحمن: عبد الرحمن بن أبي الزناد ضعيف، ويزيد بن فراس مجهول لا نعرفه.

4- ابن أبي شيبة في المصنف (6/ 35)، حديث (29275)؛ من طريق: أبي مورود، قال: حدثني من سمع أبان بن عثمان، قال: حدثني أبي عثمان، أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: «من قال إذا أصبح وإذا أمسى ثلاث مرار... لم يصبه في يومه ولا في ليلته شيء».

5- الحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، حديث (1895/ 95)، (ج1/ 695)؛ من طريق: عبد الله بن مسلمة، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، -بلفظ الترمذي- قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). قال الذهبي في التلخيص: صحيح.

المُؤمِنَ... إلى: ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝٣﴾[1][2] [غافر: 3] [82/ ب]، وآيـة الكُرسيِّ[3] حينَ يُصبِحُ؛ حُفِظَ بهما حتّى يُمسي، ومَن قَرأهما حينَ يُمسي؛ حُفِظَ بهما حتّى يُصبِحَ»، رواه الطّبَرانيُّ، وابنُ السُّنّيِّ[4].

ورَوَى البيهقيُّ في «شُعبِ الإيمانِ» من حديثِ أنَس، أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «مَن قَرأ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ آيةَ الكُرسيِّ؛ حُفِظَ إلى الصّلاةِ الأُخرَى، ولا يُحافِظُ عليها إلّا نَبيٌّ أو صِدّيقٌ أو شَهيدٌ»[5].

---

(1) في الأصل: وإليه، والمثبت هو الصواب.

(2) والآية هي قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾.

(3) «وآية الكرسي» الواو لمطلق الجمع، فيجوز تقديمها وتأخيرها. انظر: مرقاة المفاتيح لملا علي القاري، (ج5/ 43).

(4) رواه: 1- الترمذي في سننه، أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في سورة البقرة وآية الكرسي، حديث (3092)، من طريق: عبد الرحمن المليكي، عن زرارة بن مصعب، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ «حم» المؤمن إلى ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝٣﴾، وآية الكرسي حين يصبح، حفظ بهما حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح».

قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة المليكي من قبل حفظه.

2- ابن السني في عمل اليوم والليلة، حديث (76)؛ كطريق الترمذي، بلفظ: «من قرأ آية الكرسي، وحم الأول -يعني المؤمن- حتى ينتهي إلى ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝٣﴾ حين يمسي، حفظ بهما حتى يصبح، ومن قرأ بهما مصبحا حفظ بهما حتى يمسي».

3- الدارمي في سننه، ومن كتاب فضائل القرآن، باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي، حديث (3429)؛ كطريق الترمذي، بلفظ: «من قرأ آية الكرسي، وفاتحة حم المؤمن إلى قوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾ لم ير شيئا يكرهه حتى يمسي، ومن قرأها حين يمسي، لم ير شيئا يكرهه حتى يصبح».

(5) رواه البيهقي في شعب الإيمان، (ج4/ 57)، حديث (2175)، وقال: إسناده ضعيف.

الحِرزُ الثّامنَ عَشرَ في التّهليلِ عقِبَ المغربِ

عن عُمارة بن شَبيب[1]، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قال: لا إله إلّا الله، وحدَه لا شَريكَ لَه، له المُلكُ، ولَه الحمدُ، وهو على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ، عَشرَ مَرّاتٍ، على إثرِ المغربِ؛ بَعثَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ له مَسلَحةً[2] مِنَ الملائكةِ، يَتكَفَّلونَه مِنَ الشّيطانِ حينَ يُصبِحُ، وكَتبَ اللهُ له بها عَشرَ حَسَناتٍ موجِباتٍ، ومَحا عنه عَشرَ سَيِّئاتٍ موبِقاتٍ، وكانت له بعَدلِ عَشرِ رِقابٍ مُؤمِناتٍ»، رَواه التِّرمذيُّ[3].

وقد ورَدَ في التّحرُّزِ مِنَ الشّيطانِ، وحِزبِه، وأوليائِه، وجُنودِه، وأتباعِه، ما هو أشهَر من هذا، وهو مشهورٌ مذكورٌ في مواضِعِه، وإنّما ذكرتُ هذه النّبذَةَ؛ ليعتصِمَ بها السّالِكُ ويواظِبَ عليها، فإنّه كان أحَبُّ العملِ إلى النّبيِّ ﷺ أدوَمَه[4]، وقد ذكرنا في كتابِ «الاستِعاذةِ» التّحرُّزَ مِنَ

---

(1) هو عُمارة بن شبيب السَبائي -بفتح المهملة والموحدة وهمزة مكسورة مقصورة- مختلف في صحبته، وقيل: عمار، وقال ابن السكن: (له صحبة)، وقال ابن يونس: (حديثه معلول)، روى عنه أبو عبد الرحمن الحبلي، قال ابن حجر: وبين البخاري علته في تاريخه، وذكره في الصحابة، وقال ابن حبان: (من قال إن له صحبة فقد وهم)، وقال الترمذي: (لا نعرف له سماعًا من النبي ﷺ). انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ط دار الكتب العلمية، (ج4/ 479). راجع: - التاريخ الكبير للبخاري، (ج6/ 495)، ترجمة (3095). - سنن الترمذي، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، حديث (3828).

(2) بفتح الميم، وإسكان السين المهملة، وفتح اللام، وبالحاء المهملة: وهم الحرس. انظر: الأذكار؛ للنووي، باب ما يقول بعد صلاة المغرب، (ص:163).

(3) رواه: 1- الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، حديث (3828) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث ليث بن سعد، ولا نعرف لعمارة بن شبيب سماعا من النبي ﷺ.

2- النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب من قال ذلك عشر مرات على إثر المغرب، حديث (10338).

(4) كما في الحديث المتفق عليه: 1- البخاري في صحيحه، باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش=

الشّيطانِ بحُروزٍ كثيرةٍ مُحرَّرةٍ في موضِعِها؛ لِدفعِ وسوَستِه وشَرِّه وهمزِه ونفخِه ونفثِه.

فينبَغي لِمَن علِمَ أنّ عدوَّه له بالمِرصادِ، وأنّه شَديدُ العداوةِ لَه؛ أن يستعِدَّ له بالعُدّة الّتي تمنَعُ من شرِّه، وهيَ هذه الحُروزِ الّتي ذكرناها ونحوِها، نَسألُ اللهَ تعالى أن يعصِمَنا منه، وأن يكُفَّه عنّا بمنِّه وكرَمِه.

فَصْلٌ

وينبَغي لِكلِّ أحَدٍ أن لا يزالَ لِنفسه مُجاهِدًا، فإنّ الإنسانَ له عدوّانِ: ظاهِرٌ، وباطِنٌ، ومُجاهدةُ العدوِّ [82/ أ] الباطن ومُحاربَتِه أولَى؛ لأنّ العدوَّ الظّاهرَ إن وجدَ منه فرصةً ففي متاعِ الحياةِ الدُّنيا، أو في العرضِ، أو في ذهابِ النّفسِ، فمتاعُ الدُّنيا يُخلفُه الله، والأخذُ من العِرض بالغيبةِ والنّميمة يُثيبُه الله، وذهابُ النّفس في سبيلِه يُبشره الله برحمةٍ منه ورضوان.

والعدوُّ الباطنُ إن وجَدَ فُرصةً ففي دينِ الله، فإذا حصلَتِ الغلَبةُ مِنَ العدوِّ الظّاهرِ كُنّا مأجورينَ، وإن حصلَت مِنَ العُدوِّ الباطِنِ كُنّا مَفتونينَ، وأيضًا فمَن قتَلَه العدوُّ الظّاهر كان شهيدًا، ومَن قتَلَه العدوُّ الباطِنُ كان طَريدًا.

قال بعضُ المشايخ العارفينَ: كلّما كان العبدُ إلى الله تعالى أقربَ؛ كان جِهادُه في اللهِ أعظَمَ، قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾

=إلا عيش الآخرة، باب القصد والمداومة على العمل، حديث (6465)؛ عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: سئل النبي ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «أدومها وإن قل كلفوا من الأعمال ما تطيقون».

2- مسلم في صحيحه (216-782) عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: أن رسول الله ﷺ سئل: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «أدومه وإن قلّ».

[الحج: 78]، وهذه أحوالُ الرسول صلى الله عليه سلم وأصحابه، فإنّهم كانوا كلّما ترقّوا مِنَ القُرب في مقام عظُمَ جهادُهم واجتِهادُهم(1)، ومَن تأمّل إقدامَهم علَى قتلِ آبائِهم وأبنائِهم وأحِبّائِهم، ومُفارقة أوطانِهم في بذلِ نحورِهم لأعدائِهم، ومحبّتِهم للقَتلِ، وإيثارِهم له علَى البقاءِ، وعدَم التِفاتِهم للَوم اللّائمينَ، وذمِّهم للمُخالِفينَ والمُرجفينَ، ووقوعُ هذا مِنَ البشَرِ بدونِ أمرٍ يقذِفُه الله في قلوبِهم من شدّة محبّتِه يجدونَ حلاوتَه وسُروره في نعيمِه بقُلوبِهم، بل لا أقدر أن أصِفَ ما قامَ بقُلوبِهم مِنَ اللّذّة الّتي وفّقَهم لها.

وقد ذكَرَ بعضُ أربابِ السُّلوكِ والتّصوُّفِ أنّ الجهادَ أنواعٌ:

جهادٌ معَ الكافِرِ الظّاهِرِ، وهو قولُه تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [التوبة: 41] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ [التوبة: 123]، والآياتُ كثيرةٌ في هذا المعنَى.

وجهادٌ معَ الكافِرِ الباطِنِ، وذلك قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ [فاطر: 6]؛ أي: فجاهِدوه وحارِبوه وقاتِلوه.

وجهادٌ معَ أصحابِ البدعِ؛ فجاهدُهم بالعِلم والحُجّة، وذكَروا منه قولَه تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾... الآية [الحج: 78]، ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: 125]، وفيه نظَرٌ.

وجِهادٌ معَ النّفسِ، وذكَروا منه قولَه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: 69]، وذكَروا أنّه سُئِلَ عنها الجُنيدُ، فقال: والّذين جاهدوا في التّوبةِ لَنهدينّهم سُبلَ الإخلاصِ. وقال غيرُه: والّذين [83/ ب] أتعبوا أنفُسَهم في خدمَتِنا لَنُكرمَنّهم بحلاوةِ الخدمة وأُنسِها.

---

(1) راجع: المواهب اللدنية للقسطلاني، ط المكتب الإسلامي، (ج4/ 10).

وقال أبو [بكر بن][1] طاهر[2]: لَنَهديَنّهُمُ السّبيل إلَينا. وقال ذو النّون المصريُّ[3]: مَنِ اجتهَدَ في الله لله من غيرِ أن يلتفِتَ عندَ الاجتهادِ إلى غيرِ الله؛ وجَدَ الطّريقَ مِنَ الله إلى اللهِ[4].

وقال أبو الفرج ابنُ الجوزيِّ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾: قاتَلوا أعداءَنا لِأجلِنا ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾: لَنوفِّقَنّهم لإصابةِ الطّريقِ المُستقيمة، وقيل: لَنَزيدَنّهم هداية.

قال ابنُ المُباركِ: مَنِ اعتاصَت[5] علَيه مسألةٌ، فليَسأل أهلَ الثُّغورِ عنها؛ لقولِه تعالى: ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[6].

ثُمّ قال أيضًا في قولِه: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ هو جِهادُ النّفس والهوى. وقال الأكثَرون: هو فعلُ جميعِ الطّاعاتِ. انتهى[7].

وسُئل شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ عنِ الحديثِ الّذي يرويه بعضُهم أنّ النّبيَّ ﷺ قال في غزوة تبوك[8]: «رَجَعنا مِنَ الجِهادِ الأصغَرِ إلى الجِهادِ الأكبَرِ»[9].

---

(1) ليست في الأصل، والمثبت كما في تفسير السلمي.

(2) تقدمت ترجمته.   (3) تقدمت ترجمته.

(4) راجع: حقائق التفسير للسلمي، ط دار الكتب العلمية، (ج2/ 122).

(5) العوص: ضد الإمكان واليسر، واعتاص عليّ هذا الأمر يعتاص، فهو معتاص إذا التاث عليه أمره فلم يهتد لجهة الصواب فيه. انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (عوص)، (ج7/ 58-59).   (6) انظر: زاد المسير لابن الجوزي، (ج6/ 285).

(7) انظر: زاد المسير لابن الجوزي، (ج5/ 455)، وذكر قولاً ثالثًا للضحاك، وهو جهاد الكفار.

(8) تَبوك: بالفتح ثم الضم، وواو ساكنة، وكاف: موضع بين وادي القرى والشام، على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام، وبين تبوك والمدينة اثنتا عشرة مرحلة. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (ج2/ 14-15).

(9) رواه: البيهقي في الزهد الكبير، ط الأوقاف، فصل في ترك الدنيا ومخالفة النفس والهوى،=

فقال: لا أصلَ لَه، ولم يروِه أحَدٌ من أهل المعرفة. انتَهَى[1].

لكن رَوى ابنُ أبي الدُّنيا بإسنادِه عن عائشةَ، قالت: قال رسول الله ﷺ: «أفضَلُ الجِهادِ مَن أصبَحَ وهو لا يَهمُّ بظُلمِ أحَدٍ»[2].

وقيل لبعضِ السّالِكينَ: لِمَ لا تخرجُ معَنا إلى الجِهادِ، فقال: ما أخرجُ؛ لأنَّ نفسي جِهادي، وديني غَنيمَتي، والشّيطانَ عدوّي، وأنا أُجاهِدُه[3]. ثُمّ قال [من البسيط]:

مَن كان عند هَواه في مُجاهَدة فَكُلُّ أرضٍ له ثَغرٌ وطَرسوسُ[4]

=حديث (380)، (ص:256) وقال: هذا إسناد فيه ضعف. - الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (ج15/ 685)، عن جابر.

۞ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف، (ج2/ 395): (غريب جدا وذكره الثعلبي هكذا من غير سند). قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار، (ج2/ 709): (أخرجه البيهقي في الزهد من حديث جابر وقال: هذا إسناد فيه ضعف). قال السيوطي في الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة، (ص:125): (قال الحافظ بن حجر في تسديد القوس: هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم بن أبي عبلة في السكنى للنسائي انتهى). وضعفه الفتني في تذكرة الموضوعات، (ج1/ 191).

(1) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص:56). مجموع الفتاوى (ج 11/ 197).

(2) رواه الخطيب البغدادي في المتفق والمفترق (ج3/ 1653)، حديث (1139) عن عائشة. وذكره الديلمي في الفردوس (ج1/ 357)، حديث (1438) عن علي بن أبي طالب.

(3) لم أقف عليه.

(4) لم أقف على قائله، ووردت عبارة مشابهة في كتاب «حالة أهل الحقيقة مع الله» لأحمد بن علي الرفاعي الكبير، (ص:68-69)، قال: (أي بني! اعلم أن معرفة النفس أحد أصول العبودية... فمن عرفها على التحقيق، وخالف أمرها، فكل أرض له ثغر وطرسوس). وطَرَسوس: بفتح أوله وثانيه، وسينين مهملتين بينهما واو ساكنة، بوزن قربوسٍ، كلمة عجمية رومية مدينة، وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، ويشقّها نهر البرَدان. انظر: معجم البلدان (ج4/ 28).

وقال **الشِّبلي**(1): حقيقةُ الجهادِ تصفيةُ السِّرِّ عمّا دونَ الله عَزَّوَجَلَّ(2).

وقال **غيرُه**: أفضَلُ الجهاد جِهادُ النّفسِ والقلبِ، وهذانِ الجِهادانِ لا سبيلَ إلى الرّياءِ فيهما، بخلافِ الجهادِ الظّاهِرِ، والله أعلَم(3).

وقال **بعضُ الصّوفيّة**: عدوُّ النّفسِ الشّهوةُ، وعدوُّ الرّوح المنيّة، وعدوُّ العقلِ الحسَدُ، وعدوُّ المعرفةِ الفِتنة، وعدوُّ القلبِ [83/ أ] الغفلة، وعدوُّ السِّرِّ الالتِفاتُ إلى غيرِ الله عَزَّوَجَلَّ.

فجاهِدُ النّفس للتّائبينَ، وجِهادُ الرّوح للخائِفينَ، وجِهادُ القلبِ للزّاهدينَ، وجِهادُ العقلِ للمُحبّينَ، وجِهادُ المعرِفةِ للعارفينَ، وجِهادُ السِّرِّ للصِّدّيقينَ، وجِهادُ الظّاهِرِ للمُتّقينَ.

فالتّائبُ مقتولٌ بسيفِ الرّغبة والرّهبة، مطروحٌ علَى بابِ التّواضع، والزّاهِدُ مقتولٌ بسيفِ الانتِباه والحسرة، مطروحٌ علَى بابِ الرِّضا، والمُحِبُّ مقتولٌ بسَيفِ الشّوقِ والتّفكُّرِ مطروحٌ علَى بابِ الدّلالِ، والعارِفُ مقتولٌ بسيفِ التّعظيمِ مطروحٌ علَى بابِ المنّة، والصِّدّيقُ مقتولٌ بسيفِ المُراقبة مطروحٌ علَى بابِ المُشاهَدةِ، والعاصي أسيرُ النّفسِ والهوى، محبوسٌ في حبسِ الحِرصِ والمُنَى، مُقيّدٌ بقيدِ الجهلِ والعمَى، وأمّا الأنبياءُ فهم قيامٌ على بساطِ الحقِّ لأهلِ الحقِّ بالحقِّ إلى الحقِّ. انتَهَى كلامُه(4).

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) لم أقف عليه.

(3) لم أقف عليه.

(4) قال القشيري في تفسيره، (ج3/ 206): ويقال الظالم مضروب بسوط الحرص، مقتول بسيف الرغبة، مضطجع على باب الحسرة، والمقتصد مضروب بسوط الندامة، مقتول بسيف الأسف، مضطجع على باب الجود، والسابق مضروب بسوط التواجد، مقتول بسيف المحبة، مضطجع على باب الاشتياق...

وقال العلّامة ابنُ القيِّمِ: وجِهادُ أهلِ البِدعِ بالقلبِ واليدِ واللِّسانِ، وما أثقَلَ ذلكَ الجِهادَ في الميزانِ، والجِهادُ بالحُجّةِ والبيانِ مقدَّمٌ علَى الجِهادِ بالسّيفِ والسِّنانِ، ولهذا أمَرَ اللهُ تعالى به في السّورِ المكيّةِ؛ حيثُ لا جِهادَ باليدِ، فقال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: 52]، وأمَرَ اللهُ تعالى بجهادِ المُنافقينَ والغِلظةِ علَيهِم معَ كونِهِم بينَ أظهُرِ المُسلِمينَ في المقامِ والمسيرِ، فقال تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة: 73]، فالجِهادُ بالعِلمِ والحُجّةِ هو جِهادُ الأنبياءِ والرُّسُلِ وخاصَّتِه من عبادِه المخصوصينَ بالهِدايةِ والتّوفيقِ. انتهَى كلامُه(1).

والمقصودُ أنّ العبدَ لا يَزالُ يُجاهِدُ نفسَه ويحثُّها علَى فعلِ الحسَناتِ وينهاها عن فعلِ السّيِّئاتِ(2)، فإنّ فعلَ الحسَناتِ مِنَ اللهِ وفعلَ السّيِّئاتِ مِنَ النّفسِ والشّيطانِ ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف: 28] فتركُ السّيِّئاتِ هو من أعمالِ النّفسِ، فإذا علِمَ العبدُ أنّ السّيِّئاتِ مذمومةٌ، وأنّه يكرَه فعلَها ويُجاهِدُ نفسَه إذا دعَته عليها، وهذا التّصديقُ والكراهةُ وجِهادُ النّفسِ أعمالٌ تعملُها النّفسُ الزكيّةُ المُزكّاةُ بالأعمالِ الصّالحةِ، بخلافِ ما إذا عمِلَتِ السّيِّئاتِ، فإنّها تَندسُّ وتَنقَمِعُ(3) كالزّرعِ إذا نَبتَ مَعه الدّغلُ(4).

والثّوابُ والعِقابُ [84/ ب] إنّما يكونُ علَى عمَلٍ وجوديٍّ، فأمّا العدَمُ

---

(1) مقدمة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ط دار عالم الفوائد/ (ج1/ 16-17).

(2) قال ابن بطال في شرح البخاري، (ج9/ 296): مجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو... قال الحسن البصري حين سئل أي الجهاد أفضل؟ فقال: جهادك نفسك وهواك. وقال أيضًا (ج10/ 211): وقد يكون جهاد النفس منعها الشهوات المباحة توفيرًا لها في الآخرة.

(3) أي: إذلال وقهر. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (قمع)، (ج5/ 27).

(4) (دغل) الدال والغين واللام أصل يدل على التباس والتواء من شيئين يتداخلان. من ذلك الدغل، وهو الشجر الملتف. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج2/ 284).

المحضُ فلا ثوابَ فيه ولا عِقابَ، والله سُبحانه أمَرَ النّاسَ بالخيرِ ونَهاهم عنِ الشّرِّ وقدِ اتّفَقَ النّاسُ على أنّ المطلوب بالأمرِ فعلٌ موجودٌ(1).

واختَلَفوا في المطلوب بالنّهي -وهو التّركُ- هل هو أمرٌ وجوديٌّ أم عَدَميٌّ(2)، فقيلَ: المطلوبُ أمرٌ وجوديٌّ وهو التّركُ، وهذا قولُ الأكثرينَ. وقيلَ: المطلوبُ عدَمُ الشّرِّ وهو أن لا يفعَلَه، ولو لم يخطُر المنهيُّ عنه ببالِه لكان مُمتَثِلاً، وليسَ هذا هو المقصودُ، وإنّما المقصودُ مُجاهدةُ النّفسِ علَى فعلِ الطّاعاتِ وتركِ السّيِّئاتِ، وقد رويَ عنِ النّبيِّ ﷺ أنّه قال: «**المُهاجِرُ مَن هَجَرَ ما نَهَى الله عنه، والمُجاهِدُ مَن جاهَدَ نَفسَه في ذاتِ الله**»(3).

---

(1) يقول الآمدي في الإحكام، ط دار الصميعي (ج3/ 259): والعدم المحض لا انتساب له إلى قدرة المكلف لا بإيجاد ولا إعدام.

(2) راجع: المحصول للرازي، ط مؤسسة الرسالة، (ج2/ 302-304).

(3) ألفاظ هذا الحديث متقاربة؛ منها:

۞ حديث فضالة بن عبيد أنّ النبي ﷺ قال في حجة الوداع: «ألا أخبركم بالمؤمن؟ المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب».

۞ رواه: 1- البزار في مسنده، حديث (3752)، (ج9/ 206). 2- البغوي في شرح السنة (ج1/ 29).

۞ قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج3/ 268): رواه البزار والطبراني في الكبير باختصار، ورجال البزار ثقات.

۞ حديث عبد الله بن عمرو أنّ رجلًا قال: يا رسول الله! مَنِ المسلم؟ قال: «مَن سلم المسلمون من لسانه ويده» قال: فمن المؤمن؟ قال: «مَن أمِنَه الناس على أموالهم وأنفسهم» قال: فمن المهاجر؟ قال: «مَن هَجَرَ السيئات» قال: فمن المجاهد؟ قال: «مَن جاهد نفسه لله عَزَّوَجَلَّ».

۞ رواه: عبد بن حميد في المنتخب من مسند عبد بن حميد، حديث (336).

۞ حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «المؤمن مَن أمنه الناس، والمسلم مَن سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السوء؛ والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه». =

وقد روّينا في جزءِ «السُّكوتِ ولُزوم البُيوتِ»[1] لابنِ البنّاء، قال: أنشَدَنا الحُسَينُ بن أحمد بن بسطام[2] لِأبي نَوّاسٍ[3] [من مجزوء الرّمل]:

أنا في دارِ مَقامي في قُعودٍ وقيامِ ... وَمَعَ النّفسِ بجَهدٍ في عِتابٍ وخِصامِ

وَفُنونٌ مُسهِراتٌ وحِسابٌ ومَلامٌ ... قُلتُ: يا نَفسُ أديمي بصِيامٍ وقيامِ

واحذَري يومًا عَظيمًا يومَ عَرضٍ لِلأنامِ ... وارهَبي نارًا تَلَظّى[4] واطلُبي دارَ السّلامِ

دارَ خُلدٍ ونَعيمٍ دارَ ساداتٍ كِرامِ ... كَم قُصورٍ كَم حبورٍ[5] كَم شرابٍ كَم طَعامِ

= ۞ رواه: 1- الإمام أحمد في مسنده، حديث (12561)، (ج20/ 29). 2- أبو يعلى في مسنده، حديث (1432-4187)، (ج7/ 199). 3- ابن حبان في صحيحه، ذكر الخبر الدال على أن مجانبة الرجل أذى جيرانه من الإيمان، حديث (780)، (ج1/ 516). الحاكم في المستدرك، حديث (25/ 25)، (ج1/ 55).

۞ قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج1/ 54): (رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، ورجاله رجال الصحيح إلا علي بن زيد، وقد شاركه فيه حميد ويونس بن عبيد). وصوَّب الدارقطني في العلل (ج12/ 235) إرساله.

۞ حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أيضًا، فقال: أي المؤمنين أفضل إسلامًا؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»، قال: فأي الجهاد أفضل؟ قال: «من جاهد نفسه في ذات الله».

۞ رواه: 1- المروزي في تعظيم قدر الصلاة، حديث (639). 2- أبو نعيم في حلية الأولياء (ج2/ 249) عن أبي ذر.

(1) لم أقف عليه في رسالة السكوت؛ لابن البناء.

(2) الحسين بن أحمد بن بسطام أبو علي الزعفراني الأبلي البصري، حدث عن: إسماعيل بن إبراهيم، وإبراهيم بن سعيد الجوهري، وإبراهيم بن محمد التيمي، وغيرهم، وعنه: أبو القاسم الطبراني في معاجمه، وابن حبان في صحيحه، وأبو بكر الإسماعيلي في معجمه، وأخرج له الضياء. انظر: إرشاد القاصي والداني إلى تراجم شيوخ الطبراني، (ص:277).

(3) لم أقف عليه في ديوان أبي نواس، وأبو نواس تقدمت ترجمته.

(4) اللظى: اللهب الخالص، وقد لظيت النار وتلظت. انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب، مادة (لظى)، (ص:587).

(5) (حبر) الحاء والباء والراء أصل واحد منقاس مطرد، وهو الأثر في حسن وبهاء... والحبر: الجمال والبهاء... والحبرة: الفرح. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (ج2/ 127).

كَم مُدامٍ كَم رَحيقٍ كَم وصيفٍ كَم غُلامِ ... كَم حَبانا كَم عَطانا كَم أباريقِ المُدامِ
نَفسُ دومِ في صَلاحي نَفسُ عفّي عن حَرامِ ... نَفسُ كُفّي عن مُدامٍ، نَفسُ غُضّي عن آثامِ
نَفسُ عفّي عن كَلامٍ، نَفسُ خفّي في المَنامِ ... نَفسُ إن دُمتِ على ذا فُزتِ في دارِ المُقامِ

فكَفُّ النّفس وجِهادُها عمّا تُحبُّ بالطّبع يكونُ قد نَهى عنها[1] أو جهادَها [الجهادَ][2] الأكبر عمّا نَهى الله عنه، وإن كانتِ النّفسُ ما تميل إليه بطَبعِها، بل بوسوسة الشّيطانِ للعبد وبوعدِه وتمنّيه ما يغتَرُّ به كثيرٌ من أولي الأحلام فكيفَ بالجُهّالِ؟ فإذا جاهَدَ [84/ أ] العبدُ نفسَه علَى فعلِ المأمورِ وتركِ المنهي حصَلَ له الثّوابُ الجزيلُ، والدّرجاتُ العُلَى، والنّعيمُ المُقيمُ، فإنّ مَن جاهَدَ نفسَه عرَفَ أحوالَ القُلوبِ ومعارفَها وأذواقَهما ومَواجيدَها، وكلّما نابَه أمرٌ من أمورِ حركاتٍ ظاهرةٍ، أو هَمٌّ من هُموم إراداتٍ باطنة شخَصَ ببصيرة قلبِه إلى الرسول ﷺ واستَمَعَ منه ما يقولُ، فذَلِك المُؤمِنُ علَى الحقيقة إن شاءَ الله.

فَصْلٌ

وأعظَمُ ما في هذا البابِ -كما قدّمنا ذكره التّخلُّصَ من آفاتِ النُّفوسِ- الإخلاصُ في كُلِّ عمَلٍ يُقرِّبُ إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر: 2]. فالإخلاصُ فعلُ القلبِ يُريد وجهَ الحقِّ عَزَّوَجَلَّ وحدَه لا شَريكَ لَه، ولا يحبُّ أن يحمدَه علَيه أحَدٌ مِنَ المخلوقينَ. وفي «الصّحيحَينِ» من حديثِ عُمرَ أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «إنّما الأعمالُ بالنّيّاتِ»[3].

(1) في الأصل: عنه، والمثبت هو الصواب. (2) زيادة مُلِحّة.

(3) متفق عليه؛ 1- صحيح البخاري: - كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث (1)؛ عن علقمة بن وقاص الليثي يقول: سمعت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على المنبر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه».=

= ۞ كتاب العلم، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى فدخل فيه الإيمان والوضوء والصلاة والزكاة والحج والصوم والأحكام، حديث (54)؛ عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «الأعمال بالنية، ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه».

۞ كتاب في العتق وفضله، باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه ولا عتاقة إلا لوجه الله، حديث (2529)، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «الأعمال بالنية، ولامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه».

۞ كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، حديث (3898)، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «الأعمال بالنية، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه، ومن كانت هجرته إلى الله ورسوله ﷺ».

۞ كتاب النكاح، باب من هاجر أو عمل خيرًا لتزويج امرأة فله ما نوى، حديث (5070)؛ عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «العمل بالنية، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ﷺ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

۞ كتاب الأيمان والنذور، باب النية في الأيمان، حديث (6689)؛ عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه».

۞ كتاب الحيل، باب في ترك الحيل وأن لكل امرئ ما نوى في الأيمان وغيرها، حديث (6953)؛ عن علقمة بن وقاص قال: سمعت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخطب قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يا أيها الناس، إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن هاجر إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه».

2- صحيح مسلم، حديث (155-1907)؛ عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه».

قال ابنُ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إنّما يُحفظ الرّجلُ علَى قدرِ نيّتِه(1). [وقال غيرُهُ](2): وإنّما يُعطى النّاسُ علَى قدرِ نيّاتِهم(3).

ورَوى ابنُ أبي الدُّنيا بإسنادِه، عن مُعاذِ بن جَبَلٍ، أنّه قال لِرسول الله ﷺ حينَ بعثَه إلى اليمَنِ: يا رسول الله! أوصِني! قال: «**أخلِص دينَك يَكفيكَ القليلُ مِنَ العمَلِ**»(4).

---

(1) رواه: 1- الدارمي في مسنده (ج1/ 379)، حديث (387). 2- الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (ج2/ 257) من طريق المنهال بن خليفة، عن مطر الوراق، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس، قال: «إنما يحفظ الرجل على قدر نيته»، وهذا الإسناد واهٍ، فيه المنهال بن خليفة العجلي، أبو قدامة الكوفي، قال البخاري: (حديثه منكر)، وقال ابن حبان: (كان يتفرد بالمناكير عن المشاهير، لا يجوز الاحتجاج به). انظر: تهذيب الكمال للمزي، (ج28/ 566-568).

(2) زيادة ملحة، من الأذكار؛ للنووي، ط الأوقاف (ص:47).

(3) رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (ج2/ 257)، (1782) من طريق محمد بن جعفر النجار، قال: نا محمد بن موسى البربهاري، نا أبو الفضل زكريا بن يحيى الباهلي، نا أخي إبراهيم بن يحيى بن سعيد قال: رأيت أبا عاصم النبيل في منامي بعد موته فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، ثم قال: كيف حديثي فيكم؟ قلت: إذا قلنا أبو عاصم فليس أحد يرد علينا، قال: فسَكَتَ عنّي، ثم أقبلَ عليَّ، فقال: إنّما يُعطى النّاسُ على قدرِ نيّاتِهم.

(4) رواه: 1- الحاكم في المستدرك، حديث (7844/ 1)، (ج4/ 341)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقّبه الذّهبي في التّلخيص فقال: (لا).

2- ابن أبي حاتم في التفسير، حديث (6162)، (ج4/ 1099).

3- أبو نعيم في الحلية (ج1/ 244).

4- البيهقي في شعب الإيمان، (ج9/ 174- 175) من طريق عبد الله بن وهب، عن يحيى بن أيوب المصري، عن عبيد الله بن زهر، عن الوليد بن عمران، عن عمرو بن مرة، عن معاذ بن جبل.

۞ قال البيهقي: (هذا هو الكوفي الذي ليست له صحبة، ولا أدرك معاذًا؛ فيكون الحديث مرسلًا، والله أعلم). =

قَالَ الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ[1]: تَركُ العَمَلِ لأَجلِ النَّاسِ رِياءٌ، والعَمَلُ لأَجلِ النَّاسِ شِركٌ، والإخلاصُ أن يُعافِيَكَ اللهُ منهما[2].

وفي أفراد مُسلِم من حديثِ أبي هُريرةَ، عَنِ النَّبي ﷺ فيما يرويه عن رَبِّه عَزَّوَجَلَّ، قال: «أنا خيرُ الشُّركاءِ عَنِ الشِّركِ، فَمَن عَمِلَ عَمَلًا أشرَكَ فيه غيري فأنا بَريءٌ منه، وهو للَّذي[3] أشرَكَ»[4]، قال سُفيانُ الثَّوريُّ[5]: ما أعتَدُّ بما ظَهَرَ من عَمَلي[6].

= ۞ قال أبو حاتم في المراسيل، (ص:147)، (531): عمرو بن مرة لم يسمع من ابن عُمَر، ولم يَسمَع من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، إلا من ابن أبي أوفى.

۞ قال البزار في مسنده (ج8/ 286)، (3353): ولا نعلم سمع عمرو بن مرة من أحد من أصحاب النبي إلا من ابن أبي أوفى.

(1) تقدمت ترجمته.

(2) ذكره عنه: - القشيري في الرسالة القشيرية، باب الإخلاص، (ص:362). - البغوي في معالم التنزيل (ج1/ 157). - ابن عساكر في تاريخ دمشق (ج48/ 382).

(3) في الأصل: الذي، والمثبت من مصادر الحديث.

(4) رواه مسلم في صحيحه، حديث (46- 2985) بلفظٍ غير هذا اللفظ: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه».

۞ ورواه بلفظ المصنف: - الإمام أحمد في مسنده، حديث (7999)، (ج13/ 377)؛ من طريق محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، سمعت العلاء، يحدث عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النّبي ﷺ يرويه عن ربه عَزَّوَجَلَّ، أنه قال: «أنا خير الشركاء، فمن عمل عملًا فأشرك فيه غيري، فأنا بريء منه، وهو للذي أشرك».

۞ ابن حبان في صحيحه، ذكر الإخبار بأن من لم يخلص عمله لمعبوده في الدنيا لم يثبت عليه في العقبى، حديث (4754) بنحو لفظ أحمد.

(5) تقدمت ترجمته.

(6) ذكره عنه: - أبو طالب المكي في قوت القلوب، ت/ محمود إبراهيم محمد الرضوان، ط مكتبة دار التراث، (ج3/ 1369). - الغزالي في إحياء علوم الدين (ج4/ 386). - ابن الجوزي في صيد الخاطر، ط دار القلم، فصل ما أقل من يعمل لله خالصًا، (ص:264).

وقال أبو زكريّا النّواويُّ[1]: روّينا عن حُذيفةَ بن اليماني، قال: سألتُ رسول الله ﷺ عنِ الإخلاص ما هو؟ فقال: «سَألتُ رَبَّ العِزّة عَنِ الإخلاصِ ما هو؟» قال: «سِرٌّ من أسراري أستَودِعُه قَلبَ مَن أحببتُ [85/ب] من عِبادي»[2]، ثُمّ قال: روّينا عن أبي يعقوبَ السّوسيِّ[3]، قال: مَتى شهِدوا في إخلاصِهم الإخلاصَ احتاجَ إخلاصُهم إلى إخلاصٍ[4].

قال المرعَشي[5]: الإخلاصُ أن تستَوي أفعالُ العبدِ في الظّاهِرِ والباطِنِ[6].

قال عطاءُ بن السّائب[7]: بلَغَني أنّ عَليَّ بن أبي طالِب، قال: العملُ الصّالِحُ الّذي تُريدُ أن لا يحمَدَكَ[8] عليه أحَدٌ إلّا اللهَ عَزَّوَجَلَّ. رواه ابنُ أبي الدُّنيا[9].

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) رواه: الثعلبي في الكشف والبيان (ج2/ 6). والقشيري في الرسالة القشيرية، باب الإخلاص، (ص:360-361). والواحدي في التفسير البسيط (ج3/ 363- 364). وذكره: الديلمي في مسند الفردوس، حديث (4513)، (ج3/ 187)، عن علي وابن عبّاسٍ مرفوعًا. قال ابن حجر في فتح الباري، (ج4/ 109): حديث واه جدًّا.

(3) ذكره السلمي في طبقات الصوفية، (ص:286) أنه من شيوخ إسحاق بن محمد النهرجوري.

(4) ذكره عنه القشيري في الرسالة القشيرية، باب الإخلاص، (ص:361).

(5) حذيفة بن قتادة المرعشي، أحد الأولياء، صحب سفيان الثوري، وروى عنه، قال أبو نعيم: العابد المتواضع، الخاضع المتوادع. انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم، (ج8/ 267). سير أعلام النبلاء؛ للذهبي (ج9/ 283-284).

(6) ذكره عنه: الثعلبي في الكشف والبيان (ج2/ 7). القشيري في الرسالة القشيرية، باب الإخلاص، (ص:362).

(7) في الأصل: الشايب، والمثبت هو الصواب، كما في المصدر الآتي ذكره. وهو عطاء بن السائب، الإمام الحافظ، محدث الكوفة، وكان من كبار العلماء، قال أبو داود، عن أحمد: (كان عطاء بن السائب من خيار عباد الله، كان يختم القرآن كل ليلة)، توفي سنة (136هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج6/ 110-114).

(8) في الأصل: يجدك، والمثبت من المصدر الآتي.

(9) رواه: ابن أبي الدنيا في الإخلاص والنية (ص:35)، رقم (5)، من طريق سفيان بن وكيع=

وسُئِل سهلُ بن عبد الله التّستُريُّ[1]: أيّ شَيءٍ أشَدُّ علَى النّفسِ؟ قال: الإخلاصُ؛ لأنّه ليس لها فيه نصيبٌ[2].

وقال ذو النّون المصريُّ[3]: ثلاثٌ من علاماتِ الإخلاصِ: استِواءُ المدحِ والذّمِّ مِنَ العامّة، ونِسيانُ رُؤيةِ الأعمالِ في الأعمالِ، واقتضاءُ ثوابِ العمَلِ في الآخِرة[4].

وقال أبو سُليمانَ الدّارانيُّ[5]: عامِلوا اللهَ بقُلوبِكُم. وقال النّواويُّ[6] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معناه: طَهِّروا قُلوبَكُم وصَفُّوها وهَذِّبوها[7].

وقد روي عن مكحولٍ[8] من غيرِ وجهٍ أنّه قال: ما أخلَصَ عبد لله قطُّ أربَعينَ يومًا إلّا ظَهرَت ينابيعُ الحكمة من قلبِه على لِسانِه[9].

=قال: حدثنا ابن عيينة، عن عطاء بن السائب، قال: بلغني أن علي بن أبي طالب، قال: العمل الصالح الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلا لله.

(1) تقدمت ترجمته.

(2) انظر: تفسير التستري، ط دار الحرم للتراث، (ص:165). الرسالة القشيرية، باب الإخلاص، (ص:362).

(3) تقدمت ترجمته.

(4) ذكره عنه: - القشيري في الرسالة القشيرية، باب الإخلاص، (ص:361). - عبد القادر الجيلاني في الغنية لطالبي طريق الحق، ط دار إحياء التراث العربي، (ج2/ 331-332).

(5) تقدمت ترجمته. (6) تقدمت ترجمته.

(7) انظر: بستان العارفين؛ للنووي، ط مكتبة التراث الإسلامي، (ص:58).

(8) مكحول، عالم أهل الشام، الدمشقي الفقيه، عداده في أوساط التابعين، من أقران الزهري، قال العجلي: (تابعي ثقة)، قال أبو حاتم: (ما بالشام أحد أفقه من مكحول). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج5/ 155-160).

(9) رواه: 1- القشيري في الرسالة القشيرية، باب الإخلاص، (ص:363).

2- أبو نعيم في الحلية: - (ج5/ 189)؛ من طريق: يزيد الواسطي، قال: أنبأنا الحجاج، عن مكحول، عن أبي أيوب الأنصاري، مرفوعًا. قال أبو نعيم: (كذا رواه يزيد الواسطي متصلًا،=

ورَوى ابنُ أبي الدُّنيا، عن أبي إدريسَ الخولانيُّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ لِكُلِّ شيءٍ حَقيقةً، وما بَلَغَ عبد حقيقة الإخلاصِ، حتَّى لا يحبُّ أن يُحمَدَ علَى شَيءٍ من عمَلٍ لله عَزَّوَجَلَّ»(1).

=ورواه أبو معاوية عن الحجاج فأرسله). - (ج10/ 70)؛ من طريق: أبي معاوية، عن حجاج، عن مكحول، مرسلًا.

۞ قال العراقي في المغني (ج1/ 436): رواه أبو نعيم في «الحلية» من حديث أبي أيوب: «من أخلص لله أربعين يومًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»، ولابن عدي نحوه من حديث أبي موسى، وقال: حديث منكر.

۞ قال ابن الجوزي في الموضوعات، (ج3/ 145): هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ...وقد عمل جماعة من المتصوفة والمتزهدين على هذا الحديث الذي لا يثبت، وانفردوا في بيت الخلوة أربعين يومًا، وامتنعوا عن أكل الخبز، وكان بعضهم يأكل الفواكه ويتناول الأشياء التي تتضاعف قيمتها على قيمة الخبز، ثم يخرج بعد الأربعين فيهذي ويتخيل إليه أنه يتكلم بالحكمة، ولو كان الحديث صحيحًا، فإن الإخلاص يتعلق بقصد القلب لا بفعل البدن.

۞ قال القرطبي في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، (ج5/ 636): وتخصيصه ﷺ الأربعين بالذكر قد جاء في مواضع كثيرة من الشرع...فتخصيص هذه المواضع بهذا العدد الخاص: هو سر من أسرار الشريعة لم يطلع عليه نصًا، غير أنه قد تنسم منه بعض علمائنا أمرًا تسكن النفس إليه، وذلك أنه قال: إن هذا العدد في هذه المواضع إنما خص بالذكر لأنه مدة يكمل فيها ما ضربت له، فينتقل إلى غيره، ويحصل فيها تبدله...

(1) رواه: 1- الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الزهادة في الدنيا، حديث (2508). قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وأبو إدريس الخولاني اسمه عائذ الله بن عبد الله، وعمرو بن واقد منكر الحديث.

2- ابن ماجه في سننه، أبواب الزهد حديث (4100). قال ابن ماجة: (قال هشام: قال أبو إدريس الخولاني: مثل هذا الحديث في الأحاديث، كمثل الإبريز في الذهب).

۞ كلاهما من طريق: عمرو بن واقد، عن يونس بن حلبس، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا ألا تكون بما في يديك أوثق مما في يد الله، وأن تكون في ثواب المصيبة - إذا أنت أصبت بها- أرغب فيها لو أنها أبقيت لك». =

ورَوى أيضًا بإسنادِه عن ميمونَ بن مِهرانَ(1)، عن عُمرَ بن عبد العزيز أنّه تكلَّم ذاتَ يوم، وعنده رهطٌ من أصحابه وإخوانِه، فَفُتِحَ(2) لهم منطقٌ وموعِظةٌ حسَنة، فنَظَر إلى رَجُلٍ من جُلسائه، وهو يحذِفُ(3) دمعَتَه، فقَطَع عُمَرُ منطقَه، فقُلتُ: يا أميرَ المُؤمنينَ! امضِ في منطِقِكَ، فإنّي أرجو أن يمُنّ اللهُ به علَى مَن سمِعَه أو بلغَه، قال: إليك عنّي، فإنّ في القولِ فتنة، والفِعالُ أولَى بالمرءِ(4) مِنَ القولِ(5). وروي عن إبراهيمَ النّخَعيّ(6)، قال: كانوا يكرَهون إذا اجتمَعوا أن يُظهِرَ الرّجُلُ أحسنَ ما عنده(7).

وقال القُشَيريُّ(8): مَن زهِدَ في الدُّنيا أربعينَ يومًا صادِقًا من قلبِه

= 3- الثعلبي في الكشف والبيان، ط دار التفسير، (ج4/ 169).

۞ ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، الأصل السادس والمائة في حقيقة الزهاد وحقيقة الإيمان وحقيقة الإخلاص، (ج2/ 49) بلفظ طويل، وفيه ما ذكره المصنف.

(1) ميمون بن مهران، الإمام الحجة، عالم الجزيرة ومفتيها، أبو أيوب الجزري الرّقي، حدث عن أبي هريرة، وعائشة، وابن عباس، وابن عمر، وأم الدرداء، وعمر بن عبد العزيز، ونافع....، قال أحمد بن حنبل: (هو أوثق من عكرمة)، وقال أبو المليح: (ما رأيت رجلًا أفضل من ميمون بن مهران)، وقال أحمد العجلي والنسائي: (ميمون ثقة)، توفي سنة (117ه). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج5/ 71-78).

(2) كذا في الأصل، وفي الإخلاص؛ لابن أبي الدنيا: فَصَحَّ.

(3) كذا في الأصل، وفي الإخلاص: يخذف. بالخاء المعجمة.

(4) كذا في الأصل، وفي الإخلاص؛ لابن أبي الدنيا: بالمؤمن.

(5) رواه: - ابن أبي الدنيا في الإخلاص والنيّة (ص:69)، حديث (52). - البيهقي في شعب الإيمان (ج7/ 48)، حديث (4625). - ابن عساكر في تاريخ دمشق (ج45/ 229). - ذكره ابن الجوزي في سيرة عمر بن عبد العزيز (ص: 184).

(6) تقدمت ترجمته.

(7) رواه ابن أبي الدنيا في الإخلاص (ص:70)، (53)، من طريق محمد بن يزيد، قال: حدثنا مصعب بن المقدام، قال: حدثنا داود بن نصير، عن الأعمش عن ابن عون، عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون إذا اجتمعوا أن يظهر الرجل أحسن ما عنده.

(8) تقدمت ترجمته.

مُخلِصًا في ذلك؛ ظهَرَت له الكراماتُ، ومَن لم تظهَر له فلأنّه عدمَ الصِّدقَ في زهدِه، فقيلَ لِسهلٍ: كيفَ تظهَرُ له الكرامةُ؟ فقال: يأخذُ ما شاءَ كما يشاءُ من حيثُ شاءَ[1]. وعن يوسُفَ بن الحُسينِ[2]، قال: أعزُّ شيءٍ [في الدُّنيا][3] الإخلاصُ[4].

وقال السّري[5] السّقطي[6]: الإخلاصُ أن لا تعمَلَ للنّاسِ شَيئًا، ولا تترُكَ لهم شَيئًا، ولا تُعطِ لهم شَيئًا، ولا تكشِفَ لهم شَيئًا[7].

وعنِ الأُستاذ أبي عليٍّ الدّقّاقِ[8]، قال: الإخلاصُ: التّوقي عن مُلاحظة الخلقِ، والصِّدقُ التّنَقي عن مُطالعة النّفسِ [85 / أ]، والمُخلِص لا رياءَ لَه، والصّادِقُ لا إعجابَ لَه[9]. وعن أبي عُثمانَ المغربيِّ[10]، قال: إخلاصُ

(1) انظر: تفسير التستري (ص:245). الرسالة القشيرية (ص:572).

(2) يوسف بن الحسين الرازي، الإمام العارف، شيخ الصوفية، أبو يعقوب، أكثر الترحال، وأخذ عن ذي النون المصري، وقاسم الجوعي، وأحمد بن حنبل، وأحمد بن أبي الحواري، قال السلمي: (كان إمام وقته، لم يكن في المشايخ أحد على طريقته في تذليل النفس وإسقاط الجاه)، توفي سنة (304هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج14/ 248-251).

(3) الزيادة من الرسالة القشيرية، ومن المصادر الآتية.

(4) ذكره عنه: القشيري في الرسالة، باب الإخلاص، (ص:363). ابن عساكر في تاريخ دمشق (ج74/ 226). النووي في بستان العارفين، فصل في حقيقة الإخلاص والصدق، (ص:48).

(5) في الأصل: سري.

(6) تقدمت ترجمته.

(7) ذكره عنه النّووي في: التبيان في آداب حملة القرآن، ط دار ابن حزم، الباب الرابع في آداب معلم القرآن ومتعلمه، (ص:33). بستان العارفين، فصل في حقيقة الإخلاص والصدق، (ص:49).

(8) تقدمت ترجمته.

(9) ذكره عنه: القشيري في رسالته (361). النووي في الأذكار (ص:48).

(10) في الأصل: المعري، والمثبت من المصادر الآتية، فهو الإمام القدوة، شيخ الصوفية أبو عثمان، سعيد بن سلام المغربي القيرواني، نزيل نيسابور، سافر وحج، وجاور مدة، ولقي مشايخ مصر والشام، وكان لا يظهر أيام الحج، قال السلمي: (كان أوحد المشايخ في طريقته، لم نر مثله في علو الحال وصون الوقت...)، وقال الخطيب: (وكان من كبار المشايخ، له أحوال وكرامات)، توفي سنة (373هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (ج16/ 320-321).

العوام: ما لا يكونُ للنّفسِ فيه حَظٌّ، وإخلاصُ الخواصِّ: ما يجري عليهم لا بهم فتَبدو منهمُ الطّاعاتُ، وهم عنها بمعزَلٍ، ولا يقَعُ لهم عليها رُؤيةٌ، ولا لهم بها اعتِدادٌ[1].

قال سهلٌ[2]: نظَرَ الأكياسُ في تفسير الإخلاص فلم يجِدوا غير أن تكونَ حركتُه وسكونُه في سِرِّه وعَلانيَتِه لله وحدَه لا شَريكَ لَه، لا يُمازجُه شيءٌ، لا نفسٌ ولا هوًى، ولا رياءٌ، ولا دُنيا[3].

وقال الحارثُ المُحاسِبيُّ[4]: الصّادِقُ: هو الّذي لا يُبالي لو خرَجَ كُلُّ قدرٍ له في قلوبِ الخلقِ من أجلِ إصلاحِ قلبه، ولا يُحبُّ اطِّلاعَ النّاسِ علَى مثاقيلِ الذّرِّ من حُسنِ عمَلِه، ولا يكره أن يطَّلعَ النّاسُ على السّيئِ من عمَلِه، فإنّ كراهتَه لِذلك دليلٌ على أنّه يُحبُّ الزّيادةَ عندَهُم، وليسَ هذا من أخلاقِ الصِّدّيقينَ[5].

وحُكي عن بعضِ السّلَفِ ما معناه أنّه مَن طلَبَ اللهَ تعالى بصدقِ إخلاصٍ؛ أعطاه مِرآةً يُبصر فيها كُلَّ شيءٍ من عجائِبِ الدُّنيا والآخِرةِ[6].

وقال سُفيانُ الثّوريُّ[7]: ما عالَجتُ شيئًا قطُّ أشَدَّ علَيَّ من نيّتي[8].

---

(1) ذكره عنه: القشيري في رسالته (361). عبد القادر الجيلاني في الغنية، (ج2/ 112).

(2) تقدمت ترجمته.

(3) رواه البيهقي في: السنن الصغير (1/ 13)، (8). شعب الإيمان (9/ 184)، (6468).

(4) تقدمت ترجمته.

(5) ذكره عنه: عبد القادر الجيلاني في الغنية لطالبي طريق الحق (ج2/ 335). النووي في: الأذكار (ص:47). بستان العارفين (ص:50).

(6) انظر: مدارج السالكين (ج2/ 266).

(7) تقدمت ترجمته.

(8) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (ج7/ 5) من طريق: أحمد بن عبد الجبار الصوفي، قال: حدثنا عبد الصمد مردويه، حدثنا وكيع، عن سفيان، قال: «ما عالجت شيئا قط أشد عليّ من نفسي، مرة عليّ، ومرة لي».

فإذا علِم العبدُ أنّ الرّياءَ ينقص العبدَ عندَ الله عَزَّوَجَلَّ ويُرائي اللهَ به، كما ثَبَت في الحديث الصّحيحِ: «مَن راءَى راءَى الله به»[1] ويحرِمُه توفيقه وإصلاح قلبِه وثوابَه في الآخِرة، ويُحبط عملَه الّذي لو أخلَصَه فيه لَرجَح ميزانُه، فدَخَل به الجنّة.

فانظُر -رحِمَكَ اللهُ- بعَينِ بصيرَتكَ [86/ ب] إلى عمَلٍ واحِدٍ يُدخِل صاحبَه تارّة إلى الجنّة وتارّة إلى النّار لم يفرق بينَهُما إلّا النّيّة، هذا أخلَصَ في نيّتِه وهذا راءَى في نيّتِه، وإلّا فالفِعل واحِدٌ.

فالعبدُ إذا لم يُخلِص وراءَى بعمَلِه فقد حبطَ عمَلُه ورَجَحَت سيّئاتُه فيَدخلُ النّارَ، ويعلَمُ أيضًا أنّ حمدَ النّاسِ له علَى عمَلِه لا يزيدُ في أجَلِه ولا في رِزقِه، ولا يدفَعُ عنه ما يكرهُه، بل قد يقذِفُ الله في قلوبِ النّاسِ أنّ هذا مُراءٍ؛ فيكونُ رياؤُه سبَبًا لِذمِّ النّاسِ لَه.

وقد تقدم الكلامُ في الرّياءِ فلا حاجةَ إلى تكرارِه، ولكن لَمّا خافَت نفوسُ الصّالِحينَ مِنَ الرّياءِ خافَ لِسانٌ جهرها بالطّاعةِ، فكأنّهم تَواصَوا بالكتمانِ، حتّى لو أمكَن كِتمانُ الأعمالِ عنِ النّفسِ لَفعلَ، ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ [السجدة: 17].

وقد وقَع مِنَ الأقوالِ والأفعالِ للسّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ ما يدُلُّ علَى نِهايةِ الإخلاصِ، كما حُكي عن داود الطّائيِّ[2]: أنّه صامَ أربعينَ سنة لم يعلَم به أهله، وكان خَزّازًا[3]، وكان يحمِلُ غَداءَه معَه، فيَتَصَدَّقُ

(1) رواه مسلم في صحيحه، حديث (47-2986)، من حديث ابن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع سمع الله به، ومن راءى راءى الله به».

(2) تقدمت ترجمته.

(3) الخز من الثياب: ما ينسج من صوف وإبريسم...وبائعه خزاز. انظر: تاج العروس للزبيدي، مادة (خزز). (ج15/ 136-137).

بـه فـي الطّريـقِ، ويرجِـعُ إلـى أهلـه فيفطَـرُ عندَهُـم، ولا يعلَمـون بصومِـه[1].

وكذلـك صـامَ داودُ بـن أبـي هنـدٍ[2] أربعيـنَ سـنة لـم يعلَـم بـه أهلـه[3]، وكان أيّـوبُ السّـختيانيُّ[4] إذا حـدَّثَ بالرّقائـقِ فجـاءَه البُـكاءُ فيمسَـح أنفَـه، ويقـولُ: مـا أشَـدَّ الـزُّكامَ[5]! وكان يقـومُ اللّيـلَ كُلَّـه، فـإذا كان عنـدَ الصّبـاحِ رفَـعَ صوتَـه كأنّـه قـد قـامَ تلـكَ السّـاعةَ[6].

وحكَـى أبـو الفـرجِ ابـنُ الجـوزيِّ عـن بعـضِ السّـلَفِ لـم يُسـمِّه أنّـه تَزَهَّـدَ عِشـرينَ سـنة لا يعلَـم بـه جـارُه، ويُصلّـي باللّيـلِ عِشـرينَ سـنة لا تعلَـم بـه امرأتُـه، ويقِـفُ فـي الصّـفِّ [86/ أ] ودموعُـه تجـري لا يَشـعرُ بـه مَـن هـو إلـى جانِبـه[7].

---

(1) رواه: الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (ج9/ 314). ذكره: ابن الجوزي في صفة الصفوة (ج2/ 78).

(2) هو داود بن أبي هند، الإمام الحافظ، الثقة، أبو محمد الخراساني ثم البصري، حدث عن: سعيد بن المسيب، وأبي عثمان النهدي، ومحمد بن سيرين، ومكحول، وعدة، ورأى أنس بن مالك. حدث عنه: سفيان، وشعبة، وحماد بن سلمة، وخلق. قال النسائي، ويحيى بن معين، وغيرهما: (ثقة)، وقال حماد بن زيد: (ما رأيت أحدًا أفقه من داود)، توفي سنة (139هـ، وقيل:140هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج6/ 376-379).

(3) انظر: حلية الأولياء (ج3/ 93- 94). صفة الصفوة (ج3/ 221).

(4) تقدمت ترجمته.

(5) رواه: - ابن الجعد في مسنده (ص: 190)، (1246)؛ من طريق: سليمان بن حرب، عن حماد بن زيد قال: كان أيوب في مجلس، فجاءته عبرة، فجعل يمتخط، فيقول: «ما أشد الزكام».

۞ أبو نعيم في حلية الأولياء (ج3/ 6-7)؛ من طريق أبو بكر بن راشد، قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد، قال: حدثنا حامد بن خداش، عن حماد، قال: غلب أيوب البكاء يومًا، فقال: الشيخ إذا كبر مج، وغلبه فوه، فوضع يده على فيه، وقال: الزكمة ربما عرضت.

(6) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (ج3/ 7-8)؛ من طريق محمد بن إسحاق، قال: حدثنا محمد بن الصباح، قال: حدثنا سعيد بن عامر، عن سلام، قال: «كان أيوب السختياني يقوم الليل كله فيخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة».

(7) انظر: نسيم السحر ومنظوم الدرر (ص: 72).

وقُرئَ علَى الإمامِ أحمد في مرَضِه: أنّ طاوسًا[1] كان يكرَه الأنين للمَريضِ، فما أنّ حتَّى ماتَ[2]. وكان حسّانُ بن أبي سِنانٍ[3] يشتَري أهلَ البيتِ فيعتقهم ولا يُعلِمُهم مَن هو[4]، ولقد اشتُهر أمرُ إبراهيمَ بن أدهَم[5] ببلَدٍ، فقيلَ: هو في بُستانٍ، فأخَذَ النّاسُ يطوفونَ، ويقولون: أينَ إبراهيمُ بن أدهَم، فجَعَل يطوفُ معَهُم، ويقولُ: أين إبراهيمُ بن أدهَم[6]، ومَرِض فجَعَل عندَه الحلواءَ وغيرَها يوهم النّاسَ أنّه مُعافًى[7].

هؤلاءِ -واللهِ- هم المُخلِصون المُجتهدونَ السّالِكونَ العارِفون، رحَلَ القومُ وذَهَبَ السّلَفُ، ونَزلَ الخلَفُ منزِلَ التّلفِ، فتَشبَّهَ أهلُ زمانِنا بالعُبّادِ في أثوابِهم، وتَخاشعوا وتَمايَلوا وتَناسَكوا في أحوالِهم، هيهات -واللهِ- ما في الجنّة ممّا في الدُّنيا غيرَ الأسماءِ.

ومن هذا البابِ ما نُقل عنِ الشّافعيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: ودِدتُ أنّ النّاسَ تعلَّموا هذا العِلمَ علَى أن لا يُنسبَ إليَّ منه حرفٌ[8].

---

(1) هو طاووس بن كيسان، الفقيه القدوة عالم اليمن، أبو عبد الرحمن الفارسي، ثم اليمني الجندي الحافظ، سمع من زيد بن ثابت، وعائشة، وأبي هريرة، وزيد بن أرقم، وابن عباس، ولازم ابن عباس مدة، وهو معدود من كبراء أصحابه، وحديثه في دواوين الإسلام، وهو حجة باتفاق، فروى عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس قال: (إني لأظن طاووسًا من أهل الجنة)، قال ابن حبان: (كان من عباد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، مستجاب الدعوة، حج أربعين حجة)، توفي سنة (105هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج5/ 38-49)

(2) انظر: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي، ط مطبعة السعادة، الباب التاسع والسبعون في ذكر مرضه، (ص:407). الثبات عند الممات لابن الجوزي، ط مؤسسة الكتب الثقافية، (ص:55).

(3) تقدمت ترجمته.

(4) ذكره عنه: ابن الجوزي في كشف المشكل من حديث الصحيحين (ج1/ 161).

(5) تقدمت ترجمته.

(6) ذكره ابن الجوزي في: المواعظ والمجالس (ص:246). المدهش (ص:400).

(7) انظر: المنتخب في النوب (ص: 350).

(8) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (ج9/ 118)؛ من طريق: محمد بن إبراهيم، قال: حدثنا=

وقال أيضًا: ما ناظَرتُ أحَدًا قطُّ، إلّا وأحبَبتُ أن يظهَرَ الحقُّ علَى لِسانِه[1]. ورَوى البيهقيُّ بإسنادِه عنِ الشّافعيِّ، عن يونُسَ بن عبد الأعلَى[2]، قال: قال لي الشّافِعيُّ: يا أبا موسَى! لوِ اجتهَدتَ كُلَّ الجهدِ علَى أن تُرضيَ النّاسَ كُلَّهُم، فلا سَبيلَ إليه، فإذا كان كذلك، فأخلِص عمَلَك ونيَّتَك لله عَزَّوَجَلَّ[3] [78/ ب].

=عبد العزيز بن أبي رجاء، ثنا الربيع، قال: سمعت الشافعي، يقول: «وددت أن الخلق يتعلمون هذا العلم ولا ينسب إلي منه شيء».

(1) المصدر السابق، قال: سمعت أبا الوليد موسى بن أبي الجارود يقول: سمعت الشافعي، يقول: «ما ناظرت أحدًا قطُّ إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما ناظرت أحدًا إلا ولم أبال بين الله الحق على لساني أو لسانه».

(2) هو يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة بن حفص بن حيان، الإمام، شيخ الإسلام، أبو موسى الصدفي، المصري المقرئ الحافظ، ولد سنة (170هـ)، وحدث عن: سفيان بن عيينة، وعبد الله بن وهب، وأبي عبد الله الشافعي، وأشهب الفقيه. وقرأ القرآن على ورش صاحب نافع، وكان من كبار العلماء في زمانه حدث عنه: مسلم، والنسائي، وابن ماجة، وأبو حاتم، وأبو زرعة، وبقي بن مخلد، وابن خزيمة، وخلق كثير. قال ابن أبي حاتم: (سمعت أبي يوثقه، ويرفع من شأنه)، وقال الطحاوي: (كان ذا عقل..)، توفي سنة (264هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج12/ 348-351).

(3) رواه البيهقي في مناقب الشافعي (173/ 2).

فهرس المحتويات

مقدمة التحقيق 5

مقدمة المؤلف 29

الباب الأول

في الكلام على حَقيقةِ الفَقرِ والتّصوُّفِ 33

[مُحاكَمة بين الغزالي وابنِ الجوزيِّ] 62

الباب الثاني

في فَضلِ الفَقرِ والتَّصوُّفِ 99

فَصْلٌ

ومن فضلِ الفقرِ وشرفِه 124

فَصْلٌ

في اختِلافِ النّاسِ في الغِنيِّ الشّاكرِ والفقيرِ الصّابرِ أيُّهما أفضَلُ 125

فَصْلٌ

في ذكرِ ما استدلَّت به الفُقراءُ مِنَ الكتابِ والسُّنّة والآثارِ والاعتِبارِ 134

فَصْلٌ

في ذكرِ ما استدلَّت به الأغنياءُ، ومَن قال بقولِهم مِنَ العُلماء ونصرَهم من الكتابِ والسُّنّة 174

فَصْلٌ

في سياقِ ما احتجّوا بهِ 176

فَصْلٌ

والغِنَى معَ الشُّكر زيادةُ فضلٍ ورحمةٍ 182

الباب الثالث

في ذكر الأبدال والنجباء والنقباء والأوتاد........ 221

الباب الرابع

في أدب الفقراء في فقرهم........ 271

الباب الخامس

في آفات النفوس وعيوبها........ 311

فصل

وأربابُ السُّلوكِ علَى قِسمَينِ........ 312

فصل

في ذِكرِ العُيوبِ الباطِنةِ الّتي لم يروضوا أنفُسَهم ولم يفطموها عنها........ 314

فصل

ومن آفاتِ النُّفوس........ 341

الباب السادس

في التخلص من آفات النفوس وعيوبها........ 349

فصل

مُتعلّقٌ بما قبلَهُ........ 357